إعراب القرآن الكريم

وبيانه

تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

المجلد الثالث

الجزء التاسع — الجزء العاشر — الجزء الحادي عشر — الجزء الثاني عشر

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

إعراب القرآن الكريم
وبيانه

الطَّبْعَةُ السَّابِعَة

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

طَبْعَةٌ مُنَقَّحَةٌ وَمُصَحَّحَةٌ وَمُفَهْرَسَة
(تَنْضِيدٌ جَدِيدٌ)

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - هاتف: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠ - فاكس: ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ - تلفاكس ٠١٨١٧٨٥٧ - ٣٢٠٤٥٩ .

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - برامكة - جانب الهجرة والجوازات
ص.ب: ٢٧٧ - هاتف: ٢١٢٢٠٥٩ - فاكس: ٢١٢٣٢٤٥
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣/٥٤٨٨ - هاتف: ٠١٧٠٢٩٥٩ - ٢٨٥٣٥٨٦ .

إعراب القرآن الكريم وبيانه

تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

المجلد الثالث

الجزء التاسع — الجزء العاشر — الجزء الحادي عشر — الجزء الثاني عشر

دار اليمامة
دمشق - بيروت

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية
حمص - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿لَتَعُودُنَّ﴾ : لفعل «عاد» في لغة العرب استعمالان: أحدهما وهو الأصل: الرجوع إلى ما كان عليه من الحال الأول، وثانيهما استعمالها بمعنى صار، وحينئذ ترفع الاسم وتنصب الخبر. وقد جرينا على الإعرابين.

○ **الإعراب:**

﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ تقدم هذا الإعراب بنصه، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما قالوه بعد ما سمعوا من المواعظ ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ اللام موطئة للقسم، ونخرجنك فعل مضارع مبني على الفتح، والكاف مفعول به، والذين عطف على الكاف أو مفعول معه، وجملة آمنوا صلة، ومعك ظرف مكان متعلق بالإخراج لا بالإيمان، وتوسيط النداء باسم شعيب زيادة بيان إغراقهم في الوقاحة والطغيان، ومن قريتنا جار ومجرور متعلقان بنخرجنك ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ أو عاطفة، ولتعودن عطف على جواب القسم الأول، أي: والله لنخرجنك والمؤمنين، أو لتعودن، وتعودن هنا معرب لأنه لم يتصل مباشرة بنون التوكيد الثقيلة، وأصله تعودونن، فحذفت النون لتوالي الأمثال، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين، والواو إما فاعل وأما اسم تعود على الاستعمالين، وفي ملتنا جار ومجرور متعلقان بتعودن أو بمحذوف خبر تعودن ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ جملة القول مستأنفة، مسوقة لبيان ردِّ شعيب عليه السلام، والهمزة للاستفهام

الإنكاري، أي إنكار، ولو شرطية لمجرد الربط لا لانتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه، وكان واسمها وخبرها، وجملة لو كنا كارهين في محل نصب حال من ضمير الفعل المقدر أي: أنعود ولو كنا كارهين﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للتعجب من إصرارهم على موقفهم، وقد حرف تحقيق، وافترينا فعل وفاعل، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترينا، وكذباً مفعول به أو صفة لمصدر محذوف، وإن شرطية، وعدنا في ملتكم في محل جزم فعل الشرط، وتقدم إعراب الباقي على الاستعمالين، وجواب إنْ محذوف دل عليه ما قبله، أي: فقد افترينا الكذب ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ بعد ظرف زمان متعلق بمحذوف حال، والظرف مضاف إلى ظرف آخر، وجملة نجانا في محل جر بالإضافة، والله فاعل، ومنها جار ومجرور متعلقان بنجانا ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ الواو استئنافية مسوقة لاستبعاد العود، وما نافية، ويكون فعل مضارع، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وأنْ وما في حيزها هو اسم يكون، وفيها جار ومجرور متعلقان بنعود، أو بمحذوف خبرها، على الاستعمالين ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ في هذا الاستثناء وجهان: أحدهما أنه متصل، فعلى هذا يكون الاستثناء من أعم الأوقات أو الأحوال، وثانيهما أنه منقطع، فيكون التقدير: لكن إذا شاء الله العود، والله فاعل يشاء، وربنا بدل من الله ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لبيان سعة علم ربنا، ووسع فعل ماض، وربنا فاعل، وكل شيء مفعول به، وعلماً تمييز محوّل عن الفاعل، أي: وسع علمه كل شيء ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ الجملة في موضع نصب على الحال، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكلنا، وتوكلنا فعل وفاعل ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ الجملة مستأنفة، وربنا منادى مضاف، وافتح فعل أمر، وبيننا ظرف مكان متعلق بافتح، أي: احكم بيننا وبين قومنا، والواو للحال، أو للاستئناف أيضاً، وأنت مبتدأ، وخير الفاتحين خبر.

* الفوائـد:

اشتملت هاتان الآيتان على كثير من الفوائد، نلخصها فيما يلي:

(١) الشبهة في العَوْد:

إذا كانت «عاد» على معناها الأصلي، فكيف يحسن أن يقال: «أو لتعودنّ» أي: ترجعنّ إلى حالتكم الأولى، مع أن شعيباً عليه السلام لم يكن قط على دينهم ولا في ملتهم؟ وقد أجيب عن هذه الشبهة بأمور:

١ ـ إن هذا القول من رؤسائهم قصدوا به التلبيس والإبهام على العوام؛ بأنه كان على دينهم، وفي ملتهم.

٢ ـ أن يراد بعوده رجوعه إلى حاله قبل بعثته، وهي السكوت، لأنه قبل أن يبعث يخفي إيمانه، وهو ساكت.

٣ ـ تغليب الجماعة على الواحد، لأنهم لما أصحبوه مع قومه في الإخراج أجروا عليه حكم العود إلى الملة، تغليباً لهم عليه.

على أن استعمال عاد بمعنى صار لا يستدعي العود إلى حالة سابقة، بل العكس من ذلك، وهوالانتقال من حالة سابقة إلى حال مؤتنفة، وحينئذ تندفع الشبهة تماماً.

وثمة وجه لطيف فني لردِّ الشبهة ليس بعيداً، وهو أن تبقى عاد على معناها الأصلي، وهو أن يكون الكلام من وادي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ والإخراج يستدعي دخولاً سابقاً فيما وقع الإخراج منه، ونحن نعلم أن المؤمن الناشىء في الإيمان المترعرع على ذراه لم يدخل قط في ظلمة الكفر ولا كان فيها، وكذلك الكافر الأصلي لم يدخل قط في نور الإيمان ولا كان فيه، ولكن لما كان الإيمان والكفر من الأفعال الاختيارية، كان تعبيراً عن السبب بالمسبب لإقامة حجة الله على عباده.

(٢) لزوم ما لا يلزم:

وفي الآية الأولى لزوم ما لا يلزم، وهي قوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ فقد لزمت التاء قبل النون، وهذا ما يسمى «لزوم ما لا يلزم» ، وهو أن يلتزم الشاعر في شعره والناثر في نثره حرفاً أو حرفين فصاعداً قبل حرف الرَّويِّ على قدر طاقته، ومقدار قوة عارضته، مشروطاً بعدم الكلفة. وسيرد في القرآن الكثير منه.

أبو العلاء المعرِّي واللُّزوم:

وقد قال أبو العلاء:

كُثَيِّرٌ أنا في حرفي أهبت له في التاء يلزم حرفاً غير يلتزم

فقد أرخ شاعرنا الفيلسوف في بيته الفنّ الذي أحبه ونذر له نفسه أولاً وهو «لزوم ما لا يلزم». ومعنى البيت أنه حذا حذو كثيرٍ عزة الذي التزم اللام في تائيته التي يقول في مستهلها:

خليليَّ هذا ربعُ عَزَّةَ فاعقلا قَلُوصَيْكما ثم احللا حيث حلَّتِ

وهذه القصيدة المستجادة تعدُّ حسب رواية القالي خمسة وثلاثين بيتاً، بناها من أولها إلى آخرها على التزام حرف معين قبل الرَّويِّ ، وهو أمر لم يُسبق إليه شاعر من شعراء العرب في استخدام هذا النوع، فقلّده الشعراء، وهل أراد المعري ذلك؟ الجواب: لا، ومن رأينا أن المعري في اقتدائه بكثير عزَّة لم يفعل ذلك، لأن كثيِّراً أول من استخدم هذا الفن ـ كما توهم فريق من علماء البيان ـ بل لأن لزوم ما لا يلزم لم يرد إلا نادراً في شعر العرب قبل عصر كُثَيِّرٍ، كما أنهُ ورد في نبذ ومقطوعات قصيرة، أما كُثَيِّر فقد نظم أشهر وأطول قصيدة لزومية تناقلتها الرواة. وقد أكثر شعراء العرب قبل كثير وبعده من التزام ما لا يلزم قبل تاء التأنيث هذه.

هذا؛ وقد بلغ أبو العلاء الغاية في لزومياته، فقد بنى قافية على دارهم، صدارهم، ملتزماً فيها أربعة أحرف، وبنى أخرى على ضرائرهم،

صرائرهم، سرائرهم، ملتزماً فيها خمسة أحرف. ويطول بنا الحديث إن أردنا الاستشهاد، فحسبنا ما تقدم.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يَغْنَوْا۟ ﴾ مضارع غني بالمكان أقام به فهو غان. والمغنى: المنزل، والجمع المغاني، قال الطائي:

غنينا زماناً بالتَّصعلكِ والغِنى
وكلًّا سقاناهُ بكأسيهما الدَّهرُ
فما زادنا بغياً على ذي قرابةٍ
غِنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقْرُ

﴿ ءَاسَىٰ ﴾: أصله أأسى بهمزتين، قلبت الثانية ألفاً. وفي المصباح: أَسِي أَسًى، من باب: تعب: حزن.

○ **الإعراب:**

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ الجملة القسمية في محل نصب مقول قولهم، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، واتبعتم شعيباً فعل وفاعل ومفعول به، وإن واسمها، وإذن حرف جواب وجزاء مهمل، واللام المزحلقة، وخاسرون خبر إن، وجملة

إنكم جواب القسم لا محل لها، وهي سادَّة مسد جواب الشرط، كما هي القاعدة في اجتماع شرط وقسم ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ الفاء عاطفة، وأخذتهم الرجفة فعل ومفعول به وفاعل، فأصبحوا عطف على فأخذتهم، والواو اسم أصبحوا وجاثمين خبرها، وفي دارهم جار ومجرور متعلقان بجاثمين ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ﴾ جملة مستأنفة لبيان حقيقة هؤلاء المكذبين. والذين مبتدأ، وجملة كذبوا شعيباً صلة، وكأنْ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لم يغنوا فيها خبرها ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الذين مبتدأ، وجملة كذبوا شعيباً صلة، وجملة كانوا خبر الذين، وهذا التكرير في المبتدأ والخبر مبالغة في الردِّ على أشياعهم وتسفيه آرائهم، والإيذان بأن ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين، وأسند إلى الموصول تعظيماً لغير السامعين، فإن خسران مكذّبيه يدلُّ على سعادة مصدقه، ويلزمه تعظيم شعيب عليه السلام الذي هو غير المتكلم والمخاطب في هذا المقام ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى ﴾ الفاء عاطفة، وتولى فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو، وعنهم جار ومجرور متعلقان بتولى، وقال عطف على تولى، وجملة لقد أبلغتكم رسالات ربي مقول القول، ورسالات مفعول به ثان لأبلغتكم ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ عطف على ما سبق، والفاء استئنافية، وكيف اسم استفهام معناه النفي في محل نصب حال، وآسى فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره أنا، وعلى قوم جار ومجرور متعلقان بآسى، وكافرين صفة لقوم.

□ البلاغة:

في الآية وصف لحال النفس في ترددها فقد اشتد حزنه على قومه، ثم أنكر على نفسه فقال: كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم وتماديهم في الطغيان، واستحقاقهم لما نزل بهم؟ ثم يتخلل ذلك العودة عليهم بالملامة، يريد لقد أعذر من أنذر، وبلغت أقصى ما يستطيعه الغيور على قومه من الارتطام في بوادي الجهل المتشعبة، ومهالكه الموبقة.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ۝٩٤ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٩٥ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿عَفَواْ﴾: كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم، من قولهم: عفا النبات، وعفا الشحم والوبر: إذا كثرت. ويقال: عفا: كثر، وعفا: درس، فهو من أسماء الأضداد. وفي المصباح أنه يتعدى ولا يتعدى، ويتعدى أيضاً بالهمزة، فيقال: أعفيته.

○ **الإعراب:**

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق لبيان أحوال الأمم بصورة مجملة لتكون مع القصة نذيراً للمنذرين، وما نافية، وأرسلنا فعل وفاعل، ومن حرف جر زائد، ونبيّ مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به ﴿ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ إلا أداة حصر، فالاستثناء مفرَّغ من أعم الأحوال، فجملة أخذنا في محل نصب على الحال بتقدير «قد» كما هو الشرط في وقوع الماضي حالاً، وقد تقدَّم بحثه. والتقدير: وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبياً من الأنبياء في حال من الأحوال إلا حال كوننا قد أخذنا. وأهلها مفعول به، وبالبأساء جار ومجرور متعلقان بأخذنا، والضراء عطف على البأساء، ولعلهم لعل واسمها، وجملة يضَّرعون خبرها، وجملة لعلهم يضرعون حالية. ﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وبدلنا عطف على أخذنا منتظم في

حكمه، ومكان مفعول به لبدلنا، والسيئة مضاف إليه، والحسنة مفعول به ثان، وهذا ما منع من نصبه على الظرفية، فالحسنة هي المأخوذة الحاصلة، ومكان السيئة هو المتروك الذاهب، وهو الذي تصحبه الباء في مثل هذا التركيب، وقد تقدم تحقيق ذلك في البقرة ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ حتى حرف غاية وجر، وعفوا فعل ماض وفاعله، والمصدر المؤول المجرور بأن متعلقان ببدلنا، وقالوا عطف على عفوا، وجملة قد مس مقول القول، وآباءنا مفعول به، والضراء والسراء عطف عليه ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فأخذناهم عطف على عفوا، وبغتة حال أو صفة لمصدر محذوف، وهم الواو حالية، وهم مبتدأ، وجملة لا يشعرون خبر، والجملة الاسمية في محل نصب حال ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية لمجرد الربط، وأن واسمها، وجملة آمنوا خبرها، وأن وما بعدها فاعل لفعل محذوف، أي: ثبت إيمانهم، ولفتحنا اللام واقعة في جواب لو، وفتحنا فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وعليهم جار ومجرور متعلقان بفتحنا، وبركات مفعول به، ومن السماء والأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبركات ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الواو حالية، ولكن حرف استدراك مهمل، وكذبوا فعل وفاعل، والجملة نصب على الحال، فأخذناهم الفاء عاطفة، وأخذناهم فعل وفاعل ومفعول به، وبما جار ومجرور متعلقان بأخذناهم، وما مصدرية، أو موصولة، وكان واسمها، وجملة يكسبون خبر، وجملة الكون صلة «ما» أو المصدر المؤول لا محل له بعد الموصول الحرفي.

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ

مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بَيَٰتًا﴾ البيات يكون بمعنى البيتوتة، يقال: بات بيتاً، وقد يكون بمعنى التبييت، كالسلام بمعنى التسليم، يقال بيته العدو بياتاً، فيجوز أن يراد: يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات، أو مبيتاً، أو مبيتين. والبيات: الهجوم على الأعداء ليلاً.

﴿ضُحًى﴾: اشتداد الشمس وامتداد النهار، يقال: ضحي، ويقال: ضُحى وضَحاء، إذا ضممته قصرته، وإذا فتحته مددته.

○ **الإعراب:**

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء عاطفة على أخذناهم بغتة، وما بينها وهو قوله: «ولو أن أهل القرى» اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد تقدَّم أن مثل هذا التركيب يكون حرف العطف في نية التقديم، وإنما تأخر، وتقدمت عليه الهمزة لقوة تصدرها في أول الكلام. وأمن أهل القرى فعل وفاعل ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ أن المصدرية، وما في حيزها مفعول أمن، وبأسنا فاعل يأتيهم، وبياتاً حال أو ظرف، والواو حالية، وهم نائمون مبتدأ وخبر، والجملة نصب على الحال من الضمير في يأتيهم ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة مماثلة لها في الإعراب، وضحى ظرف زمان متعلق بيأتيهم ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ تقدم إعرابها، والتكرير لزيادة النكير والتوبيخ، وقد تقدم القول في المراد بمكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ الفاء عاطفة، ولا نافية، ويأمن مكر الله فعل ومفعول به، وإلا أداة حصر والقوم فاعل، والخاسرون صفة.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم

بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟
مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم
مِّنْ عَهْدٍۢ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَهْدِ﴾: يبين، من هدى يهدي.

○ **الإعراب:**

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ومعنى يهدي: أن يتبين وهي مجزومة بـ «لم» وللذين متعلقان بيهد، وجملة يرثون الأرض صلة، ومن بعد أهلها جار ومجرور متعلقان بيرثون ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ﴾ أن هنا هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة نشاء خبر، وأن وما بعدها فاعل يهد، ويجوز أن يكون فاعل «يهد» مستتراً هو ضمير «الله»، أو ضميراً عائداً على المفهوم من سياق الكلام، أي: أولم يهد ما جرى للأمم السابقة، وعندئذ تكون أن وما في حيزها في تأويل مصدر في محل المفعول، والتقدير على الوجه الأول: أولم يهد الله ويبين للوارثين مآلهم وعاقبة أمرهم إصابتنا إياهم بذنوبهم، ويكون المفعول به محذوفاً كما قدرناه. وعلى الوجه الثاني يكون التقدير: أولم يبين ويوضح الله ما جرى للأمم إصابتنا إياهم لو شئنا ذلك. وأصبناهم فعل وفاعل ومفعول به، وبذنوبهم جار ومجرور متعلقان به ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، ولا يجوز عطفه على جواب «لو» لأنه يؤدي إلى كون الطبع منفياً بمقتضى «لو» مع أنه ثابت لهم، وعلى قلوبهم جار ومجرور متعلقان بنطبع ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الفاء عاطفة لتعقيب عدم السمع بعد الطبع على القلب، وهم مبتدأ، وجملة لا يسمعون خبره ﴿تِلْكَ

﴿ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ تلك اسم شارة في محل رفع مبتدأ، والقرى بدل من تلك، وجملة نقص خبر تلك. ويجوز أن تكون القرى هي الخبر، وجملة نقص حالية، على حد قوله تعالى: «هذا بعلي شيخاً»، وعليك جار ومجرور متعلقان بنقصّ، ومن أنبائها جار ومجرور متعلقان بنقصّ أيضاً، ومن للتبعيض، أي: بعض أنبائها، ولها أنباء أخرى لم نقصها عليك، وجملة الإشارة استئنافية، مسوقة لبيان أن هؤلاء لا تجدي فيهم النصائح والعبر، ولا تؤثر فيهم المواعظ، فماتوا مصرين على عنادهم، لم تلن لهم شكيمة، ولم يهدأ لهم عناد ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، واللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وجاءتهم فعل ومفعول به، رسلهم فاعل، وبالبينات جار ومجرور متعلقان بجاءتهم ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُۚ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، واللام للجحود، ويؤمنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أي: فما كانوا مريدين ليؤمنوا، وبما جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا، وما اسم موصول، أو مصدرية، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بكذبوا، وعلى كون «ما» موصولة فالعائد محذوف، وهو مجرور، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ﴾، وهو من اتحاد المتعلق معنى، وبيان كونه من ذلك أن مجموع «ما كانوا ليؤمنوا» بمعنى «كذبوا به»، فاتحد المتعلقان معنى. ويمكن أن يقال: قد تعدى قوله تعالى: «ليؤمنوا» بالياء، ويؤمن نقيض يكذب، فأجراه مجراه؛ لأنهم قد يحملون الشيء على نقيضه، كما يحمل على نظيره ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الكاف مع مدخولها صفة لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الطبع على قلوب أهل القرى المنتفي عنهم الإيمان كذلك يطبع الله على قلوب الكفرة الآتين بعدهم ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ﴾ الواو معترضة، والجملة لا محل لها لأنها اعتراضية، وما نافية، ووجدنا فعل وفاعل، ولأكثرهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لعهد، ومن حرف جر زائد، وعهد مفعول به

محلاً لوجدنا ويجوز أن يكون لأكثرهم مفعولاً ثانياً لوجدنا، بترجيح أنها علمية لا وجدانية ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن مخففة من الثقيلة غير عاملة على قلة، ويجوز أن تكون عاملة واسمها ضمير الشأن، وسيأتي حكمها في باب: الفوائد، ووجدنا أكثرهم فعل وفاعل ومفعول به، واللام الفارقة، وفاسقين مفعول به ثان لوجدنا.

* الفوائـد:

إذا خففت «إن» المكسورة الهمزة أهملت وجوباً إن وليها فعل، كقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، فإن وليها اسم فالغالب إهمالها أيضاً، نحو: إنْ أنت لصادق، ويقل إعمالها، نحو: إنْ زيداً لمنطلقٌ. ومتى خففت وأهملت لزمتها اللام المفتوحة وجوباً تفرقة بينها وبين «إن» النافية، وتسمى اللام الفارقة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ ثم: حرف عطف وتراخ، وبعثنا فعل وفاعل، من بعدهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والضمير للرسل أو للأمم، وموسى مفعول به، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان ببعثنا، وإلى فرعون جار ومجرور متعلقان ببعثنا أيضاً، وملئه عطف على فرعون، أي إلى قومه، فظلموا الفاء للعطف والتعقيب،

وبها جار ومجرور متعلقان بظلموا، وأجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من شعبة واحدة، ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ تقدم إعراب نظيرها فجدِّد به عهداً ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مسوقة لتفصيل ما أجمله من قبل. ويا حرف نداء للتوسط، وفرعون منادى مفرد علم مبني على الضم، وهو لقبه، واسمه الحقيقي الوليد بن مصعب بن الريان، أما كنيته فأبو مرة، وإن واسمها ومن رب العالمين خبرها، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ حقيق خبر لمبتدأ محذوف، أي: أنا حقيق، بمعنى جدير، والجملة استئنافية، وعلى أن لا أقول جار ومجرور متعلقان بحقيق، لأنه فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بأقول، وإلا أداة حصر، والحق صفة لمصدر محذوف، أي: إلا القول الحق، ويجوز أن يكون مفعولاً به؛ لأنه يتضمن معنى جملة ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الجملة صفة لرسول، وقد حرف تحقيق، وجئتكم فعل وفاعل ومفعول به، وببينة جار ومجرور متعلقان بجئتكم، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبينة ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذااستمعت كلامي وثبت إلى الرشد فخلِّ أمرهم واترك سبيلهم حتى يذهبوا معي. وأرسل فعل أمر، ومعي ظرف متعلق بأرسل، وبني إسرائيل مفعول به، وغاية موسى تحريرهم من العبودية وتخليصهم من ربقة الأسر والهوان ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ جملة قال استئنافية لطلب فرعون الإتيان بآية من ربه، والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول، وإن شرطية، وكان واسمها، وجملة جئت خبر كنت، وبآية جار ومجرور متعلقان بجئت، والفاء رابطة للجواب، وأت فعل أمر، وبها جار ومجرور متعلقان به، وكنت كان واسمها في محل جزم فعل الشرط ومن الصادقين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنت، وجواب إنْ محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: فأت بها.

□ **البلاغة:**

من سنن العرب في كلامهم القلب، وهو ضربان: الأول قلب الحقيقة إلى المجاز لوجه من المبالغة، وقد تشبث أبو الطيب المتنبي بأهدابه حين قال:

والسيف يَشْقَى كما تشقى الضُّلوعُ به
وللسُّيوفِ كما لِلنَّاسِ آجَالُ

والمراد بشقاء السيف انقطاعه في أضلاع المضروب، على حد قوله في بيت آخر:

طوالُ الرُّدَيْنِيّات يقصِفُها دمي
وبيضُ السُّرَيْجِيَّاتِ يقطَعُها لحمي

والضرب الثاني ضرب معرّى عن هذا المعنى البليغ، كقولهم: خرق الثوب المسمار، وأشباهه.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾

○ **الإعراب:**

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ الفاء عاطفة للتعقيب، وألقى فعل ماض، وعصاه مفعول به، فإذا الفاء عاطفة أيضاً، وإذا الفجائية، وقد تقدم القول فيها، وإن النحاة ذهبوا فيها ثلاثة مذاهب: ظرف مكان أو زمان أو حرف، وهي مبتدأ، وثعبان خبر، ومبين صفة ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ الواو عاطفة، ونزع يده فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، أي: أخرجها من جيبه، وهو طوق قميصه، والفاء عاطفة، وإذا فجائية، وهي مبتدأ، وبيضاء خبر، وللناظرين جار ومجرور متعلقان ببيضاء، والمعنى:

فإذا هي بيضاء للنظّارة بياضاً عجيباً باهراً خارقاً للعادة، مع أنه كان آدم شديد الأدمة، أي: السمرة. ولك أن تعلق الجار والمجرور بمحذوف صفة لبيضاء ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق ليعلن الملأ من قومه عجبهم، ولا منافاة بين ما ورد هنا من صدور الكلام عنهم وما ورد في سورة الشعراء من عزوه إلى فرعون، فقد يكون هو القائل فحكوا قوله. وقال الملأ فعل وفاعل، ومن قوم فرعون جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وساحر خبر، وعليم صفة، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ جملة يريد صفة ثانية لساحر، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به ليريد، ويخرجكم فعل مضارع منصوب بأن، ومن أرضكم جار ومجرور متعلقان بيخرجكم، والفاء عاطفة، وماذا اسم استفهام مفعول مقدم لتأمرون، أو «ما» مبتدأ و«ذا» اسم موصول خبرها، وجملة تأمرون لا محل لها، وقد تقدم القول مشبعاً في «ماذا» وإعرابها ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ الكلام مستأنف، مسوق لبيان رد الملأ من قومه. وجملة «أرجه» نصب مقول القول، وأرجه فعل أمر، أي: أرجه وأخّره، وقد حذفت الهمزة تسهيلاً، والهاء مفعول به، وأخاه عطف على الهاء، ولك أن تنصبها على أنها مفعول معه ﴿ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ الواو عاطفة، وأرسل فعل أمر، وفي المدائن جار ومجرور متعلقان بأرسل، وحاشرين صفة لمفعول به محذوف، أي: رجالاً حاشرين السحرة، وقيل: هو منصوب على الحالية، ومفعول حاشرين محذوف، أي: السحرة، والمدائن جمع مدينة، فميمها أصلية وياؤها زائدة، مشتقة من مدن يمدن مدوناً: أي: أقام، وإذا كانت الياء زائدة في المفرد تقلب همزة في الجمع ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ يأتوك فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، والواو فاعل، والكاف مفعول به، وبكل جار ومجرور متعلقان بيأتوك، وساحر مضاف إليه، وعليم صفة.

* الفوائـد :

تقدَّم القول مستوفى في «إذا» الفجائية، ونورد هنا المسألة الزُّنْبُوريَّة، وهي مناظرة جرت بين سيبويه والكسائي. وكان من خبرهما أن سيبويه قدم على البرامكة، فعزم يحيى بن خالد على الجمع بينهما، فجعل لذلك يوماً. فلما حضر سيبويه تقدم إليه الفراء وخلف، فقال سيبويه: لست أكلمكما حتى يحضر صاحبكما، فحضر الكسائي فقال له: تسألني أو أسألك؟ فقال له سيبويه: سلْ أنت. فسأله عن المسالة الزنبورية، وهي: قالت العرب: قد كنت أظنُّ أن العقرب أشد لسعاً من الزنبور فإذا هو هي. وقالوا أيضاً: «فإذا هو إياها». فقال سيبويه: «لا يجوز النصب» فقال يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: العرب ببابك، قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون. فقال يحيى وجعفر: أنصفت، فأحضروا فوافقوا الكسائي، فاستكان سيبويه، فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم، فخرج إلى فارس فأقام بها حتى مات، ولم يعد إلى البصرة. فيقال: إن العرب قد أرشوا على ذلك، وأنهم علموا بمنزلة الكسائي عند الرشيد.

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ
نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ
وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا ﴾ قالوا: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، مسوقة لإيراد جوابهم على تقدير: سأل: «ما قالوا»، وتنكير الأجر يقصد به المبالغة في

الكثرة. وإن حرف مشبه بالفعل، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم، واللام المزحلقة، وأجراً خبرها، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ إنْ شرطية، وكان واسمها، ونحن تأكيد لـ«نا»، ويجوز أن يكون ضمير فصل أو عماد، والغالبين خبر، وجواب الشرط محذوف للدلالة عليه ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ الكلام مستأنف مسوق لإيراد جواب فرعون. ونعم حرف جواب تضمن تحقيق ما طلبوه من أجر كثير، وإنكم الواو عاطفة على محذوف سدَّ مسدّه حرف الجواب، كأنه قال: نعم إن لكم لأجراً، وإنكم إن واسمها، واللام المزحلقة، ومن المقربين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ جملة مستأنفة تضمنت مخاطبة السحرة لموسى، وفيه الكثير من الأدب الرفيع المتبادل بين أبناء المهنة الواحدة، كما يفعل أصحاب الصناعات إذا التقوا. وإما حرف شرط تضمن معنى التخيير، وفيه يتجلى حسن أدب منهم. وأن مصدرية مؤوَّلة مع ما في حيزها بمصدر مرفوع على أنه مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: إما إلقاؤك مبدوء به، أو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: وإما أمرك إلقاء، ويجوز أن يكون المصدر منصوباً بفعل محذوف، أي: افعل إما إلقاءنا وإما إلقاءك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ عطف على ما تقدم ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ جملة ألقوا في محل نصب مقول قوله، وجملة قال استئنافية، والفاء استئنافية، ولما رابطة، أو حينية، وألقوا فعل وفاعل، وجملة سحروا جواب لما، وأعين الناس مفعول به، واسترهبوهم عطف على سحروا كأنهم استدعوا رهبتهم ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ عطف أيضاً، وبسحر جار ومجرور متعلقان بجاؤوا، وعظيم صفة لسحر.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ

سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ تَلْقَفُ ﴾ مضارع لقِف، كعلم يعلم، يقال: لقِفْتُ الشيء ألقَفُه لقفاً وتلقَّفته تلقُّفاً؛ إذا أخذته بسرعة فأكلته، أو ابتلعته. ويقال: لقف ولقم بمعنى واحد.

﴿ يَأْفِكُونَ ﴾: الإفك: في الأصل قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذاب: أفّاك؛ لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل.

○ **الإعراب:**

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ الواو استئنافية، وأوحينا فعل وفاعل، وإلى موسى جار ومجرور متعلقان بأوحينا، و«أن» يجوز أن تكون مفسرة لوقوعها بعد ما فيه معنى القول دون حروفه، ويجوز أن تكون أن مصدرية، فتكون هي وما بعدها مفعول أوحينا، وألق فعل أمر، وعصاك مفعول به لألق ﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، والتقدير: فألقاها فإذا هي، وإذا الفجائية، وهي ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وجملة تلقف خبر، و«ما» يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف، أي: الذي يأفكونه، ويجوز أن تكون مصدرية مؤوّلة مع ما بعدها بمصدر منصوب على المفعولية لتلقف، وجملة يأفكون لا محل لها على كل حال ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ الفاء عاطفة، ووقع الحق فعل وفاعل، وبطل فعل ماض، و«ما» موصولة أو مصدرية، وهي في محل رفع فاعل، أو مع ما في حيزها. وكان واسمها، وجملة يعملون خبرها ﴿ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَاغِرِينَ ﴾ الفاء عاطفة، غلبوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، أي: غلبوا في المكان الذي وقع فيه سحرهم، وانقلبوا عطف على غلبوا، وصاغرين حال ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ عطف على ما قبله، والسحرة نائب فاعل

لألقي، وساجدين حال من السحرة ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الجملة مستأنفة لا محل لها، ويجوز أن تكون حالية، أي: أُلقوا حال كونهم ساجدين قائلين، وجملة آمنا في محل نصب مقول القول، وبرب العالمين جار ومجرور متعلقان بآمنا ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ رب بدل من رب العالمين أو نعت له، وقدموا موسى على هارون ـ وإن كان هارون أسنَّ منه ـ لأمرين: أولهما ارتفاعه عليه بالرتبة، ولأنه وقع فاصلة ومراعاة الفواصل تكاد تكون مطردة في القرآن.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿خِلَٰفٍ﴾: يكاد المفسرون يجمعون على أن المعنى هو أن يقطع من كل شقٍّ طرفاً، فيقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى. وقالوا: إن أول من قطع من خلاف وصلب هو فرعون. وفي اللغة خالفه خلافاً بكسر الخاء ومخالفة: ضد وافقه، وخالف بين رجليه قدَّم إحداهما وأخَّر الأخرى، فلعله مأخوذ من هذا المعنى. ويبعد قول من فسره بالمخالفة أي: لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم لأجل مخالفتكم إياي. فتكون «من» تعليلية؛ لأن هذا يتنافى مع أسلوب القرآن البليغ.

﴿تَنقِمُ﴾ في المصباح: نقَمت عليه أمرَه ونقَمتُ منه نَقْماً، من باب: ضرب، ونُقُوماً. ونقِمته أنقَمُه، من باب: تعِب لغة: إذا عيبته وكرهته أشد الكراهة لسوء فعله.

○ الإعـراب:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ جملة قال فرعون استئنافية، مسوقة للإنكار على السحرة، موبخاً لهم على ما فعلوه. وجملة آمنتم في محل نصب مقول القول، وهي بهمزة واحدة وبعدها الألف التي هي فاء الكلمة، وهي إحدى القراءات الأربع في هذه الكلمة. وتحتمل الإخبار المحض المتضمن للتوبيخ، وتحتمل الاستفهام المحذوف لفهم المعنى، وبه جار ومجرور متعلقان بآمنتم، وقبل ظرف زمان متعلق بآمنتم أيضاً، وأن وما في حيزها مصدر مضاف، وآذن أصله أأذن وهو فعل مضارع منصوب بأن، والهمزة الأولى هي همزة المتكلم التي تدخل على المضارع، والثانية قلبت ألفاً لوقوعها ساكنة بعد همزة أخرى، ولكم جار ومجرور متعلقان بآذن، وجملة آمنتم في محل نصب مقول قوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق أتى به فرعون ليؤكد لهم أن إيمانهم يقوم على تواطؤ بينهم وبين موسى، وعقب الكلام بأنه قوي، فجنح إلى التهديد. وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومكر خبرها، وجملة مكرتموه صفة لمكر، وفي المدينة جار ومجرور متعلقان بمكرتموه ﴿ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ اللام للتعليل، وتخرجوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بمكرتموه، ومنها جار ومجرور متعلقان بتخرجوا، وأهلها مفعول به، والفاء الفصيحة، وسوف حرف استقبال، وتعلمون فعل مضارع وفاعل، ومفعوله محذوف للعلم به، أي: تعلمون ما يحل بكم من قوارع العذاب ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ اللام موطئة للقسم، وأقطعن فعل مضارع مبني على الفتح، والجملة لا محل لها لأنها جواب قسم مفسرة للإبهام الناشىء عن حذف المفعول به، وأيديكم مفعول به، وأرجلكم عطف على أيديكم، ومن خلاف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: مختلفة، ويجوز أن تكون «من» للتعليل، فيتعلق الجار والمجرور بنفس الفعل ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، لأصلبنكم عطف على لأقطعن، وأجمعين تأكيد

للكاف ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق للإدلاء بجوابهم عند تهديده إياهم بأنهم لا يبالون بالموت لانقلابهم إلى ربهم، ورحمته وأنهم ميتون منقلبون إلى ربهم، فما تفعل إلا مالا بُدَّ منه، وإن وما بعدها مقول القول، وإنا: إن واسمها، وإلى ربنا متعلقان بمنقلبون، ومنقلبون خبر إن ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ﴾ الواو عاطفة، والكلام مسوق على ما تقدم من جوابهم، وما نافية، وتنقم فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره أنت، ومنا جار ومجرور متعلقان بتنقم، أي: ما تعيب علينا إلا إيماننا، وإلا أداة حصر، وأن مصدرية، وهي مع مدخولها مصدر مفعول تنقم، ويجوز أن يكون المصدر مفعولاً من أجله، فهو استثناء مُفرَّغ على كل حال، وبآيات ربنا جار ومجرور متعلقان بآمنا، ولما رابطة، أو حينية، وجملة جاءتنا لا محل لها أو في محل جر بالإضافة ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ كلام مستأنف تحولوا فيه عن خطابه إلى الفزع لله وتفويض الأمور إليه. وربنا منادى مضاف، وأفرغ فعل دعاء تأدّباً، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأفرغ، وصبراً مفعول به، وتوفنا عطف على أفرغ، ومسلمين حال، ومعنى الإفراغ هنا الصب، أي: صبَّ علينا أجراً واسعاً يفيض علينا ويغمرنا كما يصب الماء، وجواب «لما» محذوف تقديره: لما جاءتنا آمنا بها من غير تردد. وجملة الجواب لا محل لها على كل حال.

□ البلاغة:

في هذه الآية فنّ طريف وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم، أو المدح في معرض الذم. وهو نوعان:

(١) أن يستثنى من صفة ذمّ منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء بتقدير دخولها في صفة الذمّ، وهذا النوع هو المشهور، ومنه قول النابغة الذبياني:

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفَهم ... بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

ومنه الآية التي نحن بصددها، وقد مرَّت آية في المائدة مماثلة لها أيضاً.

(٢) أن تثبت لشيء صفة مدح، وتعقب ذلك بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء نحو: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش. ومنه قول النابغة أيضاً:

فتى كَمُلَتْ أوصافُه غير أنه جوادٌ فما يُبقي على المالِ باقيا

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَنَسْتَحْىِۦ ﴾ أي: نستبقي نساءهم للخدمة.

○ الإعراب:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، والكلام مستأنف لبيان ما قاله ملأ فرعون وتحريضهم على موسى وقومه، أو عطف على ما تقدم. وقال الملأ فعل وفاعل، ومن قوم فرعون جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الملأ ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ ﴾ الاستفهام إنكاري لتحريض فرعون على موسى وقومه، وتذر فعل مضارع، وفاعله مستتر، والجملة مقول القول، وموسى مفعول به، وقومه عطف على موسى، واللام للتعليل، ويفسدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور وهو لام التعليل والمصدر المؤول بعدها متعلقان بتذر، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيفسدوا،

ويذرك: يجوز أن يكون معطوفاً على يفسدوا فينصب مثله، ويجوز أن تكون الواو للمعية، ويذرك منصوب بأن مضمرة بعد الواو في جواب الاستفهام، والكاف مفعول به، وآلهتك عطف على الضمير أو مفعول معه، والمعنى كيف يكون الجمع بين تركك موسى وقومه مفسدين في الأرض وبين تركهم إياك وعبادة آلهتك؟ ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ جملة القول مستأنفة مسوقة لحكاية حال فرعون بعد فرقه من إلحاق أي مكروه بموسى عليه السلام، وعدل إلى إعادة القتل والإثخان في قومه، وقرىء سنقتّل بالتشديد وضمّ النون، أما مع التخفيف فتكون النون مفتوحة، وجملة «سنقتّل» نصب على أنها مقول قوله، وأبناءهم مفعول به، ونستحيي نساءهم عطف ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وإن واسمها، وقاهرون خبرها، والظرف متعلق بقاهرون، أو بمحذوف حال ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لحكاية قول موسى لقومه طالباً منهم الاستعانة بالله، وجملة «استعينوا» في محل نصب مقول القول ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ عطف على استعنيوا، وأن واسمها، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة لا محل لها لأنها تعليلية، وجملة يورثها في محل نصب على الحال من لفظ الجلالة أو خبر بعد خبر لإن، ومن اسم موصول مفعول به ثان ليورثها، والعاقبة الواو استئنافية، والعاقبة مبتدأ، وللمتقين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان ما قاله قوم موسى، ويتذمرون منه، لما كانوا يمتهنون فيه من ضروب الخدم، ويسامون به من ألوان العذاب قبل مولد موسى عليه السلام، وبعد مولده، فقد كان فرعون وقومه يستخدمونهم في الأعمال الشاقة. وجملة أوذينا في محل نصب مقول قولهم، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بأوذينا، وأنْ وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بالإضافة، ومن بعد عطف على من قبل، وما مصدرية، مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالإضافة ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة

لبيان جواب موسى عليه السلام، على تذمر قومه به جرياً على طبيعتهم، وجملة الرجاء في محل نصب مقول قوله، وفيه رمز إلى البشارة بإهلاك فرعون. وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء، وربكم اسمها، وأن يهلك مصدر مؤول في محل نصب خبرها، وعدوكم مفعول به ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ عطف على ما تقدم ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ الفاء عاطفة للتعقيب، وينظر عطف على يستخلفكم، وكيف استفهام في موضع نصب على الحالية، أو المفعولية المطلقة.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بِالسِّنِينَ﴾: جمع سنة، وهي اثنا عشر شهراً، وتجمع على سنين وسنوات وسنهات، وتصغيرها على سنّية وسنينة وسنيهة، والنسبة إليها سنويّ وسنهيّ، والجمع يعرب بالحروف إلحاقاً بجمع المذكر السالم، وربما أعرب بالحركات. والسنة أيضاً: الجدب والقحط، وقد اشتقوا منها، فقالوا: أسنت القوم بمعنى: أجدبوا وأقحطوا.

﴿يَطَّيَّرُوا﴾ الأصل: يتطيروا، فأدغمت التاء في الطاء لمقاربتها لها، والتطُّير كما في معاجم اللغة: التشاؤم، وأصله أن يفرق المال ويطير بين القوم، فيطير لكل واحد حظه وما يخصه، ثم أطلق على الحظ والنصيب السيء بالغلبة.

○ **الإعراب:**

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة،

مسوقة للشروع في تفصيل كيفية إهلاكهم وما سبقه من أحداث. واللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وأخذنا فعل وفاعل، وآل فرعون مفعول به، وبالسنين جار ومجرور متعلقان بأخذنا ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ الواو عاطفة، ونقص عطف على السنين، ومن الثمرات جار ومجرور متعلقان بنقص، والمراد إتلاف الغلة بالآفات المختلفة، ولعل واسمها، وجملة يذكرون خبرها، وجملة لعلهم يتذكرون حالية ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاءتهم الحسنة في محل جر بالإضافة، والمراد ما يصيبهم من الرخاء والخصب، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وهذه اسم إشارة في محلّ رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول قولهم ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتصبهم فعل الشرط، والهاء مفعول به، وسيئة فاعل، ويطيروا جواب الشرط، وبموسى جار ومجرور متعلقان بيطَّيَّروا، ومن عطف على موسى، ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له من الأعراب؛ لأنه صلة الموصول ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ألا أداة استفتاح وتنبيه، وإنما كافة ومكفوفة، وطائرهم مبتدأ، وعند الله ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر، والجملة مستأنفة مسوقة من قبله تعالى للرد على افتئاتهم، وأن ما أصابهم هو جزاء وفاق لأعمالهم السيئة المسجلة عنده ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الواو حالية، ولكن واسمها، والجملة نصب على الحال، وجملة لا يعلمون خبر لكنَّ ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ الواو عاطفة، وقالوا فعل وفاعل، ومهما اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وتأتنا فعل الشرط ومفعول به، وبه جار ومجرور متعلقان بتأتنا، ومن آية جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ولتسحرنا اللام للتعليل، وتسحرنا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ونا مفعول به، والجار والمجرور «لام التعليل والمصدر المؤول بعدها» متعلقان بتأتنا وبها جار ومجرور متعلقان بتسحرنا ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الفاء رابطة لجواب

الشرط، وما نافية حجازية، ونحن اسمها، ولك جار ومجرور متعلقان بمؤمنين، والباء حرف جر زائد، ومؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر «ما». والجملة في محل جزم جواب الشرط، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر مهما.

□ **البلاغة:**

في تعريف الحسنة وتنكير السيئة فنٌّ عجيب من فنون علم المعاني، فقد عرّف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بأحداثها، ونكّر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورتها، ولعدم القصد إليها، إلا بالتبع. وفي الحسنة والسيئة طباق جميل.

* **الفوائد:**

(١) الطِّيَرة: أوردنا في باب اللغة المفهوم اللغوي للطِّيرة، ثم اصطلح علماء النفس على معنى أثبت لها، فاعتبروها مرضاً من شعبة أمراض الخوف الناشىء عن ضعف الأعصاب واختلالها، إلا أنها خوف خاص له بواعثه وأعراضه، وأولها ضعف الأعصاب، فالرجل السليم لا يتطيّر ولا يتشاءم؛ لأنه ينتظر من الدنيا خيراً، ولا يحس النفرة بينه وبينها، ومن ثم لا يحس الخوف ولا التطيُّر منها، ويمكن أن نعتبر الطيرة أنها تشاؤم مؤقت استدعته ظروف طارئة، وجوّ يلائم حالات اليأس والتشاؤم العارضة، فإذا بالمتطيِّر يتسلف الفزع من الشر قبل وقوعه.

ابن الرومي شاعر التطيُّر:

ومن شعرائنا الذين اشتهروا بالطِّيرة ابن الرومي، فقد كان يشعر من قرارة نفسه أنه فروقة حذور، وهو في الوقت نفسه يشعر أن حذره لا يدفع عنه ما هو مراد به، ولكنه يرى أنه لا مندوحة له عنه للاعتصام به، وليستشعر الأمن الذاهبِ والقلق الواجف:

فـآمَـنُ مـا يكـون المرء يـومـاً إذا لبسَ الحِذَارَ من الخُطُوبِ

ويرى بعض النقاد أن من روافد الطّيرة في ابن الرومي ذوق الجمال وتداعي الخواطر، ذلك أن النفس المطبوعة على استذواق الجمال تفرح وتهلل للمناظر المغرية الأخاذة، وبالعكس تنفر وتنقبض من المناظر الدميمة الشوهاء، أما تداعي الخواطر فصاحبه فريسة للنوازع عرضة للتأويلات التي لا مسوّغ لها يستخرج من الكلمات المهموسة، أو الفكر الطارئة أموراً يحذر منها المرء ويخاف، فقد كان ابن الرومي يتطير من صديقه جعفر في حال مرضه، ولكنه لم يتطير منه قبل المرض، ودعواه أن جعفراً مشتق من الجوع والفرار، والخان يذكّره بالخيانة:

فكم خانِ سَفْرٍ خانَ فانقضَّ فوقهمْ
كما انقضَّ صقرُ الدّجن فوق الأرانب

وقال في ابن طالب الكاتب:

وهـل أشبـهَ المِـرِّيـخ إلا وفعلُـهُ
لفعـل نـذيـرِ السّـوء شبـه مُقـارب
وهل يتمارى الناسُ في شؤم كاتبٍ
لعينيه لونُ السيفِ والسيفُ قاصبُ
ويُـدعـى أبـوه طـالبـاً وكفـاكُـمُ
بـه طِيرَةً أن المنيّـةَ طـالِـبُ
ألا فاهربوا من طالبٍ وابنِ طالبٍ
فمـن طـالـبٍ مثليْهِمَـا طـارَ هـارِبُ

وفي الحديث أنه ﷺ كان يحب الفال ويكره الطيرة، روي مرفوعاً: «إذا ظننتم فلا تحققوا، وإذا تطيّرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا». ومن طرائف المتطيرين ما يروى أن النجوم تساقطت في زمن أحد الخلفاء، فتطير من ذلك، وأحضر المنجمين والعلماء، فما أجابوا بشيء، فقال شاعر:

هـذي النجـومُ تسـاقطـتْ لـرجـومِ أعـداءِ الأمير

فتفاءل به، وأمر له بصلة سنية.

(٢) القول في مهما: قال سيبويه: وسألت الخليل عن «مهما» فقال: هي «ما» أدخلت معها «ما» ولكنهم استقبحوا تكرير لفظ واحد، فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى. وقد استدل بعض العلماء على أنها حرف بقول زهير بن أبي سُلْمى:

ومهما تكنْ عندَ امرىءٍ من خَلِيقةٍ
وإنْ خالها تَخْفَى على النَّاس تُعْلَمِ

فأعرب هؤلاء «خليقة» اسماً لتكن، ومن زائدة، فتعيَّن خلو الفعل من الضمير، ولم يكن لـ «مهما» محل من الإعراب، إذ لا يليق بها إلا الابتداء، والابتداء متعذّر لعدم وجود رابط، وإذا ثبت أن لا موضع لها تعين كونها حرفاً، والتحقيق أن اسم تكن مستتر، ومن خليقة تفسير لمهما، ومهما مبتدأ، والجملة خبر، وفي الآية الضميران في «به» و«بها» راجعان لمهما، إلا أن أحدهما ذكَّر على اللفظ، والآخر أنَّث على المعنى، لأنه في معنى الآية.

وهذا الذي أنكره الزمخشري من أن «مهما» لا تأتي ظرف مكان، قد ذهب إليه ابن مالك، ذكره في التسهيل وغيره من تصانيفه، إلا أنه لم يقتصر مدلولها على أنها ظرف زمان، بل قال: وقد ترد «ما» و«مهما» ظرفي زمان، وقال في أرجوزته الطويلة المسماة بالشافية الكافية:

وقد أتت مهما وما ظرفين في   شواهد من يعتضد بها كفي

وقال في شرح البيت: جميع النحويين يجعلون «ما» و«مهما» مثل «من» في التجرد عن الظرف، مع أن استعمالها ظرفين ثابت في استعمال الفصحاء من العرب، وأنشد أبياتاً عن العرب زعم فيها أن ما ومهما ظرفا زمان، وكفانا الرد عليه ابنه الشيخ بدر الدين بن محمد، وقد تأولنا نحن بعضها، وذكرنا ذلك في كتاب: «التكميل لشرح التسهيل» من تأليفنا، وكفاه رداً نقله عن جميع النحويين خلاف ما قاله، لكن من يعاني علماً يحتاج إلى مثوله بين يدي

الشيوخ، وأما من فسر «مهما» في الآية بأنها ظرف زمان فهو كما قال الزمخشري ملحد في آيات الله.

وعبارة الزمخشري:

«وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرِّفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها، ويحسب «مهما» بمعنى «متى ما» ويقول مهما جئتني أعطيتك، وهذا من وضعه وليس من كلام واضعي العربية في شيء، ثم يذهب فيفسر: مهما تأتني به من آية، بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله، وهو لا يشعر، وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه».

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلطُّوفَانَ ﴾: اختلفت فيه أقوال علماء اللغة فقال بعضهم: هو اسم جنس كقمح، وقمحة، وشعير، وشعيرة. وقيل بل هو مصدر كالنقصان والرجحان، وهذا قول المبرّد. وهو يطلق في اللغة على الماء أو السيل المغرق، وعلى شدة ظلام الليل، وعلى الموت الذّريع الجارف. والطوفان من كل شيء مهما كان كثيراً.

﴿ وَٱلْجَرَادَ ﴾: جمع جرادة، الذكر والأنثى فيه سواء، يقال: جرادة ذكر

وجرادة أنثى، كنملة وحمامة. وهي صنفان الطيار ـ وهو الذي يطير غالباً ـ والزَّحاف.

﴿ وَٱلْقُمَّلَ ﴾: اختلفت فيه الأقوال كثيراً فقيل: هو القِرْدان، وقيل: دابة تشبهها أصغر منها، وقيل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل: هو نوع من الجراد أصغر منه وقيل: هو القَمْل ـ بفتح القاف ـ الذي يكون في بدن الإنسان وثيابه، فيكون فيه لغتان.

﴿ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾: جمع ضفدَع بوزن درهم، ويجوز كسر داله فيصير بزنة زِبْرِج، والضفدع مؤنث وليس بمذكَّر، فعلى هذا يفرق بين مذكره ومؤنثه بالوصف فيقال: ضفدع ذكر وضفدع أنثى، والجمع: ضفادع، وضفادي.

﴿ ٱلرِّجْزُ ﴾: العذاب.

○ الإعراب:

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ﴾ الفاء عاطفة، وأرسلنا فعل وفاعل، وعليهم: جار ومجرور متعلقان بأرسلنا، والطوفان مفعول به، وما بعده عطف عليه ﴿ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ آيات حال من الخمسة المذكورات، ومفصلات صفة، فاستكبروا عطف على أرسلنا، وكانوا قوماً مجرمين كان واسمها، وقوماً خبرها، ومجرمين صفة ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾ الواو عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، ووقع فعل ماض، وعليهم جار ومجرور متعلقان بوقع، والرجز فاعل، وجملة وقع لا محل لها أو في محل جر بالإضافة ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ جملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ويا حرف نداء، وموسى منادى مفرد علم، وادع فعل أمر، ولنا جار ومجرور متعلقان بـ «ادع»، وربك مفعول به، وبما جار ومجرور متعلقان بـ «ادع» وما مصدرية، أو موصولة، وجملة عهد لا محل لها على كل حال، وعندك ظرف مكان متعلق بعهد ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وكشفت

فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط، وعنا جار ومجرور متعلقان بكشفت، والرجز مفعول به، ولنؤمنن: اللام جواب للقسم، ونؤمنن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم، ولك جار ومجرور متعلقان بنؤمننّ ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عطف على ما تقدم، ومعك ظرف مكان متعلق بنرسلن، وبني إسرائيل مفعول به ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وجملة كشفنا لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة، وكشفنا فعل وفاعل، والرجز مفعول به، وعنهم جار ومجرور متعلقان بكشفنا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ إلى أجل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وهم مبتدأ، وبالغوه خبر، والجملة الاسمية صفة لأجل، وإذا الفجائية، وقد تقدم أننا اخترنا الحرفية لها وجهاً، وهم مبتدأ، وجملة ينكثون خبره، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وقد استدل سيبويه بهذه الآية على أن «لما» حرف وجوب لوجوب، أي: رابطة لا ظرف بمعنى حين ـ كما زعم بعضهم ـ لافتقاره إلى عامل فيه، ولا يحتمل إضماراً، ولا يعمل ما بعد إذا الفجائية فيما قبلها ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ﴾ فانتقمنا عطف، ومنهم جار ومجرور متعلقان بانتقمنا، فأغرقناهم: عطف أيضاً، وفي اليم: جار ومجرور متعلقان بأغرقناهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ بأنهم الباء وما في حيزها جار ومجرور متعلقان بأغرقناهم، ومعنى الباء السببية، أي: بسبب أنهم، وجملة كذبوا خبر أن، وكانوا عطف على كذبوا، وعنها جار ومجرور متعلقان بغافلين، وغافلين خبر كانوا.

□ البلاغة:

سر استعمال القمّل:

وردت لفظة «القمّل» في آية من القرآن حسنة مستساغة، وقد وردت في بيت للفرزدق غير حسنة مستهجنة، وهو:

مِـنْ عِـزِّهِ احتجـزتْ كُلَيْـبٌ عنـده
زَرْباً كـأنهـمُ لـديـهِ القُمَّـلُ

وإنما حسنت هذه اللفظة في الآية دون البيت؛ لأنها جاءت في الآية مندرجة في ضمن كلام متناسب، ولم ينقطع الكلام عندها، وجاءت في الشعر قافية، أي: آخراً انقطع الكلام عندها، فقد تضمنت الآية خمسة ألفاظ هي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وأحسن هذه الألفاظ الخمسة هي الطوفان والجراد والدم، فلما وردت هذه الألفاظ الخمسة بجملتها قدم منها الطوفان والجراد وأخرت لفظة الدم آخراً، وجعلت لفظة القمل والضفادع في الوسط؛ ليطرق السمع أولاً الحسن من الألفاظ الخمسة، وينتهي إليه آخراً. ثم إن لفظة «الدم» أحسن من لفظتي «الطوفان» و«الجراد»، وأخف في الاستعمال، ومن أجل ذلك جيء بها آخراً. ومراعاة مثل هذه الأسرار والدقائق في استعمال الألفاظ ليس من القدرة البشرية.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ نصُّوا على رسم هذه بالتاء المجزورة (أي المبسوطة) وما عداها في القرآن بالهاء على الأصل، والمراد بالكلمة وعده تعالى لهم بقوله: ﴿ونريد أن نمنّ. . .﴾ الخ.

﴿يَعْرِشُونَ﴾: بضم الراء وكسرها، وقد قرىء بهما في السبع. أي:

يرفعون من البنيان، [والكلام مستأنف مسوق](١) تمهيداً للشروع في قصة بني إسرائيل، وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون من أنواع الكفر، وأنماط التعنت، والشطط، مما لا تزال شواهده نواطق بحقائقهم.

○ الإعراب:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية، وأورثنا القوم فعل وفاعل ومفعول به، والذين صفة للقوم، وجملة كانوا صلة الموصول، وجملة يستضعفون خبر كانوا، ويستضعفون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، مشارق الأرض مفعول به ثان، ومغاربها عطف على مشارق ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ التي اسم موصول صفة للمشارق والمغارب، وجملة باركنا لا محل لها لأنها صلة الموصول، وفيها جار ومجرور متعلقان بباركنا، وتمت كلمة ربك عطف على «أورثنا»، وكلمة فاعل، والحسنى صفة لكلمة، وعلى بني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بتمت، وبما جار ومجرور متعلقان بصبروا ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ الواو عاطفة، ودمرنا فعل وفاعل، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة كان صلة، واسم كان ضمير مستتر، وجملة يصنع خبر كان، وفرعون فاعله، وقومه عطف على فرعون، و«ما» عطف على «ما» الأولى، وجملة كانوا يعرشون صلة «ما»، وجملة يعرشون خبر كانوا ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف مسوق للشروع في قصة بني إسرائيل وما أحدثوه من بدع للاعتبار والاتعاظ بحال الإنسان المفطور على الشرّ. وببني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بجاوزنا، والبحر مفعول به، ويجوز أن يتعلق «ببني» بمحذوف حال ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ﴾ فأتوا عطف على جاوزنا، وعلى قوم

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع، وأُضيف من كلام المؤلف ـ رحمه الله ـ بعد قليل.

جار ومجرور متعلقان بأتوا، وجملة يعكفون صفة لقوم، وعلى أصنام جار ومجرور متعلقان بيعكفون، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأصنام ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان تعنتهم وافتئاتهم وطلبهم الآلهة ورؤية الله جهرة، وغير ذلك من أنواع المعاصي. وجملة اجعل مقول القول، ولنا جار ومجرور متعلقان باجعل، أو بمحذوف مفعول به أول، وإلهاً مفعول به ثان، وكما الكاف حرف جر، وما اسم موصول بمعنى الذي، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة، وآلهة بدل من الضمير المستكن في «لهم» والتقدير: كالذي استقر هو لهم آلهة، والكاف ومجرورها صفة لآلهة، واختار الزمخشري أن تكون «ما» كافة للكاف، فهي كافة ومكفوفة، ولذلك وقعت الجملة بعدها ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ كلام مستأنف لبيان جواب موسى لهم، وإن واسمها وخبرها، وجملة تجهلون صفة لقوم، وجملة «إنكم» مقول القول.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿مُتَبَّرٌ﴾ مكسّر، فهو اسم مفعول من تبر، أي: دمّر وأهلك، والمصدر: التتبير. ومنه التبر، وهو كسارة الذهب، لتهالك الناس عليه.

○ **الإعراب:**

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان مصيرهم الذي يؤولون إليه. وإن حرف مشبه بالفعل، وهؤلاء اسم إشارة اسم إن، ومتبر

يجوز أن يكون خبر إن، وما اسم موصول في محل رفع نائب فاعل لمتبر، وهم فيه مبتدأ وخبر، والجملة لا محل لها لأنها صلة، ويجوز أن يكون الموصول مبتدأ، ومتبر خبره المقدم عليه، والجملة خبر إن ﴿ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ الواو حرف عطف، وباطل خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر، وكانوا يعملون من كان واسمها، وخبرها صلة «ما»، ولك أن تعطف «باطل» على «متبر» وتجعل «ما» فاعلاً لباطل لأنه اسم فاعل ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان شؤون الله الموجبة لتخصيص العبادة به. والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وغير مفعول به لفعل محذوف، أي: أأطلب لكم معبوداً غير المستحق للعبادة؟ وجملة أبغيكم مقول القول، وإلهاً تمييز أو حال، ويجوز أن يكون «غير» مفعولاً مقدماً لأبغيكم، والكاف منصوبة بنزع الخافض، أي: أأبغي لكم غير الله؟ ويجوز على هذا الوجه إعراب «غير» حالاً، وإلهاً هو المفعول به ﴿ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ، وجملة فضلكم خبر، والجملة كلها حالية، وعلى العالمين جار ومجرور متعلقان بفضلكم، ويجوز أن تكون الواو للاستئناف، والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ الواو عاطفة أو استئنافية، وإذ مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكروا وقت أنجيناكم، وجملة أنجيناكم في محل جر بالإضافة، ومن آل جار ومجرور متعلقان بأنجيناكم، وفرعون مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة لمنعه من الصرف ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ الجملة نصب على الحال من آل فرعون، ويسومونكم فعل مضارع وفاعل ومفعول به أول، وسوء العذاب مفعول به ثان ﴿ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ جملة يقتلون أبناءكم بدل من جملة يسومونكم، ويستحيون نساءكم جملة معطوفة عليها ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ الواو حالية، أو استئنافية، وفي ذلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وبلاء مبتدأ مؤخر، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبلاء، وعظيم صفة ثانية.

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق لتفصيل ما أجمله في سورة البقرة، وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾، وواعدنا موسى فعل وفاعل ومفعول به، وثلاثين مفعول به ثان لواعدنا، وفيه حذف مضاف تقديره: تمام ثلاثين، وليلة تمييز، وذلك ليصومها حتى نكلمه، وأتممناها عطف على واعدنا، وبعشر جار ومجرور متعلقان بأتممناها ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ الفاء عاطفة، وتم ميقات فعل وفاعل، وربه مضاف إليه، وأربعين حال، أي تمّ بالغاً هذا العدد، وليلة تمييز، وسيأتي في باب: الفوائد تعليل نصبها على الحال. وقيل: هو مفعول «تم» لأن معناه بلغ، ولا يصح أن يكون ظرفاً للتمام، لأن التمام إنما هو بآخر جزء من تلك الأزمنة ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ﴾ الواو عاطفة، وقال موسى فعل وفاعل، ولأخيه جار ومجرور متعلقان بقال. وهارون: بدل من أخيه أو عطف بيان ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الجملة مقول قول موسى، واخلفني فعل أمر ومفعول به، وفي قومي جار ومجرور متعلقان باخلفني، وأصلح عطف على اخلفني، ولا تتبع الواو حرف عطف، ولا الناهية، وتتبع فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وسبيل المفسدين مفعول به ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾ الواو

عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، متضمنة معنى الشرط، وجملة جاء موسى لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة، ولميقاتنا جار ومجرور متعلقان بجاء، واللام للاختصاص، كما تقول: أتيته لعشر خلون من الشهر ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ وكلمه ربه عطف على جاء، وربه فاعل كلمه، وجملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ورب منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وأرني فعل أمر للدعاء، وفاعله مستتر، والنون للوقاية، والياء مفعول به أول، ومفعول الرؤية الثاني محذوف تقديره: نفسك، وأنظر فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وجملة الطلب وجوابه مقول القول، وإليك جار ومجرور متعلقان بأنظر ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ الجملة مقول القول، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وتراني فعل مضارع منصوب بلن، والياء مفعول به ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ الواو عاطفة، ولكن حرف استدراك مخفف مهمل، وانظر فعل أمر، وإلى الجبل جار ومجرور متعلقان بانظر، فإن الفاء عاطفة، وإن شرطية، واستقر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، ومكانه ظرف مكان متعلق باستقر، فسوف الفاء رابطة لجواب الشرط، وسوف حرف استقبال، وتراني فعل مضارع، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وتجلى ربه فعل وفاعل، وللجبل جار ومجرور متعلقان بتجلى، وجعله فعل ومفعول به، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ودكاً مفعول به ثان لجعله، لأنه مصدر بمعنى مفعول، أي: مدكوك، ويجوز نصبه على المصدرية، إذ التقدير: دكه دكاً ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ صعقاً حال ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وجملة أفاق لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة، وجملة «قال» لا محل لها، وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف، وتبت فعل وفاعل، وإليك جار ومجرور متعلقان بتبت، وأنا: الواو عاطفة، وأنا مبتدأ، وأول المؤمنين خبر.

* الفوائد:

رؤية الله في الآخرة:

استدل الزمخشري وغيره من أئمة المعتزلة على عدم رؤية الله تعالى في الآخرة بـ «لن»، قالوا: هي للتأكيد والتأبيد. ورد عليهم علماء السنة، وشجر خلاف طويل حول ذلك، وجر إلى التهاتر والتراشق بالحساب العسير والتهم، مما لا يتسع المجال له في كتابنا، فارجع إليه في المطولات.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

○ الإعراب:

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسلية موسى عليه السلام على ما فاته من الرؤية. وجملة النداء في محل نصب مقول القول، وإن واسمها، وجملة اصطفيتك خبر، وعلى الناس جار ومجرور متعلقان باصطفيتك، وبرسالاتي جار ومجرور متعلقان باصطفيتك أيضاً، وجمع الرسالة لأن الذي أرسل به ضروب وأنواع مختلفة، وبكلامي عطف على برسالاتي، وقدم الرسالة تنويهاً بالترقي إلى الأشرف؛ لأن مكالمته مزية خاصة له، وأعاد حرف الجر تنويهاً بمغايرة الاصطفاء للكلام ﴿فَخُذۡ مَآ

﴿ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الفاء الفصيحة، والجملة بعدها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة آتيتك صلة «ما»، وكن من الشاكرين عطف على خذ، ومن الشاكرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر «كن» ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ الواو استئنافية، وكتبنا فعل وفاعل، وله جار ومجرور متعلقان بكتبنا، وفي الألواح جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ومن كل شيء جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به، والمراد: ألواح التوراة ﴿مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ موعظة بدل من محل «من كل شيء»، لأنه مفعول به كما تقدم، ويجوز إعراب «موعظة» مفعولاً من أجله، أي: كتبنا له تلك الأشياء للموعظة والتفصيل، ولكل شيء: جار ومجرور متعلقان بـ «تفصيلاً» أو صفة له ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أو عاطفة لمحذوف على كتبنا، والتقدير: فقلنا خذها، وخذ فعل أمر، والهاء مفعول به، وبقوة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل خذها، وجملة اؤمر عطف على خذها، وقومك مفعول به، ويأخذوا فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وخص الأحسن بالأخذ، وكل ما فيها مطلوب، مبالغة في التحري، وحسن الأخذ، واختيار الأسدّ المحكم، أو أنَّ التفضيل غير مراد كقولهم: الصيف أحر من الشتاء، أي: هو في حرّه أبلغ من الشتاء في برده، فتفضيل حرارة الصيف على برد الشتاء غير مراد، فلما أريد بالأحسن المأمور به ـ لكونه أبلغ في الحسن من المنهي عنه في القبح ـ كان اللازم أن لا يجوز الأخذ بالمنهي عنه، وسأريكم دار الفاسقين جملة مستأنفة، مسوقة للتأكيد للأمر بالأخذ بالأحسن، والحثّ عليه، فهي بمثابة التعليل، ولا يخفى ما في الالتفات من زيادة في التأكيد والمبالغة للأخذ بالأحسن. أما دار الفاسقين فقيل: هي دار فرعون وأتباعه، للاعتبار بها، وقيل: هي غير ذلك، ولا محل للاجتهاد هنا ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ كلام مستأنف، مسوق للتحذير من الاستكبار الصارف للأذهان عن التفكير الحق. وعن آياتي جار ومجرور متعلقان بأصرف، والذين اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة

يتكبرون صلة، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيتكبرون، وبغير الحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الذين يتكبرون، أي: حال كونهم متلبسين بالدين غير الحقّ ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويروا فعل الشرط، والواو فاعل، وكل آية مفعول به، وجملة لا يؤمنوا جواب الشرط، وبها جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ عطف على ما تقدَّم، وسبيلاً مفعول به ثان ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ عطف على ما سبق أيضاً ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ اسم الإشارة في محل رفع أو نصب: فالرفع على أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده، أي: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم، والنصب على أنه بمعنى صرفهم عن ذلك الصرف بسبب تكذيبهم، فجعله مصدراً مفعولاً به، وعلى كل حال فالجملة ابتدائية لا محل لها، وجملة كذبوا خبر أن، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا، وكانوا عطف على كذبوا، والواو اسم كان، وعنها جار ومجرور متعلقان بغافلين، وغافلين خبر كانوا.

□ البلاغة:

(١) الالتفات في قوله: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لاسترعاء الاهتمام كما أسلفنا.

(٢) الطباق بين سبيل الرشد وسبيل الغيّ. ولما كانت المقابلة بينهما بالسلب ظهر حسنها بصورة واضحة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ

عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾

☆ اللغة:

﴿حُلِيِّهِمْ﴾: جمع حَلْي كثدي وثُدِيّ، وأصله حلويّ، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت ياء، وأدغمت في الياء، وكسرت اللام لأجل الياء. والحلي: اسم لما يتحلى به من الذهب والفضة.

﴿خُوَارٌ﴾: بضم الخاء كما هي القاعدة الأغلبية في أسماء الأصوات، إما على وزن فُعَال أو فَعِيل كزئير.

○ الإعراب:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْۚ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة لبيان نمط آخر من عصيانهم وافتئاتهم على الله. واسم الموصول في محل رفع مبتدأ، وجملة كذبوا بآياتنا صلة، ولقاء الآخرة عطف على بآياتنا، وجملة حبطت أعمالهم خبر المبتدأ ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الهمزة للاستفهام، المراد به النفي، ولذلك دخلت بعدها «إلا»، ويجزون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلا أداة حصر، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان، وجملة كانوا صلة الموصول، وجملة يعملون خبر، ولا أرى داعياً لتقدير محذوف، كما قال الواحديّ، ونصه: «وهنا لا بد من تقدير محذوف، أي: إلا بما كانوا، أو على ما كانوا، أو جزاء ما كانوا». قلت: والجزاء المقابل أوضح، فلا داعي لهذا التكلف. ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق لسرد نمط آخر من أنماط تجنيهم، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، من عطف قصة على قصة. وقوم موسى فاعل، ومن بعده جار ومجرور متعلقان باتخذ، ومن حليهم جار ومجرور متعلقان باتخذ، أو بمحذوف في موضع الحال، لأنه لو تأخر لكان صفة، كما هي

القاعدة. وعجلاً مفعول به، وجسداً بدل، وأتى بهذا البدل دفعاً لتوهم أنه صورة عجل منقوشة، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وخوار مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب صفة لقوله: «عجلاً» ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقريعهم على سوء اختيارهم، وإمعانهم في ركوب متن الشطط. والهمزة للاستفهام الإنكاري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، والواو فاعل يروا، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا، وجملة لا يكلمهم خبر، ولا يهديهم سبيلاً عطف على لا يكلمهم، وسبيلاً مفعول به ثان، أو منصوب بنزع الخافض ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتكون جواباً عن سؤال نشأ من سياق الكلام، أي: فكيف اتخذوه؟ والواو عاطفة، وكان واسمها، وظالمين خبرها.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)﴾

☆ **اللغة:**

﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: اضطربت أقوال أهل اللغة في أصل هذه الكلمة، وهي تستعمل للندم والتَّحيرُّ. فقال أبو مروان اللغوي: قول العرب: سقط في يده مما أعياني معناه. وقال الواحدي: قد بان من أقوال المفسرين وأهل اللغة أن سقط في يده: ندم. وأنه يستعمل في صفة النادم. فأما القول في مأخذه وأصله فلم أر لأحد من أئمة اللغة شيئاً أرتضيه فيه. وقال الزّجّاج: قوله

تعالى: ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾: بمعنى ندموا، وهذه اللفظة لم تسمع قبل القرآن، ولم تعرفها العرب في النظم والنثر، جاهلية وإسلاماً. فلما سمعوه خفي عليهم وجه استعماله؛ لأنه لم يقرع أسماعهم، فقال أبو نواس: «في نشوة قد سقطت منها يدي» وهو العالم النحرير فأخطأ في استعماله. وعبارة الفراء: يجوز سقط وأسقط، وترك الهمزة هو الأكثر الأجود، وسقط: بالفتح، والبناء للفاعل لغة قليلة، قال الأخفش: وقد قرىء بها في الشواذّ كأنه أضمر الندم، أي: سقط الندم في أيديهم. وقال المطرزي: سقط في يده: مَثَل يضرب للنادم المتحيرِّ، ومعناه: ندم؛ لأن من شأن من اشتد ندمه أن يعضَّ يده، فتصير يده مسقوطاً فيها، كأن فاه وقع فيها. هذا؛ وترى مزيداً من القول في هذه اللفظة في باب البلاغة.

○ الإعـراب:

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان مصيرهم بعد ارتكاب جريرتهم. ولما رابطة، أو حينية، وسقط بالبناء للمجهول، وفي أيديهم قائم مقام نائب الفاعل، وفي بمعنى على، أي: على أيديهم ﴿وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ عطف على سقط في أيديهم، وأن وما في حيزها سدت مسدّ مفعولي رأوا؛ لأنها بمعنى علموا، وجملة قد ضلوا خبر أنّ ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا﴾ جملة قالوا لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويرحمنا فعل مضارع مجزوم بلم، ونا مفعول به، وربنا فاعل مؤخر، ويغفر: الواو حرف عطف، وجملة يغفر عطف على يرحمنا، ولنا جار ومجرور متعلقان بيغفر ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ اللام جواب للقسم، ونكونن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وجملة جواب القسم لا محل لها، وجملة القسم في محل نصب مقول القول، ومن الخاسرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر نكونن ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وجملة

رجع موسى لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة، وإلى قومه جار ومجرور متعلقان برجع، وغضبان حال أولى، وأسفاً حال ثانية من موسى ﴿ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ﴾ بئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وجوباً هنا خاصة، وما نكرة موصوفة في محل نصب تمييز، والمعنى خلافة، وجملة خلفتموني صفة لما، والمخصوص بالذم محذوف أي: خلافتكم، ومن بعدي جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريعي، وعجلتم أي: سبقتم فعل وفاعل، وأمر ربكم مفعول به، وكلها تتمة مقولهم ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ الواو عاطفة، وألقى عطف على قال، والمراد هنا استيلاء الغضب، وأخذ عطف على ألقى، وبرأس جار ومجرور متعلقان بأخذ، وأخيه مضاف إليه، وجملة يجره إليه حال من ضمير موسى المستتر في أخذ، أي: أخذه جارّاً برأسه إليه ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ ﴾ ابن أمّ اسمان مبنيان على الفتح لتركبهما تركيب الأعداد، مثل خمسة عشر أو الظروف مثل صباح مساء، فعلى هذا ليس ابن مضاف لأم بل هو مركب معها، فحركتهما حركة بناء. وذهب الكوفيون إلى أن ابن مضاف لأمّ، وأمّ مضاف إلى ياء المتكلم، وقد قلبت ألفاً كما تقلب في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، ثم حذفت الألف واجتزىء عنها بالفتحة كما يجتزأ بالياء عن الكسرة، وحينئذ فحركة ابن حركة إعراب، وهو مضاف لأمّ، فهي في محل جر بالإضافة، وعلى كل فحرف النداء محذوف، أي: يا بن أم، وإنما اقتصر في خطابه على الأم مع أنه شقيقه؛ لأن ذكر الأم أعطف لقلبه ﴿ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي ﴾ الجملة بمثابة التعليل لما عاملوه به. وإن واسمها، وجملة استضعفوني خبرها، وكادوا عطف على استضعفوني، والواو اسم كاد، وجملة يقتلونني خبرها ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا علمت عذري فلا تسرّ الأعداء بما تفعل بي من المكروه، وبي جار ومجرور متعلقان بتشمت، والأعداء مفعول به ﴿ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتجعلني فعل مضارع مجزوم بلا، ومع ظرف مكان متعلق بتجعلني، والقوم مضاف إليه والظالمين صفة ﴿ قَالَ رَبِّ

﴿ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لطلب المغفرة له ولأخيه، ورب منادى محذوف منه حرف النداء، واغفر فعل دعاء، ولي جار ومجرور متعلقان باغفر، ولأخي عطف على «لي» ﴿وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ عطف على اغفر، وفي رحمتك جار ومجرور متعلقان بأدخلنا، وأنت الواو حالية، أو استئنافية، وأنت مبتدأ، وأرحم الراحمين خبر.

□ البلاغة:

الكناية في قوله: ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ عن الندم، فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عضَّ بفمه على أصابعه، فسقوط الأفواه على الأيدي لازم للندم، فأطلق اسم اللازم، وأريد الملزوم على سبيل الكناية. وقال الزمخشري: «ولما سقط في أيديهم: ولما اشتد ندمهم، وحسرتهم على عبادة العجل؛ لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعضّ يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها لأن فاه قد وقع فيها». وقال القطب في «شرح الكشاف»: إنه على تفسير الزّجّاج استعارة تمثيلية؛ لأنه شبه حال الندم في القلب بحال الشيء في اليد، وقيل: هو على تفسيره، استعارة بالكناية في الندم بتشبيهه ما يرى في العين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ كلام مستأنف، مسوق لإخبار موسى بما سينالهم بعد هذه الكبائر المتتابعة. وإن واسمها، وجملة اتخذوا العجل لا محل لها لأنها صلة الموصول، وجملة

سينالهم خبر إن، وغضب فاعل، ومن ربهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لغضب، وذلة عطف على غضب، وفي الحياة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذلة، والدنيا صفة للحياة ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء نجزيهم، وقد تقدمت له نظائر كثيرة ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ ﴾ عطف على الذين السابقة، أو مبتدأ، وجملة عملوا السيئات صلة، ثم تابوا عطف على عملوا، ومن بعدها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وآمنوا عطف على عملوا ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إن واسمها، ومن بعدها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، واللام المزحلقة، وغفور خبر أول لإنّ، ورحيم خبر ثان، والجملة كلها خبر الذين ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان المبالغة، ولما رابطة، أو حينية، وقد تكررت مراراً، وسكت الغضب فعل وفاعل، وعن موسى جار ومجرور متعلقان بسكت، وجملة سكت لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة ﴿ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، والواو حالية، وفي نسختها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وهدى مبتدأ مؤخر، ورحمة عطف على هدى، وللذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، وهم مبتدأ، وجملة يرهبون خبر، ولربهم جار ومجرور متعلقان بيرهبون، ودخلت اللام لتقوية المفعول به لأن تأخر الفعل يكسبه ضعفاً، ونحوه: للرؤيا تعبرون، وقال الكسائي: إنها زائدة. وقال المبرد: هي متعلقة بمصدر الفعل المذكور، والتقدير: للذين رهبتهم لربهم يرهبون، وجملة هم لربهم يرهبون صلة.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ استعارتان:

أ ـ استعارة تصريحية تبعية: بتشبيه السكون بالسكوت.

ب ـ استعارة مكنية: في تشبيه الغضب بإنسان ناطق يغري موسى، ويقول له: قل لقومك كذا وكذا، وألق الألواح، وخذ برأس أخيك. ثم يقطع الإغراء، ويترك الكلام.

أقسام أخرى للاستعارة:

وقد تقدم القول في الاستعارة، ونعود هنا فنقول: إن هذه الاستعارة، وهي إسناد السكوت إلى الغضب فيها، هي استعارة معقول للمشاركة في أمر معقول، وهي واحدة من خمس للاستعارات: فالمستعار السكوت، والمستعار له الغضب، والمستعار منه الساكت، والمعنى: (ولما زال عن موسى الغضب) لأن حقيقة السكوت زوال الكلام، وحقيقة زوال الغضب عدم ما يدل عليه من الكلام أو غيره في تلك الحال، وغضب موسى إنما عرف هنالك من قوله: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾ فإن هذا الكلام كان مقدمة إلقاء الألواح، ولما زال الكلام الدال على الغضب، حسنت استعارة السكوت للغضب، ولا يلزم من سكوت الغضب حصول الرضا، فإن موسى لم يرض بمعصيتهم ولا ببقائهم على المعصية حتى تحصل التوبة، ولهذا أخبر سبحانه عنه بسكوت الغضب دون حصول الرضا، وهذه الاستعارة ألطف الاستعارات الخمس؛ لأنها استعارة معقول لمعقول للمشاركة في أمر معقول.

الأقسام الأربعة الأخرى:

أما الأقسام الأربعة الأخرى فهي:

(٢) استعارة المحسوس للمحسوس للاشتراك في أمر معقول، وهو الاستعارة المركبة من الكثيف اللطيف، ومثالها قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ فإن المستعار له: الريح، والمستعار منه، ذات النتاج، والمستعار العقيم، وهو عدم النتاج، والمشاركة بين المستعار له والمستعار منه في عدم النتاج، وهو شيء معقول.

(٣) استعارة المحسوس للمعقول، وهي ألطف من المركَّبة. ومثالها قوله

تعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ ﴾ . فالقذف والدفع مستعاران، وهما محسوسان، والحق والباطل مستعار لهما، وهما معقولان، ومثله قوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فالمستعار الحبل وهو محسوس، والمستعار له العهد وهو معقول، والمشاركة بينهما في الاتصال؛ لأن العهد يصل بين المعاهد والمسلم كما يصل الحبل بين المرتبطين، وهو شيء محسوس، ومن هذا القسم قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ ، فالمستعار منه الزجاجة، والمستعار الصدع وهو الشقّ، والمستعار له هو عقوق المكلفين، والمعنى: صَرِّحْ بجميع ما أوحي إليك، وبيِّنْ كلَّ ما أُمِرْتَ ببيانه، وإن شق ذلك على بعض القلوب فانصدعت، والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصديع في القلوب، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التَّقَبُّض والانبساط، ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار كما يظهر ذلك على ظاهر الزجاجة المصدوعة من المطروقة في باطنها. يروى أن بعض الأعراب لما سمع هذه اللفظات الثلاث سجد، فقيل: لم سجدت؟ فقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام.

(٤) استعارة المعقول للمحسوس بالاشتراك في أمر معقول، ومثالها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴾ فالمستعار له كثرة الماء وهي حسّيّة، والمستعار منه التكبر وهو عقلي، والجامع الاستعلاء المفرط، وهو عقلي أيضاً. وستأتي للاستعارة أبحاث أخرى في محلها من هذا الكتاب.

﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ
شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ
بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥
۞وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ
أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

☆ **اللغة:**

﴿هُدْنَآ﴾ تبنا، ورجعنا عن المعصية، وجئناك معتذرين منها، من هاد يهود: إذا رجع، وأصل الهود: الرجوع برفق، وبه سميت اليهود، وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم، وبعده صار اسم ذم لازماً لهم أبداً يتسمَّون به إلى الأبد، والهود: جمع هائد، وهو: التائب. ولبعضهم:

يـا راكـبَ الـذَّنـبِ هُـدْهُـدْ   واسجـدْ كـأنَّـك هُـدْهُـدْ

شبه ملازمته للذنب بملازمة الراكب للمركوب، وشبه الساجد بالهدهد، لكثرة ما يطرق برأسه إلى الأرض.

﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾: نسبة إلى الأم، كأنه باقٍ على حالته التي ولد عليها. والمراد به: الذي لا يقرأ الخط ولا يكتب، وهذا الوصف مما اختصّ به محمد ﷺ، ويجوز أن تكون نسبته إلى الأمة، وهي أمة العرب؛ وذلك لأن العرب لا تحسب ولا تكتب، ويجوز أن يكون نسبة إلى الأم، مصدر: أمّ يؤمّ، أي: قصد يقصد، والمعنى على هذا: أن هذا النبي العربي الكريم مقصود لكلِّ أحد، فإن قيل: كان ينبغي أن يقال في النسبة أَمّيّ بفتح الهمزة، قلنا إنه من تغيير النسب. وسيأتي مزيد من هذا الوصف في باب الفوائد.

(الإصر): الثقل الذي يأصر صاحبه، أي: يحبسه عن الحركة لثقله.

والمراد بالإصر هنا: العهد والميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل أن يعملوا بأحكام التوراة.

﴿ وَٱلْأَغْلَٰلَ ﴾: جمع غلّ، والغُلّ ـ بالضمّ ـ: طوق من حديد يُجعل في العنق.

○ الإعـراب:

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ كلام مُستأنف، مسوق لسرد قصة الذين لم يعبدوا العجل، وقد أمره الله باختيار سبعين منهم. والتفاصيل في المطوّلات. واختار موسى فعل وفاعل، وقومه منصوب بنزع الخافض، أي: من قومه، فحذف الجار وأوصل الفعل، وسبعين مفعول به لاختار، وقد تقدم حديث الأفعال التي تعدت إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بوساطة حرف الجر، وهي مقصورة على السماع، وهي: اختار، واستغفر، وأمر، وكنى، ودعا، وزوج، وصدق، ثم يحذف حرف الجر، ويتعدى إليه الفعل، فتقول: اخترت زيداً من الرجال، واخترت زيداً الرجال، قال الشاعر:

اخترتُـكَ النـاسَ إذْ رثَّـتْ خـلائقُهـم

واعتلّ من كان يُرجى عنده السُّولُ

ورجلاً تمييز، لميقاتنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه للاعتذار عن عبادة العجل ﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وقد تقدم إعرابها كثيراً، وأخذتهم الرجفة فعل ومفعول به وفاعل ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ﴾ جملة القول مستأنفة لبيان ما قاله موسى، وجملة النداء في محل نصب مقول القول، ولو شرطية، وشئت فعل وفاعل، والمفعول به محذوف، أي: لو شئت إهلاكهم، وأهلكتهم فعل وفاعل ومفعول به، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بأهلكتهم، وإياي ضمير منفصل معطوف على الهاء ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ الاستفهام هنا معناه النفي مع

الاستعطاف، أي: لا يمكن أن تعذبنا بما فعل غيرنا. وللمبرد عبارة جميلة قال: والمراد بالاستفهام: استفهام الإعظام، كأنه يقول: وقد علم موسى أنه لا يهلك أحد بذنب غيره، ولكنه من وادي قول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾. وتهلكنا فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وبما جار ومجرور متعلقان بتهلكنا، وما موصولة، أو مصدرية، أي: بسبب الذي فعله السفهاء، أو بسبب فعل السفهاء، ومنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ إن نافية، وهي مبتدأ، وإلا أداة حصر، وفتنتك أي: ابتلاؤك خبر ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ الجملة حالية، أي: مضلاً بها وهادياً، ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به، وكذلك «من» الثانية ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ أنت مبتدأ، وولينا خبر، فاغفر الفاء الفصيحة، واغفر فعل أمر للدعاء، ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر، وارحمنا عطف على اغفر، وأنت الواو حالية، أو استئنافية، وأنت مبتدأ، وخير الغافرين خبر ﴿۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ واكتب عطف على فاغفر، ولنا جار ومجرور متعلقان باكتب، وفي هذه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وحسنة مفعول به، وفي الآخرة عطف على «في هذه الدنيا»، واكتفى بالمفعول الأول، أي: وفي الآخرة حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتعليل الدعاء؛ لأن ذلك مما يوجب قبوله. وإن واسمها، وجملة هدنا إليك خبر إن ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لمعرفة جواب الله. وعذابي إمّا مبتدأ، خبره جملة أصيب، وإما خبر لمبتدأ محذوف، وجملة أصيب حالية، وبه جار ومجرور، ومن اسم موصول مفعول به، وجملة أشاء صلة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ عطف على الجملة السابقة ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للتعريض بقومه، والسين حرف استقبال، وأكتبها فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وللذين جار ومجرور متعلقان بأكتبها، وجملة يتقون لا محل لها لأنها صلة الموصول، وجملة ويؤتون الزكاة عطف على جملة يتقون ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ والذين عطف على

الذين السابقة، وهم مبتدأ، وجملة يؤمنون خبر، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بيؤمنون، والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ الذين نعت للذين، أو بدل منه، وجملة يتبعون صلة الموصول، والرسول مفعول به، والنبي صفة أولى، والأمي صفة ثانية، والذي صفة ثالثة، وجملة يجدونه لا محل لها لأنها صلة الموصول، ومكتوباً مفعول به ثان ليجدونه، وعندهم ظرف متعلق بـ «مكتوباً»، وفي التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الجملة حالية، وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بيأمرهم، وينهاهم عن المنكر عطف على الجملة السابقة ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ عطف على ما تقدم ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ عطف أيضاً، وإصرهم مفعول به، والأغلال عطف على إصرهم، والتي نعت للأغلال، وجملة كانت عليهم صلة، وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانت ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ الفاء: استئنافية، والذين مبتدأ، وجملة آمنوا صلة، وبه جار ومجرور متعلقان بآمنوا، وعزروه، ونصروه معطوفان على آمنوا ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ واتبعوا عطف أيضاً، والنور مفعول به، والذي نعت، وجملة أنزل صلة، ومعه ظرف مكان متعلق بأنزل ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الجملة الاسمية خبر اسم الموصول، واسم الإشارة مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والمفلحون خبر أولئك، أو خبر «هم»، والجملة الاسمية خبر أولئك.

* الفوائـد:

معنـى الأمـيِّ:

تكلمنا في باب اللغة بإسهاب عن معنى الأمّيّ، ونتساءل الآن مع المتسائلين: هل كان النبي يعرف القراءة والكتابة؟ أما أكثر المستشرقين فيقولون: إن كلمة «أمّيّ» التي وصف بها النبي غامضة، ولا تدل دلالة قاطعة

على أنه لم يكن يعرف القراءة، ويُرجِّحون أن تكون نسبة إلى كلمة أمّة، كما ذكرنا ذلك في حينه.

أراجيف دائرة المعارف الإسلامية:

أما دائرة المعارف الإسلامية فتثير إشكالاً آخر، وهو أنه ورد في سورة العنكبوت الآية: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ قالت: «وهي تدل على أنه تعلم القراءة في الكبر، أي: بعد نزول القرآن، وإن كان التعبير غامضاً». وواضح أن التعبير ليس غامضاً، ولكن التخريج الذي خرَّجته الدائرة فاسد، فلفظ الآية صريح كل الصراحة، واضح كل الوضوح ـ كما سيأتي في حينه ـ وهو يدل، بلا لبس، على أن أهل مكة عرفوا قبل نزول الوحي عليه أنه لم يكن يتلو كتاباً، ولا يكتب بيمينه، ولو أنه كان كذلك إذاً لارتاب المبطلون بأن يذكروا أنه كان يخلو إلى نفسه، فيكتب القرآن ويعدُّه، ثم يخرج للناس فيتلوه عليهم.

وآية أخرى أوردتها دائرة المعارف الإسلامية وهي: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ولا يفهم من هذه الآية شيء مما أريد حمله عليها، إذ أنها تدل ببساطة على أن كفار قريش كانوا يدَّعون أن رسول الله يكتب ما يملى عليه من أساطير الأولين، وليس كل ما يدعي الكفار صواباً، بل هذا هو هجوم صريح وافتئات واضح يقصد منه التجريح وإضعاف شأن القرآن. ولعلَّ القرآن نفسه تولى الكشف عن هذه الأراجيف في الآية السابقة لها وهي: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

الباجـي ودعوى عدم الأمّيّـة:

وليست دائرة المعارف الإسلامية وغيرها من كتب المستشرقين وحدها

التي تحاول إثارة هذه الشبهات، فقد تناثرت في كتب المسلمين إشارات تلمح إلى هذا الموضوع، فقد ذكر ابن كثير: «ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجيّ ومن تابعه أن النبي عليه السلام كتب يوم الحديبية: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله»، فإنما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري: «ثم أخذ فكتب»، وهذه محمولة على الرواية الأخرى: «ثم أمر فكتب»، ولهذا اشتد النكير على من قال بقول الباجيّ، وتبرؤوا منه، وأنشدوا في ذلك أقوالاً، وخطبوا به في محافلهم. على أن القول الفصل في هذا ما ورد في القرآن نفسه، فقد أكد في مواضع كثيرة أن القرآن أُنْزل على قلب رسول الله، وأنه كُلِّف بحفظه، وبأن يحفظه المسلمون لا أن يكتبوه، ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، وإذن فلم يكن النبي يكتب ما يوحي إليه، ولا نعلم على وجه دقيق كيف كان يكتب القرآن في العهد المكي.

قصة إسلام عمر:

ولكننا نذكر الرواية الشائعة التي تقصُّ إسلام عمر بن الخطاب أنه وجد في يد أخته فاطمة صحيفة فيها آيات من القرآن، وعلى الرغم من أن هناك روايات أخرى تهمل قصة فاطمة وما حدث بينها وبين عمر، إلا أن من الممكن أن نعتمد عليها في أن نعلم أنه كانت هناك صحف تكتب فيها أجزاء من القرآن، سواء أكانت هذه الصحف عند فاطمة أخت عمر أو عند غيرها. وكلمة صحيفة لا تدل على الورق الذي نعرفه اليوم، ولكنها ـ على كل حال ـ شيء خفيف الحمل يكتب عليه في سهولة. وقد وردت في القرآن كلمة صحيفة، مثل قوله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾. على أن الحفظ كان أساس العلم بالقرآن، وليست التلاوة من صحف مسطورة، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم.

هذا؛ وسيرد المزيد من هذا المبحث الدقيق في مواضيع معينة من هذا الكتاب.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَسْبَاطًا﴾: جمع سبط، وهو ولد الولد، فهو كالحفيد. هذا هو المفهوم اللغوي، وتخصيص السبط بولد البنت والحفيد بولد الابن أمر عرفي. وفي القاموس وغيره: ولد الولد، ويغلب على ولد البنت، مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن. والسبط من اليهود بمنزلة القبيلة من العرب.

﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾: في المصباح: بَجَس الماء بَجْساً، من باب: قتل، بمعنى: فجرته فانفجر. وقال غيره: الانبجاس هو: الانفتاح بسعة وكثرة، قال العجاج:

وانحلبتْ عيناهُ من فرطِ الأسَى
وَكِيفَ غَرْبَيْ دالجٍ تَبَجَّسَا

والوَكِيفُ: مصدر نصب بانحلبت؛ لأن معناه: وكفت، والغَرْب: الدلو العظيمة، والدالج: من يأخذ الدلو من البئر فيفرغها في الحوض، يقول: انصبَّتْ دموعُ عينيه من شدة الحزن كانصباب دلوَيْ رجل مفرغ لهما في الحوض، تفجَّرا بسعة، وفيه تشبيه العينين بالغَرْبَين.

﴿ ٱلْمَنَّ ﴾ : هو التَّرنجبين ، وهو شيء حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج ، من الفجر إلى طلوع الشمس ، فيأخذ كل إنسان صاعاً .

﴿ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ : هو الطير السُّمَانَى ـ بتخفيف الميم المقصورة والقصر ـ بوزن حُبَارى ، وهو نوع من الطيور القواطع ، للواحد والجمع ، وقيل : الواحدة سُمَاناة ، وهو المعروف عندنا بالفري ، ويسمى أيضاً السلوى ، ويجمع على سُمَانَيَات .

○ الإعراب :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ كلام مستأنف ، مسوق لتوجيه الخطاب إلى النبي ﷺ . وجملة النداء في محل نصب مقول القول ، وقد تقدم إعرابها ، وإن واسمها ، ورسول الله خبرها ، وإليكم جار ومجرور متعلقان برسول ، وجميعاً حال من ضمير إليكم ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ اسم الموصول نعت لله ، ويجوز أن تقطعه فترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم ، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ هذه الجملة لا محل لها لأنها بدل من الصلة قبلها ، وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلة مع اختلاف الآراء ﴿ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ الجملة بدل أيضاً فلا محل لها ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ الفاء الفصيحة ، وآمنوا فعل أمر ، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا ، ورسوله عطف على الله ، والنبي صفة ، وكذلك الأميّ ، وجملة يؤمن بالله لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وكلماته عطف على الله ، والمراد بها ما أنزل عليه ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ عطف على آمنوا ، ولعل واسمها ، وجملة تهتدون خبرها ، وجملة الرجاء حالية ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ الواو استئنافية ، ومن قوم موسى جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم ، وأمة مبتدأ مؤخر ، وجملة يهدون بالحق صفة لحكاية الحال الماضية ، وبالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : متلبسين بالحق ، وبه جار

ومجرور متعلقان بيعدلون ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ الواو عاطفة، وقطعناهم فعل وفاعل ومفعول به، واثنتي عشرة حال من مفعول قطعناهم، أي: فرقناهم معدودين بهذا العدد، وجوّز الزمخشري وأبو البقاء أن يكون قطعناهم بمعنى صيرناهم، فيكون اثنتي عشرة مفعولاً به ثانياً، وأسباطاً بدل من اثنتي عشرة، أي: فرقة. قال أبو إسحق الزَّجاج: ولا يجوز أن يكون تمييزاً؛ لأنه لو كان تمييزاً لكان مفرداً. وسيأتي مزيد من القول فيه في باب الفوائد. وأمماً بدل من «أسباطاً»، فهو بدل من البدل، وهو الأسباط ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾ عطف على قطعناهم، وإلى موسى جار ومجرور متعلقان بأوحينا، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بأوحينا أيضاً، وجملة استسقاه قومه في محل جر بالإضافة، واستسقاه قومه: فعل ومفعول به وفاعل ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ يجوز أن تكون «أن» هي المفسرة للإيحاء؛ لأن فيه معنى القول دون حروفه، وأن تكون المصدرية، وقد تقدم نظيرها، وبعصاك جار ومجرور متعلقان باضرب، والحجر مفعول به ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ الفاء الفصيحة، أي: فضرب فانبجست، ومنه جار ومجرور متعلقان بانبجست، واثنتا عشرة فاعل انبجست، وعيناً تمييز ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ الجملة مستأنفة لا محل لها، وقد حرف تحقيق، وعلم كل أناس فعل وفاعل، وأناس مضاف إليه، وهو اسم جمع، واحده إنسان، وقيل: هو جمع تكسير له، ومشربهم مفعول به ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ وظللنا فعل وفاعل، وعليهم جار ومجرور متعلقان بظللنا، والغمام مفعول به، وأنزلنا عطف على ظللنا، وعليهم جار ومجرور متعلقان بأنزلنا، والمن مفعول به، والسلوى عطف على المنّ ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ جملة كلوا في محل نصب مقول قول محذوف، أي: وقلنا، وكلوا فعل أمر، والواو فاعل، ومن طيبات جار ومجرور متعلقان بكلوا، وما اسم موصول في محل جر بالإضافة لطيبات، وجملة رزقناكم لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وظلمونا فعل وفاعل

ومفعول به، والواو حالية، ولكن مهملة مخففة، وكان واسمها، وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون، وجملة يظلمون في محل نصب خبر كانوا.

* الفوائـد:

(١) بين الزمخشري وأبي حيان:

قال الزمخشري: فإن قلت مميز ما عدا العشرة مفرد، فما وجه مجيئه مجموعاً؟ وهلا قيل: اثني عشر سبطاً؟ قلت: لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً؛ لأن المراد: وقطّعناهم اثنتي عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباط لا سبط، فوضع «أسباطاً» موضع «قبيلة»، ونظيره:

بين رِماحَيْ مالكٍ ونَهْشَلِ

وردّ أبو حيَّان هذا التنظير بقوله: ليس نظيره، لأن هذا من تثنية الجمع، وهو لا يجوز إلا في الضرورة. وكأنه يشير إلى أنه لو لم يلحظ في الجمع كونه أريد به نوع من الرماح لم يصح تثنيته، كذلك هنا، لحظ الأسباط ـ وإن كان جمعاً ـ معنى القبيلة، فميز به كما يميز بالمفرد.

رأي الحوفي:

وقال الحوفيّ «يجوز أن يكون على الحذف، والتقدير: اثنتي عشرة فرقة، ويكون «أسباطاً» نعتاً لفرقة، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه». ونظير وصف التمييز المفرد بالجمع مراعاة للمعنى قول عنترة:

فيها اثنتان وأربعون حَلُوبةً سُوداً كخافيةِ الغرابِ الأَسْحَمِ

ولم يقل: سوداء.

رأي التَّوضيح والتَّصريح:

وفي التوضيح والتصريح: «وأما قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ﴾ فـ«أسباطاً» ليس تمييزاً لأنه جمع، وإنما هو بدل من «اثنتي عشرة» بدل كلّ من كلّ، والتمييز محذوف، أي: اثنتي عشرة فرقة، ولو كان «أسباطاً»

تمييزاً عن اثنتي عشرة لذكر العددان، ولقيل: اثني عشر، بتذكيرهما وتجريدهما من علامة التأنيث، لأن السبط ـ واحد الأسباط ـ مذكَّر.

رأي ابن مالك:

وزعم ابن مالك في «شرح الكافية» أنه لا حذف، وأن «أسباطاً» تمييز، وإن ذكرا مما رجح حكم التأنيث في «أسباطاً» لكونه وصف بـ«أمماً»، جمع أمة، كما رجَّحه، أي: التأنيث في «شخوص» ذكر «كاعبان ومعصر» في قول عمر بن أبي ربيعة:

فكـان مجنِّـي دون مـن كنـت أتَّقـي
ثـلاث شخـوصٍ كـاعبـان ومعصر

وكان القياس «ثلاثة شخوص»، لأن الشخص مذكر، ولكنه لما فسَّره بكاعبان ومعصر ـ وهما مؤنثان ـ رجح تأنيثه، وما ذكره الناظم في الآية مخالف لما قاله في شرح التسهيل: إن «أسباطاً» بدل لا تمييز».

هذا القول بالبدلية من اثنتي عشرة مشكل على قولهم: إن المبدل منه في نية الطرح غالباً، ولو قيل: وقطعناها أسباطاً، لفاتت فائدة كمية العدد، وحمله على غير الغالب، ولا يجوز تخريج القرآن عليه. والقول بأنه تمييز مشكل على قولهم: إن تمييز العدد المركب مفرد، و«أسباطاً» جمع، وقال الحوفي: «يجوز أن يكون «أسباطاً» نعت لفرقة، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، و«أمماً» نعت لـ«أسباطاً» وأنث العدد وهو واقع على الأسباط وهو مذكر؛ لأنه بمعنى فرقة وأمة، كقوله: ثلاثة أنفس، يعني رجالا»اهـ. فارتكب الوصف بالجامد، والكثير خلافه. وذهب الفراء إلى جواز جمع التمييز، وظاهر الآية يشهد له.

(٢) حكم العـدد المركب:

«أحد عشر» إلى « تسعة عشر» مبني، إلا اثني عشر، وحكم آخر شطريه حكم نون التثنية، ولذلك لا يضاف إضافة أخواته، فلا يقال: هذه اثنا

عشرك، كما قيل: هذه أحد عشرك. أما «أثنا عشر» فإن الاسم الأول معرب، لأن الاسم الثاني حلّ منه محل النون، فجرى التغيير على الألف مع الاسم الذي بني معه، كما جرى التغيير عليها مع النون، وتقول في تأنيث هذه المركبات: إحدى عشرة واثنتا عشرة أو ثنتا عشرة وثلاث عشرة وثماني عشرة، تثبت علامة التأنيث في أحد الشطرين لتنزلهما منزلة شيء واحد، وتعرب اثنتين كما أعربت الاثنين. وشين العشرة يُسكّنها أهل الحجاز ويكسرها بنو تميم. والعرب على فتح الياء، «ثماني عشرة» ومنهم من يُسكّنها.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ الواو عاطفة، والظرف متعلق باذكر محذوفاً، وجملة قيل في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولهم جار ومجرور متعلقان بقيل، وجملة اسكنوا في محل نصب مقول القول، وهذه اسم إشارة في محل نصب مفعول به على السعة، والقرية بدل. وقد مرت هذه الآية بلفظها مع تغيير قليل في البقرة. ولا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض، ولا تناقض بين قوله: «اسكنوا هذه القرية وكلوا منها» وبين قوله: «فكلوا» لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها. وسواء قدموا الحطّة على دخول الباب، أو أخّروها، فهم جامعون في الإيجاد بينهما. وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ تقدم إعرابها في البقرة: فجدّد به عهداً،

وحطة قلنا إنها خبر لمبتدأ محذوف، أي: مسألتنا حطة، أي: أن تحطّ عنا خطايانا ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ﴾ تقدم إعرابها في سورة البقرة أيضاً فلا داعي للإعادة. ﴿ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ الفاء عاطفة، وبدل الذين فعل وفاعل، وجملة ظلموا صلة الموصول لا محل لها، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وفي الكلام حذف، والمحذوف هو المفعول الثاني لبدّل، وتقديره: بالذي قيل لهم، وقولاً مفعول به، وغير صفة، والذي اسم موصول في محل جر بالإضافة، وجملة قيل لهم صلة لا محل لها، أي قالوا: حبة بدل حطّة، ولا داعي لهم إلى ذلك إلا قصد السخرية من موسى وإغاظته ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ فأرسلنا عطف على فبدّل، وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، وبما جار ومجرور متعلقان بأرسلنا، والباء سببية، وما اسم موصول أو مصدرية، وكانوا كان واسمها، وجملة يظلمون خبرها.

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى
ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا
تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ
قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا
لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ مجاورة له، وقريبة منه، وراكبة لشاطئه. واختلف في

هذه القرية فقيل: هي أيلة، وقيل: مدين، وقيل: طبريا. والعرب تسمي المدينة قرية. وعن أبي عمرو بن العلاء: ما رأيت قرويّين أفصح من الحسن والحجاج. يعني: رجلين من أهل المدن. وفي ضمن هذا السؤال فائدة جليلة، وهي تعريف اليهود بأنّ ذلك مما يعلمه رسول الله، وأن اطلاعه لا يكون إلا بإخبار من الله سبحانه، فيكون دليلاً على صدقه.

﴿ يَعْدُونَ ﴾: يعتدون أو يتجاوزون.

﴿ سَبْتِهِمْ ﴾ السبت: مصدر سبتت اليهود إذا عظّمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد. والسبت في اللغة: القطع. فكأنهم باختيارهم يوم السبت عيداً قد اختاروا ما فيه قطيعتهم. يقال: سبتوا سبتاً من باب ضرب، وأسبتوا بالألف لغة فيه.

﴿ شُرَّعًا ﴾: جمع شارع من شرع عليه إذا دنا وأشرف، أي: تأتيهم ظاهرة على وجه الماء، طافية فوقه، قريبة من الساحل.

﴿ بَئِيسٍ ﴾: شديد، فعيل من بؤس يبؤس: إذا اشتد.

﴿ عَتَوْا ﴾: تكبّروا.

﴿ خَاسِئِينَ ﴾: صاغرين.

○ الإعراب:

﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ الواو عاطفة، واسألهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به، وعن القرية جار ومجرور متعلقان باسألهم، والتي اسم موصول نعت للقرية، وجملة كانت لا محل لها لأنها صلة الموصول، واسم كانت مستتر، أي: هي، وحاضرة البحر خبر كانت ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ إذ ظرف متعلق بالمضاف المحذوف والذي، تقديره: عن حال القرية، ويعدون فعل مضارع وفاعله والجملة في محل جر بالإضافة ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ الظرف بدل من الظرف السابق، أو متعلق بيعدون، أي: إذا عدوا في السبت

إذ أتتهم، وجملة تأتيهم في محل جر بالإضافة، وحيتانهم فاعل تأتيهم، وشرعاً حال من حيتانهم، ويوم عطف على إذ، وجملة لا يسبتون في محل جر بالإضافة ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الكاف ومجروره في موضع نصب على أنه مفعول مطلق، أي: لا يأتي مثل ذلك الإتيان، والأول أرجح. والباء سببية، وما مصدرية، أي: نبلوهم بسبب فسقهم، وجملة يفسقون خبر كانوا ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ عطف على إذ يعدون، وحكمه حكمه في الإعراب، أي: بدل من المحذوف، وهو حال القرية وخبرها أو أهلها، وجملة قالت في محل جر بالإضافة، وأمة فاعل، ومنهم: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأمة ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ اللام حرف جر، وما الاستفهامية حذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها، وقد تقدَّم بحثها، والعلة في هذا الحذف الفرق بين الاستفهام والخبر، والجار والمجرور متعلقان بتعظون، وقوماً مفعول لتعظون، والله: مبتدأ، ومهلكهم: خبر، والجملة الاسمية: صفة «قوماً» وأو: حرف عطف، ومعذبهم: عطف على مهلكهم وعذاباً: مفعول مطلق، وشديداً صفة ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ جملة القول مستأنفة، مسوقة لبيان جوابهم. ومعذرة: قرأ حفص وحده بالنصب. وفيه ثلاثة أوجه قوية: الأول: أنها مفعول لأجله، أي: وعظناهم لأجل المعذرة. والثاني: أنها منتصبة نصب المصدر بفعل مقدر من لفظها، أي: نعتذر معذرة. والثالث: أنها منتصبة انتصاب المفعول به؛ لأن المعذرة تتضمن كلاماً، والمفرد المتضمن لكلام إذا وقع بعد القول نصب نصب المفعول به، كقلت خطبة. وقرأ العامة برفع معذرة. قال سيبويه في اختياره الرفع: لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً، ولكنهم قيل لهم: لم تعظون؟ فقالوا: موعظتنا معذرة، والمعذرة بمعنى الاعتذار، وهو التنصُّل من الذنب. وإلى ربكم جار ومجرور متعلقان بمعذرة، ولعل واسمها، وجملة يتقون خبرها، وجملة الرجاء حالية ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ الفاء استئنافية، ولما رابطة، أو حينية، وجملة نسوا لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة، ونسوا فعل وفاعل، وما مفعول به، وجملة ذكروا بالبناء للمجهول لا محل لها لأنها

صلة، والواو نائب فاعل، وبه جار ومجرور متعلقان بذكروا ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ جملة أنجينا لا محل لها لأنها جواب الشرط غير جازم، والذي مفعول به، وجملة ينهون صلة الموصول، وعن السوء جار ومجرور متعلقان بينهون ﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ عطف على ما تقدم ﴿بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ بعذاب جار ومجرور متعلقان بأخذنا، وبئيس صفة لعذاب، بما الباء حرف جر للسبب، أي: بسبب فسقهم ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة أو حينية، وعما جار ومجرور متعلقان بعتوا، وجملة قلنا لا محل لها، وجملة كونوا في محل نصب مقول القول، وقردة خبر كونوا، وخاسئين صفة.

﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٦٧ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾

☆ **اللغة:**

﴿تَأَذَّنَ﴾: عزم، تفعَّل من الإيذان، أي: الإعلام؛ لأن العازم على الأمر يحدِّث نفسه به ويؤذنها به. قالوا: وأجري مجرى القسم كعلم الله وشهد الله، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم. قال الواحدي: وأكثر أهل اللغة على أن التأذُّن بمعنى الإيذان، وهو: الإعلام. وقيل: إن معناه حتم وواجب، وفي القاموس: تأذن: أقسم.

﴿عَرَضٌ﴾ ـ بفتحتين ـ ما لا ثبات له، ومنه استعار المتكلمون العرض لمقابل الجوهر. وقال أبو عبيدة: العَرَض ـ بالفتح ـ: جميع متاع الدنيا غير النقدين، وبالسكون المال والقيم، ومنه «الدنيا عرض حاضر، وظلّ زائل». وفسَّره الزمخشري بالحطام وقال: «أي حطام هذا الشيء الأدنى، يريد الدنيا وما يتمتع به منها. وفي قوله: هذا الأدنى تخسيس وتحقير. والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب؛ لأنه عاجل قريب، وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها. والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام على تحريف الكلم للتسهيل على العامة». وقد اجتمع المعنيان في بيت لأبي الطيب:

لولا العقولُ لكان أدنى ضَيْغَمٍ
أدنى إلى شَرَفٍ من الإنسانِ

فأدنى الأولى بمعنى أقل وأحقر، وأدنى الثانية بمعنى أقرب.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ الظرف منصوب على المفعولية بفعل مقدر معطوف على: واسألهم، والتقدير: واذكر وقت أن تأذَّن ربك، وجملة تأذَّن في محل جر بإضافة الظرف إليها، وربك فاعل ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ اللام جواب القسم المفهوم من فعل تأذن، ويبعثن فعل مضارع مبني على الفتح، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيبعثنَّ أو بتأذَّن، ومن اسم موصول مفعول يبعثن، وجملة يسومهم لا محل لها لأنها صلة الموصول، وسوء العذاب مفعول به ثان ليسومهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جملة إن واسمها وخبرها تعليلية لا محل لها، وجملة وإنه لغفور رحيم عطف عليها، واللام المزحلقة ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ الواو عاطفة، وقطَّعناهم فعل وفاعل ومفعول به، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بقطعناهم، وأمماً حال، أو مفعول به، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الجملة صفة لـ «أمماً»، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. والصالحون

مبتدأ مؤخر، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم أيضاً، ودون ظرف متعلق بمحذوف صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر، والمعنى: ومنهم ناس منحطُّون عن الصلاح، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، أي: وما منا أحد إلا له مقام، فحذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه، كقولهم: منَّا ظعن ومنا أقام ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وبلوناهم عطف على قطعناهم، وبالحسنات جار ومجرور متعلقان ببلوناهم، والسيئات عطف على الحسنات، ولعل واسمها، وجملة يرجعون خبرها ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الفاء عاطفة، وخلف فعل ماض، ومن بعدهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وخلف فاعل، والخلف ـ بسكون اللام وفتحها ـ من يخلف غيره، وجملة ورثوا الكتاب صفة لخلف ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ الجملة صفة ثانية، وعرض مفعول يأخذون، وهذا مضاف إليه، والأدنى بدل من اسم الإشارة ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ يجوز في الواو أن تكون عاطفة على ما قبلها، أو حالية، وجملة سيغفر لنا في محل نصب مقول القول ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الواو حالية، أي: والحال أنهم إن يأتهم، ويجوز أن تكون للاستئناف، وإن شرطية، ويأتهم فعل الشرط، والهاء مفعول به، وعرض فاعل، ومثله صفة، ويأخذوه جواب الشرط وعلامة جزمه حذف النون ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويؤخذ فعل مضارع مجزوم بلم، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيؤخذ، وميثاق الكتاب نائب فاعل ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أن مصدرية، وهي مع ما في حيزها مصدر محله الرفع على البدلية من ميثاق؛ لأن قول الحق هو ميثاق الكتاب، أو النصب على أنه مفعول من أجله، ومعناه لئلا يقولوا، ويجوز أن تكون «أن» مفسرة لميثاق الكتاب؛ لأنه في معنى القول دون حروفه، و«لا» عندئذ ناهية، ويقولوا فعل مضارع مجزوم بها، أما على أنها مصدرية فـ «لا» نافية، والفعل منصوب بأن المصدرية، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيقولوا، وإلا أداة حصر، والحق يجوز أن يكون مفعولاً به أو مفعولاً مطلقاً، أي: القول الحق ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾

الواو عاطفة، ودرسوا فعل ماض معطوف على «ألم يؤخذ عليهم»، كأنه قيل: أخذ عليهم ميثاق الكتاب، ودرسوا ما فيه. وما مفعول درسوا، وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ الواو استئنافية، أو حالية، والدار مبتدأ، والآخرة صفة، وخير خبر الدار، وللذين جار ومجرور متعلقان بخير، وجملة يتقون: لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف، وقد تقدمت له نظائر، ولا نافية، وتعقلون عطف على هـذا المحـذوف ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الـواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان مزية الصلاة وإنافتها في الفضل ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ الجملة خبر الذين، أو تجعلها اعتراضية، فيكون الخبر محذوفاً تقديره مأجورون. وإن واسمها، ولا نافية، وجملة لا نضيع أجر المصلحين خبر إن، ونعيد إعرابها لرسوخها في الذهن، فالذين مبتدأ، وجملة يمسكون بالكتاب صلة الذين لا محل لها، وجملة أقاموا الصلاة معطوفة على الصلة، وجملة إنا لا نضيع أجر المصلحين خبر المبتدأ، والرابط بينهما إعادة المبتدأ بمعناه، فإن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب، وبالعطف على الذين يتقون ولئن سلم فالرابط العموم: لأن المصلحين أعمّ من المذكورين، أو ضمير محذوف، أي: منهم.

﴿۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧١ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣﴾

☆ **اللغة:**

﴿نَتَقۡنَا﴾: نتق قلع ورفع، ومنه: نتق السقاء؛ إذا نفضه ليقتلع الزبدة

منه. هذا؛ وقد اختلفت عبارات أهل اللغة في النتق، فقال أبو عبيدة: هو قلع الشيء من موضعه والرمي، ومنه نتق ما في الجراب؛ إذا نفضه فرمى ما فيه، وامرأة ناتق ومنتاق: إذا كانت كثيرة الولادة. وفي الحديث: «عليكم بزواج الأبكار، فإنهن أنتق أرحاماً، وأطيب أفواهاً، وأرضى باليسير». وقيل: النتق: الجذب بشدة، ومنه: نتقت السقاء؛ إذا جذبته بشدة لتقتلع الزبد من فمه. وقال الفراء: هو الرفع. وقال ابن قتيبة: هو الزعزعة. على أن هذه الاختلاقات ترجع إلى معنى واحد. والذي يلفت النظر هو أن النون والتاء متى استعملا فاء وعيناً للكلمة، فإن المعنى يحوم حول النزع والقلع والإخراج، وسنعرض كعادتنا، تركيب هذين الحرفين، فمن ذلك نتأ بمعنى رمى، ونتأ ثدي الجارية بمعنى برز ونهد، ونتأ الشيء: خرج من موضعه من غير أن ينفصل، ونتجت الناقة: وضعت ولدها، ومن المجاز: الريح تنتج السحاب، قال الرَّاعي:

أربَّت بها شهرَيْ ربيع عليهم   جنائبُ ينتجن الغمامَ المتاليا

وفي المثل: «إن العجز والتواني تزاوجا فأنتجا الفقر». وهذه المقدمة لا تنتج نتيجة صادقة إذا لم تكن لها عاقبة محمودة، ونتح العَرَقُ من مَناتِحه، ورشح من مراشحه، ونتختُ الشوكةَ من رجلي بالمِنتاخ: أي بالمِنقاش، ونتخَ البازي اللحم بمِنْسره، ونُتخ فلانٌ من أصحابه: نزع منهم، ونتخته المنية من بين قومه، ونتر الثوب: جذبه في شدة، ونتر الوتر مدَّه حتى كاد ينكسر القوس، وفي الحديث: «إذا بال أحدكم فلينتر ذكره ثلاث نَتَرَات»، ونتش الشوكة بالمنتاش، ونقشها بالمنقاش، وما نتش منه شيئاً؛ ما أخذ، وهو ينتش من كلِّ علم، ونتف شعره وانتتفه، وفلان منتوف: مولع بنتف لحيته. ومن المجاز: أعطاه نُتْفة من الطعام وغيره: شيئاً منه، فقول العامة: نُتفة، صحيح، ولكن بضم الميم، وكان أبو عبيدة يقول في الأصمعي: ذاك رجل نُتَفةٌ. ونتُن الشيء: ارتفع نتنه، وفي الحديث: «إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليذكر مناتنها»، وهذا من دقائق العربية، فتدبَّره.

﴿ ظُلَّةٌ ﴾ الظُّلة : ـ بضم الظاء ـ : كل ما أظلك من سقيفة ، أو سحاب .

○ الإعـراب:

﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾ الواو عاطفة، وإذ ظرف زمان متعلق باذكر المحذوفة والمعطوفة على ما تقدم، وجملة نتقنا في محل جر بالإضافة، ونا فاعله، والجبل مفعول به، وفوقهم ظرف مكان متعلق بمحذوف على أنه حال من الجبل، وهي حال مقدرة، لأنه حال النتق لم يكن فوقهم بالفعل بل صار فوقهم بالنتق، أو متعلق بنتقنا، وجملة كأنه ظلة حال من الجبل أيضاً، فيكون الحال متعدداً، وكأن واسمها وخبرها ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ يجوز أن تكون الجملة في محل جر عطفاً على جملة نتقنا المجرورة بالإضافة، ويجوز أن تكون الواو حالية، وقد مقدرة، وقد تقدم مثل هذا التعبير والبحث فيه، وصاحب الحال الجبل، أي: كأنه ظلة في حال كونه مظنوناً وقوعه بهم، ولك أن تجعل الواو استئنافية، فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها، وأن وما في حيزها سدت مسدَّ مفعولي ظنَّ، وأن واسمها وخبرها، وبهم جار ومجرور متعلقان بواقع ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ جملة خذوا في محل نصب مقول قول محذوف، أي: وقلنا لهم: خذوا، وما اسم موصول مفعول به، وجملة آتيناكم لا محل لها لأنها صلة الموصول، وبقوة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: عازمين على احتمال مشاقه وكثرة تكاليفه ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ عطف على ما تقدم، ولعلكم لعل واسمها، وجملة تتقون خبرها، وجملة الرجاء حالية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ عطف على ما تقدم وقد سبق ذكره، وربك فاعل أخذ، ومن بني آدم جار ومجرور متعلقان بأخذ، ومن ظهورهم جار ومجرور في محل جر بدل اشتمال من بني آدم، أو بدل بعض من كل بإعادة الجار، ومعنى إخراج ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلاً وإشهادهم على أنفسهم . وسيأتي بحث ذلك في باب : البلاغة . وذريتهم مفعول به ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ عطف على أخذ، وعلى أنفسهم جار ومجرور متعلقان بأشهدهم

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: قائلاً، وجملة القول حالية، والهمزة للاستفهام التقريري، والتاء اسم ليس، والباء حرف جر زائد، وربكم مجرور لفظاً خبر ليس محلاً، وجملة قالوا مستأنفة، وبلى حرف جواب، وتختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء أكان مجرداً أم مقروناً بالاستفهام التقريري، كما هنا. ولذلك قيل: قالوا: نعم كفروا، من جهة أن «نعم» تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب، فكأنهم أقروا بأنه ليس ربهم ﴿شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ شهدنا فعل وفاعل، وأنْ وما في حيزها في محل نصب مفعول من أجله، أي: فعلنا ذلك كراهة أن تقولوا، ويوم القيامة: ظرف متعلق بتقولوا، وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول القول، وجملة كنا خبر إنا، وغافلين خبر كنا، وعن هذا جار ومجرور متعلقان بغافلين ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أو تقولوا عطف على أن تقولوا، أي: وكراهة أن تقولوا، وإنما كافة ومكفوفة، وجملة إنما أشرك آباؤنا في محل نصب مقول القول، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذرية ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة، وتهلكنا فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والباء حرف جر، وتفيد السببية، وما مصدرية، وفعل المبطلون فعل وفاعل، والمصدر المؤول في محل جر بالباء.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ تشبيه مرسل، وفائدته هنا: إخراج ما لم تجريه العادة إلى ما جرت به العادة.

(٢) في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ إلى آخر الآية، أجمع علماء البيان المتأخرون على أنه لا إخراج، ولا قول، ولا شهادة، وإنما هذا كله محمول على المجاز التمثيلي، فقد شبَّه سبحانه حال النوع الإنساني بعد وجوده بالفعل بصفات التكليف من حيث نصب الأدلة الدالة على ربوبيته سبحانه، المقتضية لأن ينطق ويقرّ بمقتضاها بأخذ الميثاق

عليه بالفعل بالإقرار بما ذكر. أما المتقدمون فيقولون: إنه تعالى أخرج بعضهم من صلب بعض، وجعل لهم العقل والمنطق، وألهمهم ذلك. ولكلٍّ وجهة نظرهم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ الإخلاد إلى الشيء: الميل إليه من الاطمئنان به. وفي المصباح: خلد بالمكان خلوداً، من باب: قعد: أقام، وأخلد بالألف مثله، خلد إلى كذا وأخلد إليه: ركن.

﴿ يَلْهَثْ ﴾: يدلع لسانه، يقال: لهث يلهَث بفتح العين في الماضي والمضارع لَهثاً ولُهاثاً، وهو: خروج لسانه في حال راحته وإعيائه، وهي طبيعة لازمة للكلب، وأما غيره من الحيوان فلا يلهث إلا إذ أعيا، أو عطش. وفي الصحاح: لهث الكلب إذا أخرج لسانه من التعب، أو العطش، وقوله تعالى: ﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ لأنك إذ حملت على الكلب نبح وولّى هارباً، وإن تتركه شدَّ عليك ونبح، فيتعب نفسه في الحالين، فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من إخراج اللسان.

○ **الإعراب:**

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الواو عاطفة، والكاف

ومدخولها صفة لمصدر محذوف، وقد تقدمت له نظائر كثيرة، والآيات مفعول به، ولعلهم الواو عاطفة على محذوف، تقديره: ليتدبروها، ولعل واسمها، وجملة يرجعون خبرها، وجملة الرجاء حالية ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ الواو عاطفة على متعلق «إذ» بقوله: «وإذ أخذ»، واتل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، وعليهم جار ومجرور متعلقان بـ«اتل»، ونبأ مفعول به، والذي مضاف إليه، وجملة آتيناه صلة الموصول، وآياتنا مفعول به ثان، فانسلخ عطف على آتيناه، ومنها جار ومجرور متعلقان بانسلخ ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ أتبع: فعل ماض رباعي يتعدى لواحد فيكون بمعنى أدركه، ويتعدى لاثنين، فتكون الهاء المفعول به الأول، والمفعول به الثاني محذوف، تقديره: فأتبعه الشيطان خطواته، أي: جعله تابعاً لها، والشيطان فاعل، فكان عطف على أتبعه، واسمها مستتر، ومن الغاوين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ والواو حالية، ولو شرطية غير جازمة، وشيئاً فعل وفاعل، واللام جواب لو، وجملة رفعناه لا محل لها، وبها جار ومجرور متعلقان برفعناه ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ الواو عاطفة، ولكن واسمها، وجملة أخلد خبر لكن، وإلى الأرض جار ومجرور متعلقان بأخلد ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ عطف على أخلد، وهواه مفعول به ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ الفاء الفصيحة، ومثله مبتدأ، وكمثل الكلب خبره، وإن شرطية، وتحمل فعل الشرط، وعليه جار ومجرور متعلقان بتحمل، ويلهث جواب الشرط، وأو حرف عطف، وتتركه عطف على فعل الشرط وجوابه المتقدمين، وسيأتي مزيد من القول في محل الجملة الشرطية، لطول الكلام، في باب الفوائد ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ذلك مبتدأ، ومثل القوم خبره، والجملة حالية، والذين نعت للقوم، وجملة كذبوا لا محل لها لأنها صلة، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا تحققت أن المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم، واقصص فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والقصص بمعنى المقصوص مفعول

به، وجملة الرجاء في محل نصب حال من الضمير المخاطب في «اقصص»، والمعنى: راجياً تفكيرهم ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ ساء فعل ماض جامد لإنشاء الذم، ومثلاً تمييز، والقوم مبتدأ، خبره جملة ساء، ولا بد من تقدير محذوف ليكون التمييز والفاعل والمخصوص بالذم كلها متّحدة معنى، والتقدير: ساء مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم، والذين نعت للقوم، وجملة كذبوا بآياتنا صلة. وسيأتي مزيد من القول في هذه الآية في باب: البلاغة ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ الواو عاطفة، وأنفسهم مفعول به مقدم ليظلمون، وكان واسمها، وجملة يظلمون خبرها، ويجوز أن يكون ما بعد الواو العاطفة داخلاً في الصلة معطوفاً على كذبوا، بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم، أو منقطعاً عنها، بمعنى ما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون من البلاغة نجملها فيما يلي، وقد سماه الجاحظ:

(١) المذهب الكلامي:

هذه التسمية كما ذكر ابن المعتز في كتابه، وزعم الجاحظ: أنه لا يوجد منه شيء في القرآن. والكتاب الكريم مشحون به. وتعريف هذا الباب: هو أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجّةٍ تقطعُ المعاند، وتفلُّ سلاح المكابر المتعنت، على طريقة علماء الكلام. ومنه منطقيّ تستنتج فيه النتائج من المقدمات الصادقة. والآية المقصودة بهذا الفن هي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وترتيب المقدمتين في هذه الكلمات والنتيجة أنا نقول: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولو شاء الله رفع بلعام بن باعوراء المقصود بهذه الآية، فقد بعثه الله إلى ملك مدين ليدعوه إلى الإيمان، فأعطاه وأقطعه، فاتبع دينه وترك دين موسى، ففيه نزلت هذه الآية وما بعدها.

هذا؛ ولا يكون المقصود، بالمدح أو الذم إلا من جنس المرتفع بنعم وبئس، فإن وجد كلام ظاهره مخالف لهذا الحكم، فليعلم أن هناك محذوفاً يذكره يرجع الكلام إلى هذا الأصل المقرر، فمن قوله سبحانه: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ والقوم ليسوا من جنس المثل، فالتقدير: ساء مثلاً مثل القوم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وعلى هذا يقاس.

(٢) التشبيه التَّـمثيلي:

في قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ﴾ إلى آخر الآية، فقد شبه حال من أعطي شيئاً فلم يقبله بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولى ذاهباً، وإن تركته شدَّ عليك ونبح، فإن الكلب يعطي الجد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات، وشبه رفضه وقذفه لها وردّه لها بعد الحرص عليها، وفرط الرغبة فيها، بالكلب، إذا رجع ينبح بعد إطرادك له وواجب أن يكون رفض الأشياء الخطيرة النفيسة في خدن طلبها والحرص عليها، والكلب إذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلاً عليك ومدبراً عنك لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش.

* الفوائـد:

الجملة الشرطية في محل نصب على الحال، أي: لاهثاً في الحالتين، قاله الزمخشري وأبو البقاء. وقال بعضهم: «وأما الشرطية فلا تقع بتمامها موقع الحال، فلا يقال: جاء زيد إن يسأل يعط، على الحال، بل لو أريد ذلك لجعلت الشرطية خبراً عن ضمير ما أريد الحال عنه، نحو: جاء زيد هو وإن يسأل يعط، فيكون الواقع موقع الحال، ولكن بعد ما أخرجوها عن حقيقة الشرط. وتلك الجملة لم تخل من أن يعطف عليها ما يناقضها أو لم يعطف، والأول ترك الواو مستمراً فيه، نحو: أتيتك إن أتيتني وإن لم تأتني، إذ لا يخفى أن النقيضين من الشرط في مثل هذا الموضع لا يبقيان على معنى الشرط، بل يتحولان إلى معنى التسوية، كالاستفهامين المتناقضين في قوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾، وأما الثاني فلا بدَّ فيه من الواو، نحو: أتيتك وإن لم تأتني، ولو ترك الواو لالتبس بالشرط حقيقة، فقوله: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ من قبيل الأول؛ لأن الحمل عليه والترك نقيضان. وهذا من أدق المباحث، فتأمَّله؛ لأنه جدير بالتأمل.

﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ذَرَأْنَا﴾: خلقنا.

○ **الإعراب:**

﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ من اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم ليهد، والله فاعله، والفاء رابطة لجواب الشرط، وهو مبتدأ، والمهتدي خبره، وقد راعى هنا لفظ «من» فأفرد المهتدي ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة، وراعى هنا معنى «من» فجمع الخاسرين ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الواو عاطفة ليتساوق كلام لله تعالى في وصفهم ووصف مآلهم. واللام جواب لقسم المحذوف، وذرأنا فعل وفاعل، ولجهنم جار ومجرور متعلقان بذرأنا، وكثيراً مفعول به، ومن الجن والإنس صفة لـ «كثيراً» ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ لهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وقلوب مبتدأ مؤخر، والجملة حال من «كثيراً»، وإن كان نكرة لتخصيصه بالوصف، وجملة لا يفقهون صفة لقلوب. ومثل ذلك يقال في الجملتين التاليتين ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ أولئك مبتدأ،

وكالأنعام جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وبل حرف إضراب وعطف، وهم مبتدأ، وأضل خبر، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل لا محل له، والغافلون خبر أولئك، أو «هم» مبتدأ، والغافلون خبر «هم»، وجملة هم الغافلون خبر أولئك.

□ البلاغة:

في الآية التشبيه التمثيلي، فقد شبه اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله ﷺ، مع علمهم أنه النبي الموعود بمن عدموا فهم القلوب، وإبصار العيون، واستماع الآذان، وجعلهم لإغراقهم في الكفر وإصرارهم على الضلال بمثابة من خلقوا للنار لا ينفكون عنها أبداً، ثم شبَّههم بالأنعام بل بما هو دون الأنعام ارتكاساً، وسفهاً، وتدنياً في مهابط الرزيلة، والآثام.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ
كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾
أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ
وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

☆ اللغة:

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: مؤنث الأحسن، كالكبرى والصغرى، وقيل: الحسنى: مصدر وصف به كالرُّجْعَى، وأفرده كما أفرد وصف مالا يعقل في قوله: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾، ولو طوبق به لكان التركيب الحسن كقوله: ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

﴿ يُلْحِدُونَ﴾ : مضارع ألحد بمعنى : مال، وانحرف.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ : سنستدنيهم قليلاً إلى ما يهلكهم، والاستدراج : النقل درجة بعد درجة، من الدرج، وهو: الطيّ، ومنه دَرَجَ الثوب: إذا طواه.

﴿ وَأُمْلِي﴾ : الإملاء : الإمهال، والتطويل.

﴿ جِنَّةٍ﴾ : ـ بكسر الجيم وتشديد النون ـ: أي : جنون.

○ الإعـراب:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ الواو استئنافية، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والأسماء مبتدأ مؤخر، والحسنى صفة، فادعوه الفاء الفصيحة، وادعوه فعل وفاعل ومفعول به، وبها جار ومجرور متعلقان بادعوه ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ الواو عاطفة، وذروا فعل أمر وفاعل، والذين اسم موصول مفعول به، وجملة يلحدون صلة الموصول، وفي أسمائه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والمعنى: واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيه ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ سيجزون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وما مفعول به ثان، وجملة كانوا يعملون صلة الموصول، وجملة يعملون خبر كانوا ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ الواو عاطفة، وممن جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وجملة خلقنا صلة الموصول، وأمة مبتدأ مؤخر، وجملة يهدون بالحق صفة لأمة، وبه جار ومجرور متعلقان بيعدلون ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية، والذين مبتدأ، وجملة كذبوا صلة الموصول، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا، وجملة سنستدرجهم من حيث لا يعلمون خبر، ولك أن تنصب الذين بفعل محذوف على الاشتغال، والتقدير: سنستدرج الذين كذبوا، أي: سننقلهم درجة بعد درجة من علو إلى سفل، أي: نقربهم إلى الهلاك بإمهالهم. ومن

حيث جار ومجرور متعلقان بنستدرجهم، وجملة لا يعلمون في محل جر بالإضافة ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ يجوز أن تكون الواو عاطفة، وأملي معطوف على نستدرجهم، على نحو من الالتفات، والذي نراه أنها مستأنفة على أنها خبر لمبتدأ محذوف، أي: وأنا أملي لهم، ولهم جار ومجرور متعلقان بأملي، وإن كيدي متين الجملة بمثابة التعليل لقوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويتفكروا فعل مضارع مجزوم بلم، وما نافية، وبصاحبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وجنة مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب معمولة ليتفكروا، فهو عامل فيها، لوجود المعلق له وهو «ما» النافية، ويجوز أن تكون «ما» استفهامية في محل رفع مبتدأ، والخبر بصاحبهم، ومن جنة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ إن نافية، وهو مبتدأ، وإلا أداة حصر، ونذير خبر، ومبين صفة ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ تقدم إعراب نظيرها، وفي ملكوت السموات والأرض جار ومجرور متعلقان بينظر، وما عطف على ملكوت، وجملة خلق صلة الموصول، ومن شيء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ الواو عاطفة، والجملة في محل جر عطفاً على «ما» قبلها، أي: في أن، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف، وخبرها جملة عسى، واسم عسى مستتر، وأن وما في حيزها خبرها، واسم يكون ضمير الشأن أيضاً، وجملة قد اقترب أجلهم خبرها ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ الفاء استئنافية، وبأي جار ومجرور متعلقان بيؤمنون، والجملة مستأنفة، مسوقة للتعجب، أي: إذا لم يؤمنوا بهذا الحديث فكيف يؤمنون بغيره! والضمير عائد على القرآن أو الرسول ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴾ من اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم ليضلل، والله فاعل، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وهادي اسمها، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ﴿ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الواو استئنافية، وجملة يذرهم مستأنفة، والهاء

مفعول به، في طغيانهم جار ومجرور متعلقان بيعمهون، وجملة يعمهون حال من الهاء، وقرىء: «ويذرْهم» بالجزم عطفاً على محل قوله: «فلا هادي له» المجزوم.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلسَّاعَةِ ﴾: القيامة، وسميت بذلك لوقوعها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو على العكس لطولها، أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق. وهي من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا.

﴿ مُرْسَىٰهَا ﴾ مصدر ميمي من أرسى، والإرساء: الاستقرار، والإثبات، والثلاثي منه رسا، ورسا الشيء ثبت، ورست السفينة: وقفت عن الجري.

﴿ يُجَلِّيهَا ﴾: يظهرها.

﴿ حَفِىٌّ ﴾ مبالغ في السؤال، والمراد: كأنك عالم بها؛ لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن، وهذا التركيب معناه المبالغة، ومنه: إحفاء الشارب.

○ **الإعراب:**

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان نمط من ضلالاتهم. ويسألونك فعل وفاعل ومفعول به، وعن الساعة جار ومجرور متعلقان بيسألونك، وأيان اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية،

وسيأتي في باب الفوائد اشتقاقه، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، ومرساها مبتدأ مؤخر، والجملة بدل من الساعة. وقيل: أيان متعلق بمحذوف، أي: يسألونك، ومرساها فاعل لهذا الفعل المحذوف ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وعلمها مبتدأ، والظرف متعلق بمحذوف خبر، وجملة لا يجليها حال، ولوقتها جار ومجرور متعلقان بيجلّيها، وجملة إنما وما في حيزها في محل نصب مقول القول، وإلا أداة حصر، وهو فاعل يجليها، أو تأكيد للفاعل المستتر ﴿ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الجملة مستأنفة، وفي السموات جار ومجرور متعلقان بثقلت، سواء أكان «في» بمعنى «على»، أو على بابها من الظرفية، والمعنى حصل ثقلها، وهو شدتها أو المبالغة في إخفائها في هذين الظرفين، أو عليهما ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ الجملة مستأنفة، مقررة لمضمون ما قبلها، ولا تأتيكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وإلا أداة حصر، وبغتة حال، أو مفعول مطلق ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾: الجملة مستأنفة، وسيأتي سر هذا التكرير في باب البلاغة. ويسألونك فعل وفاعل ومفعول به، وجملة كأنك حالية، وكأن واسمها، وحفي خبرها، وعنها جار ومجرور متعلقان بحفي ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ تقدم إعرابها قريباً ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لحسم أطماعهم بعد إعلان نفض يده منهم. وجملة لا أملك في محل نصب مقول القول، ولا نافية، وأملك فعل مضارع وفاعل مستتر، ونفعاً مفعول به، ولنفسي جار ومجرور متعلقان بأملك، أو بمحذوف حال من «نفعاً»؛ لأنه كان في الأصل صفة له لو تأخر عنه، وإلا أداة استثناء، وما مستثنى من «نفعاً وضراً»، أو بدل منهما، وقيل: الاستثناء منقطع، فهو متعين النصب على الاستثناء ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية، وكان واسمها، وجملة أعلم خبرها، والغيب مفعول به، ولاستكثرت: اللام واقعة في جواب لو، واستكثرت فعل وفاعل، ومن الخير جار ومجرور متعلقان باستكثرت، والجملة لا محل لها ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ الواو عاطفة، وجملة ما مسني السوء

عطف على استكثرت، وما نافية ﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ إن نافية، وأنا مبتدأ، وإلا أداة حصر، ونذير خبر، وبشير عطف على نذير، ولقوم جار ومجرور متعلقان بنذير وبشير، وجملة يؤمنون صفة لقوم.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ نوع من التكرير لم يدونه علماء البلاغة في معرض حديثهم عن التكرير، وهو أن الكلام إذا بني على مقصد ما، واعترض في أثنائه عارض، فأريد الرجوع لتتميم المقصد الأول، وقد بعد عهده، طرّي بذكر المقصد الأول، لتتصل نهايته ببدايته، وقد تقدمت إليه الإشارة، وهذا منها. فإنه لما ابتدأ الكلام بقوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ ثم اعترض ذكر الجواب المضمن في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ إلى قوله ﴿ بَغْتَةً﴾ أريد تتميم سؤالهم عنها بوجه من الإنكار عليهم، وهو المضمن في قوله: ﴿ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ وهو شديد التعلق بالسؤال، وقد بعد عهده، فطرّي ذكره تطرية عامة، ولا نراه أبداً يطرّي إلا بنوع من الإجمال، كالتذكرة للأول مستغني عن تفصيله بما تقدم، فمن ثم قيل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ولم يذكر المسؤول عنه ـ وهو الساعة ـ اكتفاء بما تقدم. فلما كرر السؤال لهذه الفائدة كرر الجواب أيضاً مجملاً فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾.

* الفوائد:

﴿ أَيَّانَ﴾ بمعنى متى، إن كانت اسم استفهام، أو اسم شرط، وقيل: اشتقاقه من «أي» وهي «فعلان» منه، لأن معناه: أي وقت وأي فعل، من أويت إليه؛ لأن البعض آوٍ إلى الكل، متساند إليه. قال ابن جني: وأبى أن يكون من «أين» لأنه زمان و«أين» مكان. وقال غيره: أصل أيان «أي آن» فهي مركبة من «أي» المتضمنة معنى الشرط و«آن» بمعنى حين، فصارتا بعد التركيب اسماً واحداً، للشرط في الزمان المستقبل، مبني على الفتح، وكثيراً ما تلحقها «ما» الزائدة للتوكيد، كقوله:

إذا النعجةُ الأدماءُ بانتْ بقفرةٍ فأيّان ما تعدل بـه الرّيـحُ تنزل

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾

○ ٱلإِعْرَابُ:

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ كلام مستأنف لخطاب أهل مكة. وهو مبتدأ، والذي خبره، وجملة خلقكم صلة، ومن نفس جار ومجرور متعلقان بخلقكم، وواحدة صفة ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ﴾ جعل بمعنى خلق معطوف على خلقكم، وفاعله ضمير مستتر، ومنها جار ومجرور متعلقان بجعل، وزوجها مفعول به، واللام للتعليل، ويسكن فعل مضارع منصوب وفاعله هو، وإليها جار ومجرور متعلقان بيسكن، والمراد بالنفس آدم، وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النفس ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ ﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وجملة حملت لا محل لها، وحملاً إن كانت مصدراً فهي مفعول مطلق، وإن كانت بمعنى الجنين فهي مفعول به، وخفيفاً نعت أتى به للإشعار بعدم التأذي به، كما يصيب الحوامل عادة من آلام الحمل، أو إشارة إلى ابتدائه وكونه نطفة لا تثقل البطن. والفاء عاطفة، ومرت عطف على حملت، وبه جار ومجرور متعلقان بمرت، أي: ترددت في إنجاز مهامها وإظهارها من غير مشقة ولا إعنات ﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، ودعوا الله فعل ماض وفاعل ومفعول به، وربهما بدل ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ اللام موطئة للقسم، وجملة القسم مستأنفة لتدل على الجملة القسمية، وإن شرطية،

وآتيتنا فعل وفاعل وهو فعل الشرط، ونا مفعول به، وصالحاً صفة لمفعول محذوف نابت عنه، أي: ولداً صالحاً، واللام واقعة في جواب القسم لتقدمه، ونكونن فعل مضارع ناقص، مبني على الفتح، واسمها ضمير مستتر تقديره نحن، ومن الشاكرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، وجملة لئن آتيتنا تفسيرية لجملة دعوا الله، كأنه قيل: فما كان دعاؤهما؟ [قيل:][1] ما قالاه، ولك أن تجعلها مقولاً لقول محذوف، تقديره: فقالا: لئن آتيتنا، وجملة لنوكنن جواب القسم، وجواب الشرط محذوف على ما تقرر ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ شركاء مفعول جعلا، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشركاء، وتقدَّم، وفيما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشركاء، وجملة آتاهما صلة، والمعنى: آتى أولادهما، وقد دل على ذلك قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ حيث جمع الضمير، وآدم وحواء بريئان من الشرك. والفاء حرف عطف، وجملة «تعالى الله» عطف على خلقكم، وما بينهما اعتراض. ويجوز أن تكون الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة، وسيأتي في باب الفوائد سرُّ هذا الخطاب، وما قاله العلماء فيه. والله فاعله، وعما جار ومجرور متعلقان بتعالى، وجملة يشركون لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، ويشركون فعل مضارع، والواو فاعل، وما مفعول به، وجملة لا يخلق صلة الموصول، والواو حالية، وهم مبتدأ، وجملة يخلقون بالبناء للمجهول خبر «هم»، والواو نائب فاعل، والجملة مستأنفة، مسوقة لتوبيخهم على ما اقترفوه. وهذا الضمير يعود على الأصنام المعبّر عنها بـ «ما»، وعبرّ عنها بـ «ما» لاعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه في العقلاء، ويجوز أن يعود على الكفار، أي: وهم مخلوقون لله، فلو تفكروا في ذلك لآمنوا ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ الجملة معطوفة على سابقتها، وأنفسهم مفعول به مقدم لينصرون.

---

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع.

* الفوائد:

المراد في الخطاب الوارد في هذه الآيات شغل العلماء والمفسرين، وخاضوا فيه كثيراً، ولا يتسع المجال لنقل ما قالوه في هذا الصدد. وأسلم ما نراه وأقربه إلى الصواب والمعقول أن يكون المراد جنسي الذكر والأنثى، لا يقصد فيه إلى معين، ويكون المعنى حينئذ: خلقكم جنساً واحداً، وجعل أزواجكم منكم أيضاً لتسكنوا إليهن، فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر الجنس الذي هو الأنثى جرى من الجنسين كذا وكذا. وقيل: الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ـ وهم آل قصيّ ـ ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد:

فيا لَقُصَيٍّ ما زَوى الله عنكمُ
به من فَخَارٍ لا يُبارى وسُؤددِ

وقبل هذا البيت:

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائه
رفيقين حلاَّ خَيْمَتَيْ أمّ معبدِ
هما نزلا بالبرِّ ثمَّ ترحَّلا
فيا فَوْزَ مَن أمسى رفيقَ محمدِ

وبعده:

ليهنِ بني سعدٍ مقامُ فتاتهم
ومقعدُها للمؤمنين بمرصدِ

والقائل مجهول.

روى التاريخ أنه حين خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً يصحبه أبو بكر، وجهل أهلهما خبرهما بعد خروجهما من الغار، هتف الهاتفون بهذا القول. وأم معبد امرأة من بني سعد، نزلا عندها. و«يا لقصيّ» أصله: يا آل قصي، أو تكون لام الاستغاثة، والجار والمجرور متعلقان بما في «يا» من معنى الفعل.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لخطاب عبدة الأصنام، أي: وإن تدعوا آلهتكم إلى طلب هدى ورشاد كما تطلبونه من الله لا يتابعوكم على مرادكم. وإن شرطية. وتدعوهم فعل الشرط، والواو فاعل، والهاء مفعول به يعود على الأصنام، وإلى الهدى جار ومجرور متعلقان بتدعوهم، ولا نافية، ويتبعوكم جواب الشرط المجزوم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ سواء خبر مقدم، وعليكم جار ومجرور متعلقان بسواء، والهمزة للاستفهام، وهي همزة التسوية التي تؤوّل ما بعدها بمصدر، وقد مرَّ ذكرها في البقرة، وما في حيزها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، ولك أن تعرب «سواء» خبراً لمبتدأ محذوف، والمصدر المؤول فاعل لسواء الذي أجري مجرى المصادر، وأم عاطفة وتُسمَّى متصلة، وقد سبق ذكرها، وأنتم مبتدأ، وصامتون خبر، والجملة معطوفة على الجملة السابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما تقدمها، وإن واسمها، وجملة تدعون صلة، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال. وعباد خبر إنَّ، وأمثالكم صفة لعباد، ووصف الأصنام بأنها عباد أمثالهم مع أنها جمادات، ولفظ العباد إنما يطلق على الأحياء العقلاء، وعبرّ عنها بضرورة في قوله: «فادعوهم»، وقوله: «فليستجيبوا لكم»، إنما ساغ ذلك كله لأنهم لما اعتقدوا أُلوهيتها لزمهم

كونهم حية عاقلة وإن كانت في الواقع خلاف ذلك، ولكن وردت الألفاظ على مقتضى اعتقادهم. وسيأتي مزيد من التحقيق في هذا في باب الفوائد ﴿فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا صح ذلك ـ وهو لم يصح إلا في اعتقادهم وعرفهم ـ فادعوهم. وادعوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به، وقوله: «فليستجيبوا» الفاء عاطفة، واللام لام الأمر، ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، ولكم جار ومجرور متعلقان بيستجيبوا، وإن شرطية، وكنتم صادقين فعل الشرط، والجواب محذوف دلت عليه الفاء الفصيحة، أي: فادعوهم، وصادقين خبر كنتم ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ﴾ كلام مستأنف بمثابة التوبيخ لهم على عقولهم القاصرة. والهمزة للاستفهام الإنكاري مع النفي، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وأرجل مبتدأ مؤخر، وجملة يمشون بها صفة ﴿أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ﴾ أم عاطفة بمعنى بل، والجملة معطوفة على سابقتها، وكذلك قوله: ﴿أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ﴾ أي: ليس لهم شيء من ذلك البتة مما هو لكم، فكيف تعبدونهم؟ وأنتم أتمّ منهم، وأكمل حالاً ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ جملة ادعوا شركاءكم مقول القول، وثم حرف عطف وتراخ، وكيدونِ عطف على ادعوا، والفاء عاطفة، ولا ناهية، تنظرون فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والنون للوقاية، وياء المتكلم محذوفة، وقد تقدم القول في جواز حذفها في البقرة.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ﴾ بها إلى قوله: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ فنّ بديعي معروف باسم نفي الشيء بإيجابه، وهو أن يثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه بشرط أن يكون المثبت مستعاراً، ثم ينفي ما هو من سببه مجازاً، والمنفي حقيقة في باطن الكلام، وهو الذي أثبته لا الذي نفاه، وفي الآيات المتقدمة يقتضي نفي الإلهية جملة عمن يبصر ويسمع من الآلهة المتخذة من دون الله تعالى،

فكيف من لا يسمع ولا يبصر منها. وقد تقدمت له أمثلة، وسيأتي المزيد منه.

* الفوائـد:

لم ير أشهر المفسرين إشكالاً في إطلاق لفظ «عباد» على الأصنام، فابن جرير ـ الذي هو أشدهم عناية بتقرير كل ما كان يعدّ شكلاً والجواب عنه ـ لم يورده في الآية، وفسّر العباد بالأملاك، وأما مَن بعده من المفسرين فقد أوردوا ذلك، وأجابوا عنه بجوابين نقلهما الرازي.

عبـارة الرّازيّ:

أحدهما: أن المشركين لما ادَّعوا أنها تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاهمة، فلا جرم وردت هذه الآية على وفق معتقداتهم، ولذلك قال: ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ولم يقل: التي.

والجواب الثاني: أن هذا لغو ورد في معرض الاستهزاء بهم، أي: قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء، فإذا ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم، ولا فضل لهم عليكم، فلم جعلتم أنفسكم عبيداً؟ وجعلتموهم آلهة وأرباباً.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

☆ اللـغـة:

﴿وَلِـِّۧيَ﴾: ناصري ومتولي أموري.

﴿ٱلْعَفْوَ﴾: اليسر وضدّ الجهد. أي: خذ ما عفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم، وما أتى منهم، وتسهَّل من غير تكلّف ولا إعنات، ولا تحرجهم

وتشق عليهم، وقال النبي ﷺ في هذا المعنى: «يسّروا ولا تعسّروا». وقال:

خُذي العفوَ مني تستديمي مودَّتي
ولا تنطقي في سَوْرَتي حين أغضبُ

﴿ بِٱلْعُرْفِ﴾: بضم العين: المعروف، وكل جميل من الأفعال.

قال الحطيئة:

مَن يفعل الخيرَ لا يعدمْ جوازيَهُ   لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والنَّاسِ

﴿ نَزْغٌ ﴾: النخس والغرز، شبَّه وسوسة الشيطان بغرز السائق لما يسوقه.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إن واسمها وخبرها، والذي صفة لله، وجملة نزل الكتاب صلة الموصول ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الواو حالية، أو عاطفة، وهو مبتدأ، وجملة يتولى الصالحين خبر ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ عطف على ما تقدم، وقد مرَّ إعرابه آنفاً، وأنفسهم مفعول به مقدم لينصرون ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ﴾ عطف أيضاً، وإن الشرطية وفعلها وجوابها ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الواو استئنافية، وتراهم فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره أنت، والهاء مفعول به، وجملة ينظرون إليك حالية، والواو للحال، وهم مبتدأ، وجملة لا يبصرون خبر، وجملة وهم لا يبصرون حال أيضاً ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ خذ فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، والعفو مفعول به، وفعلا الأمر الآخران عطف عليه ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، أدغمت نونها بما الزائدة، وينزغنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم فعل الشرط، ومن الشيطان جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه في الأصل كان صفة لـ «نزغ»، ونزع

فاعل، فاستعذ: الفاء رابطة لجواب الشرط، لأن الجواب بعدها طلبي، واستعذ فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، وبالله جار ومجرور متعلقان باستعذ، وإن واسمها وخبرها، وجملة إن وما في حيزها للتعليل والاستئناف.

□ البلاغة:

أعجب العرب كثيراً بقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ إلى آخر الآية، لما فيها من سهولة سبك، وعذوبة لفظ، وسلامة تأليف، مع ما تضمنته من إشارات بعيدة، ورموز لا تتناهى، وأطلقوا على هذا النوع من الأساليب اسم فنّ يقال له «الانسجام»، وهو أن يكون الكلام متحدِّراً كتحدُّر الماء المنسجم، حتى يكون للجملة من المنثور وللبيت من المنظوم وقع في النفوس، وتأثير في القلوب، ما ليس لغيره.

نماذج شعرية من الانسجام:

ومن النماذج الشعرية لهذا الفنِّ التي خلت من البديع، إلا أن يأتي ضمن السهولة، من غير قصد، كقول بعضهم، وينسب إلى ديك الجنّ الشاعر الحمصي:

يا بديعَ الدَّلِّ والغَنَجِ ... لك سلطانٌ على المُهَجِ
إنَّ بيتاً أنت ساكنُه ... غيرُ مُحتاج إلى السُّرُجِ
وجهُكَ المأمولُ حُجَّتُنَا ... يوم تأتي الناسُ بالحجج

ولبهاء الدين زهير:

لحاظُكَ أمضى من المرهفِ ... وريقُكَ أشهى من القَرْقَفِ
ومن سيفِ لحظك لا أتَّقي ... ومن خمرِ ريقك لا أكتفي
أقاسي المنونَ لنيل المنى ... ويا ليت هذا بهذا يفي
زها وردُ خدَّيكَ لكنه ... بغير النواظرِ لم يقطفِ
وقد زعموا أنه مضعفٌ ... وما علموا أنه مُضعِفي

ومما يستحق أن يغنى به قول صفيّ الدين، وقد بلغ غاية الانسجام:

قـالـت: كحلـتَ الجفـونَ بـالـوسـنِ
قلـت: ارتقـابـاً لطيفـكِ الحسـنِ
قـالـت: تسلَّيـتَ بعـد فـرقتنـا
قلـت: عـن مَسْكنـي وعـن سكنـي
قـالـتْ: تشـاغلـتَ عـن محبَّتنـا
قلـت: بفَـرْط البكـاءِ والحـزنِ
قالت: تخلَّيتَ، قلتُ: عن جَلَدِي
قـالـتْ: تغيَّـرتَ، قلـتُ: في بـدني
قالت: أذعتَ الأسرارَ، قلتُ لها:
صيَّـر سـرِّي هـواكِ كـالعلـنِ
قـالـت: فمـا ذا تـرومُ؟ قلـت لهـا:
سـاعـةَ سَعْـدٍ بـالـوصـال تسعفنـي
قـالـتْ: وعيـنُ الـرقيـبِ تـرقبُنـا
قلـت: فـإنِّـي للعين لم أَبِـنِ
أنحلتِنـي بـالبعـادِ عنـكِ فلـو
تـرصَّـدتنـي العيـونُ لم تـرني

ونختم هذه المختارة بالحكاية الآتية: قيل: إن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي، وقد أخنى عليها الزمان، وأذهب بهجتها، وأخلق ديباجتها، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة. فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان، وتمثل بهذه الأبيات:

ولقـد وقفـتُ على ربـوعهـمُ وطُلـولُهـا بيـد البلى نَهْـبُ
فبكيتُ حتى ضجَّ من لَغَبٍ نِضْـوي وعـجَّ بعـذلي الـرَّكـبُ
وتلفتَـتْ عينـي فمـذ خفيَـتْ عنـي الطُّلـولُ تلفَّـتَ القلـبُ

فمر شخص فقال له: أتعرف هذه الأبيات؟ فقال: لا، قال: والله إنها لصاحب هذه الدار، فتعجبا من غريب هذا الاتفاق، والشيء بالشيء يذكر.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ طَٰٓئِفٌ ﴾ : يحتمل أن يكون اسم فاعل من طاف به الخيال يطيف طيفاً، أو مصدر منه، وقد قرأ أهل البصرة «طَيْفٌ»، وكذا أهل مكة، وقرأ أهل المدينة والكوفة: «طائِفٌ».

﴿ ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ اجتبى الشيء: بمعنى جباه لنفسه، أي: جمعه.

﴿ بِٱلْغُدُوِّ ﴾ ـ بضمتين ـ جمع غدوة، بضم الغين وسكون الدال، وهي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ جمع أصيل، وهو: من العصر إلى الغروب.

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ إن واسمها، وجملة اتقوا صلة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، متضمن معنى الشرط، وجملة مسهم في محل جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف، والهاء مفعول به لمسّ، وطائف فاعله، ومن الشيطان جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائف، وإذا وشرطها وجوابها الآتي خبر إن ﴿ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ جملة تذكروا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، والفاء عاطفة، وإذا فجائية، وقد

تقدم الكلام عنها، وهم مبتدأ، ومبصرون خبر ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ اضطربت أقوال المعربين والمفسرين في هذه الآية، وتفادياً للضياع في متاهات الأقوال المتشعبة نجتزىء بأشهر الأقوال وأقربها إلى العقل والمنطق، فنقول: وإخوانهم: الواو استئنافية، وإخوانهم مبتدأ، والضمير فيه يعود على الشيطان؛ لأنه لا يراد به الواحد بل الجنس، والضمير المنصوب في يمدونهم يعود على الكفار، والمرفوع يعود على الشيطان، والتقدير وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين، وعلى هذا فالخبر جار على غير من هو له في المعنى، ألا ترى أن الإمداد مسند إلى الشياطين، وهو في اللفظ خبر عن إخوانهم؟ قال الزمخشري: وهذا الوجه أوجه؛ لأن «إخوانهم» في مقابلة «الذين اتقوا»، وفي الغي جار ومجرور متعلقان بيمدونهم، وثم حرف عطف وتراخ، ولا يقصرون عطف على يمدونهم، ولا نافية. وهناك أوجه ترجع من حيث النتيجة إليه، فنكتفي به ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ ﴾ الواو حرف عطف، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة لم تأتهم في محل جر بالإضافة، وبآية جار ومجرور متعلقان بتأتهم، وجملة قالوا لا محل لها من الإعراب، ولولا حرف تحضيض، فالكلام طلبيّ، أي: اجتبها واخترعها من عند نفسك، كما هي عادتك ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وأتبع فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة يوحى بالبناء للمجهول لا محل لها لأنها صلة الموصول، وإلي جار ومجرور متعلقان بيوحى، ومن ربي جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ هذه الجملة تتمة لمقول القول، داخلة في حيزه، وهذا اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، وبصائر خبره، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبصائر، وهدى عطف على بصائر، وكذلك رحمة ولقوم جار ومجرور متعلقان برحمة، وجملة يؤمنون صفة لقوم ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، ويحتمل أن تكون عاطفة، والكلام من جملة المقول المأمور به، وإذا شرط مستقبل، وجملة قرىء القرآن في

محل جر بالإضافة، والقرآن نائب فاعل، والفاء رابطة، وجملة استمعوا له لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وله جار ومجرور متعلقان باستمعوا، واختلف في الاستماع والمراد به، وأظهر الأقوال أنه الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة أو غير صلاة، وقيل: معنى «فاستمعوا»: فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه. ولعل واسمها، وجملة ترحمون خبرها، وجملة الرجاء حالية ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ الواو عاطفة، واذكر فعل أمر، وربك مفعول به، وفي نفسك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وهو عام في الأذكار، وتضرعاً وخيفة في نصبهما وجهان: أحدهما أنهما مفعولان لأجلهما، والثاني أنهما مصدران وقعا موقع الحال، أي: متضرعين خائفين ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ الواو عاطفة، ودون ظرف متعلق بمحذوف معطوف على في نفسك، أي: في السِّرِّ وفي الجهر، ومن القول جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وبالغدو والآصال: جار ومجرور متعلقان باذكر، والواو عاطفة، ولا ناهية، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا الناهية، ومن الغافلين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر المؤمنين الذين استأهلوا القرب من الله. وإن واسمها، وعند ربك ظرف متعلق بمحذوف لا محل لها من الإعراب؛ لأنه صلة الموصول، وجملة لا يستكبرون خبر إن، والمراد بالعندية القرب من الله والزلفى إليه، وعن عبادته جار ومجرور متعلقان بيستكبرون، ويسبحونه عطف على ما تقدم، وله الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلقان بيسجدون، ويسجدون عطف على يسبحونه، ويجوز أن تكون الواو حالية، أو استئنافية، وجملة يسبحونه خبر لمبتدأ محذوف، أي: وهم يسبحونه.

* الفوائـد:

وهذا فصل ممتع للإمام الغزالي ننقل بعضه لمناسبته ونفاسته. قال: «ولأجل شرف ذكر الله عظمت رتبة الشَّهادة؛ لأنَّ المطلوب الخاتمة، ونعني

بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله تعالى، والقلب مستغرق بالله عز وجل، فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فبه قطع الطّمع عن مهجته وأهله، وماله وولده، بل من الدنيا كلّها، فإنه يريدها لحياته. وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل، وطلب مرضاته، فلا تجرّد أعظم من ذلك، ولذلك عظم أمر الشّهادة.

ولما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاريّ يوم أحد قال رسول الله ﷺ لجابر: «ألا أبشّرك يا جابر»؟ قال: بلى، بشّرك الله بالخير، قال: «إنَّ الله أحيا أباك فأقعده بين يديه، وليس بينه وبينه حجاب ولا رسول. فقال تعالى: تمنَّ عليَّ يا عبدي، ما شئت أعطيكه. فقال: يا ربّ! إن تردّني إلى الدنيا حتَّى أقتل فيك وفي نبيّك مرّة أخرى. فقال الله عزّ وجل: سبق القضاء منّي بأنهم إليها لا يرجعون». ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة.

وصيَّة عمر لبعض قـوَّاده:

وتعجبني دعوة عمر بن الخطاب إلى ذكر الله وخشيته رجاء غوثه ورحمته، في وصية لبعض قواده: «أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدّة على العدوّ، وأقوى المكيدة في الحرب، وأن تكون أنت ومن معك أشدّ احتراساً من المعاصي فيكم من عدوّكم، فإنَّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدّتنا كعدّتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإن لا ننصر عليهم بطاعتنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم».

* * *

سورة الأنفال

ترتيبها ٨ — آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْأَنفَالِ ﴾ : جمع نَفَل ـ بفتح النُّون والفاء ـ كفرس وأفراس، والمراد بها الغنائم. والنّفل: الزّيادة والغنيمة. ومنه قول لبيد:

إنَّ تقــوَى ربِّنــا خيــرُ نَفَــلْ   وبــإذنِ اللهِ رَيْثِــي وعَجَــل

شبَّه لبيد الثَّواب الذَّي وعده الله عباده على التقوى بالنفل، وهو ما يعده الإمام المجاهد تحريضاً على اقتحام الحرب، فاستعار النفل له على طريق الاستعارة التصريحيَّة، وأخبر به عن التَّقوى؛ لأنَّها سببه. ويجوز استعارة النفل

للتقوى بجامع النفع. وريثي: بطئي، وعجل: أي: عجلي، فحذفت الياء لوزن الشعر. وفي المصباح: النّفل الغنيمة: والجمع أنفال، مثل سبب وأسباب، والنَّفْل ـ بسكون الفاء ـ: مثله.

﴿وَجِلَتْ﴾ وَجِلَ بالكسر في الماضي، يَوْجَلُ بالفتح في المضارع، وفيه لغة أخرى، وهي وجَلَ بفتح الجيم في الماضي، وكسرها في المضارع، فتحذف الواو، كوعد يعد.

○ الإعراب:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير تشريع الغنيمة في الجهاد، ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به، والضمير الفاعل هو من سأل هذا السُّؤال ممن حضروا غزوة بدر. وسأل يكون تارة لاقتضاء معنى في نفس المسؤول، فيتعدى إلى الثاني بعن، كهذه الآية؛ وقد يكون لاقتضاء مادة أو مال، فيتعدَّى لاثنين نحو سألت زيداً مالاً. وعن الأنفال متعلقان بيسألونك كما تقدم، وقل فعل أمر، والأنفال مبتدأ، ولله خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والرسول عطف على الله ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الفاء الفصيحة، واتقوا فعل أمر وفاعل، ولفظ الجلالة مفعول به، وأصلحوا عطف على اتقوا، وذات بينكم مفعول به، ومعنى ذات بينكم: ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبّة واتّفاق. فالبين هنا بمعنى الاتِّصال، ويطلق أيضاً على الفراق، فهو من الأضداد. وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، والتاء اسمها، ومؤمنين خبرها، والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إنما كافة ومكفوفة، والمؤمنون مبتدأ، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان من أراد بالمؤمنين، بذكر أوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث الآتية، والذين خبر، وإذا ظرف لما يستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ذكر الله في محل جر بالإضافة، والله نائب فاعل، وجملة وجلت قلوبهم لا محل لها لأنها جواب

شرط غير جازم ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ عطف الصفة الأولى، وجملة زادتهم لا محل لها، وإيماناً مفعول به ثان، أو تمييز ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ صفة ثالثة داخلة في نطاق الصلة للموصول، وعلى ربهم جار ومجرور متعلقان بيتوكلون، والتقديم يفيد الاختصاص، أي: عليه لا على غيره ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وأردف الصفات الثلاث المتقدمة ـ وهي من أفعال القلوب، وهي: الخشية والإخلاص والتوكل ـ بصفتين من أعمال الجوارح، وهما إقامة الصلاة والصدقة. وقد تقدم إعراب نظائرها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو خبر ثان، والمؤمنون خبر على كل حال، والجملة خبر اسم الإشارة، والجملة مستأنفة، وحقاً صفة لمصدر محذوف، أي: هم المؤمنون إيماناً حقاً، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة، كقولك: هو عبد الله حقاً ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ لهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ودرجات مبتدأ مؤخر، وعند ربهم ظرف متعلق بدرجات؛ لأنها بمعنى أجور، أو يتعلق بمحذوف صفة لدرجات؛ لأنها نكرة، ومغفرة ورزق كريم عطف على درجات.

* الفوائد:

روى التاريخ أن الاختلاف وقع بين المسلمين في غنائم بدر وقسمتها، فسألوا رسول الله ﷺ: كيف تقسم؟ ولمن الحكم في قسمتها؟ أللمهاجرين أم للأنصار؟ أم لهم جميعاً؟ فقيل لهم: هي للرسول وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء، ليس لأحد غيره فيها حكم، وقيل: شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبّانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين، فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا، فقال الشبان: نحن المقاتلون، وقال الشيوخ الوجوه الذين كانوا عند الرايات: إنا كنا ردءاً لكم، وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم، وقالوا لرسول الله: المغنم قليل والناس كثير، وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك، فنزلت.

قصة سعد بن أبي وقاص:

وعن سعد بن أبي وقاص: قُتل أخي عمير يوم بدر، فقتلت به سعيد بن العاص، وأخذت سيفه، فأعجبني، فجئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف، فقال: «ليس هذا لي ولا لك، اطرحه في القَبَض»، يعني المال المقبوض، فطرحته، وبي ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي، وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله، وقد أنزلت سورة الأنفال فقال: «يا سعد! إنك سألتني السيف وليس لي، وأنه قد صار لي فاذهب وخذه».

رواية عبادة بن الصامت:

وعن عبادة بن الصامت: نزلت فينا معشر أصحاب بدر، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء، وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين.

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلشَّوْكَةِ﴾ للشوكة معان كثيرة، وهي هنا بمعنى البأس، والقوة، والسلاح، وَحِدَّتُه على أن جميع معانيها ترجع إلى معنى التفوق والظهور

والغلبة، ومن معانيها إبرة العقرب، وحمرة تعلو الجسد، والنكاية في العدوِّ، يقال: لا تشوكك مني شوكة، أي: لا يلحقك مني أذى. وشوكة الحائك: الآلة التي يُسوِّي بها السدى واللحمة، ويقال: شاكت إصبعه شوكة، وشوَّكت النخلة: خرج شوكها، وشوكت الحائط: جعلت عليه الشوك، ومن المجاز: شوَّك الزرع، وزرع مشَّوك: إذا خرج أوله، وشوك ثدي الجارية وتشوَّك: إذا بدأ خروجه. قال:

أحببتُ هذي قديماً وهي ماشيةٌ وما تشوَّك ثدياها وما نهدا

وإذا استعرضنا مادة الشين والواو فاء وعيناً للكلمة، وجدنا خاصة عجيبة لها كأنها قد وضعت خاصة لمعاني الظهور، والتأثير، والارتفاع، والتفوق، فالشوب: خلط الشيء بغيره بحيث يؤثر فيه، يقال: شاب العسل بالماء، وكأن ريقتها خمر يشوبها عسل، ولهم المشاجب والمشاوب، وهي: أسفاط وحقق تتخذ من الخوص، وسوَّرت به فتشوَّر، ومنه قيل: أبدى الله شوارك، أي: عورتك، وفي حديث الزَّبَّاء: أَشَوَار عروس ترى؟ وهذا من عجيب أمر لغتنا العربية الشريفة فافهم وتدبر.

○ الإعراب:

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ كما يجوز أن تكون الكاف بمعنى مثل ومحلها الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه الحال كحال إخراجك، ويجوز أن تكون حرفاً جاراً، ومحل الجار والمجرور الرفع كما تقدّم، والمعنى: أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب، ويجوز أن يكون محلها النصب على أنها صفة لمصدر الفعل المقدر في قوله: الأنفال لله والرسول، أي: الأنفال استقرت لله والرسول، وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك، وهم كارهون. وقد توسَّع المعربون القدامى في التقدير والتأويل، وأنهاها بعضهم إلى عشرين وجهاً، ولكنها لا تخرج عما ذكرناه. ومن بيتك جار ومجرور متعلقان بأخرج، وبالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبساً بالحق

والحكمة والصواب الذي لا محيد عنه، وسيأتي في باب الفوائد ذكر بعض الحوادث التاريخية التي توضح هذا المعنى والإعراب ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ الواو حالية، وإن واسمها، ومن المؤمنين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، واللام المزحلقة، وكارهون خبر إن، والجملة في محل نصب حال من الكاف في أخرجك، أي: أخرجك في حالة كراهتهم ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للإخبار عن حالهم بالمجادلة، ويجوز أن تكون حالاً ثانية من الكاف، أي: أخرجك في حال مجادلتهم إياك، أو من الضمير في كارهون، أي: لكارهون في حال الجدال، وفي الحق جار ومجرور متعلقان بيجادلونك، وبعد ظرف زمان متعلق بيجادلونك، وما مصدرية، وهي وما في حيزها مصدر مضاف للظرف، أي: بعد تبينه وخروجه، وهو أقبح من الجدال في الشيء قبل اتضاحه ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ الجملة حالية من الضمير في «لكارهون» أي: حال كونهم مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل، وكأنما كافة ومكفوفة، ويساقون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلى الموت جار ومجرور متعلقان بيساقون، والواو حالية، وهم ينظرون جملة في محل نصب على الحال. ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ الواو عاطفة، وإذ ظرف متعلق بفعل محذوف، أي: «واذكر إذ»، وجملة يعدكم الله في محل جر بالإضافة، وإحدى الطائفتين مفعول به، ولا بد من تقدير محذوف، أي: الظفر بإحدى الطائفتين، والطائفتان: العير والنفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أن واسمها ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وأن وما في حيزها بدل اشتمال من إحدى الطائفتين، وتودون: الواو حالية، أو عاطفة، وتودون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، وأن وما في حيزها مفعول تودّون، وجملة تكون خبر أن، ولكم جار ومجرور وهي العير لأنها الطائفة التي لا شوكة لها، ولا تريدون الطائفة الأخرى ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الواو عاطفة، ويريد الله فعل وفاعل وأن مصدرية، وهي وما في

حيزها مفعول يريد، وبكلماته جار ومجرور متعلقان بيحق. ويقطع دابر الكافرين جملة معطوفة، وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ اللام للتعليل، ويحق فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، واللام وما في حيزها متعلقان بمحذوف تقديره: فعل ذلك ليحق الحق ويبطل الباطل، وليس هذا تكريراً لما قبله؛ لأن الأول خاص والثاني عام، فالمراد بالأول تثبيت ما وعد به في هذه الواقعة من النصر والظفر، والمراد بالثاني تدعيم الدين وتقويته وإظهار الشريعة وتثبيتها. ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ الظرف متعلق بمحذوف، أي: واذكروا، ويجوز أن يتعلق بيحق، وعبّر بالحق حكاية للحال الماضية، ولذلك عطف عليه: فاستجاب لكم بصيغة الماضي ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ الفاء عاطفة كما تقدم، ولكم جار ومجرور متعلقان باستجاب، وأن وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض، أي: بأني ممدكم، والجار والمجرور متعلقان باستجاب أيضاً، وممدكم خبر أن، وبألف جار ومجرور متعلقان بممدكم، ومن الملائكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لألف، ومردفين صفة ثانية، ومفعول مردفين محذوف؛ لأنه اسم فاعل، أي: أمثالهم، أي: متبعين بعضهم بعضاً، أو متبعين بعضهم لبعض.

* الفوائـد:

ما يقوله التاريخ:

أقبلت عير قريش من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً، منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ، فأخبر المسلمين، فأعجبهم تلقّي العير لكثرة الخير وقلة القوم، فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم، فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة! النجاءَ النجاءَ على كل صعب وذلول، عيركم أموالكم إن أصابها محمد فلن تفلحوا بعدها أبداً. ثم خرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر: لا في العير ولا في النفير، فقيل له: إن العير أخذت طريق

الساحل ونجت، فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا والله! لن يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور، ونشرب الخمور، ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع العرب بمخرجنا، وإن محمداً لم يصب العير، وإنا قد أعضضناه، فمضى بهم إلى بدر، وبدر ماء كانت العرب تجمع فيه نوقهم يوماً في السنة، فنزل جبريل فقال: يا محمد! إن الله وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريشاً، فاستشار النبي أصحابه وقال: «ما تقولون؟ إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول، فالعير أحبّ إليكم أم النفير؟» قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدوّ، فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ، ثم ردّ عليهم فقال: «إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل» فقالوا: يا رسول الله! عليك بالعير ودع العدوّ، فقام عند غضب النبي أبو بكر وعمر فأحسنا، ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فو الله لو سرت بنا إلى عدن لسرنا، ما تخلَّف رجل، ثم قال المقداد: يا رسول الله! امض لما أمرك الله، فإنا معك حيث لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف، فضحك رسول الله ثم قال: «أشيروا علي أيها الناس» وهو يريد الأنصار؛ لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك ما نمنع منه آباءنا ونساءنا، فكان النبي ﷺ يتخوف أن تكون الأنصار لا ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله! قال: «أجل» قال: قد آمنا بك، وصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله! لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا، وإنا به لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يرك منا ما تقر به عينك، فسِرْبنا على بركة الله، ففرح رسول الله ثم قال: «سيروا على بركة الله، وأبشروا؛ فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع

القوم» . وقد أطلنا في الاقتباس لأهمية هذا الفصل وبلاغته .

خلاصة مفيدة لأقوال المعربين في «كما» :

اختلفوا على خمسة عشر قولاً :

(١) إن «الكاف» بمعنى واو القسم و«ما» بمعنى «الذي» واقعة على ذي العلم، وهو الله، وجواب القسم : يجادلونك . قاله أبو عبيدة .

(٢) إن الكاف بمعنى «إذ» و«ما» زائدة والتقدير : اذكر إذ جاءك .

(٣) إن الكاف بمعنى «على» و«ما» بمعنى «الذي» .

(٤) وقال عكرمة : التقدير : وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، كما أخرجكم في الطاعة خير لكم كان إخراجك خيراً إليهم .

(٥) قال الكسائي : كما أخرجك ربك من بيتك على كراهة من فريق منهم، كذلك يجادلونك في قتال كفار مكة، ويودون غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم أنك إنما تفعل ما أمرت به، لا ما يريدون .

(٦) قال الفراء : امض لأمرك في الغنائم، ونفّل من شئت إن كرهوا كما أخرجك ربك .

(٧) قال الأخفش : الكاف نعت لـ«حقاً» والتقدير : هم المؤمنون حقاً كما .

(٨) إن الكاف في موضع رفع، والتقدير : كما أخرجك ربك فاتقوا الله، كأنه ابتداء وخبر .

(٩) قال الزجاج : الكاف في موضع نصب، والتقدير : الأنفال ثابتة لله ثباتاً كما أخرجك ربك .

(١٠) إن الكاف في موضع رفع، والتقدير : لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم، وهذا وعد حق كما أخرجك .

(١١) إن الكاف في موضع رفع أيضاً، والمعنى : وأصلحوا ذات بينكم ذلكم خير لكم كما أخرجك، فالكاف نعت لخبر ابتداء محذوف .

(١٢) إنه شبه كراهية أصحاب رسول الله ﷺ بخروجه من المدينة حين تحققوا خروج قريش للدفع عن أبي سفيان، وحفظ عيره بكراهيتهم نزع الغنائم من أيديهم وجعلها للرسول، أو التنفيل منها. وهذا القول أخذه الزمخشري وحسَّنه، فقال: «يرتفع الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا الحال كحال إخراجك».

(١٣) إن قسمتك للغنائم حق كما كان خروجك حقاً.

(١٤) إن التشبيه وقع بين إخراجين، أي: إخراجك ربك إياك من بيتك، وهو مكة، وأنت كاره لخروجك، وكانت عاقبة ذلك الخير والنصر والظفر، كإخراج ربك إياك من المدينة، وبعض المؤمنين كاره، يكون عقيب ذلك الظفر والنصر.

(١٥) الكاف للتشبيه على سبيل المجاز، كقول القائل لعبده: كما وجهتك إلى أعدائي فاستضعفوك، وسألت مدداً فأمددتك، وقوَّيتك، فخذهم الآن فعاقبهم بكذا، وكما كسوتك، وأجريت عليك الرزق، فاعمل كذا، وكما أحسنت إليك فاشكرني عليه.

وواضح أن مرجع هذه الأوجه واحد، فتدبَّر، والله يعصمك.

□ **البلاغة:**

(١) التشبيهات التمثيلية الواردة في الآيات، قد أشرنا إليها أثناء الإعراب لعلاقتها الوثيقة به.

(٢) العموم والخصوص في قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ بعد قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾. والتحقيق في التمييز بين الكلامين أن الأول ذكرت فيه الإرادة مطلقة غير مقيدة بالواقعة الخاصة، كأنه قيل: وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم، ومن شأن الله تعالى إرادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الإطلاق ولإرادته أن يحق الحق، ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة، فبين الكلامين عموم وخصوص،

وإطلاق وتقييد، ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة في تأكيد المعنى بذكره على وجهين: إطلاق وتقييد.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة على ما تقدم، وما نافية، وجعله الله فعل ومفعول به وفاعل، والضمير يعود للإمداد، وإلا أداة حصر، وبشرى مفعول لأجله مستثنى من أعم العلل ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ ﴾ الواو عاطفة، واللام للتعليل، وتطمئنّ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، والجار والمجرور عطف على بشرى، وجر المفعول من أجله باللام هنا لفقد شرط النصب، وهو: اتحاد الفاعل، وقلوبكم فاعل تطمئنّ ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ ﴾ الواو استئنافية، أو حالية أيضاً، وما نافية، والنصر مبتدأ، وإلا أداة حصر، ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الجملة الاسمية تعليل لما تقدم ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ إذ ظرف مبدل من إذ يعدكم، وهو ثاني بدل كما تقدم، وجملة يغشيكم النعاس في محل جر بالإضافة، والنعاس مفعول به، وأمنة حال، أو مفعول من أجله، ومنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأمنة ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ وينزل عطف على يغشيكم، وعليكم جار ومجرور متعلقان بينزل، وكذلك من السماء، وماء مفعول به، وليطهركم: اللام للتعليل، ويطهركم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، وبه جار ومجرور متعلقان بيطهركم ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ جمل معطوفة على ما تقدم، والضمير في به يعود على الماء حتى يسهل المشي على الرمال؛ لأن العادة أن المشي عليها عسر، فإذا نزل عليه الماء جمد، وسهل المشي عليه، وقيل: الضمير يعود على الربط؛ لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجرأة، ثَبَّتَ الأقدام في مواطن القتال.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

(البنان): الأصابع كما في المصباح، أو أطرافها، الواحدة: بنانة. وقال أبو الهيثم: البنان: المفاصل وكل مفصل بنانة. وقيل: البنان الأصابع من اليدين والرجلين وجميع المفاصل من كل الأعضاء.

﴿شَآقُّوا۟﴾: خالفوا، والمشاقّة مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين في عدوة خلاف عدوة صاحبه، وكذلك المخاصمة؛ لأن هذا في خصم، أي: في جانب وذلك في خصم.

○ **الإعراب:**

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ الظرف يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من إذ يعدكم، ويجوز أن ينتصب بيثبت، أو أن يكون معمولاً لمحذوف، أي: «اذكر» وجملة يوحي ربك في محل جر بالإضافة، وإلى الملائكة جار ومجرور متعلقان بيوحي، وأني وما في حيزها مفعول يوحي، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر أني ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا ثبت هذا

فثبتوا الذين آمنوا بتبشيرهم بالنصر، والذين مفعول به، وجملة آمنوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ يجوز أن تكون الجملة تفسيراً لقوله: إني معكم فثبتوا، ولا معونة أوكد وأجدى من إلقاء الرعب في قلوب الأعداء، ويجوز أن تكون مستأنفة، وفي كلتا الحالين لا محل لها من الإعراب، وفي قلوب جار ومجرور متعلقان بألقي، والرعب مفعول به لألقي، وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ فعل أمر وفاعل، وفوق ظرف متعلق باضربوا، والمفعول به محذوف، أي: فاضربوهم فوق الأعناق، ويجوز أن تكون «فوق» مفعولاً به على الاتساع؛ لأنه عبارة عن الرأس. كأنه قيل: فاضربوا فوق رؤوسهم، وهذا ما اختاره الزمخشري، قال: أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح؛ لأنها مفاصل، فكان إيقاع الضرب فيها حزاً وتطييراً للرؤوس، وقيل: أراد الرؤوس لأنَّها فوق الأعناق بمعنى ضرب الهام، قال عمرو بن الإطنابة:

أبت لي عفَّتي وأبى بلائي　　وأخذي الحمدَ بالثَّمن الربيح
وإقدامي على المكروهِ نفسي　　وضربي هامةَ البطل المشيح
لأدفعَ عن مآثر صالحات　　وأحجب بعد عن عرضٍ صحيح

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والإشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعذاب وبأنهم خبره، وجملة شاقّوا الله ورسوله خبر أن، ولفظ الجلالة مفعول به، ورسوله عطف عليه. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويشاقون فعل الشرط، والفاء رابطة، وإن واسمها، وخبرها، وفعل الشرط وجوابه خبر «من»، والشرط هنا تكملة لما قبله وتكرير لمضمونه ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والخطاب للكفرة على طريق الالتفات، والخبر محذوف تقديره: العقاب، ولك أن تعرب اسم الإشارة خبراً لمبتدأ محذوف، أي: العقاب ذلكم، ويجوز

أن يكون في محل نصب على الاشتغال، كقولك: زيداً فاضربه، وعلى كل حال فالفاء استئنافية، وذوقوه كلام مستأنف، وأن عطف على ذلكم في أوجهه الثلاثة، وللكافرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر «أن» المقدم، وعذاب النار اسمها المؤخر، والمعنى: ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون عديدة من البلاغة، ألمعنا إليها خلال الإعراب لعلاقتها به، وهي المجاز والالتفات والاستعارة في قوله: ﴿فَذُوقُوهُ﴾، وقد تقدمت هذه الفنون في مواطنها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ
الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ
فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ
كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

☆ اللغة:

﴿زَحْفًا﴾: الزحف مصدر زحف، وفي المصباح: زحف القوم زحفاً، من باب: نفع، وزحوفاً، ويطلق على الجيش الكثير زحف تسمية بالمصدر، والجمع: زحوف، مثل: فلس، وفلوس، والصبي يزحف على الأرض قبل أن يمشي.

﴿مُتَحَرِّفًا﴾: متعطفاً، أو هو الكرّ بعد الفرّ، ليخيل لعدوه أنه منهزم، ثم يعطف عليه، وهو باب: من خدع الحرب ومكايدها.

﴿مُتَحَيِّزًا﴾: منحازاً منضمّاً، والتحيز والتحوزّ: الانضمام، وتحوّزت

الحية: انطوت، وحزت الشيء: ضممته، والحوزة: ما يضم الأشياء. وأصل متحيز: متحيوز، فاجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداها بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء بالياء.

○ الإعـراب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ : تقدم إعربها كثيراً ﴿ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط، وجملة لقيتم في محل جر بالإضافة، والذين مفعوله، وجملة كفروا صلة، وزحفاً حال من الذين، أي: حال كونهم زاحفين، وقيل: انتصب «زحفاً» على المصدر بحال محذوفة، أي: زاحفين زحفاً، وهذا الذي قيل محكم، فحرم الفرار عند اللقاء بكل حال، والفاء رابطة، ولا ناهية، وتولوهم فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والهاء مفعول به، والأدبار: مفعول به ثان ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويولهم فعل وفاعل مستتر ومفعوله الأول، ودبره مفعول يولهم الثاني، ويومئذ ظرف مضاف لظرف، وهو متعلق بيولهم ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ «إلا» يجوز أن تكون أداة حصر لتقدم النهي، ومتحرفاً حال، ويجوز أن تكون «إلا» أداة استثناء، ومتحرفاً مستثنى من ضمير المؤمنين، ولقتال جار ومجرور متعلقان بـ «متحرفاً»، أو متحيزاً إلى فئة عطف على سابقه ﴿ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط لاقتران الجواب بقد، وباء: فعل ماض، وبغضب جار ومجرور متعلقان بباء أو بمحذوف حال، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، ومأواه مبتدأ، وجهنم خبره، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والمصير فاعل بئس، والمخصوص بالذم محذوف، أي: مصيرهم ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم، فقد وقعت جواباً لشرط مقدر، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتقتلوهم فعل مضارع

مجزوم بلم، والواو حرف عطف، ولكن حرف مشبه بالفعل، وقد جاءت أحسن مجيء لوقوعها بين نفي وإثبات، والله اسمها، وجملة قتلهم خبرها ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ عطف على ما تقدم، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق برميت، والواو عاطفة، ولكن واسمها، وجملة رمى خبرها ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو عاطفة، واللام للتعليل، ويبلي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، وأن وما في حيزها في محل جر باللام متعلقان بفعل محذوف، تقديره: فَعَلَ ذلك، والمؤمنين مفعول به، وبلاء مفعول مطلق، والبلاء هنا محمول على النعمة لأنه يقع على النعمة والمحنة معاً؛ لأن أصله الاختبار، فهو مردوده، وحسناً صفة، وإن الله سميع عليم عطف على ما تقدم، وإن واسمها وخبراها ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تقدم إعراب نظير اسم الإشارة، فهو مبتدأ، وخبره محذوف، أي: ذلكم الإبلاء حق، وأن الله أن وما في حيزها عطف على ذلكم، وموهن خبر «أن»، وكيد الكافرين مضاف لموهن، والإشارة للقتل والرمي والإبلاء، ويجوز أن تكون «أن» وما في حيزها عطف على «وليبلي»، أو في محل نصب بفعل مقدر، أي: واعلموا أن الله.

□ البلاغة:

(١) فن التعريض:

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ فن يقال له: فن التعريض وبعضهم يدخله في ضمن الكناية، قال السعد التفتازاني: «الكناية إذا كانت عرضية، مسوقة لأجل موصوف غير مذكور، كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض، فقال عرضت لفلان وعرضت بفلان، إذا قلت قولاً وأنت تعنيه فكأنك أشرت إلى جانب، وتريد جانباً آخر، ومنه المعاريض في الكلام، وهي التورية بالشيء عن الشيء» وقال الزمخشري: «الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، فكأنه أمال الكلام إلى

عرض يدل على المقصود، وعُرْض الشيء ـ بالضم ـ: ناصيته من أي وجه جئته».

وقال ابن الأثير في المثل السائر: «الكناية ما يدل على معنى يجوز حمله على جانب الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما، ويكون في المفرد والمركب، والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي، بل من جهة التلويح والإشارة، فيختص باللفظ المركب، كقول من يتوقع صلة: والله إني محتاج، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، وإنما فهم منه المعنى، من عرض اللفظ، أي: جانبه».

إذا عرفت هذا سهل عليك أن تعرف سر التعريض في هذا التعبير الرشيق بالآية، فقد ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها، فأتى بلفظ الدبر دون الظهر.

وقد ولع أبو الطيب بهذا الفن، فقد قال يُعرِّض بكافور الاخشيدي:

ومن ركب الثورَ بعد الجوا دِ أنكر أظلافَهُ والغَبَبْ

يريد أن من ركب الثور وكان من عادته أن يركب الجواد ينكر أظلاف الثور وغببه، وأما من كان مثل كافور وقد سبق له ركوب الثور فلا ينكر ذلك إن ركبه بعد الجواد. وقال أيضاً يستزيد كافوراً من الجوائز بعد مدحه:

أبا المسكِ هلْ من الكأسِ فَضْلٌ أَنالُهُ
فإنِّي أُغَنِّي مُنْذُ حينٍ وتَشْرَبُ

يقول: مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك. ثم قال بعده:

وَهَبْتَ على مِقْدارِ كَفَّيْ زَمَانِنا
ونَفْسي على مِقْدَارِ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ

(٢) فن الاستدراك والرجوع:

وهو الكلام المشتمل على لفظة «لكن»، وهو قسمان: قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير، وقسم لا يتقدمه، ومن القسم الثاني قوله تعالى: ﴿فَلَمْ

﴿تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾، فقد أتى الاستدراك في هذه الكلمات في موضعين كل منهما مرشح للتعطف، فإن لفظة تقتلوهم وقتلهم، ورميت ورمى، تعطف. وهذا أقرب استدراك وقع في الكلام لتوسط حرفه بين لفظي التعطف في الموضعين. وسيأتي مثال القسم الأول قريباً.

ومما ورد منه شعراً قول أبي الطيب:

هم المحسنونَ الكَرَّ في حومةِ الوغى
وأحسنُ منه كَرُّهُمْ في المكارمِ
ولولا احتقارُ الأُسْدِ شَبَّهْتُها بهم
لكنّها معدودةٌ في البهائمِ

وما أحسنَ قول بعضهم في الرأس المصلوب على الرمح:

وعاد لكنَّه رأسٌ بلا جسدِ
يمشي ولكنْ على ساقٍ بلا قدمِ
إذا تراءى على الخَطِيِّ أسفرَ في
حالِ العبوسِ لنا عن ثغرٍ مبتَسمِ

* الفوائد:

روى التاريخ أنه لما كان يوم أحد أخذ أُبيُّ بن خلف يركض فرسه، حتى دنا من رسول الله ﷺ، واعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه، فقال لهم رسول الله ﷺ: استأخروا، فاستأخروا. فأخذ رسول الله ﷺ حربته في يده فرمى بها أُبيّ بن خلف، وكسر ضلعاً من أضلاعه، فرجع أُبيّ بن خلف إلى أصحابه ثقيلاً، فاحتملوه حين ولّوا قافلين، فطفقوا يقولون: لا بأس. فقال أبيّ حين قالوا له ذلك، والله لو كانت بالناس لقتلتهم، ألم يقل إني أقتلك إن شاء الله. فانطلق به أصحابه ينعشونه حتى مات ببعض الطريق فدفنوه. قال ابن المسيب، وفي ذلك أنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾.

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن
تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا
تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ
ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ
لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ تَسْتَفْتِحُواْ ﴾: تطلبوا الفتح، أي: القضاء والحكم بينكم وبين محمد بنصر المحق وخذلان المبطل، روي أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم أينا كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة. أي: أهلكه.

﴿ ٱلدَّوَآبِّ ﴾: جمع دابّة. والمراد بها هنا: الإنسان. وإطلاق الدابة على الإنسان حقيقي لما ذكروه في كتب اللغة من أنها تطلق على كل حيوان ولو آدمياً. وفي المصباح: الدابة كل حيوان في الأرض مميز أو غير مميز.

○ **الإعراب:**

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ إن شرطية، وتستفتحوا فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط، والفاء رابطة لاقتران الجواب بقد، وقد حرف تحقيق، وجاءكم الفتح فعل ومفعول به وفاعل ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عطف على ما تقدم، والإعراب مماثل لما قبله، واقتران الجواب بالفاء؛ لأنه جملة اسمية مؤلفة من مبتدأ وخبر. وجملة الجواب في الموضعين في محل جزم ﴿ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ ﴾ عطف أيضاً، وجملة الجواب لا محل لها ﴿ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ عطف أيضاً، وفئتكم فاعل تغني، وشيئاً مفعول

مطلق أو مفعول به، والواو حالية، ولو شرطية، وكثرت فعل الشرط، والجواب محذوف ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف أيضاً، وفتح همزة «أن» بتقدير اللام، والتقدير: ولأن الله مع المؤمنين، والله اسم أن ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف هو الخبر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ تقدم إعرابها ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أطيعوا فعل أمر وفاعل، والله مفعول به، ورسوله عطف على الله، وجملة ولا تولوا عطف على جملة أطيعوا، ولا ناهية، وتولوا مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، وعنه جار ومجرور متعلقان بتولوا، وأنتم: الواو حالية، وأنتم مبتدأ، وجملة تسمعون خبر ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ عطف على ما تقدم، والكاف اسم بمعنى مثل خبر تكونوا، أوهي حرف جر، والجار والمجرور خبر، وجملة قالوا صلة، وجملة سمعنا مقول القول، والواو حالية، وجملة هم لا يسمعون في محل نصب على الحال. ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إن واسمها، وعند الله الظرف متعلق بمحذوف حال، والصم خبر إن، والبكم خبر ثان، والذين صفة، وجملة لا يعقلون صلة ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ الواو استئنافية، ولو حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط، وعلم الله فعل وفاعل، وفيهم جار ومجرور متعلقان بعلم، وخيراً مفعول به، ولأسمعهم: اللام رابطة لجواب لو، وأسمعهم فعل وفاعل مستتر، والهاء مفعول به ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ الواو عاطفة، ولو لمجرد الربط، ولا يصح أن تكون امتناعية، لأنه يصير المعنى: انتفى توليهم لانتفاء إسماعهم، وهذا خلاف الواقع فهي حينئذ لمجرد الربط بمعنى إن، وأسمعهم فعل ماض والهاء مفعول به، لتولوا: اللام رابطة، وتولوا فعل ماض وفاعل، والواو حالية، وهم معرضون مبتدأ وخبر، والجملة حالية، والفرق بين الإسماعين أن يراد بالأول: ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم إسماعاً يخلق لهم به الهداية والقبول، ولو أسمعهم لا على أنه يخلق لهم الاهتداء، بل إسماعا مجرداً من ذلك لتولوا وهم معرضون.

* **الفوائد:**

قال ابن هشام:

«لهجت الطلبة بالسؤال عن قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ ﴾ وتوجيهه أن الجملتين يتركب معهما قياس، وحينئذ فنتج: لو علم الله فيهم خيراً لتولوا، وهذا مستحيل. والجواب من ثلاثة أوجه: اثنان يرجعان إلى نفي كونه قياساً، وذلك بإثبات اختلاف الوسط، أحدهما أن التقدير لأسمعهم إسماعاً نافعاً، ولو أسمعهم إسماعاً لتولوا. والثاني أن يقدر: ولو أسمعهم، على تقدير عدم علم الخير فيهم. الثالث بتقدير كونه قياساً متحد الوسط صحيح الإنتاج، والتقدير: ولو علم الله فيهم خيراً وقتاً ما لتولوا بعد ذلك الوقت.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

○ **الإعراب:**

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ استجيبوا فعل أمر وفاعل، ولله جار ومجرور متعلقان باستجيبوا، وللرسول عطف على الله، وإذا ظرف مستقبل، وجملة دعاكم في محل جر بالإضافة، ولما جار ومجرور متعلقان بدعاكم، وجملة يحييكم صلة ما. واختلفوا في قوله «لما يحييكم»، والأصح أنه عام شامل لكل ما فيه حياة

القلوب والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ واعلموا عطف على استجيبوا، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا، وجملة يحول خبر أن، وبين ظرف متعلق بيحول، والمرء مضاف إليه، وقلبه عطف على المرء. وسيأتي معنى المجاز في حيلولة الله بين المرء وقلبه في باب البلاغة ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ عطف على أن الله، وإليه جار ومجرور متعلقان بتحشرون، وجملة تحشرون خبر أنّ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ واتقوا عطف على استجيبوا واعلموا، وفتنة مفعول به، وجملة لا تصيبن صفة لفتنة، و«لا» على ذلك نافية، ويجوز أن تكون معمولاً لقول محذوف، وتكون لا ناهية، وذلك القول هو الصفة، أي: فتنة مقولاً فيها: لا تصيبن، والنهي في الصورة للمصيبة، وفي المعنى للمخاطبين، وقد أعربها الزمخشري إعراباً جميلاً حيث قال: ما نصه بالحرف: وقوله: «لا تصيبن» لا يخلو من أن يكون جواباً للأمر أو نهياً بعد أمر، أو صفة لفتنة. فإذا كان جواباً فالمعنى إن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة، ولكنها تعمكم. وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيراً فعمهم الله بالعذاب. وإذا كانت نهياً بعد أمر فكأنه قيل واحذورا ذنباً أو عقاباً، ثم قيل: لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب، أو أثر الذنب، ووباله من ظلم منكم خاصة، وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول، كأنه قيل، واتقوا فتنة مقولاً فيها لا تصيبن، ونظيره قوله:

حتَّـى إذا جـنَّ الظَّـلامُ واختلـطْ

جاؤوا بِمَذْقٍ هل رأيتَ الذِّئْبَ قطْ

والذين مفعول به، وجملة ظلموا صلة، ومنكم حال، وخاصة منصوبة على الحال من الفاعل المستتر في قوله: لا تصيبن، وأصلها أن تكون صفة لمصدر محذوف، تقديره: إصابة خاصة ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ أن وما في حيزها سدَّت مسدَّ مفعولي اعلموا ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ واذكروا عطف على اعلموا، وإذ نصب الظرف هنا على أنه مفعول

به لا ظرف، أي: اذكروا وقت كونكم أقلَّة مستضعفين، وجملة أنتم قليل مضافة للظرف، وأنتم مبتدأ أُخبر عنه بثلاثة أخبار، وهي قليل ومستضعفون وفي الأرض ﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ جملة تخافون صفة كالتي قبلها، أي: خائفون، ويجوز أن تكون حالاً من الضمير في «قليل» و«مستضعفون»، وأن وما في حيزها مفعول تخافون، والناس فاعل يتخطفكم ﴿ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الفاء عاطفة، وآواكم فعل ماض وفاعل مستتر، وعطف عليه ما بعده، ولعل واسمها، وجملة تشكرون خبرها.

* الفوائد:

قال ابن هشام في «المغني» ما نصه: «قوله تعالى: ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ فإنه يجوز أن تقدر لا ناهية أو نافية، على الأول فهي مقولة لقول محذوف هو الصفة، أي: فتنة مقولاً فيها ذلك، ويرجحه أن توكيد الفعل بالنون بعد لا الناهية قياس، نحو: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً﴾ وعلى الثاني فهي صفة لفتنة، ويرجحه سلامته من تقدير القيد الثاني صلاحيتها للاستغناء عنها، وخرج بذلك الصلة، وجملة الخبر، والجملة المحكية بالقول، فإنها لا يستغنى عنها، بمعنى أن معقولية القول متوقفة عليها».

وقال أبو حيان: «والجملة من قوله «لا تصيبن» خبرية صفة لقوله: «فتنة»، أي: غير مصيبة الظالم خاصة. إلا أن دخول نون التوكيد على المنفي بـ «لا» مختلف فيه، فالجمهور لا يجيزونه، ويحملون ما جاء منه على الضرورة أو الندور. والذي نختاره الجواز، وإليه ذهب بعض النحويين. وإذا كان قد جاء لحاقها الفعل منفياً بـ «لا» مع الفصل، نحو قوله:

فـلا ذا نعيـمٍ يَتْـرَكَـنْ لنعيمـه
وإن قـال قَـرِّظْنـي وخُـذْ رشـوةً أبـى
ولا ذا بئيـسٍ يتركـنَّ لبـؤسـه
فينفعـه شكـوى إليـه إنِ اشتكـى

فلأن تلحقه مع غير الفصل أولى، نحو: ولا تصيبين».

□ البلاغـة:

(١) المجاز في قوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ . فأصل الحول تغير الشيء وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغير قيل: حال الشيء يحول، وباعتبار الانفصال قيل: حال بينهما فحقيقة كون الله يحول بين المرء وقلبه أنه يفصل بينهما، فهو مجاز مرسل عن غاية القرب من العبد؛ لأن من فصل بين شيئين كان أقرب إلى كل منهما من الآخر لاتصاله بهما، فالعلاقة المحلية أو السببية. ويجوز أن يكون الكلام استعارة تمثيلية لغاية قربه من العبد، واطلاعه على مكنونات القلوب وسرائر النفوس.

(٢) واختلف في «لا» من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ على القولين:

أ ـ أن «لا» ناهية، وهو نهي بعد أمر، أي: إنه كلام منقطع عما قبله، كقولك: صلِّ الصبحَ ولا تضرب زيداً، فالأصل: اتقوا فتنة، أي: عذاباً، ثم قيل: لا تتعرضوا للفتنة فتصيب الذين... الخ، وعلى هذا فالإصابة بالمتعرضين. وتوكيد الفعل بالنون واضح لاقترانه بحرف الطلب، مثل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾ ، ولكن وقوع الطلب صفة للنكرة ممتنع، فوجب إضمار القول، أي: واتقوا فتنة مقولاً فيها ذلك، كما قيل في قوله:

حتـى إذا جـنَّ الظـلامُ واختلـطْ
جاؤوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذِّئْبَ قطْ

ب ـ أنها نافية، واختلف القائلون بذلك على قولين: أحدهما أن الجملة صفة لفتنة، ولا حاجة إلى إضمار قول؛ لأن الجملة خبرية. وعلى هذا فيكون دخول النون شاذاً مثله في قوله:

فـلا الجـارةُ الـدُّنيـا بهـا تَلْحَيَنَّهـا
ولا الضَّيـفُ فيهـا إنْ أنـاخ مُحَـوِّلُ

بل هو في الآية أسهل، لعدم الفصل، وهو فيهما سماعي. والذي جوزه تشبيه لا النافية بلا الناهية، وعلى هذا الوجه تكون الإصابة عامة للظالم وغيره لا خاصة بالظالمين، كما ذكره الزمخشري؛ لأنها قد وصفت بأنها لا تصيب الظالمين خاصة، فكيف تكون مع هذا خاصة بهم! والثاني أن الفعل جواب الأمر، وعلى هذا فيكون التوكيد أيضاً خارجاً عن القياس وشاذاً. وممن ذكر هذا الوجه الزمخشري، وهو فاسد، لأن المعنى حينئذ: فإنكم إن تتقوها لا تصب الظالم خاصة. وقوله: إن التقدير: إن أصابتكم لا تصيب الظالم خاصة، مردود؛ لأن الشرط إنما يقدر من جنس الأمر، لا من جنس الجواب.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ لا ناهية، وتخونوا مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، ولفظ الجلالة مفعول به، والرسول عطف على الله ﴿ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الواو يجوز فيها أن تكون واو المعية، فيكون «تخونوا» منصوباً بأن مضمرة بعدها؛ لأنها وقعت جواباً للنهي، ويجوز أن تكون عاطفة فيكون «تخونوا» مجزوماً داخلاً في حكم النهي. ولعل الثاني أولى، لأن فيه النهي عن كل واحد على حدته، بخلاف الأول، فإن فيه النهي عن الجمع بينهما. ولا يترتب على النهي عن الجمع بين الشيئين النهي عن كل واحد على حدته. وأماناتكم مفعول به على تقدير محذوف، أي: أصحاب أماناتكم. وسيأتي بحث استعارة الخيانة في باب البلاغة، وأنتم الواو للحال،

وأنتم مبتدأ، وجملة تعلمون خبر، وجملة أنتم تعلمون حالية، وحذف مفعول يعلمون للعلم به، أي: تعلمون أن ما وقع منكم خيانة.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ واعلموا عطف على مقدم، وأنما كافة ومكفوفة، وقد سدَّت مسدَّ مفعولي اعلموا، ولذلك فتحت همزتها، وسيأتي بحث فتح همزة إن وكسرها في باب الفوائد، وأموالكم مبتدأ، وأولادكم عطف على «أموالكم»، وفتنة خبر، وجعل الأموال والأولاد فتنة لأنهم سبب الوقوع في الفتنة، وهي الإثم والعذاب، أو محنة وابتلاء من الله ليسبر غوركم، ويكتنه حقيقتكم، فما عليكم ـ والأمر بهده المثابة ـ إلا توطين النفس على الإخلاص والتزهد في زخارف الدنيا، وعدم الاغترار بأباطيلها وأفاويقها، وأن الله عطف على أنما أموالكم وأولادكم، وأن واسمها، وعنده الظرف خبر مقدم، وأجر مبتدأ مؤخر، والجملة خبر «أن»، وفي هذا صارف لكم عن حب الدنيا وإيثارها على ما عند الله، وهو خير وأبقى. وفي هذا كله حث على اكتساب الأجر، وحسن الأحدوثة، وخلود الذكر.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ إن شرطية، وتتقوا فعل الشرط، ولكم جار ومجرور متعلقان بيجعل، وفرقاناً مفعول به، أي: نصراً يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال مشايعيه، والإسلام بتعزيز مناجديه، أو منجاة من الشبهات التي تزيغ فيها الضمائر، وتضل الأفهام، وتعشو النواظر عن رؤية الحق.

هذا وقد اختلف في «الفرقان» هنا، فقال بعضهم: هو ما يفرق به بين الحق والباطل، والمعنى أنه يجعل لهم من ثبات القلوب، وثقوب البصائر، وحسن الهداية، ما يفرقون به بينهما عند الالتباس. وقيل: الفرقان: المخرج من الشبهات، والنجاة من كل ما يخافونه، ومنه قول الشاعر:

مالك من طولِ الأسى فُرْقان بعد قطين رحلُوا وبانوا

ومنه قول الآخر:

وكيف أرجِّي الخلَّ والموتُ طالبي
ومـالي مـن كـأسِ المنيـةِ فـرقـانُ

وقال الفرّاء: المراد بالفرقان: الفتح والنصر. وقال ابن إسحاق: الفرقان: الفصل بين الحق والباطل. وقال السُّدِّيُّ: الفرقان: النجاة. ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ عطف على ما تقدم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وذو الفضل خبره، والعظيم صفة للفضل.

□ **البلاغـة:**

الاستعارة في: ﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾ فالخون في الأصل هو النقص، ومنه تخوّنه إذا تنقَّصه، ثم استعير فيما هو ضد الأمانة والوفاء؛ لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت النقصان عليه. وقد استعير أيضاً في قولهم: خان الدلو الكرب. والكرب هو ـ كما في الصحاح ـ: حبل يشدّ في رأس الدلو. وخان المُشْتار السبب، والمشتار: مجتني العسل، والسَّبَب: الحبل، وإذا انقطع الحبل فيهما فكأنه لم يقف. والاستعارة هنا تصريحية تبعية.

* **الفوائـد:**

مواضع كسر همزة إن:

يجب أن تكسر همزة (إن) حيث لا يصح أن يسدَّ المصدر مسدَّها ومسد معموليها، وذلك في اثني عشر موضعاً:

(١) أن تقع في ابتداء الكلام حقيقة كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أو حكماً كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(٢) أن تقع بعد «حيث»، نحو: اجلس حيث إن العلم موجود.

(٣) أن تقع بعد «إذ»، نحو: جئتك إذ إن الشمس تطلع.

(٤) أن تقع تالية للموصول، نحو: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾.

(٥) أن تقع جواباً للقسم نحو: والله إن العلم نور، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

(٦) أن تقع بعد القول محكية به، كقوله تعالى: ﴿قال: إني عبد الله﴾ فإن كان القول بمعنى الظن لم تكسر، مثل: أتقول أن عبد الله يقول كذا؟ أي: أتظن. وإن كانت غير محكية بالقول لم تكسر أيضاً، نحو: أخصك بالقول أنك فاضل، فهي هنا بمعنى التعليل، أي: لأنك فاضل، فهي مع ما في حيزها منصوبة بنزع الخافض.

(٧) أن تقع مع ما بعدها حالاً، نحو: جئت وإن الشمس تغرب، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ﴾.

(٨) أن تقع مع ما بعدها صفة لما قبلها، نحو: جاء رجل إنه فاضل.

(٩) أن تقع صدر جملة استئنافية، نحو: فلان يزعم أني أسأت إليه، إنه لكاذب. وهذه من الواقعة ابتداء.

(١٠) أن تقع في خبرها لام الابتداء، أو اللام المزحلقة، كما يسمِّيها النحاة، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾.

(١١) أن تقع مع ما في حيزها خبراً عن اسم ذات، نحو: علي إنه فاضل. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾، فجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وما عطف عليه، لأنها أسماء.

(١٢) أن تقع بعد «كلاّ» الرادعة، كقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾.

مواضع فتح همزة أن:

ويجب فتح همزة ﴿أن﴾ حيث يصح أن يسد المصدر مسدها ومسد معموليها، وذلك في أحد عشر موضعاً.

(١) أن تكون وما في حيزها في موضع الفاعل، نحو: بلغني أنك مجتهد، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ . ومن ذلك أن تقع بعد «لو»، نحو﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ فما بعد «أن» في تأويل مصدر مرفوع فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت، واللام لام الجواب فالجملة بعدها جواب «لو».

(٢) أن تكون وما في حيزها في موضع نائب الفاعل، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: استماع نفر.

(٣) أن تكون هي وما في حيزها في موضع المبتدأ، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ فالجار والمجرور خبر مقدم، وما بعد «أن» في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، أي: رؤيتك الأرض خاشعة من آياته.

(٤) أن تكون هي وما بعدها في موضع الخبر عن اسم معنى غير قول ولا صادق عليه، أي: على اسم المعنى خبرها نحو: اعتقادي أنه فاضل، فيجب فتحها لأنها خبر «اعتقادي»، وهو اسم معنى، غير قول ولا صادق، على اعتقادي خبرها؛ لأن «فاضل» لا يصدق على الاعتقاد. وإنما فتحت لسد المصدر مسدها ومسد معموليها، والتقدير: اعتقادي فضله، أي: معتقدي ذلك. ولم يجز كسرها على أن تكون مع معموليها جملة مخبراً بها عن اعتقادي، لعدم الرابط؛ لأن اسم «أن» لا يعود على المبتدأ الذي هو اعتقادي؛ لأن خبرها غير صادق عليه، فهو يعود على غيره، فتبقى الجملة بلا رابط، بخلاف: قولي: إنه فاضل، فيجب كسرها؛ لأنها وقعت خبراً عن «قولي» ولا تحتاج إلى رابط لأن الجملة إذا قصد حكاية لفظها كانت نفس المبتدأ في المعنى، والتقدير: قولي هذا اللفظ لا غيره، وبخلاف: «اعتقاد زيد إنه حق» فيجب كسر همزة «إنه»

أيضاً؛ لأن خبرها وهو صادق على الاعتقاد، ولا مانع من وقوع جملة إن ومعموليها خبراً عن المبتدأ؛ لأن اسم إن رابط بينهما، ولا يصح فتحها لأنه يصير اعتقاد زيد كون اعتقاده حقاً، وذلك لا يفيد؛ لأن الخبر لا بدّ أن يستفاد منه مالا يستفاد من المبتدأ.

(٥) أن تكون هي وما في حيزها في موضع تابع لمرفوع على أنه معطوف عليه أو بدل منه، نحو: بلغني اجتهادك وأنك حسن الخلق، والتأويل: بلغني اجتهادك وحسن خلقك، فهو معطوف عليه، ونحو: يعجبني سعيد أنه مجتهد، والتأويل: يعجبني سعيد اجتهاده، فالمصدر المؤول بدل اشتمال من «سعيد».

(٦) أن تكون هي وما في حيزها في موضع المفعول به، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ والتأويل: ولا تخافون إشراككم.

(٧) أن تكون هي وما في حيزها في موضع خبراً لكان، أو إحدى أخواتها، نحو: كان يقيني أنك تتبع الحق، والتأويل: كان يقيني اتباعك للحق.

(٨) أن تكون هي وما في حيزها في موضع تابع لمنصوب بالعطف، أو بالبدلية، كقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والتقدير: اذكروا نعمتي عليكم وتفضيلي إياكم. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾، والتقدير ـ كما تقدم ـ: يعدكم إحدى الطائفتين كونها لكم، فما بعد أن في تأويل مصدر منصوب بدل اشتمال من إحدى.

(٩) أن تقع بعد حرف الجر كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

(١٠) أن تقع هي وما في حيزها في موضع المضاف إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ أي: مثل نطقكم.

(١١) أن تقع هي وما في حيزها في موضع تابع لمجرور بالعطف، أو بالبدلية، نحو: سررت من أدب علي وأنه عاقل، والتقدير: سررت من أدب علي

وعقله. ونحو: عجبت منه أنه مهمل، والتقدير: عجيب من إهماله، والمعنى: عجبت من إهماله. فما بعد «أن» في تأويل مصدر مجرور بدل اشتمال من الهاء في «منه».

المواضع التي يجوز فيها الكسر والفتح:

ويجوز الأمران: كسر همزة إن وفتحها حيث يصح الاعتباران: التأويل بمصدر، وعدم التأويل، وذلك في تسعة مواضع:

(١) بعد «إذا» الفجائية، نحو: خرجت فإذا أن سعيداً واقف، فالكسر على معنى: فإذا سعيد واقف، والفتح على تأويل ما بعدها بمصدر مبتدأ محذوف الخبر، والتأويل: فإذا وقوفه حاصل. وقد روي بالوجهين قول الشاعر:

وكنت أُرى زيداً، كما قيل سيِّداً إذا أنه عبدُ القفا واللَّهازم

أنشده سيبويه، ولم يعزه إلى أحد، وأرى بضم الهمزة، وأصله: يريني الله، فعمل فيه العمل المشهور من ضم أوله وفتح ما قبل آخره وحذف الفاعل، وزيد على ذلك هنا إبدال الياء همزة للاحتياج إلى ذلك؛ لأنه لما حذف الفاعل وأنيب المفعول به لزم إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم، ولا يسند له إلا المبدوء بالهمزة، فحذفت الياء، وأتي بالهمزة عوضها، وهو متعدّ إلى ثلاثة مفاعيل، الأول هو النائب عن الفاعل، والثاني «زيداً»، والثالث «سيداً»، وجملة «كما قيل» اعتراضية، فالكسر على معنى الجملة، أي: فإذا هو عبد القفا، والفتح على معنى الإفراد، أي: فالعبودية حاصلة، على جعلها مبتدأ حذف خبره، كما تقول: خرجت فإذا الأسد، أي: حاضر. واللهازم: جمع لِهزِمة، بكسر اللام والزاي، وهي: عظم نأتيء تحت الأذن. والمعنى: كنت أظن سيادته، فلما نظرت إلى قفاه ولهازمه تبين لي عبوديته، وكنى عن ذلك بأنه يضرب على قفاه ولهزمتيه، والقفا: موضع الصفع.

(٢) بعد فاء الجزاء، كقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، قرىء بكسر «إن» وفتحها، فالكسر على جعل ما بعد فاء الجزء جملة تامة، والمعنى: فالغفران والرحمة حاصلان، والفتح على تقدير أن ومعموليها خبراً لمبتدأ محذوف، والمعنى: فالحاصل الغفران والرحمة، أو مبتدأ والخبر محذوف، والمعنى: فالغفران والرحمة حاصلان.

(٣) أن تقع مع ما في حيزها في موضع التعليل كقوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾، فالكسر على أنها جملة تعليلية، والفتح على تقدير لام التعليل الجارة، أي: لأن صلاتك سكن لهم. ومنه الحديث الشريف: «لبيك إن الحمد والنعمة لك»، يُروى بكسر «إن» وفتحها، فالكسر على أنه تعليل مستأنف، والفتح على تقدير لام العلة.

(٤) أن تقع بعد فعل قسم ولا لام بعدها، كقول رؤبة:

أو تحلفي بربك العليِّ أإني أبو ذيَّالِكَ الصَّبِيِّ

يُروى بكسر «إن» وفتحها فالكسر على الجواب للقسم، والفتح بتقدير «على».

(٥) أن تقع خبراً عن قول، ومخبراً عنها بقول، والقائل للقولين واحد، نحو: قولي إني أحمد الله، بفتح همزة «إنّ» وكسرها. فالفتح على حقيقته من المصدرية، أي: قولي حمداً لله، والكسر على معنى المقول، أي: مقولي إني أحمد الله.

(٦) أن تقع بعد واو مسبوقة بمفرد صالح للعطف عليه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بالكسر في «وإنك لا تظمأ» إما على الاستئناف، أو العطف على جملة «إن» الأولى، وعليهما فلا محل لها من الإعراب. وقرأ الباقون من السبعة بالفتح بالعطف على «أن لا تجوع» من عطف المفرد على مثله، والتقدير: أن لك عدم الجوع وعدم الظمأ.

(٧) أن تقع بعد «حتى»، ويختص الكسر بالابتدائية، نحو: مرض زيد حتى إنهم لا يرجونه، ويختص الفتح بالجارة والعاطفة، نحو: عرفت أمورك حتى أنك فاضل، فـ «حتى» في هذا المثال تصلح لأن تكون جارة، ولأن تكون عاطفة، وأن فيهما مفتوحة.

(٨) أن تقع بعد «أما» بفتح الهمزة وتخفيف الميم، نحو: أما أنك فاضل فالكسر على أن «أما» حرف استفتاح بمنزلة «ألا» وتلك تكسر «إن» بعدها، والفتح على أنها مركبة من همزة الاستفهام و«ما» التامَّة بمعنى شيء، وصارا بعد التركيب بمعنى: أحقاً.

(٩) أن تقع بعد «لا جرم»، نحو قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾، والغالب الفتح، ووجهه أن تجعل ما بعد «أن» مؤولاً بمصدر مرفوع فاعل لجرم، وجرم معناه: ثبت وحق، وأصل الجرم: القطع، وعلم الله بالأشياء مقطوع به؛ لأنه حق وثابت، ولا حرف نفي للجواب يراد به كلام سابق، فكأنه قال: لا، أي: ليس الأمر كما زعموا، ثم قال: جرم أن الله يعلم، أي: حق وثبت علمه.

وسيأتي مزيد من القول في «لا جرم» عند الكلام عليها في موضعها.

تنبيه لا بد منه:

حيث جاز فتح «إن» وكسرها، فالكسر أولى وأكثر لعدم تكلفه، إلا إذا وقعت بعد «لا جرم» كما علمت.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَسَـٰطِيرُ﴾: جمع أسطورة، كأحدوثة وأحاديث: ما سطر وكتب من

القصص والأخبار.

○ الإعراب:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ الظرف مفعول به لأذكر مقدرة، والمعنى: واذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين كفروا. والمكر: الاحتيال في إيصال الضرر للآخرين. وقصة هذا المكر في المطولات. وجملة يمكر مضاف إليها الظرف، وبك متعلق بيمكر، والذين فاعل يمكر، وجملة كفروا صلة الموصول، واللام للتعليل، ويثبتوك منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، أو يقتلوك عطف عليه، أو يخرجوك عطف أيضاً. والمعنى: اذكر إذ اجتمعوا في دار الندوة ـ وهي أول دار بنيت بمكة ـ ليثبتوك، أي: يوثقوك ويحبسوك، أو يقتلوك كلهم قتلة رجل واحد، أو يخرجوك من مكة ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ الواو استئنافية، ويمكرون فعل مضارع، والواو فاعل، ويمكر الله عطف، والله مبتدأ، وخير الماكرين خبره، وسيأتي بحث هذا في باب: البلاغة ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا ﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة تتلى مضاف إليها الظرف، وعليهم جار ومجرور متعلقان بتتلى، وآياتنا نائب فاعل، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة قد سمعنا مقول القول ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ لو شرطية، ونشاء فعل الشرط، واللام رابطة، وجملة قلنا لا محل لأنها جواب شرط غير جازم، ومثل صفة لمفعول مطلق، أي: قولاً مثل هذا ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ إن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وأساطير الأولين خبر هذا.

□ البلاغة:

(١) يحتمل قوله: ﴿ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ أن يكون استعارة تبعية من إطلاق المكر على الرد؛ لأنه لما كان معنى المكر حيلة يجلب بها مضرة إلى الآخرين، وهو مالا

يجوز في حقه تعالى، كان المراد بمكر الله ردّ مكرهم، أي: عاقبته ووخامته عليهم. ويجوز أن يكون من باب المشاكلة، وقد تقدم نظيره، كما تقدم الحديث عن هذا الفن، أي: أن المراد بمكر الله مجازاتهم على مكرهم بجنسه، على سبيل المجاز المرسل، والعلاقة السببية. ويحتمل أن يكون الكلام استعارة تمثيلية، بتشبيه حالة تقليل المسلمين في أعينهم الحامل لهم على هلاكهم بمعاملة الماكر المحتال الذي يظهر خلاف ما يبطن.

(٢) في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ فن يُسمَّى التغاير، وهو تغاير المذهبين، أما في المعنى الواحد بحيث يمدح إنسان شيئاً، أو يذمه، أو يذم ما مدحه غيره، أو بالعكس، أو يفضل شيئاً على شيء، ثم يعود فيجعل المفضول فاضلاً، والفاضل مفضولاً. وقد تقدمت الإشارة إليه مع ذكر نماذج منه. ونقول: إن التغاير هنا المقصود مغايرتهم أنفسهم، فقد قالت قريش عن القرآن: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إنكاراً منهم لغرابة أسلوبه، وما بهرهم من فصاحته. ويلزم هذا الكلام إقرارهم بالعجز عن محاكاته، ثم غايرت قريش نفسها فقالت: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾، ولو كان القولان في وقت واحد لكان ذلك تناقضاً، وهو عيب، ولم يعد في المحاسن، لكن وقوعه في زمنين مختلفين ووقتين متباينين اعتد من المحاسن، ولذلك سمي تغايراً لا تناقضاً.

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ إذ منصوب باذكر

محذوفة، وقد تقدم القول فيها مشبعاً، وجملة قالوا مضاف إليها الظرف، واللهم منادى مفرد علم حذفت منه «يا» وعوضت عنها الميم المشددة، وإن شرطية، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، وهذا اسمها، وهو ضمير فصل، والحق خبر كان ومن عندك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الفاء رابطة، وأمطر فعل أمر، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأمطر، وحجارة مفعول به، ومن السماء صفة لحجارة، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أو حرف عطف، وائت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل مستتر، وبعذاب جار ومجرور متعلقان بائتنا، وأليم صفة ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وكان واسمها، واللام لام الجحود، ويعذبهم منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان، وأنت فيهم الواو للحال، والجملة الاسمية من المبتدأ والخبر حالية ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ عطف على الجملة السابقة، وهم يستغفرون في موضع الحال، ومعناه نفي الاستغفار عنهم، أي: ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم، ولكنهم لا يؤمنون، ولا يستغفرون، ولا يتوقع ذلك منهم. ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الواو عاطفة، وما اسم استفهام إنكاري للنفي مبتدأ، ولهم خبر، وأن لا يعذبهم الله أنّ وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض، متعلق بما تعلق به الجار والمجرور السابق، أو بمحذوف حال، على حد قوله:

تقول سُلَيْمى ما لجسمك شاحباً ... كأنك يحميكَ الطعامَ طبيب

والمعنى: وكيف لا يعذبون، وأي شيء ثبت واستقر لهم في ألا يعذبوا، أي: ليس ثمة ما يمنع من حيلولة عذابه بهم ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ الواو للحال، وجملة هم يصدون حالية، والمعنى: وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام، كما صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية ﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وكانوا

أولياءه كان واسمها وخبرها ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ إن نافية، وأولياؤه مبتدأ، وإلا أداة حصر، والمتقون خبر «أولياءه» ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لكن واسمها، والجملة خبرها، والواو حالية، أو استئنافية.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ . . .﴾ الخ فن عجيب يُسمَّى «فن التنكيت». وحدُّه أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسدّ مسدّه، لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه، فإن لقائل أن يقول: ما النكتة التي رجحت اختلاف الصيغتين من الفعل وهو «يعذبهم»، واسم الفاعل وهو «معذبهم» على اتفاقهما، مع اتفاق زمانيهما، فإن مدة مقام الرسول ﷺ في المخاطبين منقسمة على الحال، والاستقبال، وكذلك مدة الاستغفار، وهل يجوز مجيء كل واحدة من الصيغتين في مجاز الأخرى أم لا يجوز إلا ما جاء به الرسل؟ أو هل يجوز الاقتصار على الفعل الدال على الزمانين دون اسم الفاعل أو لا؟ والجواب أن معرفة النكتة رجحت مجيء الكلام على ما جاء عليه بحيث لا يجوز غيره أن المخاطبين به هم المنافقون الذين لم يؤذن النبي ﷺ في إمهالهم مدة مقامه فيهم، لا من قبل نزول الآية ولا من بعدها. والخبر الصادق يجب أن يكون طبق المخبر، ولما كان الرابع الذي أمر الخبير به نفي تعذيبهم في الماضي والحال دون الاستقبال فإن الخبر الصادق قد أخبر بهم في الاستقبال حيث قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ اقتضت البلاغة مجيء الفعل المضارع الدال ـ مع الإطلاق ـ على الزمانين مع القرينة على أحدهما بحسب ما يدل عليه واقترن به قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ فأفاد دلالته على الحال دون الاستقبال، ونفي حصول العلم بنفي تعذيبهم فيما مضى من الزمان قبل نزول الآية، فأتى سبحانه بصيغة اسم الفاعل المضاف ليدل على الماضي، فاقتضى حسن الترتيب أن يقدم صيغة الفعل لدلالتها على الحال الذي هو مدة مقامه فيهم؛ لأن نفي العذاب فيما هو الأهم. وسيرد من التنكيت في القرآن ما يبهر العقول.

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

(المكاء): بضم الميم كالثغاء والرغاء من مكا يمكو إذا صفر، ومنه المكّاء، كأنه سُمِّي بذلك لكثرة مكائه. قال عنترة:

وَحَلِيلِ غَـانِيَـةٍ تركتُ مُـجَدَّلاً   تَمْكُو فَرِيْصَتُـهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ

أي: ورُبَّ زوج امرأة بارعة الجمال، مستغنية بجمالها عن التزين، قتلته وألقيته على الأرض، وكانت فريصته تمكو بانصباب الدم منها، كشدق الأعلم.

(التصدية): التصفيق، وقد اختلف في أصله، فقيل: هو من الصدى، وهو: ما يسمع من رجع الصوت في الأمكنة الصلبة الخالية، يقال منه: صدّى يصدّي تصدية، والمراد بها هنا: ما يسمع من صوت التصفيق بإحدى اليدين على الأخرى. وقيل: هو مأخوذ من التصدد، وهو: الضجيج، والصياح، والتصفيق، فأبدلت إحدى الدالين ياء تخفيفاً. وقيل هو من الصدّ، أي: المنع، والأصل تصددة بدالين أيضاً، فأبدلت ثانيتهما ياء.

وقال ابن يعيش: «فأما التصدية من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ فالياء بدل من الدال؛ لأنه من صد يصد، وهو: التصفيق والصوت، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ أي: يضجُّون، ويعجُّون، فحوّل إحدى الدالين ياء، هذا قول أبي عبيدة،

وأنكر الرُّستمي هذا القول، وقال: إنما هو من الصدى، وهو الصوت. والوجه الأول غير ممتنع لوقوع يصدون على الصوت، أو ضرب منه، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يكون تصدية منه، فتكون «تفعلة» كالتحيّة والتعلّة، فلما قلبت الدال الثانية ياء امتنع الادغام لاختلاف اللفظين».

(رَكَمه): يجمعه متراكماً بعضه على بعضه. وفي المختار: «ركم الشيء: إذا جمعه، وألقى بعضه على بعض، وبابه: نصر. وارتكم الشيء وتراكم: اجتمع، والرُّكام ـ بالضم ـ الرمل المتراكم والسحاب ونحوه».

○ الإعـراب:

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، وعند البيت الظرف متعلق بمحذوف حال، وإلا أداة حصر، ومكاء خبر كان، وتصدية عطف على مكاء، والمعنى أنهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة، وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء، وهم مشبكون بين أصابعهم، يصفرون فيها ويصفقون. وهذا أسلوب بليغ من أساليب العرب على حد قول الفرزدق:

وما كنتُ أرجو أن يكونَ عطاؤه
أداهمَ سوداً أو مُحَدْرَجَةً حُمْرا

أي: ما كنت أظن أن يكون عطاؤه قيوداً سوداً، أو سياطاً مفتولة حمراً، ويروى: «سمرا»، فوضع القيود والسياط موضع العطاء، ووضع الشاعر الرجاء موضع الظن، وأطلق العطاء على العقاب مجازاً. ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الفاء الفصيحة، وذوقوا فعل أمر وفاعل، والعذاب مفعول به، والباء للسببية، وما مصدرية، أي: بسبب كفركم، وقد تقدمت له نظائر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إن واسمها، وجملة كفروا صلة، وجملة ينفقون أموالهم خبر الذين، وليصدوا اللام للتعليل، ويصدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، والواو فاعل، وعن سبيل الله متعلق بيصدوا ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ

يُغۡلَبُونَۗ﴾ الفاء عاطفة، والسين حرف استقبال، وينفقونها فعل مضارع وفاعل ومفعول به، ثم حرف عطف للتراخي والترتيب، وتكون معطوف على ينفقونها، واسمها مستتر تقديره هي، وعليهم متعلقان بمحذوف حال؛ لأنها كانت في الأصل صفة لحسرة وتقدمت، وحسرة خبر تكون، ثم يغلبون عطف على ثم تكون، والواو نائب فاعل ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ الذين مبتدأ، وكفروا صلة، وجملة يحشرون خبر الذين، وإلى جهنم متعلق بيحشرون ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ اللام للتعليل، ويميز منصوب بأن مضمرة، والجار والمجرور متعلقان بأحد الأفعال المتقدمة، والله فاعل، والخبيث مفعول به، ومن الطيب متعلق بيميز، أي: الفريق الخبيث من الفريق الطيب ﴿وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ ويجعل عطف على يميز، والخبيث مفعوله، وبعضه بدل من الخبيث بدل بعض من كل، وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أو في محل نصب مفعول به ثان ليجعل، والتقدير: ويجعل بعض الخبيث عالياً على بعض ﴿فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ﴾ الفاء عاطفة، ويركمه عطف على يجعل، والهاء مفعوله، وجميعاً حال من الهاء في يركمه، أو توكيد لها، فيجعله عطف على يركمه، وفي جهنم مفعول به ثان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ مبتدأ وخبر، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ أول وثان، والخاسرون خبر الثاني، والجملة الاسمية خبر أولئك.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ
مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ
ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ وَإِن تَوَلَّوۡاْ
فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾

○ الإعراب:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ الجار والمجرور

متعلقان بقل، واختلف في معنى هذه اللام، والأرجح أنها للتبليغ، أمر أن يبلغهم بالجملة المحكية بالقول، سواء أوردوها بهذا اللفظ أم بلفظ آخر مؤد لمعناها ومضمونها، واختار الزمخشري أن تكون للتعليل، أي: قل لأجلهم هذا القول، وهو: إن ينتهوا... الخ. وحجة الزمخشري أنه لو كان بمعنى: خاطبهم؛ لقيل: إن انتهوا يغفر لكم. وإن شرطية، وينتهوا فعل الشرط، ويغفر بالبناء للمجهول جواب الشرط، ولهم جار ومجرور متعلقان بيغفر، وما اسم موصول نائب فاعل، وجملة قد سلف صلة ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويعودوا فعل الشرط، ومتعلقه محذوف، أي: لقتاله أو للكفر، وكلاهما مراد، وفقد الفاء رابطة للجواب، وقد حرف تحقيق، ومضت سنة الأولين فعل وفاعل ومضاف إليه ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ عطف على قل للذين، وأفرد الأمر في الأول لأن الخطاب للنبي وحده بما هو داخل في نطاق مهمته، وجمع الأمر في الثاني؛ لأن الخطاب للمؤمنين جميعاً؛ لتهييجهم إلى المحاربة، ومقاتلة عدوهم، ومثيري الفتن عامة، وحتى حرف غاية وجر، ولا نافية، وتكون منصوبة بأن مضمرة بعد حتى، والجار والمجرور متعلقان بقاتلوهم، وتكون هنا تامة، وفتنة فاعل، ويكون عطف على تكون، وهي هنا ناقصة، والدين اسمها، وكله توكيد، والله خبر ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وانتهوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وإن واسمها، وبصير خبرها، وبما يعملون جار ومجرور متعلقان ببصير، وجملة يعملون صلة ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ عطف على سابقه، والإعراب مماثل، وأن وما في حيزها سدَّت مسدَّ مفعولي فاعلموا، ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح، والمولى فاعل، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: هو، ومثله ونعم النصير.

﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بِٱلْعُدْوَةِ ﴾ بضم العين، ويجوز كسرها وفتحها: شط الوادي وشفيره، سميت بذلك لأنها عدت ما في الوادي من ماء ونحوه أن يتجاوزها، أي منعته، وفي مختار الصحاح: العدوة بضم العين وكسرها: جانب الوادي وحافته، وقال أبو عمرو: هي المكان المرتفع.

﴿ ٱلدُّنْيَا ﴾ و﴿ ٱلْقُصْوَىٰ ﴾ تأنيث الأدنى والأقصى، وجاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو، مع أن كلتيهما فعلى من بنات الواو؛ لأن القياس قلب الواو ياء كالعليا، وأما القصوى كالعود في مجيئه على الأصل وقد جاءت القصيا، إلا أن استعمال القصوى أكثر، هذا؛ والعدوة الدنيا مما يلي المدينة، والقصوى مما يلي مكة.

﴿ وَٱلرَّكْبُ ﴾ في القاموس: والركب ركبان الإبل، وهو اسم جمع لراكب أو جمع له، وهم العشرة فصاعداً، وقد يكون للخيل، والجمع أركب وركوب.

الإعراب:

﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ أن وما في حيزها سدت مسد مفعولي

اعلموا، وما موصولة؛ ولذلك فصلت في الرسم من أنَّ، ولكن ثبت وصلها في خط بعض المصاحف، وثبت فصلها في بعضها الآخر، وهي اسم أن، وجملة غنمتم صلة، ومن شيء في محل نصب حال من عائد الموصول المقدر، والمعنى: ما غنمتموه كائناً من شيء، أي: قليلاً كان أو كثيراً ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وفتحت همزة «أن» لأنها وما في حيزها خبر مبتدأ محذوف، تقديره: فحكمه أن لله خمسه، والجار والمجرور خبر أن المقدم، وخمسه اسمها المؤخر، والتقدير، فإن خمسه لله، ويجوز أن تكون أن وما في حيزها مبتدأ خبره محذوف تقديره: فحق، أو فواجب أن لله خمسه، وللرسول وما بعده عطف على قوله لله، وسيأتي في باب الفوائد تفصيل القسمة ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ إن شرطية، وكنتم فعل الشرط، والجواب محذوف تقديره فاعلموا ذلك، وجملة آمنتم خبر كنتم، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنتم وما عطف على الله، وجملة أنزلنا صلة، وعلى عبدنا جار ومجرور متعلقان بأنزلنا، ويوم الفرقان ظرف متعلق بأنزلنا أيضاً، والمراد به يوم بدر الفارق بين الحق والباطل. ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ الظرف بدل من الظرف الأول، وجملة التقى الجمعان مضافة للظرف ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ وقدير خبره، وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير. ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ الظرف بدل من يوم الأول أو الثاني، وأنتم مبتدأ وبالعدوة خبر، والجملة مضافة للظرف، والدنيا صفة للعدوة، وهم بالعدوة القصوى عطف على سابقتها. ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ الواو حالية من الظرف وهو قوله «بالعدوة القصوى» ويجوز أن تكون عاطفة على «أنتم» لأنها مبدأ تقسيم أحوالهم وأحوال عدوهم، والركب مبتدأ، وأسفل نصب على الظرف في محل رفع على الخبرية، وسيأتي مزيد بحث له في باب الفوائد، ومنكم جار ومجرور متعلقان بأسفل لأنه في الأصل اسم تفضيل استعمل بمعنى صفة لمكان محذوف أقيم مقامه، وللزمخشري فصل في تعليل هذا التوقيت، وذكر مراكز الفريقين

سنورده في باب الفوائد؛ لأنه بلغ الذروة في التنقيب عن أسرار الكتاب العزيز. ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ الواو عاطفة، ولو شرطية، وهي الدالة على الامتناع، وتواعدتم فعل الشرط، واللام الرابطة، واختلفتم جملة لا محل لها لأنها جواب الشرط، وفي الميعاد متعلق باختلفتم، أي: امتنع اختلافكم في موعد الخروج إلى القتال لامتناع تواعدكم وإعلام بعضكم بعضاً بالخروج للقتال؛ لأنكم قد تضعفون عندما تعلمون شكيمتهم ومنعة مكانهم مما يؤيد فصل الزمخشري البديع. ﴿ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ لكن حرف استدراك مهمل، وليقضي اللام للتعليل، وهي مع مجرورها المؤول متعلقان بمحذوف، أي: جمعكم بغير ميعاد، والله فاعل، وأمراً مفعول به، وجملة كان مفعولاً صفة لأمراً، وكان واسمها المستتر وخبرها. ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ يجوز تعليق ليهلك بما تعلق به ليقضي، أي، فهو بدل منه، ويجوز أن يتعلق بمفعولاً، ويهلك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ومن اسم موصول فاعل، وجملة هلك صلة، وعن بينة حال ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ عطف على الجملة السابقة، وحي أصلها حيي أدغمت الياء بالياء ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الواو استئنافية، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وسميع خبر أول لإن، وعليم خبر ثان.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ فن الاستدراك، فإن الحق سبحانه أخبر عن الأمر الواقع بخبر أخرجته الفصاحة مجرى المثل، وذلك أن الرسول ﷺ لما أخبرته عيونه بقفول ركب قريش من الشام إلى مكة على الجادة المعروفة التي لا بد لسالكها من ورود «بدر»، أمر أصحابه بالخروج، وخرج معهم يريد العير، وكان وعد الله قد تقدم له بإحدى الطائفتين، إما العير وإما النفير، وبلغ أبا سفيان، وهو على الركب، خروج رسول الله ﷺ فأمر الركب أن يأخذ على سيف البحر، ومضى أبو سفيان على وجهه لمكة، فاستنفر قريشاً، فخرجوا إلى بدر ليشغلوا وجه

رسول الله ﷺ عن تتبُّع العير، فصادفوه ببدر، وهو يظن أن الركب يمر على بدر، فوقعت اللقيا من غير ميعاد، فأخبر الله سبحانه بموضع المسلمين من بدر وموضع المشركين منه بقوله: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ أي: القريبة، ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾: أي: البعيدة، ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ لأن سيف البحر في غور، وبدر في نجد بالنسبة إليه، وأراد أن يخبر عن وقوع اللقاء بغير ميعاد، وعدل عن لفظ المعنى إلى لفظ الإرداف، فلم يقل فالتقوا من غير ميعاد، بل قال: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ لخروج لفظ الإرداف مخرج المثل ليكون أسير وأشهر، ولو وقع الاقتصار على هذا المقدار لاحتمل أن يقال: فما الحكمة في حرمان الله رسوله والمسلمين هذه الغنيمة الباردة لآجالٍ؛ منها[1]: فتح مكة، واستئصال أموال أهلها، فإن اختياره لهم لقاء النفير دون العير ليقتل حُماة مكة وصناديدها، فيتمكن المسلمون من فتحها وكذلك كان، وقد كان مراد المسلمين لقاء العير دون النفير بدليل إخباره سبحانه عنهم بذلك في قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ يعني: العير، فإن ذات الشوكة: النفير؛ لأن الشوكة: السلاح، فأرادوا هم ذلك، وأراد الله خلافه لعلمه بالعواقب، فأوقع اللقاء من غير ميعاد لهذه المصلحة، وأخرج الإخبار به مخرج المثل لما بيَّنَّا من فائدة ذلك، ثم قوى دليل الكلام بذكر العلة في تفويت تلك المصلحة الظاهرة، حيث قال بلفظ الاستدراك: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، ثم فصل ما أجمله في الاستدراك بقوله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾، فاتضح الإشكال، وارتفع ما قدر من الاحتمال وأبان عن المعنى أحسن بيان، فحصل في هذه الكلمات أربعة عشر نوعاً من البلاغة وهي: الإيجاز، والترشيح، والإرداف، والتمثيل، والمقارنة، والاستدراك، والإدماج، والايضاح، والتهذيب، والتعليل، والتنكيت، والمساواة، وحسن النسق، وحسن البيان.

---

(١) في الأصل: لأجل منها وهي. وأثبتنا ما يوافق السياق.

* الفوائـد:

(١) لم نجر في هذا الكتاب على الخوض في المسائل العلمية والفقهية إلا نادراً، وإلا فيما له علاقة بالإعراب أو البيان، وقد خاض العلماء كثيراً في كيفية تقسيم الخمس، ونلخص آراء الأئمة بما لا يخرج عن أسلوبنا:

قسمة الخمس عند أبي حنيفة أنها كانت في عهد رسول الله ﷺ على خمسة أسهم: سهم لرسول الله، وسهم لذوي قرباه، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل.

أما عند الشافعي فيقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين، كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك، وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم، والباقي يفرق على الثلاث.

وأما عند مالك بن أنس فالأمر مفوض إلى اجتهاد الإمام، إن رأى قسمه بين هؤلاء، وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض، وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم. وهناك أقوال أخرى يرجع إليها في المطولات.

(٢) يقع الخبر ظرفاً نحو: ﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾، وجاراً ومجروراً نحو ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، وشرطهما أن يكونا تامّين كما مثل، فلا يجوز زيد مكاناً، ولا زيد بك، لعدم الفائدة، ويتعلقان بمحذوف وجوباً هو الخبر، واختلف في تقديره فقيل تقديره: استقر أو مستقر.

قال ابن هشام في «المغني»: والحق عندي أنه لا يترجح تقديره اسماً ولا فعلاً بل بحسب المعنى. وقال ابن مالك في الخلاصة:

وأَخْبَرُوا بِظَرْفٍ أو بِحَرْفِ جَرْ ناوِينَ معنى كائِنٍ أو اسْتَقَرْ

وهناك ملاحظات هامة نلفت إليها الانتباه:

آ ـ يخبر بالمكان عن أسماء الذوات والمعاني، نحو: زيد خلفك والخير أمامك.

ب ـ يخبر بالزمان عن أسماء المعاني فقط نحو: الصوم اليوم والسفر غداً.

جـ ـ لا يخبر بالزمان عن أسماء الذوات فلا يقال: زيد اليوم، والفرق أن الأحداث أفعال وحركات، فلا بد لكل حدث من زمان يختص به بخلاف الذوات.

د ـ إذا حصلت فائدة جاز الإخبار بالزمان عن الذوات، كأن يكون المبتدأ عاماً والزمان خاصاً، بإضافة أو وصف، نحو: نحن في شهر كذا، فنحن مبتدأ وهو عام لصلاحيته في نفسه لكل متكلم إذ لا يختص به متكلم دون غيره، وفي شهر كذا خبره، وهو خاص بالمضاف إليه، ونحن في زمن طيب اختص بالوصف.

هـ ـ وأما نحو قولهم «الورد في أيار» و«اليوم خمر» و«الليلة الهلال»، فالتأويل فيها: خروج الورد، واليوم شرب خمر، والليلة رؤية الهلال، فالإخبار في الحقيقة إنما هو عن اسم المعنى، لا عن اسم الذات.

(٣) وقد آن أن نورد فصل الزمخشري بحروفه؛ وفيه يسمو هذا الإمام إلى أبعد أفق، ويبرهن على قوة ملاحظته وسداد تفكيره، قال:

«فإن قلت: ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين، وإن العير كانت أسفل منهم؟ قلت: الفائدة فيه: الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته، وتكامل عدته، وتمهد أسباب الغلبة له، وضعف شأن المسلمين، والتياث أمرهم، وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله سبحانه، ودليلاً على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته، وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء، وكانت أرضاً لا بأس بها، ولا ماء بالعدوة الدنيا، وهي خبار، تسوخ فيها الأرجل ـ أي: رخوة ـ، ولا يُمْشَى فيها إلا بتعب ومشقة، وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم، فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم، وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم، ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم

الذَّبّ عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهدهم في القتال، وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه، فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط همهم، ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم، ولا يخلوا مراكزهم، ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم، وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي أمراً كان مفعولاً من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة، حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج.

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر، أو هو بدل ثان من يوم الفرقان، أو متعلق بسميع عليم، أي: يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك. ويريكهم فعل مضارع، والكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثان، والله فاعل، وفي منامك حال، وقليلاً مفعول ثالث؛ لأن رأى الحلمية تنصب مفعولين بلا همزة، فإذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة. ﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ الواو عاطفة، ولو شرطية، وأراكهم فعل ماض، والكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثان، وكثيراً مفعول ثالث، واللام رابطة، وفشلتم فعل وفاعل، ولتنازعتم عطف على لفشلتم، وفي الأمر جار ومجرور متعلقان بتنازعتم ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ الواو عاطفة، ولكن واسمها، وجملة سلّم خبرها، وإنه إن واسمها، وعليم خبرها، وبذات الصدور جار ومجرور متعلقان بعليم

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ إذ بدل من الظرف قبله، ويريكموهم فعل مضارع، والكاف مفعول أول، والميم علامة الجمع، والواو لإشباع الميم، والهاء مفعول ثان، وإذ متعلق بيريكموهم، وجملة التقيتم مضافة للظرف، وفي أعينكم متعلق بقليلاً، وقليلاً حال من الهاء؛ لأن الرؤية هنا بصرية، فهي مع الهمزة تنصب مفعولين فقط. ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ عطف على ما تقدم، وفي أعينهم حال، وليقضي لام التعليل مع مجرورها متعلقان بيقللكم؛ لأنه علة التعليل، وكرره لاختلاف الفعل المعلل به إذ الفعل المعلل به أولاً اجتماعهم بغير ميعاد، وثانياً تقليل المؤمنين قبل الالتحام، ثم تكثيرهم في أعين الكفار، أما الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين فهو ظاهر، وأما تقليل المؤمنين في أعينهم قبل اللقاء فذلك ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم، حتى إذا فاجأتهم الكثرة بهتوا وهابوا وأسقط في أيديهم، وجملة كان مفعولاً صفة الأمر. ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ الواو عاطفة، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بترجع، والأمور نائب فاعل.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ رِيحُكُمْ ﴾ الريح: الدولة شبهت في نفوذ أمرها، وتمشيه بالريح وهبوبها، فقيل: هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره، قال سُلَيْكُ بن سُلَكَة:

يا صاحبَيَّ أَلَا لَا حَيَّ بالوادِي إلاّ عبيدٌ مقود بَيْنَ أَذْوَادِ
أَتَنْظُرانِ قليلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أم تَعْدُوانِ فإنَّ الرّيحَ لِلعْادِي

فقد استعار الشاعر الريح للدولة بجامع النفوذ والأمر النافذ من كل،

فهي من المجاز، وإذا هبت رياحك فاغتنمها، ورجل ساكن الريح: وقور، وفي القاموس والمختار: أن الريح يطلق ويراد به: القوة، والغلبة، والرحمة، والنصرة، والدولة.

(البَطَر والأَشَر) بفتحتين: الطغيان في النعمة بترك شكرها، وجعلها وسيلة إلى ما لا يرضاه الله، وقيل: معناهما الفخر بالنعمة ومقابلتها بالتكبر والخيلاء بها.

(الرئاء) مصدر راءى، كقاتل قتالاً، والأصل: رياء، فالهمزة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة، والثانية بدل من ياء هي لام الكلمة؛ لأنها وقعت طرفاً بعد ألف زائدة.

○ الإعراب:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ ﴾ إذا حرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه، وجملة لقيتم مضافة، وفئة مفعول به، والفاء رابطة، واثبتوا فعل أمر وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ واذكروا عطف على اثبتوا، وهو فعل أمر وفاعل، ولفظ الجلالة مفعول به، وكثيراً مفعول مطلق؛ لأنه صفة لمصدر محذوف، ويجوز إعرابه ظرفاً، أي: وقتاً كثيراً، ولعلكم تفلحون: لعل واسمها، وجملة تفلحون خبرها. ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ وأطيعوا عطف على اذكروا، ولفظ الجلالة مفعول به، ورسوله عطف عليه، ولا ناهية، وتنازعوا أصله تتنازعوا مجزوم بلا الناهية، والفاء فاء السببية؛ لأنها وقعت في جواب النهي، وتفشلوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، وتذهب ريحكم عطف على فتفشلوا، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، وتفشلوا مجزوم لأنه داخل في حكم النهي، وقد قرىء بذلك. ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ عطف على ما تقدم وإن واسمها، والظرف خبرها ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ ولا تكونوا عطف على

ما تقدم، وتكونوا فعل مضارع ناقص، والواو اسمها، وكالذين الكاف اسم بمعنى مثل خبرها، والذين مضاف إليه، أو هما جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونوا، والمراد بهم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير، فأتاهم رسول أبي سفيان، وهم بالجحفة، أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدراً نشرب بها الخمور، وتعزف علينا القيان، ونطعم من حولنا من العرب، فذلك بطرهم ورئاؤهم، فوافوها، فسقوا كأس المنايا، وناحت عليهم النوائح مكان القيان. وبطراً مصدر في موضع الحال، ويجوز أن يعرب مفعولاً لأجله، وكذلك رئاء الناس. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ الواو عاطفة، وجملة يصدون معطوفة على بطراً، أي: وصداً عن سبيل الله، وإنما عدل عن الاسمية إلى الفعلية في الصد لأن البطر والرئاء كانا ديدنهم ودأبهم، بخلاف الصد فإنه تجدد لهم في زمن النبوة، والواو استئنافية، والله مبتدأ، ومحيط خبره، وبما يعملون جار ومجرور متعلقان بمحيط.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ رجع القهقرى يمشي إلى ظهره، قال الشاعر:

ليس النّكوص على الأعقاب مكرمةً
إنَّ المكارمَ إقدامٌ على الأصل

والعقب بكسر القاف وسكونها: مؤخر القدم، والولد، وولد الولد،

والجمع أعقاب، وأعقاب الأمور: أواخرها، يقال: جاء عقبه وبعقبه، أي: خلفه، ورجع على عقبه، أي: على الطريق التي جاء منها سريعاً، ووطىء عقبه، أي: مشى في أثره، وسافر على عقب الشهر، أي: في آخره.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الظرف إذ منصوب باذكر محذوفاً، وجملة زين مضاف إليها، ولهم متعلق بزين، والشيطان فاعل، وأعمالهم مفعول به ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وقال عطف على زين، ولا نافية للجنس، وغالب اسمها مبني على الفتح، ولكم خبرها، ومن الناس حال من الضمير في لكم لتضمنه معنى الاستقرار. ﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ الواو عاطفة للجملة التي في حيز القول؛ ولذلك كسرت همزتها، وإن واسمها وجار خبرها، ولكم متعلق بجار لأنها بمعنى مجير ومعين وناصر لكم، قيل: أتاهم الشيطان في صورة سراقة بن مالك سيد ناحية كنانة. ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ الفاء عاطفة، ولما ظرف بمعنى حين، أو رابطة، وتراءت الفئتان فعل وفاعل، ونكص عطف على تراءت، والجملة لا محل لها وعلى عقبيه حال، أي: هارباً ﴿وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ﴾ وقال عطف على نكص، وإن واسمها وخبرها، ومنكم جار ومجرور متعلقان ببريء، والجملة مقول القول. ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ إن واسمها، وجملة أرى خبرها، وما مفعول به، وجملة لا ترون صلة، والعائد محذوف ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إن واسمها، وجملة أخاف الله خبرها، والله مبتدأ، وشديد العقاب خبر، والجملة عطف على ما في حيز القول ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الظرف معمول اذكر أو نكص، وجملة يقول المنافقون مضافة، والذين عطف على المنافقون، وفي قلوبهم خبر مقدم، ومرض مبتدأ مؤخر، والجملة صلة ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ الجملة مقول القول، وهؤلاء مفعول غر، ودينهم فاعله، يعني هؤلاء المنافقون ومرضى القلوب: أن المسلمين اغتروا بدينهم، وسولت لهم أنفسهم لقاء زهاء ألف وهم

لا يتجاوزون ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً، فقال الله لهم مبكتاً: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويتوكل فعل الشرط، وعلى الله متعلق بيتوكل، وجواب الشرط محذوف تقديره يغلب، والفاء رابطة للتعليل، وإن الله عزيز حكيم إن واسمها وخبراها.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الواو استئنافية، وترى فعل مضارع، وهي بصرية، والفاعل مستتر تقديره أنت، والمفعول به محذوف، أي: الكفرة، أو حالهم، وإذ ظرف لترى، أي: ولو ترى الكفرة، أو حال الكفرة حين تتوفاهم الملائكة ببدر. ولو الامتناعية تردُّ الفعل المضارع ماضياً، كما أن «إن» ترد الماضي مضارعاً، وجملة يتوفى مضافة، والذين مفعول به، والملائكة فاعل، وجملة كفروا صلة، وقد تقدم سر الحذف لجواب لو والمفعول به، وقد اجتمعا هنا، وتقدير الجواب: لرأيت شيئاً عظيماً. ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ جملة يضربون حال من الملائكة، أو من الذين كفروا لأن فيهما ضميريهما، ويجوز أن يكون فاعل يتوفى هو ضمير الله تعالى لتقدمه في قوله «ومن يتوكل على الله» وعندئذ فالملائكة مبتدأ خبره

ما بعده، والجملة حال من الذين كفروا، وذوقوا معطوف على يضربون على إرادة القول، أي: ويقولون ذوقوا، وعذاب الحريق مفعول به ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ذلك رفع بالابتداء، وبما قدمت خبره، وما مصدرية، أو موصولة، وأيديكم فاعل، وأن الله عطف على ما، أي: ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله، وجملة ليس خبر إن، وبظلام الباء حرف جر زائد، وظلام خبر ليس محلاً، وللعبيد جار ومجرور متعلقان بظلام، وظلام صيغة مبالغة تفيد النسب. ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الكاف في محل رفع خبر مبتدأ محذوف، أي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، سواء كانت اسمية أم حرفية، وآل مضاف، وفرعون مضاف إليه، والذين عطف على آل، ومن قبلهم صلة الذين، والجملة استئنافية مسوقة لبيان ما حلَّ بهم من العذاب بسبب كفرهم قال ابن عباس: والمعنى أن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه الصلاة والسلام نبي فكذبوه، فكذلك حال هؤلاء لما جاءهم محمد ﷺ بالصدق كذبوه. فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزلها بآل فرعون. ﴿ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جملة كفروا بآيات الله تفسيرية لدأب آل فرعون، وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بكفروا ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ عطف على كفروا، وأخذهم الله فعل ومفعول به وفاعل، وبذنوبهم متعلق بأخذهم، أي: بسبب ذنوبهم، وإن واسمها، وقوي خبرها الأول، وشديد العقاب خبرها الثاني.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وبأن الله خبره، وجملة لم يك خبر أن، ويك مضارع ناقص مجزوم بلم، وعلامة جزمه السكون المقدرة على النون المحذوفة للتخفيف. وسترد في باب: الفوائد خصائص كان، واسم يك مستتر، تقديره: الله تعالى، ومغيراً خبرها، ونعمة مفعول به لمغيراً لأنه اسم فاعل، وجملة أنعمها صفة لنعمة، والهاء مفعول به، وعلى قوم جار ومجرور متعلقان بأنعمها ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويغيروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والجار والمجرور متعلقان بمغيراً، وما مفعول به، وبأنفسهم صلة ما ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ عطف على ما سبقه؛ ولذلك فتحت همزة أن، أي: وبسبب أن الله، وسميع خبر أن الأول، وعليم خبرها الثاني. ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كرّره لفوائد نلخصها بمايلي:

(١) أن الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأول، فتكون الجملة تفسيرية.

(٢) ذكر في الآية الأولى أنهم كفروا بآيات الله وجحدوها، وفي الثانية إشارة إلى أنهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها.

(٣) أن التكرير للتأكيد، فتكون الجملة مؤكدة تابعة للأولى، وقد تقدم إعرابها على كل حال.

﴿كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ الجملة تفسيرية أيضاً كما تقدم في سابقها، وجملة فأهلكناهم بذنوبهم عطف على كذبوا. ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ عطف على ما تقدم، وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب ﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَـٰلِمِينَ﴾ كل مبتدأ ساغ الابتداء فيها لإضافتها ونيابة التنوين عن المضاف إليه، كما تقدم في بحث تنوين العوض، ولما فيها من معنى العموم، أي: وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش، وجملة كانوا ظالمين خبر كل، وجمع الضمير في كانوا وفي ظالمين مراعاة لمعنى كل؛ لأن «كل» متى قطعت عن الإضافة جاز مراعاة لفظها تارة، ومراعاة معناها أخرى، وإنما اختير هنا مراعاة المعنى لأجل الفواصل، ولو روعي اللفظ فقط فقيل: وكل كان ظالماً، لم تتفق الفواصل.

□ البلاغة:

(١) المجاز المرسل في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فإن هذا العذاب إنما حاق بهم بسبب كفرهم، ومحل الكفر هو القلب لا اليد لأنها ليست موضعاً للمعرفة، فلا يتوجه التكليف عليها حتى يمكن إيصال العذاب إليها،

ولكن اليد هنا معناها القدرة، والعلاقة السببية؛ لأن اليد آلة النعمة كما استعملت مجازاً بمعنى النعمة.

(٢) عدل عن ظالم إلى ظلاَّم، وقد كان ظاهر الكلام يقتضي بنفي الأدنى؛ لأنه أبلغ من نفي الأعلى؛ لأن نفي الأعلى لا يستلزم نفي الأدنى، وبالعكس؛ ولكنه عدل عن ذلك لأجل العبيد، أو لأن العذاب من العظم، بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذِّب بمثله ظلاَّماً بليغ الظلم متفاقمه.

* الفوائـد:

(١) صيغة فعَّال وفاعل وفعل في النسب:

قد يستغنى عن ياء النسب بصوغ المنسوب إليه على فعّال بتشديد ثانيه، وذلك غالب في الحِرَف، جمع حرفة، كبزّاز بزايين معجمتين لبائع البز، ونجّار لمن حرفته النجارة، وعوَّاج لبياع العاج، وعطَّار لبياع العطر، ومن غير الغالب قول امرىء القيس:

وليسَ بِذِي رُمْحٍ فيطعَنني بِهِ وليسَ بِذِي سَيْفٍ وليسَ بَنَبَّالِ

أي: بذي نبل، بدليل ما قبله فاستعمل فعال في غير الحرف، وحمل عليه قوم من المحققين قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: بذي ظلم، والذي حملهم على ذلك أن النفي منصب على المبالغة فثبت أصل الفعل، والله تعالى منزه عن ذلك، وأمثلة فعَّال كثيرة، ومع كثرتها قال سيبويه: غير مقيسة، فلا يقال لصاحب الدقيق دقّاق، ولا لصاحب الفاكهة فكّاه، ولا لصاحب البر برار، ولا لصاحب الشعير شعّار، والمبرد يقيس هذا.

هذا؛ ويصاغ المنسوب إليه أيضاً على فاعل، أو على فَعِل بفتح أوله وكسر ثانيه بمعنى ذي كذا، فالأول كتامر، أي: ذي تمر، ولابن، أي: ذي لبن، وطاعم، أي: ذي طعام، وكاس، أي: ذي كساء، والثاني كطعِم، أي: ذي طعام، ونهر، أي: ذي نهار، قال الراجز:

لســتُ بلَيْلِــي ولكنــي نَهِــرْ لا أُدْلِـجُ الليـلَ ولكـن أَبْتَكِـرْ

أنشده سيبويه في كتابه، أي: ولكنني نهاريّ، أي: عامل بالنهار.
واختلفوا في قول الحطيئة:

دَعِ المكـارمَ لا تَـرْحَـلْ لبغيتهـا واقعدْ فإنَّك أنتَ الطَّاعمُ الكاسِي

فقال قوم: هو فاعل بمعنى مفعول، أي: مطعوم ومكسو، على حد قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾، وقال آخرون: هو من باب النسب، أي: ذي طعام، وذي كسوة، وفي كلتا الحالين فهو ذم، أي: أنه ليس له فضل غير أنه يأكل ويشرب.

(٢) خصائص كان:

تختص «كان» بأمور:

آ ـ جواز زيادتها بشرطين:

أحدهما: كونها بلفظ الماضي لتعين الزمان فيه دون المضارع، وشذَّ قولُ أم عقيل بن أبي طالب وهي ترقصه:

أنـتَ تكـونُ مـاجِـدٌ نبيـلُ إذا تَهُـبُّ شَمْـأَلٌ بَلِيـلُ

فأنت مبتدأ وماجد خبره، وتكون زائدة بين المبتدأ والخبر.

والثاني: كونها بين شيئين متلازمين ليسا جاراً ومجروراً، وليس المراد بزيادتها أنها لا تدل على معنى البتة، بل أنها لم يؤت بها للإسناد، وإلاَّ فهي دالةٌ على المضيِّ ولهذا كثر زيادتها بين ما التعجبية وفعل التعجب؛ لكونه سلب الدلالة على المضي نحو: ما كان أحسن زيداً، فكان زائدة بين المبتدأ وخبره، وقال الشاعر:

حجبتْ تحيتها فقلتُ لصاحبي مـا كـان أكثـرهـا لنـا وأقلّهـا

وقد تزاد بين الفعل ومرفوعه، نحو قول بعضهم: لم يوجد كان مثلهم، فزاد كان بين الفعل ونائب الفاعل، واختلف في قول الفرزدق:

فكيـفَ إذا مَـرَرْتَ بـدارِ قَـوْمٍ وجيرانٍ لنـا، كـانـوا، كِـرامِ

فقال قوم منهم المبرد: إنها في البيت ليست بزائدة بل هي الناقصة، والواو

اسمها، ولنا خبرها، والجملة في موضع الصفة لجيران، وكرام صفة بعد صفة، فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾، وذهب سيبويه والخليل إلى أنها في البيت زائدة ولاتباعهما في تخريج اتصالها بالواو أقوال يرجع إليها في المطولات.

ب ـ ومنها أنها تحذف ويبقى اسمها وخبرها، وكثر ذلك بعد أن المصدرية الواقعة في موضع المفعول لأجله في كل موضع أريد فيه تعليل فعل بفعل، نحو: أمَّا أنت منطلقاً انطلقت، فانطلقت معلول وما قبله علة له مقدمة عليه، والأصل: انطلقت لأن كنت منطلقاً، ثم قدمت اللام التعليلية وما بعدها المجرور بها على «انطلقت» فصار: لأن كنت منطلقاً انطلقت، ثم حذفت كان لذلك فانفصل الضمير الذي هو اسم كان، فصار: أن أنت منطلقاً، ثم زيدت ما للتعويض من كان فصار: أن ما أنت، ثم أدغمت النون في الميم للتقارب في المخرج، فصار أما أنت، وعليه قول عباس بن مرداس:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذا نَفَرٍ فإنَّ قَوْمِيَ لم تأكُلْهُمُ الضَّبُعُ

أي: لأن كنت ذا نفر فخرت، ثم حذف «فخرت» وهو متعلق الجار؛ لأن وما بعدها، وأبا خراشة منادى، ودخلت الفاء في: فإن قومي؛ لأن الثاني مستحق بالأول، فهو مسبّب عنه، والأول سبب، فأشبه الشرط والجزاء.

ج ـ ومنها أنها تحذف مع اسمها، ويبقى الخبر، ويكثر ذلك بعد إن ولو الشرطيتين، فمثال لو:

لا يأمن الدَّهْرَ ذو بَغْيٍ ولو ملكاً
جُنودُهُ ضاقَ عنها السَّهلُ والجَبَلُ

أي ولو كان صاحب البغي ملكاً ذا جنود كثيرة وقول النبي ﷺ: «التمس ولو خاتماً من حديد» أي التمس شيئاً ولو كان ما تلتمسه خاتماً من حديد.

ومثال إن:

قد قيلَ ما قيل إن صدقاً وإنْ كذباً
فما اعتذارُك من قول إذا قِيلا

أي: إن كان ما قيل صدقاً وإن كان ما قيل كذباً، وقولهم: «الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر» بنصب الأول على الخبرية لكان المحذوفة مع اسمها، ورفع الثاني على الخبرية لمبتدأ محذوف، أي: إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير، وإن كان عملهم شراً فجزاؤهم شر.

د ـ ومنها أن لام مضارعها وهي النون يجوز حذفها تخفيفاً، وصلاً لا وقفاً، وذلك بشرط أن يكون مجزوماً بالسكون غير متصل بضمير نصب ولا بساكن نحو: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ وكالآية التي نحن بصددها.

هـ ـ ومنها، وهذه الخاصة تشاركها فيها أخواتها إلا ثلاثة، أن تستعمل تامة، أي: مستغنية بمرفوعها، نحو: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ وقول أبي تمام:

قد كان ما خفت أن يكونا إنّا إلى اللهِ راجعونا

ومعناها عندئذ حصل، أما الثلاثة التي لزمت النقص فهي: فتىء، وزال، وليس.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: تصادفهم وتظفر بهم، وفي المصباح: ثقفت الشيء ثقفاً، من باب: تعب، أخذته، وثقفت الرجل في الحرب: أدركته، وثقفته: ظفرت به، وثقفت الحديث: فهمته بسرعة، والفاعل: ثقيف.

﴿ فَٱنۢبِذۡ ﴾: فاطرح إليهم العهد، والنبذ الطرح، وهو هنا مجاز عن إعلامهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم، فشبّه العهد بالشيء الذي يرمى لعدم الرغبة فيه، وأثبت النبذ له تخييلاً، ومفعوله محذوف، أي: عهدهم، وسيأتي مزيد من هذا البحث الهام في باب: البلاغة.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ إن واسمها، والدواب مضاف لشر، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال، والذين خبر إن، وجملة كفروا صلة، والجملة كلها استئنافية سيقت بعد شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة للشروع في بيان أحوال الباقين منهم وتفصيل أحكامهم. ﴿ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ الفاء الفصيحة، وهم مبتدأ، وجملة لا يؤمنون خبر، أي: لا يتوقع منهم إيمان بعد أن أصروا على الكفر ولجوا فيه. ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ﴾ بدل من الذين كفروا فمحله الرفع، أي: الذين عاهدتهم من الذين كفروا، وجعلهم شر الدواب؛ لأن شر الناس الكفار، وشر الكفار المصرون منهم، وشر المصرين الذين نكثوا العهود، وجملة عاهدت صلة، ومنهم حال. ﴿ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾ ثم عطف للترتيب مع التراخي، وعهدهم مفعول به، وفي كل مرة جار ومجرور متعلقان بينقضون، والواو عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة لا يتقون خبر ﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ ﴾ الفاء رابطة لشبه المبتدأ بالشرط؛ لأن الموصولَ فيه رائحة منه، وإن شرطية، وما زائدة، وأدغمت النون بالميم، وتثقفنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به، وفي الحرب جار ومجرور متعلقان بتثقفنهم ﴿ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ ﴾ الفاء رابطة، وشرد فعل أمر، وبهم جار ومجرور متعلقان بشرد، والباء بمعنى السببية، أي: بسبب تنكيلك بهم، ومن مفعول به لشرد، وخلفهم ظرف متعلق بمحذوف صلة، والمعنى: إنك إذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد، فافعل بهم أنماطاً من التنكيل تفرق بها جمع كل ناقض للعهد خافر

للذمام، حتى يخافك من وراءهم. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ لعل واسمها، وجملة يذكرون خبرها، أي: لعلهم يتعظون بهم. ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية أدغمت بما الزائدة، وتخافن فعل الشرط، ولكنه مبني لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر تقديره: أنت، ومن قوم جار ومجرور متعلقان بتخافن، وخيانة مفعول به. ﴿ فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ الفاء رابطة، وانبذ فعل أمر، وإليهم جار ومجرور متعلقان بانبذ، وعلى سواء في موضع الحال من الفاعل والمفعول معاً، أي: فاعل الفعل، وهو ضمير النبي، ومفعوله، وهو المجرور بإلى، أي: حال كونهم مستوين في العلم بنقض العهد، وسيأتي مزيد بحث في هذه الآية العجيبة الأسلوب. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ إن واسمها، وجملة لا يحب الخائنين خبرها، والجملة تعليلية للأمر بالنبذ، والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف. ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، ويحسبن مضارع مبني في محل جزم بلا الناهية، والذين كفروا فاعل، والمفعول الأول محذوف، أي: أنفسهم، وجملة سبقوا مفعول يحسبن الثاني، أي: فاتوا عذابه ونجوا منه، وإن واسمها، وجملة لا يعجزون خبرها.

□ البلاغة:

فن الإشارة:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ ، فن يقال له: «فن الإشارة»، وبعضهم يدرجه في باب الإيجاز لأنه متفرع عنه، ولكن قدامة فرعه من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وشرحه فقال: هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على المعنى الكثير، حتى تكون دلالة اللفظ على المعنى كالإشارة باليد، فإنها تشير بحركة واحدة إلى أشياء كثيرة، لو عبرّ عنها بأسمائها احتاجت إلى عبارة طويلة وألفاظ كثيرة. والفرق بينه وبين الإيجاز، أن: الإيجاز بألفاظ المعنى الموضوعة له، وألفاظ الإشارة لمحة دالة، فدلالة اللفظ على الإيجاز دلالة مطابقة، ودلالة اللفظ في الإشارة إما دلالة تضمين،

أو دلالة التزام، فقوله تعالى: ﴿ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ ﴾ تشير إلى الأمر بالمقاتلة بنبذ العهد كما نبذوا عهدك، مع ما يدل عليه الأمر بالمساواة في الفعل من العدل، فإذا أضفت إلى ذلك ما تشير إليه كلمة خيانة من وجود معاهدة سابقة، تبين لك ما انطوت عليه هذه الإشارات الخفية من دلالات كأنها أخذة السحر.

وقد افتن العلماء في بناء حكم الآية، فقالوا: إنه إذا ظهرت آثار نقض العهد ممن عاهدهم الإمام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض، استغنى الإمام عن نبذ العهد وإعلامهم بالحرب، وإن ظهرت الخيانات بأمارات تلوح وتتضح له من غير أمر مستفيض، فحينئذ يجب عليه أن ينبذ إليهم، ويعلمهم بالحرب، وأما إذا ظهر نقض العهد ظهوراً مقطوعاً، فلا حاجة للإمام إلى نبذ العهد، بل يفعل كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة، وهم في ذمة رسول الله ﷺ، فلم يرعهم إلا وجيشه بمر الظهران، وذلك على أربعة فراسخ من مكة.

فن الإشارة في الشعر:

أما فن الإشارة في الشعر، فهو شائع في شعرنا العربي كثيراً، ومن أطرفه قول بهاء الدين زهير:

عفــا اللهُ عنكــم أيــن ذاك التــودُّدُ؟
وأيــن جميــلٌ منكــم كنــت أعهــد؟
بمــا بيننــا لا تنقضُــوا العهــدَ بيننــا
فيسمــــع واشٍ أو يقــــول مُفنــــد

فقد أشار بما إلى ما لا يحصى من دواعي الهوى، ونوازع الشوق، وجميل قول أبي الطيب المتنبي:

لِعَيْنَيْكِ ما يَلْقَى الفؤادُ وما لَقِي وللْحُبِّ ما لم يَبْقَ منِّي وما بَقِي

فقد أشار بما الأولى وما الثانية إلى مالا يخفى مما يلقاه قلبه من الوجد فيما

يستأنفه، وما لقيه من قبل ذلك فيما أسلفاه، ومما أحدثه الحب فيه من ندوب، سواء ما لم يبقه السقم منه مما أفناه، وما بقي منه مما أنحله وأضناه، ولأبي فراس في الإشارة:

وما لك لا تلقى بمهجتكَ القَنَا وأنتَ من القومِ الذين هُم هم

وما أبدع قول أبي العلاء المعري:

منك الصُدودُ ومنِّي بالصُّدود رضا
مـن ذا علـيَّ بهـذا في هـواكَ قضـى
بي منك ما لو بعين الشَّمسِ ما طلعتْ
مـن الكـآبـةِ أو بـالبرقِ مـا ومضـا

أما خالد الكاتب فقد بلغ نهاية الحسن بقوله:

رقـدت ولم تـرث للسَّـاهـر وليـلُ المحـبِّ بـلا آخـر
ولم تـدرِ بعـد ذهـاب الـرّقـا د مـا فعـلَ الـدَّمـعُ بـالنَّـاظـر

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ هي: ما يرتبط منها، ورباط الخيل: حبسها واقتناؤها، قال:

فينا رباطُ جيادِ الخيلِ معلمة وفي كليب رباطُ اللؤمِ والعار

وقال الزمخشري: «والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة، ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل

وفصال، والمصدر هنا مضاف لمفعوله». وفي المصباح: ربطه ربطاً ـ من باب: ضرب، ومن باب: قتل ـ لغة شده، والرباط: ما يربط به القربة وغيرها، والجمع: ربط، مثل: كتاب وكتب، ويقال للمصاب: ربط الله على قلبه بالصبر، كما يقال: أفرغ الله عليه الصبر، أي: ألهمه، والرباط، اسم من رابط مرابطة ـ من باب: قاتل ـ إذا لازم ثغر العدو، والرباط الذي يبنى للفقراء، مولّد، ويجمع في القياس على ربط بضمتين ورباطات اهـ. ونرى أن المطابق للقوة التي هي الرمي أن يكون الرباط على بابه والله أعلم.

(جنح) له وإليه: مال، وجنحت الإبل: أمالت أعناقها، والمصدر: الجنوح، ويقال: جنح الليل، أقبل، قال النضر بن شميل: جنح الرجل إلى فلان ولفلان: إذا خضع له، والجنوح: الاتباع أيضاً لتضمنه الميل، ومنه الجوانح للأضلاع لميلها على حشوة الشخص، والجناح من ذلك لميلانه على الطائر. قال ذو الرمة:

إذا ماتَ فوق الرَّحْلِ أحييتُ رُوحَهُ
بذكراكِ والعِيسُ المراسيلُ جُنَّحُ

وقال النابغة:

جوانحُ قد أيقنَّ أنَّ قبيلَهُ إذا ما التقى الجمعانِ أوَّلُ غالبِ

(السلم) بكسر السين وفتحها الصلح، ففي المصباح: والسلم بكسر السين وفتحها الصلح ويذكر ويؤنث، وقال الزمخشري: والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب، قال عباس بن مرداس يخاطب خفاف بن ندبة:

السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا ما رَضِيتَ به
والحربُ يكفيكَ مِنْ أنفاسِهَا جُرَعُ

○ الإعراب:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ الواو عاطفة، وأعدوا فعل أمر، والواو فاعل، ولهم جار ومجرور متعلقان بأعدوا، والمراد

ناقضو العهد كما يقتضيه سياق الكلام، أو للكفار مطلقاً، وما مفعول به، وجملة استطعتم صلة، ومن قوة في موضع نصب على الحال من الموصول، أو من العائد عليه، ومن رباط الخيل عطف عليه. ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ جملة ترهبون حال من فاعل أعدوا، أي: حال كونكم مرهبين، أو حال من مفعول أعدوا، وهو الموصول، أي حال: كونه مرهباً به، وبه متعلق بترهبون، وعدو الله مفعول ترهبون، وعدوكم عطف على عدو الله، وآخرين عطف على عدوكم، والمراد بهم اليهود، ومن دونهم صفة لآخرين ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ جملة لا تعلمونهم صفة لآخرين، والله مبتدأ، وجملة يعلمهم خبر، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: محاربين ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الواو استئنافية، وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم لتنفقوا وتنفقوا فعل الشرط، ومن شيء حال، وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بتنفقوا، ويوف جواب الشرط، ونائب الفاعل مستتر، وإليكم جار ومجرور متعلقان بيوف، وأنتم مبتدأ، وجملة لا تظلمون خبر، والجملة معطوفة ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وجنحوا فعل ماض، وهو فعل الشرط، وللسلم جار ومجرور متعلقان بجنحوا، والفاء رابطة، واجنح فعل أمر، ولها جار ومجرور متعلقان باجنح، وتوكل عطف على اجنح، وعلى الله متعلق بتوكل، وإن واسمها، وهو ضمير فصل، والسميع خبر أول، والعليم خبر ثان، ويجوز أن يكون هو مبتدأ، والسميع العليم خبراه، والجملة خبر إنه.

* الفوائـد:

بحث في المؤنث:

اعلم أن العرب قد أنّثوا أسماء كثيرة بتاء مقدرة، ويستدلّ على ذلك التقدير: بالضمير العائد عليها، نحو: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾. وبالإشارة إليها

نحو: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾. وبثبوت التاء في تصغيرها نحو: أذينة وعيينة، مصغّر أذن وعين من الأعضاء المزدوجة، فإن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها، وغير المزدوج مذكر كالرأس والقلب. أو بثبوت التاء في فعلها نحو: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ وبسقوطها من عددها كقول حميد الأرقط يصف قوساً عربية:

أَرْمي عليها وهي فرعٌ أجمع ... وهـي ثـلاثُ أذرعٍ وأصبـع

فأذرع جمع ذراع، وهي مؤنثة بدليل سقوط التاء من عددها، وهو ثلاث.

هذا؛ والقاعدة المشهورة، هي أنه ما كان من الأعضاء مزدوجاً، فالغالب عليه التأنيث إلا الحاجبين والمنخرين والخدين فإنها مذكرة، والمرجع السماع، وعدّ المنخرين من المزدوج لا ينافي عدّ الأنف من غيره؛ لأن الأنف اسم للمنخرين معاً وكل واحد يسمَّى منخراً لا أنفاً، ومن المزدوج الكف فهي مؤنثة، وزعم المبرد أنها قد تُذكَّر، وأنشد:

ولو كفي اليمين تقيك خوفاً ... لأفـردتُ اليميـنَ عـن الشّمـال

ولم يقل اليمنى، كذا قال المبرد، وهو وهم لأنَّ اليمين مؤنثة بمنزلة اليمنى. وقال ابن يسعون: ذكّر حملاً على العضو، ثم رجع إلى التأنيث، فقال: تقيك.

وما كان من الأعضاء غير مزدوج فالغالب عليه التذكير، ومن غير الغالب اللسان والقفا فإنهما قد يؤنَّثان.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿حَسْبَكَ﴾ الحسْب: ـ بسكون السين ـ الكفاية، يقال: حسبك درهم،

وتزاد عليه الباء، فيقال: بحسبك درهم، أي: كفايتك، وهذا رجل حسبك من رجل، وزيد صديقي فحسبي، أو فحسب، أي: يكفيني، ويغني عن غيره، وقال جرير:

إنِّي وجدتُ من المكارمِ حَسْبَكُمْ
أن تَلْبَسُوا خَزَّ الثِّيابِ وتَشْبَعُوا
فإذا تُذُوكرتِ المكارمُ مرَّةً
في مجلسٍ أنتمْ به فَتَقَنَّعُوا

○ الإعراب:

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويريدوا فعل الشرط، والواو فاعل، وأن وما في حيزها مصدر مفعول به، فإن الفاء رابطة، وإن واسمها وخبرها، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هو مبتدأ، والذي خبره، وجملة أيدك صلة، وبنصره جار ومجرور متعلقان بأيدك، وبالمؤمنين عطف على بنصره ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾ وألف عطف على أيدك، وبين ظرف متعلق بألف، وقلوبهم مضاف إليه ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ لو شرطية، وأنفقت فعل وفاعل، وما مفعول به، وفي الأرض صفة، وجميعاً حال، وما نافية، وألفت فعل وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية، ولكن واسمها، وجملة ألف بينهم خبر لكن، وإن واسمها وخبراها، والجملة تعليلية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ حسبك خبر مقدم، والله مبتدأ مؤخر، أو بالعكس، ومن عطف على الله، وجملة اتبعك صلة، ومن المؤمنين حال.

والمعنى: حسبك الله وحسبك المؤمنون، أي: كافيك الله وكافيك المؤمنون، ويحتمل أن تكون بمعنى مع وما بعده منصوب، كما تقول: حسبك وزيداً درهم، والمعنى: كافيك وكافي المؤمنين الله؛ لأن عطف الظاهر

على المضمر في مثل هذه الصورة ممتنع، كما تقرَّر في علم النحو، وأجازه الكوفيون، قال الفراء: ليس بكثير في كلامهم أن تقول: حسبك وأخيك، بل المستعمل أن يقال: حسبك وحسب أخيك، بإعادة الجار، فلو كان قوله ومن اتبعك مجروراً لقيل: حسبك الله، وحسب من اتبعك، واختار النصب على المفعول معه النحاس.

* الفوائـد:

حسب: قال أبو حيان: وحسبك مبتدأ مضاف إلى الضمير، وليس مصدراً، ولا اسم فاعل.

قال سيبويه: «قالوا: حسبك وزيداً درهم لما كان فيه من معنى كفاك، وقبح أن يحملوه على المضمر إن نووا الفعل، كأنه قال: حسبك، وبحسب أخاك درهم، وكذلك كفيك» كفيك وهو من كفاه يكفيه، وكذلك قطك تقول: كفيك وزيداً درهم، وقطك وزيداً درهم، وليس هذا من باب المفعول معه، وإنما جاء سيبويه به حجة للحمل على الفعل للدلالة، فحسبك يدلُّ على كفاك، ويحسبني مضارع أحسبني فلان؛ إذا أعطاني حتى أقول حسبي. فالناصب في هذا فعل يدل عليه المعنى، وهو في: كفيك وزيداً درهم، أوضح لأنه مصدر للفعل المضمر، أي: ويكفي زيداً. وفي قطك وزيداً درهم التقدير فيه أبعد؛ لأن قطك ليس في الفعل المضمر شيء من لفظه، إنما هو مفسر من حيث المعنى فقط، وفي ذلك الفعل المضمر فاعل يعود على الدرهم، والنية بالدرهم التقديم، فيصير من عطف الجمل، ولا يجوز أن يكون من باب الإعمال؛ لأن طلب المبتدأ للخبر وعمله فيه ليس من قبيل طلب الفعل، أو ما جرى مجراه ولا عمله، فلا يتوهم ذلك فيه.

وقال الزجاج: «حسب: اسم فعل، والكاف نصب، والواو بمعنى مع»، فعلى هذا يكون الله فاعلاً لحسبك، وعلى هذا التقدير يجوز في: ومَنْ أن يكون معطوفاً على الكاف؛ لأنها مفعول باسم الفعل لا مجرور؛ لأن اسم الفعل لا يضاف؛ إلا أن مذهب الزجاج خطأ لدخول العوامل على حسبك،

تقول: بحسبك درهم، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ ولم يثبت كونه اسم فعل في مكان، فيعتقد فيه أنه يكون اسم فعل، واسماً غير اسم فعل كرويد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿حَرِّضِ﴾ التحريض في اللغة: المبالغة في الحث على الأمر من الحرض، وهو: أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت، أو أن تسميه حرضاً وتقول له: ما أراك إلا حرضاً في هذا الأمر ومحرضاً فيه ليهيجه ويحرّك منه، ويقال: حركه، وحرضه، وحرصه، وحرشه، وحربه، بمعنى، وفي المصباح: حرض حرضاً ـ من باب: تعب ـ أشرف على الهلاك، فهو حَرَض بفتح الراء تسمية بالمصدر مبالغة، وحرضته على الشيء تحريضاً. وفي المختار: والتحريض على القتال: الحث والإحماء عليه.

○ **الإعراب:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ حرض فعل أمر، وفاعله أنت، والمؤمنين مفعول به، وعلى القتال جار ومجرور متعلقان بحرض. ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ إن شرطية، ويكن فعل الشرط، ومنكم خبر يكن المقدم وعشرون اسمها المؤخر، وصابرون صفة، ويغلبوا جواب الشرط، ومئتين مفعول به، ويجوز أن تعرب يكن هنا تامة فيكون

عشرون فاعلاً، ومنكم حال ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ عطف على ما تقدم، والإعراب مماثل، ومن الذين كفروا صفة لـ «ألفاً» ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ بأنهم جار ومجرور متعلقان بيغلبوا، والباء للسببية، وأن واسمها، وقوم خبرها، وجملة لا يفقهون صفة لـ «قوم» ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ الآن ظرف متعلق بخفف، والله فاعل، وعنكم متعلق بخفف ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ عطف على خفف، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي علم، وفيكم خبر أن المقدم، وضعفاً اسمها المؤخر ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ﴾ فيها ما تقدم من الإعراب ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ ﴾ عطف على ما تقدم ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ بإذن الله جار ومجرور متعلقان بيغلبوا، والله مبتدأ، ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر، والصابرين مضاف إليه.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يُثْخِنَ ﴾ في المصباح: «أثخن في الأرض إثخاناً: سار إلى العدو، وأوسعهم قتلاً، وأثخنته: أوهنته بالجراحة، وأضعفته». وأثخنه المرض إذا أثقله، من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة، والمعنى: حتى يذلّ الكفر، ويضعفه بإشاعة القتل في أهله، ويعز الإسلام، ويقويه بالاستيلاء، والقهر، ثم الأسر بعد ذلك.

﴿ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ حطامها، سُمِّي بذلك لأنه قليل اللبث يريد الفداء، وقد

سمَّى المتكلمون الأعراض أعراضاً؛ لأنها لا ثبات لها، فإنها تطرأ على الأجسام، ثم تزول عنها.

○ الإعراب:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولنبي خبر مقدم، وأن وما في حيزها اسمها، ويجوز أن تكون تامة بمعنى ما حصل وما استقام، فيتعلق الجار والمجرور بها، وتكون أن وما في حيزها فاعلاً لها، ويكون وخبرها المقدم واسمها المؤخر ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويثخن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيثخن ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ الجملة استئنافية، وعرض الدنيا مفعول تريدون ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، والله مبتدأ، وجملة يريد الآخرة خبر، والله مبتدأ، وعزيز خبر أول، وحكيم خبر ثان ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، وكتاب مبتدأ، محذوف الخبر، ومن الله نعت لكتاب، وكذا سبق، والخبر محذوف تقديره: موجود، ولمسكم اللام واقعة في جواب لولا، ومسكم فعل ومفعول به، وفيما جار ومجرور متعلقان بمسكم، أي: بسبب ما أخذتم، وما مضافة، وأخذتم صلة، وعذاب فاعل، وعظيم صفة ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الفاء الفصيحة، أي: ما دمت قد أبحت لكم الغنائم فكلوا، وكلوا فعل أمر وفاعل، ومما جار ومجرور متعلقان بكلوا، وجملة غنمتم صلة، وحلالاً نصب على الحال من المغنوم، أو صفة للمصدر، أي: أكلاً حلالاً، واتقوا عطف على كلوا، ولفظ الجلالة مفعول به، وإن واسمها وخبراها.

□ البلاغة:

حسن التعليل:

في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فن

يدعى «فن التعليل»، وهو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع، فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة التقدم على المعلول، وسبق الكتاب من الله تعالى هو العلة في النجاة من العذاب.

هذا؛ وبالنسبة للعلة والوصف المعلل ينقسم هذا الفن إلى أربعة أقسام:

(١) ثابت ظاهر العلة، ولكنها مخالفة للعلة الأصلية، ومثاله قول ابن المعتز:

قالُوا: اشتكتْ عينُه، فقلتُ لهم: مـن كثـرةِ القتـلِ نـالهـا الـوصـب

حمـرتُهـا مِـنْ دمـاءِ مـن قتلـتْ والـدم فـي السَّيـفِ شـاهـد عجـب

فإن العلة الحقيقية في حمرة العين هي الرمد، وهي ظاهرة، تركها الشاعر، وعلل بعلة غير حقيقية وهي: أن حمرتها من دماء من قتلت من العشاق.

(٢) ثابت خفي العلة، كقول أبي الطيب المتنبي:

لم يَحْكِ نَائِلَكَ السَّحابُ وإنَّما حُمَّتْ به فَصَبِيبُها الرُّحَضَاءُ

يعني: أن السحاب لم يحك نائلك، أي: عطاءك، وإنما صارت محمومة بسبب نائلك وتفوّقه عليها، فالمصبوب منها هو عرق الحمى، فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة لا يظهر لها في العادة، وقد علله بأنه عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح.

(٣) ثابت، وهو متمكن، كقول مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني:

يا واشياً حسنتْ فينا إساءتُه نجّى حذارك إنساني من الغرق

فاستحسان إساءة الواشي وصف غير ثابت، إلا أنه ممكن، وقد خالف الناس في استحسانها معللاً بأن حذره من الواشي كان سبباً لسلامة إنسان عينه

من الغرق في الدموع، حيث ترك البكاء خوفاً منه.

(٤) القسم الرابع ليس بثابت ولا ممكن، كقول الشاعر:

لو لم تكنْ نية الجَوْزاء خدمته لما رأيت عليها عقدَ منتطق

فنسبة النية إلى الجوزاء غير ثابتة ولا ممكنة، فإن الإرادة لا تكون إلا من حي، والجوزاء جماد ليس فيه حياة، ولا إرادة لها، ولا نية، وقد نسب الشاعر ذلك إليها وعلّله بأمارة الخدمة، وهي عقد النطاق؛ لأن الجوزاء صورتها صورة شخص قد انتطق. والنطاق: الزنار، وكل ما يشد به الوسط.

وواضح أن الآية الكريمة ليست داخلة في نطاق هذه الأقسام الأربعة؛ التي لا تخلو من تكلف، وإنما هي من مطلق التعليل لحكم من الأحكام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ لمن متعلقان بقل، وفي أيديكم صلة لمن، ومن الأسرى حال ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إن شرطية، ويعلم فعل الشرط، والله فاعل، وفي قلوبكم مفعول به ليعلم، وخيراً مفعول به ثان، والجملة الشرطية مقول القول ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ

﴿مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يؤتكم جواب الشرط، والكاف مفعول به أول، وخيراً مفعول به ثان، ومما متعلقان بـ «خيراً»، وجملة أخذ صلة، ومنكم متعلقان بأخذ، ويغفر لكم عطف على يؤتكم، والله مبتدأ، وغفور خبر أول، ورحيم خبر ثان ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويريدوا فعل الشرط، والواو فاعل، وخيانتك مفعول به، والفاء رابطة للجواب، وقد حرف تحقيق، وخانوا الله فعل وفاعل ومفعول به، ومن قبل متعلقان بخانوا، وبنيت قبلُ على الضم لانقطاعها عن الإضافة لفظاً لا معنى، أي: قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الفاء عاطفة، وأمكن فعل ماض وفاعل مستتر، ومنهم متعلقان بأمكن، ومفعول أمكن محذوف، أي: أمكنك منهم، والله مبتدأ وخبراه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إن واسمها، وجملة آمنوا صلة، وما بعده من الأفعال عطف عليه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ والذين عطف على الذين، وجملة آووا صلة، ونصروا عطف على آووا، وأولئك مبتدأ، وبعضهم مبتدأ ثان، وأولياء بعض خبره، والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول، وجملة أولئك. . . الخ خبر إن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ والذين عطف جملة على جملة، والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة، ولم يهاجروا عطف على آمنوا، أو الواو حالية، ما نافية، ولكم خبر مقدم، ومن ولايتهم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشيء، ومن حرف جر زائد، وشيء مبتدأ مؤخر محلاً، وجملة مالكم خبر الذين، وحتى حرف غاية وجر، ويهاجروا منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والجار والمجرور متعلقان بما في النفي من معنى الفعل، أي: انتفت ولايتك عليهم إلى هجرتهم ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، واستنصروكم فعل وفاعل ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، وفي الدين جار ومجرور متعلقان باستنصروكم، والفاء رابطة، وعليكم

خبر مقدم، والنصر مبتدأ مؤخر، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ إلا أداة استثناء وعلى قوم جار ومجرور متعلقان بالمستثنى المحذوف، أي: إلا النصر على قوم، وبينكم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وبينهم عطف على بينكم، وميثاق مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صفة لقوم، أي: فهؤلاء القوم لا تنصروهم عليهم وتنقضوا العهد، والله مبتدأ، وبصير خبره، وبما تعملون متعلقان ببصير.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ الواو عاطفة، والذين مبتدأ، وكفروا صلة، وبعضهم مبتدأ ثان، وأولياء خبر بعضهم، والجملة خبر الذين، ويجوز أن يكون بعضهم بدلاً من اسم الإشارة، والخبر أولياء بعض ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ إن شرطية، ولا زائدة، وتفعلوه فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وهو فعل الشرط، وتكن جواب الشرط، وهي تامة، وفتنة فاعل، أي: تحصل فتنة، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بتكن، وفساد عطف على فتنة، وكبير صفة لفتنة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الذين مبتدأ، وآمنوا صلة وما بعده عطف عليه ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾ عطف على الذين آمنوا ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ ﴾ أولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والمؤمنون خبر أولئك، أو

خبر «هم»، والجملة خبر أولئك، وحقاً مفعول مطلق ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لهم خبر مقدم، ومغفرة مبتدأ مؤخر، ورزق عطف على مغفرة، وكريم صفة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ﴾ الذين مبتدأ، وآمنوا صلة، وما بعده عطف عليه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾ الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، واسم الإشارة مبتدأ، ومنكم خبره ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ أولو مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والأرحام مضاف إليه، وبعضهم مبتدأ، وأولى خبره، وببعض جار ومجرور متعلقان بأولى، وفي كتاب الله خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذا الحكم المذكور في كتاب الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ إن واسمها، وبكل شيء متعلق بعليم، وعليم خبر إن.

* * *

سُورَةُ التَّوْبَةِ

ترتيبها ٩ — آياتها ١٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيدٌ لا بُدَّ منه:

لهذه السورة عدة أسماء، وهي:

براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة. المثيرة، الحافرة، المدمدمة، سورة العذاب، المنكلة، البَحُوث بفتح الباء، وكلها ترجع إلى معنى واحدة، ففيها توبة على المؤمنين، والتبرئة من النفاق، والبحث عن حال المنافقين، وإثارة حالهم، والحفر عنها، أي: البحث، وما يخزيهم، ويفضحهم، وينكلهم، ويشردهم، ويدمدم عليهم، أي: يهلكهم.

ولم تبدأ بالبسملة لأسباب خمسة ذكرها القرطبي في تفسيره الكبير، ولا مجال لإيرادها، وقال الجلال: لم تكتب فيها البسملة؛ لأنه ﷺ لم يأمر بذلك، كما يُؤْخذ من حديث رواه الحاكم، وأخرج في معناه عن علي أنَّ البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف. وعن حذيفة: إنكم تسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب.

وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾

☆ **اللغة:**

﴿فَسِيحُوا۟﴾ السياحة: السير، يقال: ساح في الأرض يسيح، سياحة، وسيوحاً، وسيحاناً، ومنه سيح الماء في الأرض، وسيح الخيل، ومنه قول طرفة بن العبد:

لو خفتُ هذا منك ما نِلْتَني ... حتَّى ترى خيلاً أمامي تَسِيْح

○ **الإعراب:**

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ براءة خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذه براءة، ومن الله صفة لبراءة، فهي لابتداء الغاية، متعلقة بمحذوف صفة لبراءة، وليست متعلقة بالبراءة كما في قولك: برئت من الذنب والدين، والمعنى: هذه براءة واصلة من الله ورسوله، وإلى الذين متعلق بمتعلق من أي واصلة إلى الذين، ويجوز أن تكون براءة مبتدأ، وساغ الابتداء بها لتخصيصها بالصفة، وإلى الذين خبرها، كما تقول: رجل من تميم في الدار، ومن المشركين حال، قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف، وجعل المشركون ينقضون عهودهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ الآية. ففعل رسول الله ﷺ ما أمر به، ونبذ لهم عهودهم، قال الزجاج: أي: قد برىء الله ورسوله من

وفاء عهودهم إذا نكثوا، وسيأتي في باب: الفوائد ما يرويه التاريخ ﴿فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ الفاء الفصيحة وجملة سيحوا مقول قول محذوف، أي: فقولوا أيها المسلمون للمشركين سيحوا، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بسيحوا، وأربعة أشهر ظرف زمان متعلق بسيحوا، والمراد بالأشهر الأربعة: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وقيل: هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ الواو حرف عطف، واعلموا فعل أمر، والواو فاعل، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا، وأن واسمها، وغير معجزي خبرها، والله مضاف إليه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ وأن عطف على أنكم، والله اسمها ومخزي الكافرين خبرها ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ ارتفاع أذان كارتفاع براءة على الوجهين، والجملة معطوفة على مثلها، والأذان الإعلام بمعنى الإيذان، ومن الله صفته، أو متعلق به، وإلى الناس الخبر، ويوم الحج الأكبر ظرف متعلق بما تعلق به إلى الناس ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ بفتح همزة أن، وفيه وجهان: أحدهما خبر أذان، والثاني هو صفة، أي: وأذان كائن بالبراءة، وقيل: التقدير وإعلام من الله بالبراءة، فالباء متعلقة بنفس المصدر، وأن واسمها وخبرها، ومن المشركين جار ومجرور متعلقان ببريء، ورسوله فيه أوجه: أحدها أنه مبتدأ، والخبر محذوف، أي: ورسوله بريء منهم، وإنما حذف لدلالة الأول عليه، وهذا أصح الأوجه، وقيل: هو معطوف على محل اسم أن، أو معطوف على الضمير المستتر في الخبر، وسيأتي ما في هذه الآية من أبحاث تتعلق بالنحو في باب: الفوائد ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الفاء عاطفة، أو استئنافية، وإن شرطية، وتبتم فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وهو مبتدأ، وخير خبره، ولكم جار ومجرور متعلقان بخير. ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ وإن توليتم عطف على إن تبتم، وأنكم أن واسمها، وقد سدت مسد مفعولي اعلموا، وغير خبر أن، ومعجزي الله مضاف إليه

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الواو عاطفة، وبشر فعل أمر، والفاعل مستتر، والذين مفعول به، وجملة كفروا صلة، وبعذاب جار ومجرور متعلقان ببشر، وأليم نعت.

* الفوائـد:

(١) ما يقوله التاريخ في معاهدة الحديبيـة:

عاهد رسول الله ﷺ قريشاً يوم الحديبية، على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم، وأعانتهم قريش بالسلاح، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، ونقضوا عهدهم، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله ﷺ، فأنشد:

لاهُمَّ إنِّي ناشدٌ محمدا حِلْفَ أبينا وأبيه الأَتْلَدَا
إنَّ قريشاً أخلفُوكَ الموعِدَا ونقضُوا ذمامكَ المؤكَّدَا
هم بَيَّتُونا بالحطيم هُجَّدا وقَتَلونا رُكَّعاً وسُجَّدَا

فقال عليه الصلاة والسلام: «لا نصرت إن لم أنصركم» وتجهز إلى مكة، ففتحها سنة ثمان من الهجرة، فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج، فقيل له: المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة، فقال: «لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك» فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج، وبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم، ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة: «أن قد برئت ذمة رسول الله ﷺ من كل شرك، ولا يطوف بالبيت عريان» فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! أنزل في شأني شيء؟ فقال: «لا، ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك معي على

الحوض؟» فقال: بلى يا رسول الله! فسار أبو بكر أميراً على الحاج، وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس، وحدَّثهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحج، والعرب في تلك السنة على معاهدهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمر به، وقرأ عليهم أول سورة براءة. وقال يزيد بن تبيع: سألنا علياً بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال: بعثت بأربع: لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج، ثم حجَّ رسولُ الله ﷺ سنة عشر حجة الوداع.

(٢) سبب وضع علم النحو:

جيء إلى عمر بن الخطاب برجل يقرأ: «إن الله بريء من المشركين ورسوله» بالجر، فسأله، فقال: هكذا قرأت في المدينة، فقال عمر: ليس هكذا، إنما هي: ورسولُه، بضم اللام، فإن الله لا يبرأ من رسوله. ثم أمر أن لا يقرأ القرآن إلا عالم بالعربية، ودعا بأبي الأسود الدؤلي فأمره أن يضع النحو. فمقتضى هذه الرواية أن هذا العلم لم يكن معروفاً قبل أبي الأسود، وأن كلام الناس قبله إنما كان بمجرد الفطرة، وهو المعهود.

هذا؛ وقد اشتهر أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع علم النحو، قالوا: إنه سمع ابنته يوماً تلحن، فذهب إلى علي بن أبي طالب، فقال له: فشا اللحن في أبنائنا، وأخشى أن تضيع اللغة، فقال له الإمام: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كلّه ثلاثة: اسم وفعل وحرف، فالاسم كذا والفعل كذا والحرف كذا، والأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، ومبهم، والفاعل مرفوع أبداً، والمفعول منصوب أبداً، والمضاف مجرور أبداً، فافهمْ وقسْ، وما عنَّ لك من الزيادة فاضممه.

ولكن قال السيوطي في «المزهر»: إن العروض والنحو كانا قديمين،

وأتت عليهما الأيام فقلاً في أيدي الناس، فجدَّدهما الخليل وأبو الأسود. واستدل على قدم العروض بما بسطه هناك، وعلى قدم النحو بما منه: كتابة المصحف على الوجه الذي يعلله النحاة في ذوات الواو والياء والهمز والمدّ والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالألف.

ونحن نؤيد هذا الرأي الطريف للسيوطي . . مستدلين بما يلي:

١ ـ تبيين علي بن أبي طالب لأبي الأسود جملاً من القواعد الاصطلاحية السابقة، إذ كون ذلك ألهمه الإمام خاصة بعيد، ويبعده أيضاً قوله لأبي الأسود: وما عنَّ لك من الزيادة فاضممه إليه، أي: مما كان كهذه الضوابط، فهذا صريح أو كالصريح في أن هذا العلم كان معروفاً بينهم، أو بين أفراد منهم لا مجرَّد صحة النطق سليقة.

٢ ـ قول عمر بن الخطاب: «لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة العربية» فإن المتبادر منه قواعدها وأصولها؛ التي بها يعرف وجوه الكلام بمعونة المقام، إذ لو كان المراد مجرد المتكلمين بالصواب لزم منع كل عجمي منه، ولم يكن وجه للتخصيص بالعالم باللغة بالنظر إلى العرب إذ القوم جميعاً أعراب معتدلو الألسنة بالسليقة، وتجويزه القرآن لمن كان عارفاً دون غيره صريح في أن منهم عارفين باللغة ومنهم جاهلين بها، فيلزم أن يكون معرفة العارفين قدراً زائداً على ما عند غيرهم، وليس إلا القواعد والضوابط.

٣ ـ إنه حيث كان علم العروض واصطلاحاته معلوماً لدى بعض العرب، كما صرح به الوليد بن المغيرة إذ قال في القرآن لما قيل إنه شعر: لقد عرضته على هزجه ورجزه فلم أره يشبه شيئاً من ذلك. والشعر لم يكن إلا لأفراد من العرب، فلأن تكون قواعد العربية التي هي لسانهم جميعاً معلومة عند البعض أولى.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟

عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

☆ **اللغة:**

(المرصد) اسم مكان للموضع الذي يقعد فيه العدو، أو يمرُّ به، أو يجتازه، فهو: كممر ومجتاز، وهو من رصدت الشيء: إذا ترقبته.

○ **الإعراب:**

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في هذا الاستثناء وجهان: أحدهما: أنه منقطع، أي: لكن الذين عاهدتم فإن حكمهم كذا وكذا، فالذين مبتدأ خبره جملة فأتموا، والثاني: أنه متصل، فهو مستثنى من المشركين في قوله تعالى: «براءة من الله ورسوله» إلى «الذين عاهدتم من المشركين» وهم بنو ضمرة حي من كنانة، أمر الله رسوله ﷺ بإتمام عهدهم إلى مدتهم، وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد، والمعنى على كل حال: لا تجروا البريء مجرى المذنب، والوافي مجرى الغادر، وجملة عاهدتم صلة ومن المشركين حال ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وينقصوكم مجزوم بلم، وشيئاً إما مفعول ثان لنقص لأنه يتعدى لواحد ولاثنين، وإما مصدر مفعول مطلق، أي: شيئاً من النقصان، أو لا قليلاً ولا كثيراً من النقصان، ولم يظاهروا عطف على لم ينقصوكم، وعليكم جار ومجرور متعلقان بيظاهروا، وأحداً مفعول به، أي: لم يعاونوا عليكم عدواً، كما عدت بنو بكر على خزاعة، وقد تقدمت قصتها. ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الفاء عاطفة، أتموا فعل أمر، والواو فاعل، وإليهم جار ومجرور متعلقان بأتموا، وعهدهم مفعول به، وإلى مدتهم بدل من إليهم،

وإن واسمها، وجملة يحب المتقين خبرها ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾ الفاء عاطفة، أو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة انسلخ مضافة للظرف، والأشهر فاعل، والحرم صفة، وقد تقدم أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ وهي التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا. ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ الفاء رابطة، واقتلوا المشركين فعل أمر وفاعل ومفعول به، وحيث ظرف متعلق باقتلوا، وجملة وجدتموهم مضافة للظرف، ﴿ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ وخذوهم عطف على اقتلوا، أي: وأسروهم واحصروهم عطف أيضاً، أي: قيدوهم وامنعوهم من التجوال في البلاد، واقعدوا عطف أيضاً، ولهم متعلقان باقعدوا، وكل مرصد نصب على الظرف كقوله: «لأقعدن لهم صراطك المستقيم» وهو اختيار الزجاج، واختار بعضهم أن يكون منصوباً بنزع الخافض، والخافض المقدر هو «على» أو « الباء الظرفية» أو «في» ويجوز أن يعرب مفعولاً مطلقاً، كأنه قيل: وارصدوهم كل مرصد. وقد خطَّأ أبو علي الفارسي الزجاج في جعله ظرفاً. ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتابوا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط، وأقاموا الصلاة عطف على تابوا، وكذلك قوله: وآتوا الزكاة، فخلوا الفاء رابطة، وخلوا فعل أمر وفاعل، وسبيلهم مفعول به ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سبق إعرابها.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ (٦) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ

وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

(الإلّ) اختلف اللغويون والمفسرون في هذه الكلمة اختلافاً شديداً. قال في أساس البلاغة: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: قرابة. وفي القاموس وشروحه: الإلّ: العهد، والجار، والأصل الجيد، والعداوة، والحقد. وقال أبو عبيدة: إن المراد به: العهد. وقال الفراء: إن المراد به القرابة، وقال آخرون: إن الإل هو الجؤار، وهو رفع الصوت عند التحالف، وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا جأروا بذلك جؤاراً، وقيل: هو من أل البرق: إذا لمع، ويجمع الإل في القلة على آلّ، والأصل أألل بزنة أفلُس، فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً لكونها بعد أخرى مفتوحة، وأدغمت اللام في اللام، وأنشد لحسان بن ثابت:

لَعَمْـرُكَ إنَّ إلَّـك مـن قُـرَيْـش ... كـإلِّ السَّقْـبِ مـن رَأْلِ النَّعَـام

وهذا صريح في أن معناه: القرابة، والسَّقْب: خوار الناقة، والرَّأل: ولد النعام، ومعنى البيت: وحياتك إن قرابتك من قريش بعيدة أو معدومة كقرابة ولد الناقة من ولد النعام. وقال الزجاج: «الإل عندي على ما توجبه اللغة يدور على معنى الحدة، ومنه: الإلة للحربة، ومنه: أذن مؤللة: أي: محددة، ومنه قول طرفة بن العبد يصف أذني ناقته بالحدة والانتصاب:

مـؤَلَّلَتَـانِ تَعْـرِفُ العِتْـقَ فيهمـا ... كَسَامِعَتَيْ شاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ

○ **الإعـراب:**

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ الواو استئنافية، وإن شرطية، وأحد مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسرّه الظاهر، تقديره: وإن استجارك أحد استجارك، ولا يرتفع بالابتداء؛ لأن الشرط يقتضي الفعل، وإن من عوامل

الفعل لا تدخل على غيره، والمعنى: وإن جاءك أحد من المشركين لا عهد بينك وبينه فاستأمنك فأمنه، ومن المشركين صفة، وجملة استجارك مفسرة ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ الفاء رابطة، وأجره فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به، وحتى حرف غاية وجر، ويسمع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والجار والمجرور متعلقان بأجره، وكلام الله مفعول به. ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ ثم حرف عطف، وأبلغه فعل أمر ومفعول به أول، ومأمنه مفعول به ثان ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك مبتدأ، أي: ذلك الأمر، يعني: الأمر بالإجارة وإبلاغ المأمن، وبأنهم خبر، وقوم خبر إن، وجملة لا يعلمون صفة ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ هذا تركيب تجوز فيه أعاريب عديدة متساوية في الأرجحة: فكيف اسم استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد خبر مقدم ليكون، وعهد اسم يكون مؤخر، وللمشركين حال، ويجوز أن يكون الخبر للمشركين، وكيف حال، ويجوز أن يكون قوله عند الله هو الخبر وكيف حال أيضاً من العهد، أما في الوجهين السابقين فتكون عند ظرفاً للعهد، وعند رسوله عطف على عند الله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ تقدم القول في مثل هذا الاستثناء، وأنه يجوز فيه الانقطاع والاتصال ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الفاء استئنافية، وما مصدرية ظرفية، وهي في محل نصب على الظرف، أي: فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم، ويجوز أن تكون شرطية، وحينئذ ففي محلها وجهان: أولهما: النصب على الظرفية الزمانية، والتقدير: أي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم، ونظره أبو البقاء بقوله تعالى: «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها». والثاني: أنها في محل رفع مبتدأ، وفي الخبر القول المشهور في خبر أداة الشرط، واستقاموا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط إن اعتبرت شرطية، والفاء رابطة على كل حال، واستقيموا فعل أمر وفاعل. هذا وقد أجاز ابن مالك في ما المصدرية الزمانية أن تكون شرطية جازمة في وقت واحد، قال أبو البقاء: ولا يجوز أن تكون نافية لفساد المعنى؛ إذ يصير المعنى استقيموا لهم؛ لأنهم لم يستقيموا لكم، وذلك باطل، وإن الله

إن واسمها، وجملة يحب المتقين خبرها ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ كيف تكرار لما تقدم لاستبعاد ثبات المشركين على العهد، وحذف الفعل لكونه معلوماً، أي: فهو حال، أو خبر كان المحذوفة، وقد ورد هذا الحذف في أشعارهم، قال كعب الغنوي يرثي أخاه:

وخَبَّرتُماني أنَّما الموتُ بالقُرَىٰ فكيف وهاتا هضبةٌ وقَليبُ

أي: كيف مات أخي فيها، والقليب: البئر لأنه قلب ترابه من بطن الأرض إلى ظهرها. وإن الواو للحال، وإن شرطية، ويظهروا فعل الشرط، وعليكم جار ومجرور متعلقان به، ولا يرقبوا جواب الشرط، وفيكم متعلقان بيرقبوا، وإلاًّ مفعول به، وذمة عطف عليه ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لوصف حالهم من مغايرة ظاهرهم لباطنهم، بأفواههم جار ومجرور متعلقان بيرضونكم، وتأبى قلوبهم عطف عليه، أي: أن كلامهم مزوق مزخرف قد يروق سامعه، ولكنه لا ينطوي على أي صدق؛ لأنَّ الضغن الساكن في قلوبهم يمنعهم من تحقيق كلامهم المعسول، وأكثرهم مبتدأ، وفاسقون خبر، أي: أنهم خلعاء فجرة لا يأبهون لمعرة، ولا يعبؤون بما يقال فيهم من سيِّىء الأحدوثة ﴿ ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ أي: استبدلوا بآيات الله ثمناً قليلاً، وهو: انسياقهم مع الأهواء، وانجرارهم مع الشهوات والآثام، وثمناً مفعول اشتروا، وقليلاً صفة ﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ يجوز في ساء أن يكون على بابه من التصرف والتعدي، فتكون ما فاعلاً، والمفعول به محذوف، أي: ساءهم الذي كانوا يعملونه، أو عملهم إذا جعلت ما مصدرية، ويجوز أن يكون جارياً مجرى بئس، فيحول إلى فعل بالضم، ويمتنع تصرفه، ويصير للذم، ويكون المخصوص بالذم محذوفاً، وقد سبق تقرير ذلك. ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ تقدم إعراب نظيرها، وكررها زيادة في تقبيح حالهم، واستهجان مآلهم. ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾ تقدم أيضاً، ويجوز أن يكون هم ضمير فصل، أو مبتدأ ثانياً.

﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتابوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة: الجملتان عطف على تابوا ﴿ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴾ الفاء رابطة، وإخوانكم خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهم إخوانكم، وفي الدين حال، والجملة الاسمية في محل جزم على أنها جواب الشرط ﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ الواو اعتراضية، والجملة معترضة؛ كأنه قيل: وإن من تأمل بتفصيلها فهو العالم بحقيقتها، ولقوم جار ومجرور متعلقان بنفصل، وجملة يعلمون صفة ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ الواو عاطفة، ومن بعد عهدهم حال، وطعنوا في دينكم عطف أيضاً، أي: وثلبوه وعابوه، والجار والمجرور متعلقان بطعنوا ﴿ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ الفاء رابطة، وقاتلوا فعل أمر وفاعل، وأئمة الكفر مفعول به، إنهم: إن واسمها، ولا نافية للجنس، وأيمان اسمها، ولهم خبرها، والجملة خبر إنهم، ولعل واسمها، وجملة ينتهون خبرها.

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ ألا حرف تحضيض، وستأتي أحرف التحضيض في باب: الفوائد. وتقاتلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل وقوماً مفعول به، وجملة نكثوا أيمانهم صفة قوماً، ويجوز أن تكون الهمزة للاستفهام، ولا نافية، ودخلت الهمزة عليها تقريراً لنفي المقاتلة والحض عليها من جهة أخرى ﴿ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ عطف على نكثوا، وبإخراج متعلقان بهموا، وقد تقدم أنهم هموا بأحد أمور ثلاثة: قتله وحبسه وإخراجه ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الواو عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة بدؤوكم خبر، وأول مرة نصب على الظرف متعلق ببدؤوكم، والبادىء أظلم. ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الهمزة للاستفهام، ومعناها النهي، أي: لا تخشوهم، فالله: الفاء الفصيحة، والله مبتدأ، وأحق خبر، وأن تخشوه المصدر المؤول بدل اشتمال من الله، أي: خشية الله أحق، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، ومؤمنين خبر كنتم، وجواب الشرط محذوف دلت عليه الفاء الفصيحة ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ قاتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به، ويعذبهم جواب الطلب جزم به، وهو واحد من خمسة أجوبة ستأتي، وهي: ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ وجميعها معطوفة على يعذبهم ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الواو استئنافية، ويتوب جملة مستأنفة، ولم ينسقها على الأجوبة المتقدمة؛ لأن توبة الله عن من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار.

* الفوائد:

(١) حروف التحضيض هي: لولا، ولوما، وهلا، وألا. قال الله تعالى:

﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ ﴾ وقال: ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ وقال عنترة:

هلاَّ سألتِ الخيلَ يا بنةَ مالكٍ   إن كنتِ جاهلةً بما لَمْ تَعْلَمِي

والتحضيض هو: الحث على الشيء، ويقال: حضضته على فعله: إذا حثثته عليه، وإذا وليهنَّ المستقبل كنَّ تحضيضاً، وإذا وليهنَّ الماضي كن لوماً وتوبيخاً فيما تركه المخاطب، وقد جرت مجرى حروف الشرط في اقتضائها الأفعال، فلا يقع بعدها مبتدأ ولا غيره من الأسماء، فإن وقع بعدها اسم، كان في نية التأخير، نحو قولك: هلا زيداً ضربت، والمراد: هلا ضربت زيداً، أو على تقدير فعل محذوف نحو قولك لفاعل الإكرام: هلا زيداً، أي: هلا أكرمت زيداً، قال الشاعر وهو جرير:

تعـدُّونَ عقـرَ النِّيـبِ أفضـلَ مجـدكـمْ
بنـي ضـوطَـرىٰ لـولا الكمـيَّ المقنَّعـا

فأضمر فعلاً نصب الكمي المقنعا، والمعنى: إن هؤلاء بنو ضوطرى، والضوطرى: الضخم الذي لا غناء عنده، يمشون بالإطعام والضيافة، ويجعلون الكرم أكبر مجدهم، فالناصب للكمي هو الفعل المراد بعد لولا، وتقديره تلقون، أو تبارزون، أو نحو ذلك.

(٢) يجزم الفعل المضارع إذا وقع جواباً لأمر، أو نهي، أو استفهام، أو تمنٍّ، أو عرض، أو حض، وذلك بإنْ مضمرة نحو قولك: أكرمني أكرمك، ولا تفعل يكن خيراً لك، وألا تأتيني أحدثْك، وأين بيتك أزرْك، وألا ماء أشربْه، وليته عندنا يحدثْنا، قال الخليل: إن هذه الأوائل كلها فيها معنى: «إن» فلذلك انجزم الجواب، وقال النحويون: إنه لا يجوز أن تقول: لا تدن من الأسد يأكلك؛ لأن التقدير إن لا تدن من الأسد يأكلك، وهذا محال؛ لأن تباعده لا يكون سبباً لأكله، وللنحاة هنا كلام طويل يرجع إليه في المطولات.

(٣) أفاض الشعراء في معنى قوله تعالى: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ لأن العرب قوم جبلوا على الحمية والأنفة، فرغبتهم في إدراك الثأر وقتل الأعداء هي اللائقة بطباعهم، وقد رمق سماء هذا المعنى أبو تمام فقال:

إنَّ الأسودَ أسودَ الغابِ همَّتها يومَ الكريهة في المسلوبِ لا السَّلبِ

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَلِيجَةً﴾ فعيلة، من ولج، كالدخيلة من دخل، وكل شيء أدخلته في شيء وليس منه فهو وليجة، ويكون للمفرد وغيره بلفظ واحد، وقد تجمع على ولائج، ووليجة الرجل: من يداخله في باطن أموره، وفي المصباح: ولج الشيء في غيره يلج، من باب: وعد، ولوجاً: دخل، وأولجته إيلاجاً: أدخلته، والوليجة: البطانة.

○ **الإعراب:**

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟﴾ أم منقطعة، وسيأتي حكمها، وحسبتم فعل وفاعل، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسبتم، والمعنى: إنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ الواو للحال، ولما حرف جازم تفيد التوقع، ويعلم مجزوم بها، والله فاعل، والذين مفعول به، وجملة جاهدوا صلة، ومنكم حال ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ الواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويتخذوا مضارع مجزوم بلم، ومن دون الله متعلقان بيتخذوا، ولا رسوله عطف على الله، ووليجة مفعول به ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تقدم إعرابها كثيراً. ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، وللمشركين خبر كان المقدم، وأن وما في حيزها اسمها

المؤخر ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾ شاهدين حال من الواو في يعمروا، وعلى أنفسهم جار ومجرور متعلقان بشاهدين، وكذلك قوله بالكفر، أي: ما صح ولا استقام في العرف والطبع أن يجمعوا بين عمارة المساجد والكفر، وهما متناقضان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة حبطت أعمالهم خبر، وفي النار جار ومجرور متعلقان بخالدون، وهم مبتدأ، وخالدون خبر.

* الفوائد:

تقع «أم» على أربعة أوجه:

(١) متصلة، أي: أن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وتسمى معادلة لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية إن كانت الهمزة التي قبلها للتسوية، نحو قوله تعالى في سورة «المنافقون»: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ أو كانت لطلب التعيين نحو: أفي الدار زيد أم عمرو.

(٢) منقطعة، وهي مسبوقة بالخبر المحض، نحو قوله تعالى ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه﴾ ومسبوقة بالهمزة التي تفيد معنى آخر غير الاستفهام كالإنكار، مثل: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ﴾ فهي بمثابة النفي، ومعنى «أم» المنقطعة: التي لا يفارقها الإضراب.

(٣) أن تقع زائدة ذكره أبو زيد، وقال في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ﴾ إن التقدير: أفلا تبصرون أنا خير.

(٤) أن تكون للتعريف في لسان حمير وطيء.

أمثلة شعرية لـ: «أم»:

١ـ وما أَدْرِي وسوفَ إخالُ أَدْري أقــومٌ آلُ حِصْــنٍ أمْ نِسَــاءُ

فهنا وقعت متصلة وتقدمت عليها همزة الاستفهام وهي لغير التسوية.

٢ ـ ولستُ أُبالي بَعْدَ فَقْدِيَ مالكاً أموتي ناءٍ أم هُو الآنَ واقِعُ

فهنا وقعت متصلة بعد همزة التسوية.

أُحـادٌ أم سُـداسٌ فـي أُحـادِ   لُيَيْلَـتُنَا المنوطـةُ بالتَّـنادِي؟

يحتمل أن تكون أم متصلة ومنقطعة.

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾
۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ
مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويعمر مساجد الله فعل مضارع ومفعول به مقدم، والمراد بعمارتها: رمّ ما استرمّ منها، وتنظيفها، وتنويرها، وتعظيمها، وتأثيثها بالرياش الفاخر المقتنى، ومن اسم موصول فاعل يعمر، وجملة آمن صلة وما بعده عطف عليه، وإعرابه ظاهر. ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ الواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويخش مجزوم بلم، والفاعل مستتر يعود على من آمن، وإلا أداة حصر، ولفظ الجلالة مفعول به ﴿ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ الفاء الفصيحة، وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء، وأولئك اسمها، وأن يكونوا خبرها، ومن المهتدين خبر يكونوا، أي: فحال هؤلاء الموصوفين بالصفات الأربع مرجوة، والعاقبة عند الله معلومة ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ جملة

مستأنفة، مسوقة لخطاب المشركين على طريق الالتفات عن الغيبة في قوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وجعلتم سقاية الحاج فعل وفاعل ومفعول به أول، وعمارة المسجد الحرام عطف على سقاية الحاج، والكاف اسم بمعنى مثل مفعول به ثان ومن مضاف إليه، وجملة آمن صلة، ولا بد من حذف مضاف إما من الأول وإما من الثاني ليتصادق المجعولان، والتقدير: أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن، أو أجعلتم السقاية والعمارة كإيمان من آمن، أو كعمل من آمن ﴿وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عطف على آمن ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ استئناف مؤكد لإبطال المساواة، أي: لا يستوي الفريقان، والله مبتدأ، وجملة لا يهدي القوم الظالمين خبر، وقد أورد التعليل لنفي المساواة في المعنى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير حالة الموصوفين بهذه الأوصاف الثلاثة المذكورة، والذين مبتدأ، وآمنوا صلة، وما بعده عطف عليه، وأعظم خبر ودرجة تمييز، وعند الله الظرف حال ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ مبتدأ وخبر، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، وقد تقدم نظيره ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ﴾ يبشرهم ربهم فعل مضارع ومفعول به وفاعل، وبرحمة جار ومجرور متعلقان بيبشرهم، ومنه صفة، وبرضوان وجنات معطوفان على رحمة ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ لهم خبر مقدم، وفيها حال، ونعيم مبتدأ مؤخر، ومقيم صفة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ خالدين حال مقدرة، وفيها متعلقان بخالدين، وأبداً ظرف متعلق بخالدين أيضاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ إن واسمها، والظرف خبر مقدم، وأجر مبتدأ مؤخر، وعظيم صفة، والجملة الاسمية خبر إن.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون من البلاغة، نوردها فيما يلي:

أولاً ـ التشبيه الصناعي وأغراضه:

(١) التشبيه الذي خرج به الكلام مخرج الإنكار في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ فهذا إنكار على من جعل حرمة السقاية وعمارة البيت كحرمة من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله، وفي ذلك أوفى دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان، وأنه لا يساوى به مخلوق ليس على صفته، وهو أحد أغراض التشبيه الصناعي.

(٢) إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه وإلى ما تقع عليه الحاسة، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ وسيأتي مزيد من الكلام على هذه الآية.

(٣) ومنها إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، كقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾.

(٤) ومنها إخراج مالا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، كقوله تعالى: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

(٥) منها إخراج مالا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾.

(٦) ومنها بيان إمكان المشبه، وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، كقول البحتري:

دانٍ إلى أَيْدي العُفَاةِ وشاسِعٌ عن كُلِّ نِدٍّ في النّدى وضَرِيبِ
كالبَدْرِ أَفْرَطَ في العُلُوِّ وضَوْؤُهُ للعُصْبَةِ السَّارينَ جِدُّ قريبِ

فقد وصف البحتري ممدوحه في البيت الأول بأنه قريب للمحتاجين، بعيد المنزلة، بينه وبين نظرائه في الكرم بون شاسع، ولكن البحتري حينما أحسَّ بأنه وصف ممدوحه بوصفين متضادين هما: القرب والبعد. أراد أن يبين لك أن ذلك ممكن، وأن ليس في الأمر تناقض، فشبّه ممدوحه بالبدر الذي هو في السماء، ولكن ضوءه قريب جداً للسائرين بالليل.

(٧) ومنها بيان حاله وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف، كقول النابغة:

كأنَّك شمسٌ والملوكُ كواكب   إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

فقد شبه النابغة ممدوحه بالشمس، وشبه غيره من الملوك بالكواكب؛ لأن سطوة الممدوح تغضّ من سطوة كل ملك، كما تخفي الشمس الكواكب، فهو يريد أن يبين حال الممدوح وحال غيره من الملوك.

(٨) ومنها تقرير حاله، وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، وكان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ فقد تحدثت الآية في شأن من يعبدون الأوثان، وأنهم إذا دعوا آلهتهم لا يستجيبون لهم، ولا يرجع إليهم هذا الدعاء بفائدة، وقد أراد الله تعالى أن يقرر هذه الحال، ويثبتها في الأذهان، فشبه هؤلاء الوثنيين بمن يبسط كفيه إلى الماء ليشرب، فلا يصل الماء إلى فمه بالبداهة؛ لأنه يخرج من خلال أصابعه ما دامت كفاه مبسوطتين، ويأتي هذا الغرض حينما يكون المشبه أمراً معنوياً؛ لأن النفس لا تجزم بالمعنويات جزمها بالحسيات، فهي في حاجة دائمة إلى الإقناع.

(٩) تزيين المشبه كقول أبي الحسن الأنباري في مصلوب:

مددتَ يديك نحوهُم احتفاء   كمدِّهما إليهم بالهباتِ

وهذا البيت من قصيدة نالت شهرة بعيدة في الأدب العربي، لا لشيء إلا لأنها حسَّنت ما أجمع الناسُ على قبحه والاشمئزاز منه، وهو الصّلب، فهو يشبه مدّ ذراعي المصلوب على الخشبة والناس حوله بمدِّ ذراعيه بالعطاء للسائلين أيام حياته، والغرض من هذا التشبيه التزيين، وأكثر ما يكون هذا النوع في المديح، والرثاء، والفخر، ووصف ما تميل إليه النفوس.

(١٠) تقبيح المشبه، كقول أحد الأعراب في ذم امرأته:

وتفتحُ ـ لا كانت ـ فماً لو رأيته
توهَّمته باباً من النَّارِ يُفتح

فهو يدعو على امرأته بالحرمان من الوجود، فيقول: لا كانت، ويشبه فمها حينما تفتحه بباب من أبواب جهنم، والغرض من هذا التشبيه التقبيح، وأكثر ما يستعمل في الهجاء، ووصف ما تنفر منه النفوس، ومنه قول المتنبي:

وإذا أشار محدِّثاً فكأنه		قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطم

هذا؛ وسيأتي المزيدُ من بحث التشبيه فيماياًتي.

ثانياً ـ اللف والنشر:

في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ بعد أن وصف المؤمنين بثلاث صفات وهي: الإيمان، والهجرة، والجهاد بالنفس والمال، فبدأ بالرحمة في مقابلة الإيمان لتوقفها عليه، وثنى بالرضوان الذي هو نهاية الإحسان في مقابلة الجهاد؛ الذي فيه بذل الأنفس والأموال، ثم ثلث بالجنات في مقابلة الهجرة وترك الأوطان، إشارة إلى أنهم لما آثروا تركها بدلهم داراً عظيمة دائمة وهي الجنات، وهذا فنٌّ طريف عرَّفوه: بأنه ذكر متعدد على وجه التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين، ثقة بأن السَّامع يميز ما لكل واحد منها ثم يردّه إلى ما هو له، أما قسم التفصيل فهو ضربان:

آ ـ أن يكون النشر على ترتيب اللف، بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف، والثاني للثاني، وهكذا إلى الآخر. قال أحدهم:

ومقرطق يغني النديمَ بوجهه		عن كأسِه الملأى وعن إبريقِهِ
فِعلُ المُدامِ ولونُها ومَذَاقُها		في مُقْلتيه ووجنتيهِ وريقِهِ

وكالآية التي نحن بصددها.

ب ـ أن يكون النشر على غير ترتيب اللف، كقول أبي فراس:

وشـــادنٍ قـــال لي لمـــا رأى سقمـــي
وضعفَ جسمي والدمعَ الذي انسجما
أخذتَ دمعك من خدِّي وجسمكَ من
خصري وسقمكَ من طرفي الَّذي سقما

وأما قسم الإجمال فهو أن تلف الشيئين في الذكر، ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بأحدهما ومتعلق بآخر من غير تعيين، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ فذكر الفريقين على طريق الإجمال دون التفصيل، ثم ذكر ما لكل منهما، فالمتعدد المذكور إجمالاً هو الفريقان أو قولهما، والأصل: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بينهما لعدم الالتباس وللثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله.

ثالثاً ـ تنكير المبشر به:

وهو قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ﴾ لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

(العشيرة) هي الأهل الأدنون، وقيل: هم أهل الرجل الذين يتكثر بهم

سواء بلغوا العشرة أو فوقها، وقيل: هي الجماعة المجتمعة بنسب، أو عقد، أو وداد، كعقد العشرة.

○ الإعراب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ تقدم إعرابه. ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ لا ناهية، وتتخذوا مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، وآباءكم مفعول به، وإخوانكم عطف عليه، وأولياء مفعول به ثان، والجملة استئنافية، مسوقة للرد على ما قالوه بعد ما أمر الله تعالى بالتبري من المشركين، فقد قالوا: كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه؟! فردَّ الله عليهم بذلك، أي: أن مقاطعة الرجل أهله في الدين واجبة، فالمؤمن لا يوالي الكافر وإن كان أباه وأخاه وابنه ﴿ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ إن شرطية، واستحبوا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط، والكفر مفعول استحبوا، وعلى الإيمان جار ومجرور متعلقان باستحبوا المتضمن معنى اختاروا ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويتولهم فعل الشرط، وقد روعي فيه اللفظ فأفرد، ومنكم حال، والفاء رابطة، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو ضمير مبتدأ، والظالمون خبر أولئك أو هم، والجملة خبر أولئك، وقد روعي فيه جانب المعنى لمن ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾ إن شرطية، وكان واسمها وما بعده عطف عليه، وأحب خبر كان، وإليكم حال، ومن الله جار ومجرور متعلقان بأحب، ورسوله، وجهاد في سبيله عطف على الله، أي: من الهجرة إليهما ﴿ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ الفاء رابطة، وتربصوا فعل أمر وفاعل، وحتى حرف غاية وجر، ويأتي منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والله فاعل، وبأمره جار ومجرور متعلقان بيأتي، والله مبتدأ، وجملة لا يهدي القوم الفاسقين خبر، ومعنى الأمر هنا التهديد، ومفعوله محذوف،

أي: انتظروا عقوبة عاجلة أو آجلة، وهذه الآية من أشد الآيات تهديداً وإرعاداً وإبراقاً وردعاً لكل من تسول له نفسه إيثار الفانية على الباقية، ومراعاة جانب الأهل والعشيرة وترك جانب الله.

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

(المواطن) جمع موطن، والموطن مثل الوطن، وفي المصباح: «الوطن: مكان الإنسان ومقره، والجمع أوطان، مثل: سبب وأسباب، والموطن مثل الوطن، والجمع مواطن، كمسجد ومساجد، والموطن أيضاً: المشهد من مشاهد الحرب» وعبارة الزمخشري: «مواطن الحرب: مقاماتها ومواقفها، قال:

وكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طُحْتَ كَمَا هَوَى
بِأَجْرامِه مِن قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي

أي: كثير من مواطن الحرب لولاي موجود لطحت ـ بكسر الطاء وضمها ـ من باع وقال، أي: هلكت فيها كما هوى منهوٍ، أي: ساقط، من قلة النيق: أي: من رأس الجبل. ومذهب سيبويه أن لولا حرف جر إذا وليها ضمير نصب، ومذهب الأخفش أنه وضع ضمير النصب موضع ضمير الرفع على الابتداء، أما المبرد فقد أنكر وروده، وهو محجوج بهذا البيت وغيره، وأراد الله تعالى بالمواطن الكثيرة الأماكن التي وقعت فيها وقعات بدر،

وقريظة، والنضير، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة. وفي القاموس: الموطن: الوطن والمشهد من مشاهد الحرب، فلا حاجة عندئذ لتقدير مضاف كما ذهب بعضهم، والفعل منه: وطن يطن، من باب: ضرب، وطناً وأوطن إيطاناً بالبلد: أقام به، واستوطن البلد: اتخذه وطناً.

﴿ حُنَيْنٍ ﴾هو واد بين مكة والطائف، أي: يوم قتالكم فيه هوازن، وذلك في شوال سنة ثمان، فهي عقيب الفتح، وستأتي الإشارة إلى هذه الوقعة في باب: الفوائد.

﴿ رَحُبَتْ ﴾ في المختار: الرحب ـ بالضم ـ: السعة، يقال منه: فلان رحيب الصدر، والرحب ـ بالفتح ـ: الواسع، وبابه: ظرف وقرب، والمصدر رحابة كظرافة، ورحب كقرب اهـ.

○ الإعراب:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتذكير المؤمنين بآلائه عليهم، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، ونصركم الله فعل ومفعول به وفاعل، وفي مواطن جار ومجرور متعلقان بنصركم، وكثيرة صفة ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ الواو عاطفة، ويوم ظرف معطوف على قوله مواطن، ولا مانع من عطف الظرفين المكاني والزماني أحدهما على الآخر، كعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد، إذ يجوز أن تقول: ضرب زيد عمراً في المسجد ويوم الجمعة، كما تقول ضربت زيداً وعمراً، ولا يحتاج إلى إضمار فعل جديد غير الأول، هذا؛ مع أنه لا بد من تغاير الفعلين الواقعين بالمفعولين في الحقيقة، فإنك إذا قلت: اضرب زيداً اليوم وعمراً غداً لم يشك في أن الضربين متغايران بتغاير الظرفين، ومع ذلك؛ الفعل واحد في الصناعة، فعلى هذا يجوز في الآية بقاء كل واحد من الظرفين على حاله غير مؤول إلى الآخر، على أن الزمخشري وغيره يوجبون تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الأول وإن كانا جميعاً زمانين لعلة أن كثرتهم لم تكن ثابتة في جميع المواطن، ولذلك قدر الزمخشري

محذوفاً قال: «فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان ـ وهو يوم حنين ـ على المواطن؟ قلت: معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين، ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين ومقدم الحاج، على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر، وموجب ذلك أن: إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين، فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح؛ لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن، ولم يكونوا كثيراً في جميعها، فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً به». وإذ ظرف لما مضى منصوب على البدلية من يوم حنين كما تقدم، أو منصوب بإضمار اذكر، وجملة أعجبتكم مضافة للظرف، وأنفسكم فاعل، ومنع بعضهم إبدال إذ من يوم حنين، بل هو منصوب بفعل مقدر، أي: اذكروا إذ أعجبتكم كثرتكم ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ الفاء عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتغن مضارع مجزوم بلم، وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول به ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ وضاقت عطف على ما تقدم، عليكم جار ومجرور متعلقان بضاقت، والأرض فاعل، والباء حرف جر بمعنى مع، وما مصدرية، أي: مع رحبها، على أن الجار والمجرور في موضع الحال، أي: متلبسةً برحبها، كقولك: دخلت عليه بثياب السفر، أي: متلبساً بها تعني مع ثياب السفر ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ عطف على ما تقدم، ومدبرين حال من التاء في وليتم ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وأنزل الله فعل وفاعله، وسكينته مفعول به، وعلى رسوله جار ومجرور متعلقان بأنزل، وعلى المؤمنين عطف على رسوله ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وأنزل جنوداً عطف على ما تقدم، وجملة لم تروها صفة لجنوداً ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ عطف أيضاً، وذلك مبتدأ، وجزاء الكافرين خبره ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عطف على ما تقدم مقترن بالتراخي، ومن بعد ذلك حال، وعلى من يشاء متعلقان بيتوب، والله مبتدأ، وغفور رحيم خبراه.

* الفوائـد:

(١) استفاضت السير في الروايات لهذه الوقعة، ويؤخذ منها أن المسلمين كانوا اثني عشر ألفاً الذين حضروا فتح مكة، منضماً إليهم ألفان من الطلقاء، عندما التقوا مع هوازن وثقيف، فيمن ضامَّهم من أمداد سائر العرب، فكانوا الجم الغفير، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلة! فساءت رسول الله ﷺ، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، وأدركت المسلمين نشوة الإعجاب بالكثرة، وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود، فانهزموا حتى بلغ فلّهم مكة، وبقي رسول الله ﷺ وحده، وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل، ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجام دابته، وأبو سفيان ابن الحارث ابن عمه.

روى أبو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين، لم يقوموا لنا حلب شاة، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله، قال: فتلقَّانا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا، فانهزمنا وركبنا أكتافنا.

وهناك روايات كثيرة تختلف في سردها وتتفق في معناها على أن ذلك الموقف كان شهادة صدق على تناهي شجاعة النبي ورباطة جأشه، وأن الرجال تكثر بالنصر، وتقل بالخذلان.

(٢) قال الصفاقسي: ظاهر كلام الزمخشري أولاً منع عطف الزمان على المكان، ولم أر من نص عليه، وفيه نظر، وأما وجوب إضمار الفعل، فهو مبني على اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في متعلقات الفعل وهو ممنوع، وقد أشار إلى منعه ابن الحاجب في مختصره في الأصول. والتحقيق والتدقيق أن قوله يوم حنين، إن جعلته عطفاً على مواطن فالواو قائم مقام

حرف الجر، وهو «في»، فكأنه قال: لقد نصركم الله في مواطن كثيرة في يوم حنين، وهذا المعنى باطل لأنه يعين مكان النصرة وزمانها. ولا شك أنه ليس زمان النصرة في المواطن الكثيرة يوم حنين، سواء أجعلت «إذ أعجبتكم» بدلاً أم لا، وأما إذا عطفت «ويوم حنين» على محل «في مواطن» كما هو الظاهر فحرف العطف قائم مقام «نصركم» العامل «في مواطن»، فكأنه قال: لقد نصركم الله في مواطن كثيرة، ويوم حنين خاصة، وحينئذ جاز أن يكون «إذ أعجبتكم» بدلاً من يوم، وهذا كما تقول: رأيت مراراً في مصر وليلة العيد إذ أفاض الناس من عرفة. هذا هو الصدق الحق الذي لا غطاء على وجهه المنير، فلا تخش من قعقعة سلاح الزمخشري، فإنها جعجعة من غير طحن، ولكلّ جواد كبوة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ نَجَسٌ ﴾ في القاموس: «النجس ـ بالفتح وبالكسر وبالتحريك ـ: ككتف وعضد، ضد الطاهر، وقد نجس كسمع وكرم، وأنجسه ونجّسه فتنجّس، وداء ناجس ونجيس ككريم إذا كان لا يبرأ منه، وتنجس: فَعَل فعلاً يخرج به عن النجاسة، والتنجيس: اسم شيء من القذر، أو عظام الموتى، أو خرقة الحائض كان يعلق على من يخاف عليه من ولوع الجن به، والمعوَّذ منجَّس» وجاء في شرح التاج على القاموس تعليقاً على قوله المعوذ منجس: «قال ثعلب: قلت لابن الأعرابي: لم قيل للمعوذ منجّس، وهو

مأخوذ من النجاسة؟ فقال: إن للعرب أفعالاً تخالف معانيها ألفاظها، يقال: فلان يتنجّس: إذا فعل فعلاً يخرج به عن النجاسة». وفي سجعات الأساس: «إذا جاء القدر لم يغن المنجم ولا المنجس، ولا الفيلسوف ولا المهندس». وعن الحسن في رجل تزوج امرأة كان قد زنى بها: هو أنجسها فهو أحق بها.

﴿عَيۡـلَةٗ﴾ فقر، وفي المصباح: العيلة ـ بالفتح ـ: الفقر، وهي مصدر عال يعيل، من باب: سار، فهو عائل، والجمع عالة، وهو في تقدير فعلة، مثل كافر وكفرة. وعيلان ـ بالفتح ـ: اسم رجل، ومنه قيس بن عيلان. قال بعضهم: ليس في كلام العرب عيلان بالعين المهملة إلا هذا، وفي المختار: وعيال الرجل: من يعولهم، وواحد العيال: عيل، والجمع عيائل، كجيائد، وأعال الرجل: كثرت عياله، فهو معيل، والمرأة معيلة، قال الأخفش: أي: صار ذا عيال».

﴿ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه، أي: يقضوه، أو لأنهم يجزون بها من منَّ عليهم بالإعفاء من القتل. ومن غريب أمر الجيم والزاي أنهما إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة دلتا على معنى الأخذ والشدة، فجزأت الشيء تجزئة، وشيء مجزأ: أي: مبعض، وذلك لا يتأتى إلا بالقوة والشدة، وبعير مجزىء قوي سمين؛ لأنه يجزىء الراكب والحامل، وجزر لهم الجزَّار نحر لهم جَزوراً وهم نحّارون للجزر، وأخذ الجازر جُزارته وهي حقه وإياكم وهذه المجازر، ومنه الجزر والمدّ، والجزيرة والجزائر، ويقال جزيرة العرب لأرضها ومحلتها؛ لأن بحر فارس وبحر الحبش ودجلة والفرات قد أحدقت بها، وجزّ الشعر والزرع والنخيل، وهذا زمن الجزاز، ويقال: جزّوا ضأنهم، وحلقوا معزهم، وجزع الوادي قطعه عرضاً، قال أبو تمام:

إليكَ جَزعْنَا مَغْرِبَ الملك كُلَّما قَطَعْنَا مَلاً صَلَّتْ عليكَ سَبَاسِبُهْ

وهم بجزع الوادي وهو منعطفه، وتجزّع الشيء: تقطَّع وتفرق، قال الراعي:

ومن فارس لم يحرم السَّيف خطَّه
إذا رُمْحُـه في الـدَّارِعِين تَجَـزَّعـا

ومنه الجزع الظفاري؛ لأن لونه قد يجزّع إلى بياض وسواد، قال امرؤ القيس:

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خِبائِنا وأَرْحُلِنا الجَزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ

وجزف كذا اتباعه منه جزافاً وبالجزاف، وجازفه في البيع مجازفة وجزافاً، وحطب جزل: قاس يابس. وأنشد ثعلب:

فَـوَيْهَـاً لِقِـدْرِكِ وَيْهـاً لَهَـا إذا اخْتِيرَ في المَحْلِ جَزْلُ الحَطَب

وقال:

فأصبحت أنَّى تأتها تستجرْ بها تجدْ حطباً جزلاً وناراً تأجَّجا

وضرب الصيد فجزله جزلتين، أي: قطعتين، ومن المجاز: رجل جزل: ذو عقل ورأي، وقد جزُل وما أبين الجزالة فيه، وهو جَزْل العَطاء، وإن فعلت كذا فلك الذكر الجميل والثواب الجزيل، وامرأة جزْلة: ذات أرداف، وجزمت ما بيني وبينه: قطعته، وجزم اليمين: قطعها البتة، وجزم على كذا: عزم عليه، وتقول هذا حكم جزم، وقضاء حتم. فإذا رجعنا لجزى رأينا عجباً من هذه المادة، تقول: يجزيك الله عني ويجازيك، قال لبيد:

وإذا جـوزيـتَ قـرضـاً فـاجْـزه إنَّما يجزى الفتى ليسَ الجمل

وقال الحطيئة:

منْ يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والنَّاسِ

○ الإعراب:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، والمشركون نجس مبتدأ وخبر، أي: ذوو نجس؛ لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، أو لأنهم لا يتطهرون، ولا يغتسلون، ولا يجتنبون النجاسات، فلا تنفك تلابسهم، أو جعلوا كأنهم النجاسة عينها

مبالغة في وصفهم بها، والنجس مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، أو هو مجاز عن خبث الباطن وفساد العقيدة ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الفاء الفصيحة، ولا ناهية، ويقربوا مضارع مجزوم بها، والواو فاعل، والمسجد مفعول به، والحرام صفة ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ الظرف متعلق بيقربوا، وعامهم مضاف إليه، وهذا نعت لعامهم، أو بدل منه، وهو العام التاسع للهجرة، وفي هذا الحكم مسائل فقهية يرجع إليها في المظانّ المطولة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وخفتم فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط، وعيلة مفعول به، فسوف الفاء رابطة، وسوف حرف استقبال، ويغنيكم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط، ومن فضله جار ومجرور متعلقان بيغنيكم، وإن شرطية وشاء فعلها، والجواب محذوف دل عليه ما قبله، أي: فسوف يغنيكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ إن واسمها وخبراها ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للأمر بغزو المشركين، وقاتلوا فعل أمر وفاعل، والذين مفعول به، وجملة يؤمنون صلة، وبالله متعلقان بيؤمنون، ولا باليوم الآخر عطف على الله. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ عطف على ما تقدم، وما مفعول يحرمون، وجملة حرم الله ورسوله صلة ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الواو عاطفة، ودين الحق يجوز أن يكون مصدر يدينون، فهو مفعول مطلق، ويجوز أن يكون مفعولاً به مع تضمين يدينون معنى يعتقدون، ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض، أي: بدين الحق، ولعله أظهر ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ حال من الضمير في يدينون، أو من الذين الأولى مع ما في حيزها، وجملة أوتوا الكتاب صلة، والكتاب مفعول به ثان ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويعطوا منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والجزية مفعول به، وعن يد حال، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب: البلاغة ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ حال ثانية، وهم مبتدأ، وصاغرون خبر.

□ **البلاغة:**

في قوله تعالى: ﴿ عَن يَدٍ﴾ كناية عن الانقياد، يقال: أعطى فلان بيده إذا سلم وانقاد؛ لأن من أبى وامتنع لم يعط يده، بخلاف المطيع المنقاد، كأنه قيل: قاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن طيب نفس وانقياد، دون أن يكرهوا عليها، ثم إن المراد بها إما يد المعطي، وإما الآخذ، ومعناه على إرادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد مؤاتية غير ممتنعة؛ لأن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد، ألا ترى إلى قولهم: نزع يده عن الطاعة كما يقال: خلع ربقة الطاعة عن عنقه، وأما يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية، أو عن إنعام عليهم؛ لأنَّ قبول الجزية منهم، وترك أرواحهم نعمة عظيمة عليهم، هذا؛ وقد تقدمت مباحث الكناية، وسيرد الكثير منها في حينه.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يُضَـٰهِـُٔونَ﴾ في المصباح: ضاهأه مضاهأة مهموز: عارضه وباراه، ويجوز التخفيف فيقال: ضاهيته مضاهاة، وهي مشاكلة الشيء بالشيء.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون.

﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ في المختار: الحبر الذي يكتب به، وموضعه المِحبرة بالكسر، والحبر أيضاً الأثر. وفي الحديث: «يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره» قال الفراء: أي: هيئته ولونه. وقال الأصمعي: الجمال والبهاء وأثر النعمة، وتحبير الخط والشعر وغيرهما: تحسينه. والحَبر ـ بالفتح ـ: الحبور، وهو: السرور، وحبره: أي: سره، وبابه: نصر، وحبرة أيضاً ـ بالفتح ـ ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ أي: يسرون، وينعمون، ويكرمون، والحبر ـ بالفتح والكسر ـ واحد أحبار اليهود، والكسر أفصح؛ لأنه يجمع على أفعال دون فعول، وقال الفراء: هو بالكسر، وقال أبو عبيدة: هو بالفتح، وقال الأصمعي: لا أدري أنه بالفتح أو بالكسر، وقال: الحِبر ـ بالكسر ـ منسوب إلى الحبر الذي يكتب به؛ لأنه كان صاحب كتب، والحِبَرَة، كالعِنَبة: بردٌ يماني، والجمع حِبرَ كعِنَب، وحَبرات ـ بفتح الباء ـ. وفي المنجد: الحبر والحبر بالفتح والكسر: العالم الصالح، السرور والنعمة، رئيس من رؤساء الدين، الحبر الأعظم: خَلَف السيد المسيح على الأرض، رئيس الكهنة عند اليهود، والجمع: أحبار، وحبور.

﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ جمع راهب، وهو: من اعتزل الناس إلى دير طلباً للعبادة، والمؤنث راهبة، وجمعها راهبات ورواهب.

○ الإعراب:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ الواو استئنافية، وقالت اليهود فعل وفاعل، وعزير مبتدأ، وابن الله خبر، ولذلك أثبتت ألف ابن؛ لأنها تحذف إذا وقعت ابن صفة، أو بدلاً بين علمين، ونوّن عزير لأنه عربي، فلم يبق فيه إلا علة واحدة، وهي العلمية، وقرىء بمنع الصرف باعتباره أعجمياً، وقرىء قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ على وجهين: بتنوين عزير؛ لأن ابناً خبر عن عزير، فجرى مجرى قولك: زيد بن عمرو، والقراءة الأخرى بمنع التنوين، وهي على وجهين: أحدهما أن يكون عزير خبراً لمبتدأ محذوف، وابن وصفاً له، فحذف التنوين من عزير؛ لأن ابناً وصف له، فكأنهم قالوا:

هو عزير بن الله، والوجه الآخر أن يكون جعل ابناً خبراً عن عزير، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين.

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ جملة مماثلة معطوفة على سابقتها، وجملة المبتدأ، والخبر مقول القول ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ذلك مبتدأ، وقولهم خبر، وبأفواههم حال، وسيرد في باب: البلاغة سرُّ ذكر الأفواه ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ الجملة حالية، وقول مفعول به، والذين مضاف إليه، وجملة كفروا صلة، ومن قبل حال ﴿ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ قاتلهم الله فعل ومفعول به وفاعل، والجملة دعائية لا محل لها، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب حال مقدم، ويؤفكون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، أي: كيف يصرفون عن الحق ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ اتخذوا فعل وفاعل، وأحبارهم مفعول به، ورهبانهم عطف على أحبارهم، وأرباباً مفعول به ثان، ومن دون الله صفة لأرباباً، والمسيح عطف على أحبارهم، والمفعول الثاني بالنسبة إليه محذوف، أي: رباً، وابن صفة للمسيح، أو بدل منه، وثبتت الألف فيه لأنه صفة بين علمين، والمسيح لقب، واللقب من أقسام العلم ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾ الواو للحال، وما نافية، وأمروا فعل ماضٍ مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلا أداة حصر، واللام للتعليل، ويعبدوا منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وواحداً صفة إلهاً. ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الجملة صفة ثانية لإلهاً، وقد تقدم القول مفصلاً في إعراب «لا إله إلا الله» ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ سبحان مفعول مطلق، والهاء مضاف إليه، وهو مصدر بمعنى التنزيه لله عن الإشراك به، وعما متعلقان بسبحانه، وجملة يشركون صلة ما ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ جملة يريدون حالية لتمثيل حالهم في محاولتهم أن يبطلوا نبوة محمد بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم، وسيأتي بحث ذلك في باب: البلاغة، وأن وما في

حيزها مفعول يريدون، ونور الله مفعول به، وبأفواههم جار ومجرور متعلقان بيطفئوا ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ويأبى الله عطف على يريدون، وإلا أداة حصر؛ لأن الكلام على تقدير النفي؛ لأن يأبى تجري مجرى لم يرد، وأن وما في حيزها مفعول يأبى، ولو الواو حالية، ولو شرطية جوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه، تقديره: لأتمه ولم يبال بكراهتهم، والجملة حالية، والمعنى: لا يريد الله إلا إتمام نوره ولو كرهوه، وقد قيل: كيف دخلت «إلا» الاستثنائية على يأبى، ولا يجوز: كرهت أو أبغضت إلا زيداً، وقال الفراء: إنما دخلت لأنَّ في الكلام طرفاً من الجحد، وقال الزجاج: إن العرب تحذف مع أبى، والتقدير: ويأبى الله كل شيء إلا أن يتم نوره، وقال علي بن سليمان: إنما جاز هذا في أبى لأنها منع أو امتناع فضارعت النفي، قال النحاس: وهذا أحسن، كما قال الشاعر:

وهل لي أمّ غيرها إنْ تركتها ... أبى الله إلاَّ أن أكونَ لها ابنا

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ إيهام؛ لأنَّ القول لا يكون إلا بالفم، فما معنى ذكر أفواههم؟ ولكن السر كامن في الأفواه، وهو أن ما تندبه لا يكون إلا مجرد قول لا يؤبه له، ولا يعضده برهان، ولا تنهض به حجة، فما هو إلا لفظ فارغ، وهراء لا طائل تحته، كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم، لا تنطوي على معان، وما لا معنى له لا يعدو الشفتين.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يَكْنِزُونَ ﴾ يجمعون ويدفنون، وفي المصباح: كنزت المال كنزاً، من باب: ضرب، جمعته وادخرته، وكنزت التمر في وعائه كنزاً أيضاً، وهذا زمن الكناز، قال ابن السكيت: لم يسمع إلا بالفتح، وحكى الأزهري: كنزت التمر كَنازاً وكِنازاً بالفتح والكسر، والكنز: المال المدفون معروف تسميته بالمصدر، والجمع كنوز، مثل: فلس وفلوس، واكتنز الشيء اكتنازاً: اجتمع وامتلأ، وفي الأساس: وإنه لكنيز اللحم مكتنزه: صلبه، وناقة كناز اللحم، ومن المجاز: معه كنز من كنوز العلم، وقال زهير:

عَظِيمَيْنِ في عُلْيَا مَعَدٍّ وغيرها وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المجدِ يَعْظُمِ

وهذا كتاب مكتنز بالفوائد.

﴿ ٱلذَّهَبَ ﴾ معروف، وهو يذكر ويؤنث، وله أسماء عديدة، وهي: نضر، نضار، نضير، زبرج، زخرف، عسجد، عقيان.

○ **الإعراب:**

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ الجملة مستأنفة، وهو مبتدأ، والذي خبره، وجملة أرسل رسوله صلة، وبالهدى، أي: بالقرآن، متعلق بأرسل، ودين الحق عطف على الهدى ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ اللام للتعليل، ويظهر منصوب بأن مضمرة، والهاء مفعول به يعود على الرسول، وعلى الدين جار ومجرور متعلقان بيظهره، وكله تأكيد للدين، والواو حالية، ولو شرطية وصلية، وكره المشركون فعل وفاعل، والمفعول به محذوف، أي: ذلك ﴿ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾

إن واسمها، ومن الأحبار صفة لكثيراً، والرهبان عطف على الأحبار، وليأكلون اللام المزحلقة، وجملة يأكلون خبر إن، وأموال الناس مفعول به بالباطل حال، وسيأتي تحقيق الأكل في باب: البلاغة ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عطف على يأكلون ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الواو استئنافية، والذين مبتدأ، وجملة يكنزون صلة، والذهب مفعول يكنزون، والفضة عطف على الذهب، ولا ينفقونها عطف على يكنزون، وفي سبيل الله متعلقان بينفقونها ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ الفاء رابطة لما في الشرط من معنى العموم ورائحة الشرط، وبشرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به، وبعذاب جار ومجرور متعلقان ببشرهم، وأليم صفة، وجملة بشرهم خبر، والأحسن أن يكون الذين منصوباً بتقدير: بشر الذين يكنزون ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ﴾ الظرف متعلق بقوله بعذاب أليم، وقيل: بمحذوف يدلُّ عليه عذاب، أي: يعذبون يوم يحمى، أو بمحذوف تقديره: اذكر، وجملة يحمى مضافة للظرف، ويحمى يحتمل أن يكون من حميت وأحميت ثلاثياً ورباعياً، يقال: حميت الحديدة وأحميتها، أي: أوقدت عليها لتحمى، ونائب الفاعل المحذوف هو النار، تقديره: يوم تحمى النار عليها، فلما حذف نائب الفاعل ذهبت علامة التأنيث لذهابه، كقولهم: رفعت القصة إلى الأمير، ثم تقولُ: رفع إلى الأمير، وعليها في محل رفع نائب فاعل كما تقدم، وفي نار جهنم متعلق بيحمى، فتكوى الفاء عاطفة، وتكوى عطف على تحمى، وبها متعلقان بتكوى، وجباههم نائب فاعل، وجنوبهم وظهورهم عطف على جباههم، وسيأتي سرُّ تخصيص هذه الأعضاء في باب: البلاغة. ﴿هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ الجملة مقول القول محذوف، أي: يقال لهم، وهذا مبتدأ، وما خبره، وجملة كنزتم صلة، ولأنفسكم متعلقان بكنزتم. ﴿فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ الفاء الفصيحة، وذوقوا فعل أمر وفاعل، وما مفعول به، وجملة كنتم تكنزون صلة، وجملة تكنزون خبر كنتم.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون عديدة من أفانين البلاغة، نجملها فيما يلي:

(١) الاستعارة في أكل الأموال، إذ هي مما لا يؤكل، ولكن الأكل استعير للأخذ، ومعنى أكلهم بالباطل: أنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام.

(٢) أفرد الضمير في قوله: ﴿يُنفِقُونَهَا﴾ مع أنه ذكر شيئين، وهما: الذهب والفضة، ذهاباً بالضمير إلى المعنى دون اللفظ؛ لأن كل واحد منهما جملة وافية، وعدة كثيرة.

(٣) خصص الجباه والوجوه والظهور؛ لأنهم كانوا يتوخون من جمع الأموال واكتنازها الأغراض الدنيوية؛ التي يرفعون بها جباههم، ويصونون ماء وجوههم، يحتفل بهم الناس لدى رؤيتهم إياهم، ويطرحون مناعم الثياب على ظهورهم، وهذه أسرار انفرد بها القرآن العزيز.

* الفوائد:

روى التاريخ أن أبا ذر قال: نزلت هذه الآيات في أهل الكتاب وفي المسلمين، ووجه هذا القول أن أهل الكتاب موصوفون بالحرص على أخذ المال من أي وجه، ثم ذكر الله بعد ذلك وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه، سواء أكان من أهل الكتاب أم من المسلمين. روى مسلم عن زيد بن وهب قال: مررتُ بالربذة فإذا أبو ذرّ، فقلت له: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، وقلت أنا: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذلك كلام، فكتب إلى عثمان يشكوني، فكتب إلي أن أقدم المدينة، فقدمتها، فازدحم علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنحيت فكنت قريباً منا، فهذا هو الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا عليّ عبداً حبشياً لسمعت وأطعت.

حديث هـام عن الـذهب والفضـة:

وروى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «تباً للذهب، تباً للفضة» قالها ثلاثاً، فقالوا له: أيّ مال نتخذ؟ قال: «لساناً ذاكراً، وقلباً خاشعاً، وزوجة تعين أحدكم على دينه». هذا وقد اختلف العلماء في حد رأس المال فقال علي: أربعة آلاف فما دونها نفقة، فما زاد فهو كنز، وردُّوا عليه بأن هذا معقول قبل أن تفرض الزكاة، وهناك كلام طويل يرجع إليه في المطولات، وليس هو من غرض هذا الكتاب.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلنَّسِىٓءُ ﴾ مصدر نسأه؛ إذا أخّره، يقال: نسأه نسأً ونسيئاً ونساءً، كقولك: مسّه مسّاً ومساساً ومسيساً، وقيل: هو فعيل بمعنى مفعول من نسأه: إذا أخره، فهو منسوء، ثم حوّل مفعول إلى فعيل، كما حوّل مقتول إلى قتيل. وفي المختار: والنسيئة كالفعيلة التأخير. وكذا النَّساء بالفتح والمد: التأخير، والنسيء في الآية فعيل بمعنى مفعول، من قولك: نسأه من باب قطع، أي: أخره، فهو منسوء، فحوّل منسوء إلى نسيء، كما حول مقتول إلى

قتيل، والمراد به هنا تأخير حرمة المحرم إلى صفر، وسيأتي في باب: الفوائد تفصيل ذلك.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ إن واسمها، والشهور مضاف إليه، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال، أي: في حكمه، واثنا خبر إن مرفوع بالألف؛ لأنه مثنى، وعشر جزء عددي مبني على الفتح، وشهراً تمييز، وهي الشهور القمرية المعروفة ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في كتاب الله صفة لاثني عشر، ويوم ظرف متعلق بمحذوف، أو بكتاب الله إنْ جعل مصدراً، والمعنى: إن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله الكائنات، وقيل: يوم خلق بدل من قوله عند الله، والتقدير: إن عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، وفائدة الإبدالين تقرير الكلام في الأذهان، وجملة خلق مضاف إليها الظرف ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ منها خبر مقدم، وأربعة مبتدأ مؤخر، وحرم صفة، والجملة صفة ثانية لاثني عشر شهراً، وهي ثلاثة سرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد، وهو رجب ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ ذلك مبتدأ، والدين خبر، والقيم صفة ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ الفاء الفصيحة، ولا الناهية، وتظلموا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، وفيهن متعلقان بتظلموا، وأنفسكم مفعول به ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ الواو عاطفة، وقاتلوا فعل أمر، والواو فاعل، والمشركين مفعول به، وكافة حال من الفاعل أو المفعول، وهي في الأصل مصدر معناه جميعاً، ولا يثنى، ولا يجمع، ولا تدخله أل، ولا يتصرف فيه بغير الحال، هذا ما قرره النحاة بشأن كافة، ولكن صحح الشهاب الخفاجي أن يقال: جاءت الكافة، وأطال البحث فيه في «شرح الشفاء». وقال شارح «اللباب»: إنه استعمل مجروراً، واستدل له بقول عمر بن الخطاب: «على كافة بيت مال المسلمين»، وقال إبراهيم الكوراني: من قال من النحاة: إن كافة

لا تخرج عن النصب فحكمه ناشىء عن استقراء ناقص، واستعملها الزمخشري مجرورة بالكاف في خطبة كتابه «المفصل» فقال: «محيط بكافة الأبواب» كما استعملها في غير الأناسي. كما الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف، أو هي حرف جر، وما مصدرية مؤولة مع ما في حيزها بمصدر صفة لمصدر محذوف، أي: قتالاً كقتالكم، وقد تقدمت له نظائر، فجدِّد به عهداً ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا، وأن واسمها، ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ إنما كافة ومكفوفة، والنسيء مبتدأ، وزيادة خبر، وفي الكفر متعلق بزيادة ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فعل وفاعل، وبه متعلقان به، والذين كفروا فاعله، وقرىء يضل به الذين كفروا بالبناء للمجهول، والجملة خبر ثان للنسيء ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾ الجملة تفسيرية للضلال فلا محل لها، ويجوز أن تعرب حالية، وعاماً ظرف متعلق بيحلونه ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ اللام للتعليل، وهي مع مجرورها المؤول متعلقة بيحرمونه، أو بيحلونه، حسب قانون التنازع، وعدة مفعوله، وما موصول مضاف إليه وجملة حرم الله صلة ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾ عطف على ليواطئوا، وما مفعول يحلوا ﴿زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ﴾ الجملة حالية من الفاعل، أي: مزينين، أو استئنافية، ولعله أولى، ولهم متعلقان بزين، وسوء أعمالهم فاعل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ مبتدأ، وجملة لا يهدي خبر.

* الفوائـد:

ما يقولـه التاريـخ عن النـسيء:

روى التاريخ أن العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها، وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة، وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية، وربما وقعت حروب في بعض الأشهر الحرم، فكانوا يكرهون تأخير حروبهم إلى الأشهر الحلال فنسؤوا، يعني أخروا تحريم شهر إلى شهر آخر فنزلت.

وقال المبرد في «كامله»: «نسأ الله في أجلك، ونسأ الله أجلك، وأنسأ الله أجلك، والنسيء من هذا، ومعناه: تأخير شهر عن شهر، وكانت النسأة من بني مذلج بن كنانة فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ لأنهم كانوا يؤخرون الشهور، فيحرمون غير الحرام، ويحلون غير الحلال لما يقدرونه من حروبهم وتصرفهم، فاستوت الشهور لما جاء الإسلام».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ أصله: تثاقلتم، فأبدلت التاء ثاء، ثم أدغمت في الثاء، ثم اجتلبت همزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن، وأنشد الكسائي:

تولي الضَّجيعَ إذا ما اشتاقَها خصراً
عذبَ المذاقِ إذا ما اتَّابع القُبل

﴿ٱلْغَارِ﴾ الكهف، ويجمع على أغوار وغيران، وألفه منقلبة عن واو، وغار حراء: نقب في جبل ثور عن يمين مكة، على مسيرة ساعة.

○ الإعراب:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، ولكم خبر، وإذا ظرف مستقبل متعلق باثاقلتم، وقيل: فعل ماض مبني للمجهول، ولكم جار ومجرور متعلقان به، وانفروا فعل أمر وفاعل، والجملة مقول القول، وفي سبيل الله متعلقان بانفروا، وجملة اثاقلتم حال، وإلى الأرض متعلقان باثاقلتم، والمعنى: أي شيء لكم من الأعذار حالة كونكم متثاقلين في وقت قول الرسول لكم انفروا، أي: اخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله، وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة تسع بعد رجوعهم من الطائف، وقد استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وتكالب العدو، فشق عليهم. ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ المقترنين بالتعجب، ورضيتم فعل وفاعل، وبالحياة جار ومجرور متعلقان برضيتم، والدنيا صفة، ومن الآخرة متعلقان بمحذوف حال، أي: بديلاً من الآخرة ﴿ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ الفاء الفصيحة، وما نافية، ومتاع مبتدأ، والحياة مضاف إليه، والدنيا صفة وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال، أي: محسوباً في جنب الآخرة، وإلا أداة حصر، وقليل خبر متاع، ويجوز تعليق في الآخرة بقليل، وقد سمى الشهاب «في» الداخلة على الآخرة قياسية، أي: بالقياس إلى الآخرة، ولعمري ليس ببعيد ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ إن شرطية، ولا نافية، وتنفروا فعل الشرط، ويعذبكم جوابه، وعذاباً مفعول مطلق، وأليماً صفة، ويستبدل عطف على يعذبكم، وقوماً مفعول به، وغيركم صفة لـ «قوماً» ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ولا تضروه عطف على يستبدل، والواو فاعل، والهاء مفعول به، وشيئاً مفعول مطلق، أي: شيئاً من الضرر، والله مبتدأ، وقدير خبره، وعلى كل متعلقان بقدير ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ إن شرطية، ولا نافية، وقد أدغمتا كما تقدم، وتنصروه

فعل الشرط، والفاء رابطة، وجملة قد نصره الله جواب الشرط، وقد علله الزمخشري تعليلاً حسناً إذ قال: «فإن قلت كيف يكون قد نصره الله جواباً للشرط؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: إلا تنصروه في المستقبل فسينصر من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد، ولا أقل من الواحد، فدل بقوله «قد نصره الله» على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت، والثاني: أنه أوجب له النصرة، وجعله منصوراً في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده، واتفق المفسرون على أن الجواب محذوف؛ لأن غزوة تبوك في التاسعة، وقوله «إذ أخرجه الذين كفروا» قبل ذلك بكثير، وقالوا: «فقد نصره الله» بمثابة تعليل للجواب المحذوف، وهذا قريب من قول الزمخشري الأول ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ الظرف متعلق بنصره الله، وجملة أخرجه في محل جر بإضافة الظرف إليها، والذين فاعل، وجملة كفروا صلة وثاني اثنين حال من الهاء في أخرجه، والتقدير: إذ أخرجه الذين كفروا حال من كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر، واثنين مضاف إليه، وإذ بدل من إذ الأولى، أي: فيفرض زمن إخراجه ممتداً بحيث يصدق على زمن استقرارهما في الغار، وزمن القول المذكور، فهو بدل بعض من كل، وهما مبتدأ، وفي الغار خبر، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ إذ بدل أيضاً، وجملة لا تحزن مقول القول، وجملة إن الله معنا تعليلية، وإن واسمها، والظرف متعلق بمحذوف خبرها ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الفاء عاطفة، وأنزل الله سكينته فعل وفاعل ومفعول به، وعليه متعلقان بأنزل، وأيده عطف على أنزل، وبجنود جار ومجرور متعلقان بأيده، وجملة لم تروها صفة لجنود ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ الواو عاطفة أيضاً، وجعل فعل ماض، وفاعله مستتر يعود على الله، وكلمة مفعول به، والذين مضاف إليه، وجملة كفروا صلة، والسفلى مفعول به ثان لجعل، وكلمة الواو حالية، وكلمة الله مبتدأ، وهي ضمير فصل أو مبتدأ،

والعليا خبر كلمة، أو خبر هي، والجملة خبر كلمة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الله مبتدأ، وعزيز حكيم خبراه.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ اختلفت عبارات المفسرين فيهما، ولكنها ترجع إلى منبع واحد، أي: انفروا على الصفة التي يخفّ عليكم فيها الجهاد، وعلى الصفة التي يثقل عليكم فيها الجهاد، وهذان الوصفان من العموم والشمول بحيث تندرج تحتهما جميع الأقسام، وستأتي قصة والي حمص في باب: الفوائد.

﴿عَرَضًا﴾ العرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها، ومن أقوالهم: الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر.

﴿قَاصِدًا﴾: السفر القاصد: هو الوسط المقارب.

﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافة الشاطة الشاقة.

○ **الإعراب:**

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ انفروا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وخفافاً وثقالاً حالان، وجاهدوا عطف على انفروا، وبأموالكم جار ومجرور متعلقان بجاهدوا، وأنفسكم عطف على بأموالكم، وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بجاهدوا

أيضاً، ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ذلكم مبتدأ، أي: المذكور من الأمرين، وهما: انفروا وجاهدوا، وخير خبر، ولكم متعلقان بخير، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، وجملة تعلمون خبر كنتم، وجواب الشرط محذوف، أي: فجاهدوا، أو فلا تثاقلوا ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ ﴾ لو شرطية امتناعية، وكان عرضاً: كان واسمها مستتر تقديره الشأن، أي: ما دعوا إليه، وعرضاً خبرها، وسفراً قاصداً عطف عليه، لاتبعوك: اللام واقعة في جواب لو، واتبعوك فعل وفاعل ومفعول به، والجملة لا محل لها ﴿ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ الواو حالية، ولكن حرف استدراك مهمل للتخفيف، وبعدت عليهم الشقة فعل وفاعل، وعليهم متعلقان ببعدت، والجملة حالية ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ الواو استئنافية، والسين للاستقبال، وبالله متعلقان بيحلفون، وجملة لو استطعنا جواب القسم، وجملة لخرجنا جواب لو، ولك أن تجعل جملة لو استطعنا مقول قول محذوف منصوب على الحال، أي: قائلين فتكون لخرجنا سادَّة مسد القسم والشرط جميعاً، ومعكم ظرف متعلق بخرجنا ﴿ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ جملة يهلكون أنفسهم بدل من سيحلفون، أو حال، أي: مهلكين، وأنفسهم مفعول به، والله مبتدأ، وجملة يعلم خبر، وإن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي يعلم ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ جملة دعائية، قدم «عفا» فيها في معرض المعاتبة تليينا لقلب الرسول ورأفة به، وقد أخطأ الزمخشري إذ فسَّره بقوله: أخطأت وبئس ما فعلت، ولقد أحسن من قال في هذه الآية: إن من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب، ولو قال له ابتداء لم أذنت لهم لتفطر قلبه. ولم: اللام حرف جر، دخل على ما الاستفهامية فحذف ألفها، وقد تقدم حكمها، وكلتا اللامين متعلقة بالإذن لاختلافهما في المعنى، فالأولى للتعليل والثانية للتبليغ، والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجيه الإنكار إلى الإذن لشموله الجميع ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ حتى حرف غاية وجر، أي: إلى أن يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه، ولك متعلقان بيتبين،

والذين فاعل، وجملة صدقوا صلة، وتعلم عطف على يتبين، والكاذبين مفعول به.

* الفوائـد:

قصة والي حمص والدمشقي:

ونروي بصدد الجهاد والدعوة إلى الاستنفار القصة الرائعة التالية، ونكتفي بها لأن مباحث الجهاد والاستنفار مبسوطة في المطولات:

فعن صفوان بن عمر قال: كنت والياً على حمص، فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو، فقلت: يا عم لقد أعذر الله إليك، فرفع حاجبيه، وقال: يا بن أخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً، إلا أنَّ من يحبه الله يبتليه.

تكثير السواد وحفظ المتاع:

وعن الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو، وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل صاحب ضرر! فقال: استنفرنا الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثَّرتُ السواد، وحفظتُ المتاع.

﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ
أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ
ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ أي: لسعوا بينكم بالنمائم وإفساد ذات البين، وأصل الإيضاع: الإسراع.

○ **الإعراب:**

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ الجملة استئنافية، مسوقة لتقرير ما يستدل منه على أن المؤمنين ليس من عادتهم أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، ويستأذنك فعل مضارع ومفعول به، والذين فاعل، وجملة يؤمنون صلة، وبالله جار ومجرور متعلقان بيؤمنون، واليوم الآخر معطوف على الله ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ أن وما في حيزها منصوب بنزع الخافض، أي: في الجهاد، وهو متعلق بيستأذنك، وبأموالهم جار ومجرور متعلقان بيجاهدوا، وأنفسهم عطف على أموالهم، والله مبتدأ، وعليم خبر، وبالمتقين متعلقان بعليم.

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وما بعده تقدم إعرابه، والمعنى: إن الذين يستأذنون هم المترددون المتحيرون، أما المستبصرون المؤمنون فهم مستقرون على ما عزموا عليه وما هو واجب عليهم، وهذا من أرقى أفانين الأدب الواجبة الاحتذاء، فإنه لا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه في أن يسدي إليه معروفاً، كما لا يليق بالمضيف أن يستأذن ضيفه في أن يقدم إليه، فإن الاستئذان في هذا الموطن دليل التكلف، وخليق بذوي المروءة وأرباب الفتوة أن لا يتاقلوا إذا ندبوا إلى أمر جدير بالمروءة، قال طرفة:

إذا القومُ قالوا مَن فتى؟ خلتُ أنَّني
عُنِيتُ فلم أكسلْ ولم أتبلَّدِ

وقال آخر:

إن تُبْتَدَرْ غايةٌ يوماً لمكرمةٍ تَلْقَ السَّوابقَ مِنَّا والمُصَلِّينا

وأشعارهم طافحة بذلك.

﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ عطف على لا يؤمنون، وارتابت قلوبهم فعل وفاعل، أي: شكت في الدين، فهم الفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وفي ريبهم جار ومجرور متعلقان بيترددون، وجملة يترددون خبر.

﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ كلام معطوف أيضاً، ولك أن تجعله مستأنفاً، ولو شرطية، وأرادوا الخروج فعل وفاعل ومفعول به، واللام واقعة في جواب لو، وأعدوا فعل وفاعل، وله متعلقان بأعدوا، وعدة مفعول به ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ الواو عاطفة على محذوف، كأنه قيل: ما خرجوا ولكن كره الله انبعاثهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ الفاء عاطفة، وثبطهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وقيل فعل ماض مبني للمجهول؛ لأن القائل محتمل أن يكون عائداً إلى الله، ويحتمل أن يكون عائداً إلى ما ركز في أنفسهم من الشقاء وسوء المصير، واقعدوا فعل أمر وفاعل، ومع ظرف متعلق باقعدوا، والقاعدين مضاف إليه، وسيرد في باب: البلاغة سرُّ قوله مع القاعدين ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير المفاسد المترتبة على خروجهم، وخرجوا فعل وفاعل، وفيكم متعلقان بخرجوا، وجملة ما زادوكم لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وزادوكم فعل وفاعل ومفعول به، وإلا أداة حصر، وخبالاً مفعول به ثان، والاستثناء هنا متصل لا منقطع؛ لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كقولك: ما زادوكم خيراً إلا خبالاً، والمستثنى منه غير مذكور في الآية، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء، فكان استثناء متصلاً؛ لأن الخبال بعض أعمّ العام، كأنه قيل: ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً، والخبال: الفساد والشر، وذلك بتخذيل المؤمنين، وإدخال الوهن في قلوبهم. ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ

ٱلۡفِتۡنَةَ ﴾ ولأوضعوا معطوف على ما زادوكم، اللام واقعة في جواب لو، وخلالكم منصوب على الظرفية، ومتعلق بأوضعوا، أي: سعوا بينكم بالنمائم والإغراء، وجملة يبغونكم حال من فاعل أوضعوا، أي: لأسرعوا فيما بينكم باغين فتنتكم، والفتنة مفعول يبغونكم، والكاف منصوب بنزع الخافض، أي: يبغون لكم الفتنة ﴿ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الواو للحال، وفيكم خبر مقدم، وسماعون مبتدأ مؤخر، ولهم متعلقان بسماعون، والمعنى: وفيكم عيون لهم يتجسسون عليكم وينقلون إليهم أخباركم ويكشفون لهم خططكم، والله مبتدأ وعليم خبر وبالظالمين متعلق بعليم.

□ **البلاغة:**

في الآية التتميم بذكر «مع القاعدين» وعدم الاكتفاء بذكر اقعدوا، لأنه لو اقتصر على الأمر لم يفد سوى القعود، ولكنه أراد أن ينظمهم في سلك الزمنى، والمرضى، وأصحاب العاهات، والمعتوهين، والنساء، والصبيان؛ الذين من شأنهم الجثوم في البيوت بأنهم الموصوفون عند الناس بالتخلف، والتقاعد، والموسومون بسمة التلكؤ والجبانة. وسيرد المزيد من هذا الفن العجيب.

﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ
وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا
تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾
إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ
أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ

ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

○ الإعراب:

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ اللام جواب لقسم محذوف، وابتغوا الفتنة فعل وفاعل ومفعول به، ومن قبل متعلقان بابتغوا، وبنيت على الضم لقطعها عن الإضافة لفظاً لا معنى، أي: من قبل غزوة تبوك، وقلبوا لك الأمور: عطف على ما سبقه، وتقليب الأمر: تصريفه على أوجه شتى لتدبير الحيلة والمكيدة، ويقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل: حول وقلب ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾حتى حرف غاية وجر، أي: واستمروا على تقليب الأمور، وحوك الدسائس، وتبييت المكائد، وجاء الحق فعل وفاعل، وظهر أمر الله فعل وفاعل أيضاً، وهم كارهون الواو للحال، وهم كارهون مبتدأ وخبر، والجملة نصب على الحال ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾الواو عاطفة، ومنهم خبر مقدم، ومن موصول مبتدأ مؤخر، وجملة يقول صلة، وائذن فعل أمر، ولي جار ومجرور متعلقان به، والواو عاطفة، ولا ناهية، وتفتني مجزوم بلا، والنون للوقاية، والياء مفعول به ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ۗ﴾ألا أداة تنبيه، وفي الفتنة متعلقان بسقطوا، وجمع الضمير والقائل واحد مراعاة للمعنى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومحيطة خبر إن، وبالكافرين متعلقان بمحيطة، والكلام معطوف على الجملة السابقة داخل في نطاق التنبيه ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ﴾إن شرطية، وتصبك فعل الشرط، والكاف مفعول به، وحسنة فاعل، وتسؤهم جواب الشرط. ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ عطف على ما تقدم، ومعنى أخذنا أمرنا، أي: تلافينا وتفادينا كل خطأ، وأخذنا بأسباب الحيطة، والحذر، والتوقي، والحزم ﴿وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ ويتولوا عطف على يقولوا، أي: ويعرضوا عن مجلس النبي، والواو للحال، وهم فرحون مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية حالية من

الضميرين في يقولوا ويتولوا، لا من الأخير فقط لمقارنة الفرح لهما معاً ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ جملة لن يصيبنا مقول القول، وإلا أداة حصر، وما فاعل، وجملة كتب الله لنا صلة، أي: قل لهم ذلك للإطاحة بما بنوا عليه مسرتهم وغبطتهم من اعتقاد مزيف ﴿ هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ مبتدأ وخبر، والجملة حال من الله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الفاء للتعليل، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيتوكل، واللام لام الأمر، ويتوكل مجزوم باللام، والمتوكلون فاعل.

□ البلاغة:

المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ والعلاقة الحالية، أي: في جهنم فأطلق الحال، وأريد المحل؛ لأن الفتنة لا يسقط فيها الإنسان؛ لأنها معنى من المعاني، وإنما يحل في مكانها، فاستعمال الفتنة في مكانها مجاز أطلق فيه الحالّ، وأريد المحل.

* الفوائد:

روى التاريخ أن النبي ﷺ لما تجهز إلى غزوة تبوك قال للجد بن القيس: «يا أبا وهب! هل لك في جلاد بني الأصفر؟» وهم ملوك الروم، فقال الجد: قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء، فلا تفتني ببنات الأصفر، يعني: نساء الروم. ولكن أعينك بمالي فاتركني.

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ

وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

○ الإعراب:

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ هل حرف استفهام، وتربصون فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه، أي: تنتظرون، وبنا متعلقان بتربصون، وإلا أداة حصر، وإحدى الحسنيين مفعول به ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، ونحن مبتدأ، وجملة نتربص خبر، وبكم متعلقان بنتربص، وأن وما في حيزها مفعول به، والله فاعل، وبعذاب متعلقان بيصيبكم، ومن عنده صفة لعذاب، أو بأيدينا عطف على من عنده، أي: بعذاب بأيدينا ﴿ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ الفاء الفصيحة، وتربصوا فعل أمر، أي: إذا أردتم أن تعلموا النتائج وما يلقاه كل منا ومنكم فتربصوا، وإن واسمها، ومعكم ظرف متعلق بمتربصون، ومتربصون خبر إنا ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ جملة أنفقوا مقول القول، والواو فاعل، وطوعاً وكرهاً مصدران نصبا على الحال، أي: طائعين أو مكرهين ﴿ لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ لن حرف نفي ونصب واستقبال، ويتقبل بالبناء للمجهول مضارع منصوب بلن، ومنكم متعلقان بيتقبل، وإن واسمها، وجملة كنتم قوماً من كان واسمها، وخبرها خبر إن، وفاسقين صفة قوماً ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، منعهم فعل ومفعول به، وأن تقبل أن وما في حيزها مفعول منع الثاني، ومنهم متعلقان بتقبل، ونفقاتهم نائب فاعل، وإلا أداة حصر، وإن وما في حيزها فاعل منع، أي: ما منعهم قبول نفقاتهم شيء من الأشياء إلا كفرهم، وما عطف عليه ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ويأتون الصلاة فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وإلا أداة حصر، وهم كسالى مبتدأ وخبر،

والواو للحال، والجملة حالية ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ عطف على ما تقدم.

□ البلاغة:

فن التعطف أو المشاركة:

وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يوردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر، وهما مفترقتان كل لفظة منهما في طرف من الكلام، وهو في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ فقد أتى التعطف من صدر الآية في قوله: ﴿تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ ومن عجزها في قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ مع تجنيس الازدواج، ووقع مع التعطف مقابلة معنوية خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف، فإن مقتضى البلاغة أن يكون تقدير ترتيب اللفظ: قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين: أن يصيبنا الله بعذاب من عنده، أو بأيديكم ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، أو بأيدينا، فحذف لتوخي الإيجاز تفسير الحسنيين من الجملة الأولى، وأثبت في الجملة الثانية فراراً من تكرار اللفظ وتكثيره، كما حذف الحسنيين من الجملة الثانية استغناء بذكرها أولاً، فحصل في الآية التعطف والمقابلة والإيجاز والتفسير، فاكتملت فيها أربعة أضرب من البديع، وهذا هو السحر الحلال، وإن من البيان لسحراً.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ

مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا
رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ
رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا
وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً
مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

☆ **اللغة:**

﴿تُعْجِبْكَ﴾ الإعجاب بالشيء: أن يسرَّ به سرور راض به متعجب من حسنه. والمعنى: فلا تستحسن ولا يستهويك ما أوتوا من زينة الدنيا وبهارجها، وفي المصباح: ويستعمل التعجب على وجهين: أحدهما: ما يحمده الفاعل، ومعناه: الاستحسان والإخبار عن رضاه به، والثاني: ما يكرهه، ومعناه: الإنكار والذم له، ففي الاستحسان يقال: أعجبني، وفي الذم والإنكار: عجبت، وزان: تعبت.

﴿يَفْرَقُونَ﴾ يخافون، وفي المختار: فرق فرقاً، من باب: تعب، خاف، ويتعدى بالهمزة، فيقال أفرقته.

﴿مَغَٰرَٰتٍ﴾ جمع مغارة، وهي المكان المنخفض في الأرض، أو في الجبل. والغَور ـ بالفتح ـ: من كل شيء قعره، والغور: المطمئن في الأرض، وغار الرجل غوراً: أتى الغور، وهو: المنخفض من الأرض، وأغار بالألف مثله، والغار والمغار والمغارة كالكهف في الجبل، والكهف كالبيت في الجبل، والجمع كهوف، ثم انظر إلى الدقة في الترتيب مما يتناهى فيه نظم الكلام إلى أسمى الحدود، ذكر أولاً الأمر الأعم، وهو الملجأ من أي نوع كان، ثم ذكر الغيران التي يختفى فيها في أعلى الأماكن، وهي الجبال، ثم الأماكن التي يختفى فيها في الأماكن السافلة، وهي التي عبر عنها بالمدخل.

﴿ يَجْمَحُونَ ﴾ يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء، من الفرس الجموح، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام، وفي المصباح: جمح الفرس براكبه يجمح ـ بفتحتين ـ من باب: خضع جِماحاً بالكسر، وجموحاً: استعصى حتى غلبه، فهو جَموح بالفتح، وجامح، يستوي فيه المذكر والمؤنث.

﴿ يَلْمِزُكَ ﴾ يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك، وفي المصباح: «لمزه لمزاً، من باب: ضرب، عابه، وقرأ بها السبعة، ومن باب قتل، لغة، وأصله: الإشارة بالعين ونحوها» فهو أخص من الغمز، إذ هو الإشارة بالعين ونحوها، سواء أكان على وجه الاستنقاص أو لا، وأما اللمز فهو خاص بكونه على وجه العيب، وفي المصباح: غمزه غمزاً، من باب: ضرب، أشار إليه بعين أو حاجب.

○ الإعراب:

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ﴾ الفاء عاطفة، وسيأتي سرُّ استعمالها، ولا ناهية، وتعجبك مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل مستتر تقديره أنت، والخطاب وإن كان منصرفاً إلى النبي ﷺ إلا أن المراد به جميع المؤمنين، وأموالهم فاعل، ولا أولادهم عطف عليه ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويريد الله فعل مضارع وفاعل، واللام للتعليل، ويعذبهم منصوب بأن مضمرة، وأورد اللام للتقوية، والأصل: يريد أن يعذبهم، وبها متعلقان بيعذبهم، وفي الحياة الدنيا حال ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ عطف «تزهق» على «ليعذبهم»، وأنفسهم فاعل، والواو حالية، وهم مبتدأ، وكافرون خبر ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ الواو استئنافية، ويحلفون فعل مضارع وفاعل، وبالله جار ومجرور متعلقان بيحلفون، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومنكم خبرها، والواو للحال، وما نافية حجازية، وهم اسمها، ومنكم خبرها، والجملة حالية ﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ الواو عاطفة، ولكن واسمها، وقوم خبرها، وجملة يفرقون صفة ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ لو

شرطية، ويجدون ملجأ فعل مضارع وفاعل ومفعول به، أو مغارات أو مدخلاً معطوفان على ملجأ، لولوا: اللام واقعة في جواب لو، وإليه متعلقان بولوا، وهم: الواو للحال، وهم مبتدأ، وجملة يجمحون خبر، والجملة حالية، وجملة لولوا لا محل لها ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾الواو عاطفة، ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يلمزك صلة، وفي الصدقات جار ومجرور متعلقان بيلمزك ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾الفاء عاطفة، وإن شرطية، وأعطوا فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط، ومنها في محل نصب مفعول به ثان؛ لأن الواو وهي نائب الفاعل مفعوله الأول، وإن لم يعطوا منها عطف على الجملة الأولى، وإذا فجائية، وهم مبتدأ، وجملة يسخطون خبر، وجملة إذا هم يسخطون في محل جزم جواب الشرط؛ لأن «إذا» تخلف الفاء ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ أن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف، أي: لو ثبت رضاهم، وما مفعول به، وجملة آتاهم الله ورسوله صلة ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾حسبنا مبتدأ، والله خبر أو بالعكس، والجملة مقول القول، سيؤتينا الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل، ومن فضله جار ومجرور متعلقان بيؤتينا، ورسوله عطف على الله ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ وإن واسمها، وإلى الله جار ومجرور متعلقان براغبون، وراغبون خبر إنا ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وهي للقصر، قصرت الصدقات على الأصناف المعدودة، والصدقات مبتدأ، وللفقراء خبر، والمساكين عطف على الفقراء والعاملين عليها عطف أيضاً، وأراد بهم السعاة الذين يقبضونها من: جاب، وقاسم، وكاتب، وحاشر، وحاسب، والمؤلفة قلوبهم عطف على ما تقدم أيضاً، وقلوبهم نائب فاعل ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وفي الرقاب معطوف على قوله للفقراء، أي: ومصروفة في الرقاب، ولا بد من تقدير مضاف، أي: وفي فك الرقاب، والغارمين عطف أيضاً، أي: الذين فدحتهم الديون إن استدانوا لغير معصية، أو لإصلاح ذات البين، وفي

سبيل الله عطف أيضاً، أي: القائمين بالجهاد، وابن السبيل عطف أيضاً، وهو: المنقطع، فهو فقير حيث هو، غني حيث ماله ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: فرض الله ذلك فريضة، ويجوز إعرابها حالاً من الفقراء ومن بعدهم، أي: إنما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة، وهي فعيلة بمعنى مفروضة، وإنما دخلتها التاء، وحقها أن يستوي فيها المذكر والمؤنث؛ لجريانها مجرى الأسماء كالنطيحة، ومن الله صفة، والله مبتدأ، وعليم خبر أول، وحكيم خبر ثان.

□ البلاغة:

مخالفة الحروف:

في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ إلى آخر الآية فن طريف من فنون البلاغة لطيف المأخذ، دقيق المغزى، قلّ من يتفطن إليه، فقد عدل عن اللام إلى في، في الأربعة الأخيرة، وذلك لسرٍّ يخفى على المتأمل السطحي، وهو أن الأصناف الأربعة الأوائل، وهم: الفقراء، والمساكين، والعاملون عليها، والمؤلفة قلوبهم، ملاك لما عساه يدفع إليهم، فكان دخول اللام لائقاً بهم، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يصرف إليهم، ولكن في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون، فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم، وإنما هم محالّ لهذا الصرف، والمصلحة المتعلقة به، وكذلك الغارمون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذممهم لا لهم، وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك، وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجاً في سبيل الله، وإنما أفرد بالذكر تنبيهاً على خصوصيته، مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً، وعطفه على المجرور باللام ممكن، ولكنه على القريب منه أقرب، إذا تقرر هذا تبين لك ما تميز به الأئمة الأربعة من رهافة ذوق، وإصابة حدس في استنباط الأصول الفقهية من مخالفة الحروف، ووجه

آخر أشار إليه الزمخشري، وذكره ابن الأثير في كتابه الممتع: «المثل السائر» نلخصه فيما يلي:

إنما عدل عن اللام إلى «في» في الثلاثة الأخيرة؛ للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره باللام؛ لأن «في» للوعاء، فنبه على أنهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصدقات، كما يوضع الشيء في الوعاء، ويجعلوا مظنة لها، وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم من التخليص والإنقاذ، وتكرير «في» في قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين، وسياق الكلام أن يقال: وفي الرقاب، والغارمين، وسبيل الله، وابن السبيل، فلما جيء بـ «في» مرة ثانية، وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله، علم أن سبيل الله أوكد في استحقاق النفقة فيه، وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف.

* الفوائـد:

وفيما يلي فصل ممتع كتبه عالم جليل من علماء الأزهر، نثبته لأصالته في الصدقات والزكوات، قال:

«تدفع الزكاة لثمانية أصناف:

(١) الفقير: وهو الذي لا مال ولا كسب لائق يقع موقعاً من كفايته، بأن ينقص عن نصف ما يحتاجه كمن يحتاج إلى عشرة لا يملك ولا يكسب إلا درهمين أو ثلاثة.

(٢) المسكين: من له مال أو كسب لا يكفيه كمن يحتاج إلى عشرة دراهم وعنده سبعة.

(٣) العاملين عليها: الساعين في تحصيلها كالكاتب لأموال الزكاة.

(٤) المؤلفة قلوبهم: وهم الذين أسلموا وإسلامهم ضعيف، أو كان قوياً، ولكن يتوقع بإعطائهم إسلام غيرهم.

(٥) الرقاب: وهم المكاتبون من الأرقاء لغير المزكي كتابة صحيحة.

(٦) الغارم: وهو الذي تداين ديناً لنفسه وحل الدين ولا قدرة له على وفائه وقصد صرفه في مباح، أو صرفه فيه، أو تداين لإصلاح ذات البين إن حل الدين، ولم يوفه من ماله، ولو كان غنياً، أو تداين لضمان إن أعسر هو والمضمون.

(٧) وأهل سبيل الله: وهم الغزاة المتطوعون بالجهاد، وإن كانوا أغنياء إعانة على الجهاد.

(٨) وابن السبيل: وهو المسافر سفراً مباحاً من بلد الزكاة، ولو مجتاز إلى وطنه، أو غيره، فيعطى من مال الزكاة ما يوصله إلى مقصده إن احتاج.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿أُذُنٌ﴾ - بضمتين ـ: الجارحة المعروفة عضو السماع، مؤنثة، والجمع آذان، وأذن الكوز: عروته، وتصغيرها أذينة، وفلان أذن من الآذان؛ إذا كان يسمع مقال كل أحد وتكون بلفظ واحد مع الجميع، ويقال: جاء لابساً أذنيه، أي: غافلاً، وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب: البلاغة والفوائد.

﴿يُحَادِدِ﴾ يشاقق، وفي القاموس وغيره: حادّه: عاداه وغاضبه.

○ **الإعراب:**

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ كلام مستأنف، مسوق للحديث عن فرقة من المنافقين، كما سيأتي في باب: الفوائد، ومنهم خبر مقدم، والذين مبتدأ

مؤخر، وجملة يؤذون النبي صلة ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ ويقولون عطف على يؤذون، وجملة هو أذن من المبتدأ، والخبر مقول القول، وقل فعل أمر، وأذن خبر، والمبتدأ محذوف، وخير مضاف إليه، ولكم صفة ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ جملة يؤمن بالله تفسيرية؛ لكونه أذن خير لهم، ويؤمن للمؤمنين عطف على يؤمن بالله، وعدى الإيمان إلى الله بالباء لتضمنه معنى التصديق، ولموافقة ضده، وهو الكفر، في قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ وعداه للمؤمنين باللام لتضمنه معنى الانقياد، وموافقته لكثير من الآيات، كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ وقوله: ﴿۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ ويمكن أن يجاب بأنه عدى فعل الإيمان إلى الله بالباء، وإلى المؤمنين باللام؛ لأن إيمان الأمان من الخلود في النار، وهو المقابل للكفر حقه أن يعدى بالباء، وأما الإيمان بمعنى التصديق والتسليم فإنه يعدى باللام للتفرقة بينهما، وإن كان حقه أن يعدى بنفسه كالتصديق حيث يقال صدقتك. ورحمة للذين آمنوا عطف على أذن خير، وللذين آمنوا صفة لرحمة، ومنكم حال من الضمير في آمنوا ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الذين مبتدأ، وجملة يؤذون رسول الله صلة، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وأليم صفة، والجملة الاسمية خبر الذين ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ الجملة خبر ثان للذين، ولكم متعلقان بيحلفون، واللام للتعليل، ويرضوكم منصوب بأن مضمرة، والواو فاعل، والكاف مفعول به، ولام التعليل ومجرورها متعلقان بيحلفون أيضاً ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ الواو للحال، والله مبتدأ، ورسوله عطف على الله، وأحق خبر مقدم، وأن وما في حيزها مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر الله، ووحد الضمير لتلازم الرضاءين، وإفراد الضمير في يرضوه إما للتعظيم للجناب الإلهي بإفراده بالذكر، ولكونه لا فرق بين إرضاء الله وإرضاء رسوله، فإرضاء الله إرضاء لرسوله، أو المراد الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، كما قال سيبويه، ورجّحه النحاس، أو لأن الضمير موضوع موضع

اسم الإشارة، فإنه يشار به إلى الواحد والمتعدد، أو الضمير راجع إلى المذكور وهو يصدق عليهما، وقال الفراء: المعنى: ورسوله أحق أن يرضوه، والله افتتاح كلام، كما تقول: ما شاء الله وشئت. وإن شرطية، وكانوا فعل الشرط، ومؤمنين خبر كانوا، والجواب محذوف، أي: فالله ورسوله أحق، ويجوز أن يكون الكلام جملتين حذف خبر إحداهما لدلالة الثاني عليه، والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويعلموا مجزوم بلم، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا، وأن واسمها، ومن شرطية مبتدأ، ويحادد فعل الشرط، ولفظ الجلالة مفعوله، ورسوله عطف على اللام ﴿ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الفاء رابطة، وإن حرف مشبه بالفعل، وله خبرها المقدم، ونار جهنم اسمها المؤخر، وخالداً حال من الضمير المجرور باللام، وفيها متعلقان بخالداً، وجملة اسم الشرط وفعله، وجوابه خبر أنه الأولى، وذلك مبتدأ، والخزي خبره، والعظيم صفة.

□ البلاغة:

المجاز المرسل:

في قوله: ﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ مجاز مرسل، كما يراد بالعين الرجل إذا كان ربيئة، لأن العين هي المقصودة منه، فصارت كأنه الشخص كله، وهو من إطلاق اسم الجزء على الكل للمبالغة، والعلاقة تسمى الجزئية، قال الشاعر:

كم بعثنا الجيشَ جرّا راً وأرسلنا العُيُونا

وفي ردِّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ ﴾ إطماع لهم بالتسليم أولاً، ثم إيذان باليأس ثانياً، ولا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه يكرّ على طمعهم بعد الموافقة في الظاهر عليه بالحسم، ويعقبه باليأس منه، ويسمى

«القول بالموجب» والموجب ـ بكسر الجيم ـ لأن المراد به الصفة الموجبة للحكم، فهو اسم فاعل من أوجب، ويحتمل فتح الجيم إن أريد بالقول الحكم الذي أوجبته الصفة، فيكون اسم مفعول، والمعنيان صحيحان، وهو قسمان:

(١) أن تقع صفة في كلام الآخر كناية عن شيء أثبت له حكم، فتثبت في كلامك تلك الصفة من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه عنه، كقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فالأعز صفة وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأذل كناية عن المؤمنين، وقد أثبتوا لفريقهم المكنى عنه بالأعز؛ الإخراج، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، وهو: الله ورسوله والمؤمنون، ولم يتعرض لثبوت ذلك الحكم؛ الذي هو الإخراج للموصوفين بالعز، أعني الله ورسوله والمؤمنين ولا لنفيه عنهم، ومنه قول القبعثرى للحجاج لما توعده فقال: لأحملنك على الأدهم، يعني: القيد، فرأى القبعثرى أن الأدهم يصلح صفة للقيد والفرس، فحمل كلامه على الفرس، فقال مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، فقال الحجاج: إنه ـ أي: الأدهم ـ حديد، فقال القبعثرى: لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً، فحمل الحديد على خلاف مراده أيضاً.

(٢) حمل لفظ وقع في كلام الآخر، على خلاف مراده بما يحتمله بذكر متعلقه، وقد شاع هذا الضرب على ألسنة الشعراء، وتداولوه في أشعارهم كثيراً، قال ابنُ حجاج:

قال: ثقلت إذ أتيت مراراً قلتُ: ثقلت كاهلي بالأيادي
قال: طوّلت، قلتُ: أوليت طولاً قال: أبرمت قلتُ: حبل ودادي

وقد أوردنا في أواخر سورة الأنعام أبياتاً لصفي الدين الحلي كرر فيها هذا

الضرب، ويصح حمل الآية الكريمة على هذا الضرب بذكر متعلق الأذن، وهو خير.

* الفوائـد:

روى التاريخ أنه اجتمع ناس من المنافقين، فيهم الجُلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، فوقعوا في رسول الله ﷺ وذموه، وقال الجلاس بن سويـد، وهو بوزن غراب، كما في القاموس: نقول ما شئنا، ثم نأتيه، فننكر ما قلنا، ونحلف فيصدقنـا فيما نقول، فإنما محمـد أذن، وكان عندهم غـلام يقال له عامر بن قيس، فأتـى النبي ﷺ وأخبره فدعاهم وسألهـم فأنكروا، وحلفوا أن عامـراً كذاب، وحلف عامر أنهم كذبة، فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب، فأنزل الله الآية.

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما يضطرم في صدور المنافقين من حسد وعداوة للمؤمنين، فهم يخشون أن تنزل عليهم تخبرهم بما تنطوي عليه نفوس المنافقين، ولا تقل: إن الضمائر متفككة، فما أسهل إرجاع كل ضمير إلى أصحابه، ويحذر المنافقون فعل مضارع وفاعل، وأن تنزل عليهم مفعول به

ناصبه يحذر؛ فإنه يتعدى بنفسه، خلافاً للمبرد الذي زعم أن حذر لا يتعدى، وقال: إنه من هيئات النفس كفزع، والرد عليه من أوجه:

آ ـ أن ذلك غير لازم ولا مضطرد، فكثير من هيئات النفس متعد كخاف وخشي.

ب ـ قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ فلولا أنه متعد في الأصل لواحد لما اكتسب بالتضعيف مفعولاً ثانياً.

جـ ـ أجمعت معاجم اللغة على أنه يتعدى بنفسه وبالحرف.

وعليهم متعلق بتنزل، وسورة نائب فاعل، وجملة تنبئهم صفة لسورة، وبما في موضع المفعول الثاني لتنبئهم، وفي قلوبهم متعلق بمحذوف صلة ما ﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ استهزئوا فعل أمر يراد به التهديد، وإن واسمها وخبرها، وما موصول مفعول مخرج لأنه اسم فاعل، وجملة تحذرون صلة ما ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [والواو استئنافية، واللام رابطة للقسم، وإن: شرطية، وسألتهم: فعل ماض وفاعل ومفعول به، وجملة: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ ﴾][1] مقول القول؛ وجملة نخوض خبر كنا. وهو في محل جزم فعل الشرط، وليقولن اللام واقعة في جواب القسم، ويقولن فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو فاعل، والنون المشددة للتوكيد، وجملة إنما كنا نخوض ونلعب مقول القول، وجملة نخوض خبر كنا ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وبالله متعلقان بتستهزئون، وآياته ورسوله عطف على الله، وكنتم تستهزئون كان واسمها، والجملة الفعلية خبرها ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ لا ناهية، وتعتذروا مضارع مجزوم بلا الناهية، وقد حرف تحقيق، وكفرتم فعل وفاعل، وبعد متعلق بكفرتم، وإيمانكم مضاف إليه ﴿ إِن نَّعْفُ عَن

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع، وأثبتناه من عندنا لإتمام إعراب الكلام.

طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ إن شرطية، ونعف فعل الشرط، وعن طائفة متعلقان بنعف، ومنكم صفة ونعذب جواب الشرط، وطائفة مفعول به، وبأنهم متعلقان بنعذب، والباء للسببية، وإن واسمها، وجملة كانوا مجرمين خبرها، وكان واسمها وخبرها.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿الخَلاق﴾ ـ بفتح الخاء ـ: النصيب، وهو: ما خلق للإنسان، أي: قدر من خير.

الإعراب:

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ المنافقون مبتدأ، والمنافقات عطف عليه، وبعضهم مبتدأ، ومن بعض خبر، أي: متشابهون كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ الجملة خبر ثان للمنافقون، والأول هو الجملة الاسمية، وينهون عن المعروف عطف على الجملة السابقة، ويقبضون أيديهم عطف أيضاً، وسيأتي معناها في باب: البلاغة ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ

﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ نسوا الله فعل وفاعل ومفعول به، فنسيهم عطف على نسوا، وسيأتي بحث هذا المجاز المرسل، وإن واسمها، وهم مبتدأ ثان، أو ضمير فصل، والفاسقون خبر «هم»، أو خبر إن، والجملة الاسمية خبر إن ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وعد الله المنافقين فعل وفاعل ومفعول، والمنافقات عطف، وكذلك الكفار، ونار جهنم مفعول به ثان، ووعد يستعمل في الخير والشر ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ﴾ خالدين حال من المفعول الأول، وهي مبتدأ، وحسبهم خبر، والجملة حالية ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ الواو عاطفة، ولعنهم الله فعل ومفعول به وفاعل، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، ومقيم صفة ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾ الكاف اسم بمعنى مثل خبر لمبتدأ محذوف، أي: أنتم مثل الذين، ويجوز أن تكون الكاف حرف جر، والجار والمجرور خبراً للمبتدأ المقدر، ومن قبلكم صلة الذين، وكانوا أشد: كان واسمها وخبرها، ومنكم جار ومجرور متعلقان بأشد، وقوة تمييز ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ عطف على أشد منكم قوة ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ الفاء عاطفة، واستمتعوا فعل وفاعل، وبخلاقهم متعلقان باستمتعوا ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾ عطف على ما تقدم ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ الكاف محلها النصب على المفعولية المطلقة، والذين فاعل، ومن قبلكم صلة الذين، وبخلاقهم جار ومجرور متعلقان باستمتع ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ﴾ الكاف ومدخولها في محل نصب على المفعولية المطلقة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة حبطت خبر، وأعمالهم فاعل، وفي الدنيا جار ومجرور متعلقان بحبطت ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ مبتدأ وخبر، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان.

□ **البلاغة:**

في هذه الآيات فنون من البلاغة:

(١) الكناية في قوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ﴾ كناية عن الشح،

والأصل في هذه الكناية أن المعطي يمد يده ويبسطها بالعطاء فقيل لمن منع وبخل قد قبض يده.

(٢) المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ لأن النسيان هنا غير وارد فهو بالنسبة إليهم مسقط التكليف عنهم، وهو بالنسبة إليه تعالى محال، ولذلك لا بد من حمل الكلام على المجاز المرسل والعلاقة اللازمية، فالمراد لازم النسيان، وهو: الترك، أي: أنهم أغفلوا ذكر الله فتركهم من رحمته وفضله، أو يقال فيه: فن المشاكلة؛ لأن النسيان الحقيقي لا يصح إطلاقه على الله سبحانه، وإنما أطلق عليه هنا من باب المشاكلة، أي: تركوا ما أمرهم به، فتركهم من رحمته وفضله.

(٣) التكرير في ترديد: استمتعوا، ذلك أنه شبه حالهم بحال الأولين، ففي التكرير تأكيد ومبالغة في ذم المخاطبين، وتقبيح حالهم واستهجان أمرهم.

(٤) الاستعارة التصريحية في خضتم، شبَّه الباطل بماء، وحذف المشبه، وأبقى المشبه به، وهو الماء، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(٥) التنكيت في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ إلى آخر الآية، ثم قوله بعد ذلك: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ إلى آخر الآية، فإن لقائل أن يقول: ما النكتة التي أوجبت وصف المنافقين والمنافقات بالتلاحم الشديد دون المؤمنين والمؤمنات، بحيث لا يجوز التبديل في الخبرين، فيجعل التلاحم بين المؤمنين وغيره بين المنافقين؟ فيقال في الجواب: لما كان المنافقون والمنافقات كلهم يهود وهم من بني إسرائيل، كان اتصال بعضهم ببعض اتصال نسب، أو ما نطلق عليه: العنصرية والجنس، ولما كان المؤمنون من شعوب متفرقة وأمم شتى، كان اتصالهم اتصال سبب، وهو جعل الإسلام بينهم من التحاب في الله، والولاء فيه، والتناحر في سبيله، ومن هاهنا لم يجز التبديل بين الخبرين بأن يجعل اتصال النسب للمؤمنين واتصال السبب للمنافقين.

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ﴾ مدائن قوم لوط، وقيل: قريات قوم لوط وهود وصالح، وائتفاكهن: انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر، أو المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها، ويقال: أفكه: إذا قلبه، وبابه: ضرب، ويقال: أفكته فائتفك، فهو مطاوعه، أي: قلبته فانقلب، والمادة تدل على التحول والصرف.

﴿ عَدْنٍ ﴾ إقامة، وهي هنا: علم على الجنة، وأصلها: من عدن القوم بالبلد: أقاموا فيه، وطال عدْنهم فيه وعُدونهم، وفلان في معدن الخير والكرم، وهو من مراكز الخير ومعادنه، وعليه عدنيات، أي: ثياب كريمة، وأصلها النسبة إلى عَدَن ـ بفتحتين ـ. ومن أقوالهم: «مرت جوار مدنيات عليهن رباط عدنيات» وكثر حتى قيل للرجل الكريم الأخلاق: عدني، كما قيل للشيء العجيب من كل فن: عبقري، قال ابن جابر المحاربي:

سَرَتْ ما سَرَتْ من ليلها ثمَّ عرَّستْ
إلـى عَـدَنـيٍّ ذي غَنَـاءٍ وذي فضـلِ

إلى ابن حَصَانٍ لم تخضرَمْ جدودُها

كريمِ النَّثا والخِيم والعقلِ والأصْلِ

○ الإعراب:

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويأتهم مجزوم بلم، والهاء مفعول به، ونبأ فاعل، والذين مضاف إليه، ومن قبلهم صلة ﴿ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ﴾ قوم بدل من الذين، بدل بعض من كل، وقوله: وعاد إلى آخر المعطوفات كلها معطوفة على قوم نوح، غير أن الأخير، وهو المؤتفكات، على حذف مضاف، أي: قريات قوم لوط، وإنما اقتصر القرآن الكريم هذه الطوائف الست؛ لأن آثارهم باقية، وبلادهم بالشام واليمن والعراق، وكل ذلك قريب من أرض العرب في شبه جزيرتهم، فكانوا يعرجون بها، ويتنسمون أخبار أهلها ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ الجملة استئنافية لبيان أخبارهم وأحاديثهم، ورسلهم فاعل ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية، كان الله: كان واسمها، واللام للجحود، ويظلمهم منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بالخبر، أي: مريداً ليظلمهم، ولكن الواو عاطفة، ولكن مخففة مهملة، وكان واسمها، وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون، وجملة يظلمون خبر كانوا، وقدم المفعول به اهتماماً به مع مراعاة الفاصلة ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ المؤمنون مبتدأ، وبعضهم مبتدأ ثان، وأولياء خبر، والجملة خبر المؤمنون، وقد مرت مقابلتها مع الإشارة إلى فن التنكيت بين الجملتين في الخبر ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الجملة خبرية، وقد تقدم إعرابها ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ عطف على ما تقدم ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ عطف أيضاً ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة سيرحمهم الله خبر، وإن واسمها وخبراها ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

ﵟٱلۡأَنۡهَٰرُﵞ وعد الله المؤمنين فعل وفاعل ومفعول به، وجنات مفعول به ثان، وجملة تجري صفة، والأنهار فاعل، ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري ﵟخَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚﵞ خالدين فيها حال من المؤمنين، ومساكن عطف على جنات، وطيبة صفة، وفي جنات عدن صفة ثانية ﵟوَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚﵞ مبتدأ ساغ الابتداء به، لأنه وصف بقوله: من الله، وأكبر خبره، ولم يسلكه في نظام الموعود به؛ لأنه متحقق في ضمن كل موعود، ولأنه قصارى ما ترقى إليه آمال النفوس ﵟذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُﵞ ذلك مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، والفوز خبر هو، والجملة خبر اسم الإشارة، والعظيم صفة.

ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤ﵞ

○ الإعراب:

ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَﵞ جاهد فعل أمر، والكفار مفعول به والمنافقين عطف ﵟوَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚﵞ واغلظ عطف على جاهد، أي: لا تأخذك هوادة فيهم، وحاربهم بالسيف، وأقم زيفهم بالمنطق والحجة. ﵟوَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُﵞ قال أبو البقاء في إعرابه: «إن قيل كيف حسنت الواو هنا؟ والفاء أشبه بهذا الموضع، ففيه ثلاثة أجوبة: أحدها أن الواو واو الحال، والتقدير: افعل ذلك في حال استحقاقهم جهنم، وتلك الحال حال كفرهم ونفاقهم. والثاني أن الواو جيء بها تنبيهاً على إرادة فعل محذوف تقديره: واعلم أن جهنم مأواهم. والثالث: أن الكلام قد حمل على

المعنى، والمعنى أنه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة وعذاب الآخرة بجعل جهنم مأواهم، ولا حاجة إلى هذا كله؛ لأن الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مآل أمرهم بعد بيان عاجله، وبئس المصير الواو عاطفة، وبئس المصير فعل وفاعل، والمخصوص بالذم محذوف للعلم به، أي: مصيرهم ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما صدر عنهم من الأعمال المنكرة الموجبة للأمر بجهادهم والغلظة عليهم، وبالله جار ومجرور متعلقان بيحلفون، وما نافية، وقالوا فعل وفاعل، وجملة ما قالوا جواب القسم ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب للقسم المحذوف، وقالوا فعل وفاعل، وكلمة الكفر مفعول قالوا، قيل: هي كلمة الجلاس بن سويد الآنفة الذكر، وقد قيل: هي كلمة عبد الله بن أبي ابن سلول حيث قال: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»، وكفروا عطف على قالوا، وبعد ظرف متعلق بكفروا ﴿ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ﴾ عطف على ما تقدم، وبما متعلقان بهموا، وجملة لم ينالوا صلة، وسيأتي نبأ هذا الهم، وهو الفتك برسول الله، في باب الفوائد ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ونقموا فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، وأن وما في حيزها مفعول نقموا، وأغناهم الله فعل ومفعول به وفاعل، ورسوله عطف على الله، ومن فضله متعلقان بأغناهم ﴿ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، ويتوبوا فعل الشرط، ويك جواب الشرط مجزوم بالسكون على النون المحذوفة للتخفيف، وقد تقدمت قاعدتها في خصائص كان، واسم يك مستتر، أي: المتاب، وخيراً خبر، ولهم متعلقان بـ «خيراً» ﴿ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويتولوا فعل الشرط، ويعذبهم جواب الشرط، والهاء مفعول به، والله فاعل، وعذاباً مفعول مطلق، وأليماً صفة، وفي الدنيا متعلقان بيعذبهم، والآخرة عطف على الدنيا ﴿ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ولهم خبر مقدم، وفي الأرض

حال، ومن حرف جر زائد، وولي مبتدأ مؤخر محلاً، ولا نصير عطف على ولي.

□ البلاغة:

في هذه الآية: ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ تأكيد المدح بما يشبه الذم، وقد تقدم مبحث هذا الفن في المائدة، كأنه قال ليس له صفة تعاب وتكره، إلا أنه ترتب على قدومه إليهم وهجرته عندهم إغناء الله إياهم بعد الخصاصة والفاقة وشدة الحاجة، وهذه ليست صفة ذم، فحينئذ ليس له صفة تذم أصلاً.

* الفوائد:

محاولة الفتك بالنبي ﷺ:

روى التاريخ أنهم قرروا فيما بينهم الفتك بالنبي ﷺ ليلة العقبة عند عوده من تبوك، وهم بضعة عشر رجلاً، وقد اجتمع رأيهم على أن يدفعوه عن راحلته ليقع في الوادي فيموت، فلما وصل إلى العقبة نادى مناديه بأمره: إن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره، واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي، وسلك النبي ﷺ العقبة، وكان ذلك في ليلة مظلمة، فجاء المنافقون، وتلثموا، وسلكوا العقبة، وكان النبي قد أمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام ناقته ويقودها، وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها، فبينما النبي يسير في العقبة إذ غشيه المنافقون، فنفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم، فولوا مدبرين، وعلموا أنه اطلع على مكرهم، فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي. واختلطوا بالناس، فرجع حذيفة يضرب الناقة، فقال له النبي: «هل عرفت أحداً منهم؟» قال: لا، كانوا متلثمين، والليلة مظلمة، قال: «هل علمت مرادهم؟» قال: لا، قال النبي: «إنهم مكروا، وأرادوا أن يسيروا معي في العقبة فيزحموني عنها، وإن الله خبرني بهم وبمكرهم» فلما رجع جمعهم،

وأخبرهم بما مكروا به، فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا. وهناك روايات أخرى لا تخرج عن هذا المعنى يرجع إليها في المطولات.

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ استئناف، مسوق لبيان قصة ثعلبة بن حاطب، وهو نموذج مجسّد للنفاق، وسيأتي حديثه في باب: الفوائد، ومنهم خبر مقدم، ومن موصول مبتدأ مؤخر، وجملة عاهد الله صلة ﴿ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وآتانا فعل ماض، ونا مفعول به، وهو فعل الشرط، ولنصدقن جواب القسم، وجواب الشرط محذوف، واللام في لنصدقن واقعة في جواب القسم، ولا يمتنع الجمع بين القسم واللام الموطئة له، ولنكونن عطف على لنصدقن، ومن الصالحين خبر نكونن، والاسم مستتر تقديره: نحن ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ الفاء عاطفة، ولما ظرفية حينية، أو رابطة، وآتاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ومن فضله جار ومجرور

متعلقان بآتاهم، وجملة بخلوا به لا محل لها، وتولوا عطف على بخلوا، والواو حالية، وهم مبتدأ، ومعرضون خبر ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ الفاء عاطفة، وأعقبهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول، ونفاقاً مفعول به ثان، وفي قلوبهم صفة نفاقاً، أي: متمكناً راسخاً في قلوبهم، وإلى يوم حال، أي: ممتداً، وجملة يلقونه مضاف إليها الظرف ﴿ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ الباء حرف جر للسببية، وما مصدرية، أي بسبب إخلافهم الله الوعد، والله مفعول أخلفوا، وما مصدرية، وهي وما في حيزها مفعول أخلفوا، وبما كانوا يكذبون عطف على ما تقدم مماثل له في الإعراب ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، ويعلموا مضارع مجزوم بلم، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا، وسرهم مفعول يعلم، ونجواهم عطف على سرهم، وأن الله علام الغيوب أن واسمها وخبرها، وهي معطوفة على أن الأولى ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ الذين في محل خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم، أو مبتدأ، ويلمزون صلة، والمطوعين مفعول به، ومن المؤمنين حال، وفي الصدقات متعلقان بيلمزون صلة، أي: يعيبونهم فيها ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ عطف على الذين يلمزون، وإلا أداة حصر، وجهدهم مفعول يجدون ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ عطف على يلمزون، ومنهم متعلقان بيسخرون ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ جملة سخر الله منهم خبر الذين، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وأليم صفة ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ أمر يراد به الخبر، كأنه قيل: لن يغفر الله لهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، وأو للتخيير والعطف، ولا ناهية، وتستغفر مجزوم بلا، ولهم متعلقان بالفعل، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب: البلاغة ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ إن شرطية، وتستغفر فعل الشرط، ولهم متعلق بتستغفر، وسبعين ظرف، خلافاً لأبي البقاء إذ أعربها مفعولاً مطلقاً، ولكن ورود مرة بعدها، وهي ظرف أكدت حتمية كونها ظرفاً، ومرة تمييز، والسبعون جار مجرى المثل في

كلامهم للتكثير، قال علي بن أبي طالب:

لأصبحن العاصي وابن العاصي سبعين ألفاً عـاقِـدي النَّـواصي

والفاء رابطة، ولن حرف ناصب، ويغفر منصوب بلن، والله فاعل، ولهم متعلق بيغفر ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ذلك مبتدأ، وبأنهم خبر، وأن وما في حيزها مصدر مجرور بالباء، وجملة كفروا خبر أن، وبالله متعلقان بكفروا، ورسوله عطف على الله، والله مبتدأ، وجملة لا يهدي خبر، والقوم مفعول به، والفاسقين نعت.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾خروج الأمر والنهي عن معناهما الأصلي إلى معنى آخر، وهو التسوية، كقول كثير عزة:

أَسِيئي بنا أو أَحْسِني لا مَلُومةٌ لَـدَيْنـا ولا مَقْلِيَّـةٌ إن تَقَلَّـتِ

كأنه يقول لها: امتحني محلك عندي، وقوة محبتي لك، وعامليني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة أو محسنة؟ وكذلك معنى الآية: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، وانظر هل يغفر لهم في حالتي الاستغفار وتركه؟ وهو من أبلغ الكلام.

* الفوائد:

قصة ثعلبة بن حاطب:

(١) وهذه قصة رائعة يتجسد فيها النفاق، ونلخصها لطولها، ولعل القارىء يرجع إليها في المطولات. روى التاريخ أن ثعلبة بن حاطب سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً، ويؤدي منه كل ذي حق حقه، فدعا له، فوسع عليه، وكان ثعلبة صحيح الإسلام في ابتداء أمره، وكان ملازماً لمسجد رسول الله، حتى لقّب بحمامة المسجد، فلما تم له الرزق الوفير انقطع عن الجمعة والجماعة، ومنع الزكاة، إلى آخر تلك القصة الفريدة في التاريخ.

(٢) قاعدة هامة: قد يوضع الطلب موضع الخبر للرضا بالواقع، حتى كأنه مطلوب، وعليه قول كثير:

أَسِيئي بنا أو أَحْسِنِي لا ملومةٌ لـديـنـا ولا مَقْلِيَّـةٌ إن تَقَلَّـتِ

أي: لا ملومة أنت لدينا ولا مبغوضة، فذكر لفظ الأمر، ثم عطف عليه بلفظ أو، فالأمر يفيد الإساءة، والمعنى على الإخبار، أي: نحن راضون بما تفعلين، لا نلومك أسأت أم أحسنت، ولا نبغضك إن أبغضت، ففيه تنبيه على إظهار مزيد الرضا بكل ما اختارته عزة في حقه، وتنبيه على عدم تفاوت جواب كثير بتفاوت ما اختارت عزة، وعليه الآية الكريمة الآنفة الذكر، فإنه لا يتفاوت عدم غفران الله لهم بتفاوت استغفار الرسول عليه السلام وقوعاً وعدم وقوع، فإن مقتضى المقام هاهنا هو الإخبار لا الأمر؛ لأنه لا يصح أن يحمل هاهنا على حقيقة الأمر؛ وهو: طلب شيء مع ضده.

وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمئة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد، وكأنه العدد بأسره، وتوضيح هذا الكلام أن السبعة أول عدد كامل، حيث جمعت العدد كله؛ لأن العدد أزواج وأفراد، فالأزواج والأفراد منها أول وثان، فالاثنان أول الأزواج، والأربعة زوج ثان، والثلاثة أول الأفراد، والخمسة فرد ثان، فإذا جمعت الزوج الأول مع الفرد الثاني، أو الفرد الأول مع الزوج الثاني، كانت سبعة، وهذه الخاصة لا توجد في عدد قبل السبعة، وقيل: إن العرب تبالغ في العدد بالسبعة؛ لأن التعديل في نصف العقد وهو خمسة، إذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة، وإذا زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة، ولا زيادة على ذلك، ولذلك قالوا للأسد: سبع؛ لأنه قد ضوعفت قوته سبع مرات ثم سبعون غاية الغايات؛ لأن غاية الآحاد العشرات، فمعنى الآية: أنه تعالى لا يغفر لهم وإن استغفرت بكل الأعداد دائماً.

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾

○ الإعراب:

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ فرح المخلفون فعل وفاعل، وهم الذين خلفهم الكسل، وأقعدهم عن الإسهام في واجباتهم المقدسة، بعد أن استأذنوا النبي ﷺ في القعود، وبمقعدهم متعلق بفرح، وخلاف رسول الله: أي: خلفه، منصوب على أنه مفعول لأجله، أو حال، أي: قعدوا لمخالفته، أو مخالفين له، ويجوز أن ينتصب على المصدر بفعل مقدر، مدلول عليه بقوله مقعدهم؛ لأنه في معنى تخلفوا، أي: تخلفوا خلاف رسول الله، ويجوز أن ينتصب على الظرف، أي: بعد رسول الله، وإلى هذا ذهب أبو عبيدة، وعيسى بن عمر، والأخفش، واقتصر عليه أبو البقاء ﴿ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ عطف على فرح المخلفون، وأن وما في حيزها مفعول كرهوا، أي: وكرهوا الخروج إلى الجهاد ﴿ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتنفروا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وفي الحر جار ومجرور متعلقان بتنفروا، وقل فعل أمر، ونار جهنم مبتدأ، وأشد خبر، وحراً تمييز، ولو شرطية، وكان واسمها، وجملة يفقهون خبرها، وجواب لو محذوف تقديره: ما تخلفوا. ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ الفاء الفصيحة، واللام لام الأمر، ويضحكوا مجزوم بها، وقليلاً مفعول مطلق، أو ظرف زمان بمعنى ضحكاً قليلاً، أو وقتاً قليلاً، وليبكوا كثيراً عطف ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ جزاء مفعول لأجله، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، وبما متعلق بجزاء، أو بمحذوف صفة له، وما مصدرية، أو موصولة، وكان واسمها، وجملة يكسبون خبرها.

□ **البلاغة:**

(١) الطباق بين الضحك والبكاء، وبين قليل وكثير، فهو مقابلة.

(٢) إخراج الخبر مخرج الإنشاء؛ لأن معناه فسيضحكون قليلاً وسيبكون كثيراً، ولكنه أخرج الخبر مخرج الأمر؛ للدلالة على أنه أمر حتمي لا بد منه.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ رَّجَعَكَ ﴾ ردّك الله إلى المدينة، ورجع يستعمل لازماً ومتعدياً، فاللازم من باب جلس، والمتعدي من باب قطع. ومعنى الرجع: تصيير الشيء إلى المكان الذي كان فيه يقال رجعته رجعاً، كقولك: رددته ردّاً.

○ **الإعراب:**

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ الفاء تفريعية للأمر، وإن شرطية، ورجعك الله فعل ومفعول به وفاعل، والفعل فعل الشرط، وإلى طائفة متعلق برجعك، وهم المنافقون، ومنهم صفة، فاستأذنوك عطف على رجعك، وللخروج متعلق باستأذنوك ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وتخرجوا مضارع منصوب بلن، والواو فاعل، ومعي ظرف مكان متعلق

بتخرجوا، وأبداً ظرف زمان متعلق بتخرجوا أيضاً ﴿ وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ عطف على لن تخرجوا، وإعرابها مماثل لما تقدم ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ إن واسمها، وجملة رضيتم خبرها، وبالقعود متعلق برضيتم، وأول مرة ظرف زمان، واستبعد أبو البقاء ذلك، وقال: «ومرة مصدر، كأنه قيل: أول خرجة دعيتم إليها؛ لأنها لم تكن أول خرجة خرجها الرسول للغزاة، فلا بد من تقييدها، إذ الأولية تقتضي السبق، وقيل: التقدير أول خرجة خرجها الرسول لغزوة الروم بنفسه، وقيل: أول مرة قبل الاستئذان» فعلى هذا تعرب أول مرة مصدراً لمحذوف ﴿ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ الفاء عاطفة، واقعدوا فعل أمر، والواو فاعل، ومع ظرف متعلق باقعدوا، أو بمحذوف حال من فاعل اقعدوا، والخالفين مضاف إليه، وهم المتخلفون؛ فاللام للعهد، وهم: مجموعة الزمنى، والنساء، والأطفال، والمقعدون ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ الواو استئنافية، ولا ناهية، وتصل فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعله أنت، وعلى أحد متعلق بتصل، ومنهم صفة لأحد، وجملة مات صفة ثانية، وأبداً ظرف زمان متعلق بتصل ﴿ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ عطف على ولا تصل، وعلى قبره متعلقان بتقم ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ إن واسمها، وجملة كفروا خبرها، وبالله متعلق بكفروا، ورسوله عطف عليه، وماتوا عطف على كفروا، والواو حالية، وهم مبتدأ، فاسقون خبر، والجملة نصب على الحال، وجملة إنهم تعليلية لا محل لها ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتعجبك مضارع مجزوم بلا، والكاف مفعول به، وأموالهم فاعل، وأولادهم عطف على أموالهم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويريد الله فعل مضارع وفاعل، وأن وما في حيزها مفعول يريد، والجملة تعليلية لا محل لها، وبها متعلق بيعذبهم، وفي الدنيا حال ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ وتزهق عطف على يعذبهم، وأنفسهم فاعل، والواو للحال، وهم مبتدأ، وكافرون خبر، والجملة حالية.

□ البلاغـة:

المخالفة والفرق بين الألفاظ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ الخ، وفي الآية التي سبق ذكرها وهي: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ فأما سر التكرار والحكمة فيه فهو أن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل أولاً وتأكيده، كأنما يريد أن يكون المخاطب به على بال، ولا يغفل عنه، ولا ينساه، وأن يعتقد أن العمل به مهمّ وإن أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه، وهو أن أشد الأشياء جذباً للقلوب، واستهواء لها: هو الاشتغال بالأموال والأولاد، وما كان بهذه المثابة من التغرير والإغواء يجب التحذير منه مرة بعد مرة، وأما سرّ المخالفة، والفرق بين بعض ألفاظ الآيتين، فنبين وجهه فيما يلي:

(١) قال تعالى في الآية الأولى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ بالفاء، وقال هنا: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾ بالواو، والفرق بينهما أنه عطف الآية الأولى على قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ وصفهم بكونهم كارهين للإنفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد، فحسن العطف عليه بالفاء تعقيباً وترتيباً، وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها؛ فلهذا أتى بالواو.

(٢) وقال تعالى في الآية الأولى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَادُهُمْ﴾ وأسقط حرف لا في الثانية فقال: ﴿وَأَوْلَادُهُمْ﴾ والسبب أن حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد، فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الأموال والأولاد، وإعجابهم بأولادهم أكثر، وفي إسقاط حرف لا هنا دليل على أنه لا تفاوت بين الأمرين.

(٣) وقال تعالى في الآية الأولى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ بحرف اللام، وقال هنا: ﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾ بحرف أن، والفائدة فيه: التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال، وإنه وإن ورد فيه حرف اللام فمعناه «أن»، كقوله: ﴿وَمَآ

﴿أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ ٱللَّهَ﴾ فإن معناه: وما أمروا إلا بأن يعبدوا الله.

(٤) وقال تعالى في الآية الأولى: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ وقال هنا: «في الدنيا» والفائدة في إسقاط لفظ الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت في الخسة والمهانة إلى حيث أنها لا تستحق أن تذكر، ولا تسمى حياة، بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا، تنبيهاً على كمال ذمّها.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وأنزلت فعل ماض مبني للمجهول، وسورة نائب فاعل، ويجوز أن يراد بالسورة تمامها، وأن يراد بعضها، وأن مفسرة؛ لأن في الإنزال معنى القول دون حروفه، ويجوز أن تكون مصدرية، فتكون مع مدخولها في محل نصب بنزع الخافض، أي: بأن آمنوا، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا، وجاهدوا مع رسوله عطف على آمنوا بالله ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ جملة استأذنك جواب إذا، والكاف مفعول به، وأولو الطول فاعل، وهم الأغنياء وأصحاب البسطة في الجاه والقوة، ومنهم حال ﴿وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ ذرنا: فعل أمر أمات العرب ماضيه، فلم يأتِ منه إلا المضارع والأمر، ونا مفعول به، ونكن جواب الطلب، فلذلك جزم، واسم نكن ضمير مستتر تقديره نحن، ومع القاعدين ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر نكن ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ جملة رضوا

استئنافية، مسوقة لبيان سوء صنيعهم، وبأن يكونوا متعلق برضوا، والواو اسم يكونوا، ومع الخوالف خبر ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ عطف على رضوا، وعلى قلوبهم متعلق بطبع، فهم الفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة لا يفقهون خبر ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ لكن مخففة مهملة، والرسول مبتدأ، والذين عطف عليه، وجملة آمنوا صلة، ومعه ظرف متعلق بآمنوا، وجملة جاهدوا بأموالهم وأنفسهم خبر الرسول ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أولئك مبتدأ، ولهم خبر مقدم، والخيرات مبتدأ مؤخر، وجملة لهم الخيرات خبر أولئك، وأولئك هم المفلحون عطف على ما تقدم، وقد سبق إعرابها ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ جملة مستأنفة لبيان مآلهم الطيب، وأعد فعل ماض، والله فاعله، ولهم متعلق بأعد، وجنات مفعول به، وجملة تجري صفة ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ خالدين حال، وفيها متعلق بخالدين، وذلك مبتدأ، والفوز العظيم خبره.

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ
سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى
ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ
أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ
مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ (٩٢) ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ اسم فاعل من عذر في الأمر إذا قصر فيه، وتوانى، ولم يجدّ، وحقيقته: أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل، ولا عذر له، أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين.

﴿ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ سكان البادية وهم أخص من العربي، إذ العربي من تكلم باللغة العربية، سواء كان يسكن البادية أو الحاضرة.

○ الإعراب:

﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للشروع في بيان أحوال سكان البادية، وجاء المعذرون فعل وفاعل، ومن الأعراب حال، وليؤذن تعليل مضارع منصوب بأن مضمرة، ولهم متعلق بيؤذن ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ عطف على جاء، والذين فاعل، وكذبوا صلة الذين، ولفظ الجلالة مفعول كذبوا، ورسوله عطف عليه ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ السين حرف استقبال ويصيب فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره هو، والذين مفعول به، وجملة كفروا صلة، ومنهم حال، وعذاب فاعل يصيب، وأليم صفة ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ ليس فعل ماض ناقص، وعلى الضعفاء خبر ليس المقدم، ولا على المرضى عطف على الضعفاء، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون عطف أيضاً، وحرج اسم ليس ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الظرف متعلق بمعنوي مقتبس من النفي، أي: انتفى عنهم الحرج إذا نصحوا فلا يخرجون حينئذ، وجملة نصحوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، ورسوله عطف على لله، وما نافية، وعلى المحسنين خبر مقدم، ومن زائدة، وسبيل مبتدأ مؤخر محلاً، والله مبتدأ، وغفور خبر أول، ورحيم خبر ثان ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وعلى الذين معطوف على قوله على الضعفاء، فهو بمثابة خبر مقدم، والمبتدأ محذوف، أي: حرج، وجملة إذا ما أتوك صلة الذين، وإذا ظرف مستقبل، وما زائدة، وجملة أتوك مضاف إليها الظرف، ولتحملهم علة الإتيان، أي: لتحملهم معك إلى الغزو، وهم كما يروي التاريخ سبعة من الأنصار، وقيل: هم أصحاب أبي موسى الأشعري كما في البخاري ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ

مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ جملة قلت حالية من الكاف في أتوك، بتقدير وقد قبلها، أي: إذا ما أتوك قائلاً: لا أجد، وما مفعول أجد، وجملة أحملكم صلة، وعليه متعلق بأحملكم ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ جملة تولوا جواب إذا، ويجوز أن تكون جملة قلت لا أجد جواب إذا الشرطية، وإذا وجوابها في موضع الصلة، وعلى هذا فيكون قوله تولوا جواباً لسؤال مقدَّر، كأن قائلاً قال: ما كان حالهم وقت أن أجيبوا بهذا الجواب، فأجيب بقوله تولوا، وأعينهم مبتدأ، والواو للحال، وجملة تفيض خبر، ومن الدمع تمييز، أي: تفيض دمعاً، وهو أبلغ من: يفيض دمعها؛ لأن العين جعلت كأنها كلها دمع فائض، وقد تقدم القول في هذه الجملة في المائدة مع بسط لم يسبق إليه، فجدِّد به عهداً، وحزناً مفعول لأجله، أو حال، وأن لا يجدوا أن وما في حيزها مفعول لأجله، والعامل فيه حزناً، ويجوز أن نعرب حزناً مفعولاً مطلقاً، فيكون العامل في أن لا يجدوا تفيض، وما مفعول يجدوا، وجملة ينفقون صلة.

وقد اعترض أبو البقاء على إعراب الزمخشري من الدمع تمييزاً، فقال: «لا يجوز ذلك؛ لأن التمييز الذي أصله فاعل لا يجوز جره بمن، أيضاً فإنه معرفة، ولا يجوز إلا على رأي الكوفيين؛ الذين يجيزون مجيء التمييز معرفة».

□ البلاغة:

فـن التلميـح أو التمليـح:

في قوله: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ فن من فنون البديع يسمى «التلميح»، وهو: أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر، أو شعر نادر، أو قصة مشهورة، أو ما يجري مجرى المثل، ومنه قول يسار بن عدي حين بلغه قتل أخيه وهو يشرب الخمر:

اليوم خمرٌ ويبدو في غد خبر   والدَّهر من بين إنعامٍ وإيئاس

ويسميه قوم «التمليح» بتقديم الميم، كأن الشاعر أتى في بيته أو الناثر في فقرته بنكتة حسنة زادت الكلام ملاحة، كقول ابن المعتز:

أتـرى الجيرةَ الـذيـن تـداعـوا   عند سيرِ الحبيبِ وقتَ الزَّوال
علمـوا أننــي مقيـمٌ وقلبــي   راحــلٌ فيهــم أمــامَ الجمــال
مثل صاعِ العزيز في أرحل القو   م ولا يعلمونَ ما في الرِّحال

وهذا التمليح فيه إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع في رحل أخيه وإخوته لم يشعروا بذلك، ومن لطائف التلميح قول أبي فراس:

فـلا خيـرَ في ردِّ الأذى بمـذلَّـة   كما ردَّه يوماً بسوءته عمرو

وهذا التمليح أو التلميح فيه إشارة إلى قصة عمرو بن العاص مع الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في يوم صفين، حين حمل عليه الإمام، ورأى عمرو أن لا مخلص منه، فلم يسعه غير كشف العورة.

ومن لطائف التلميح قصة الهذلي مع منصور بني العباس، فإنه حُكي أن المنصور وعد الهذلي بجائزة ونسي، فحجّا معاً، ومرّا في المدينة النبوية ببيت عاتكة، فقال الهذلي: يا أميرَ المؤمنين! هذا بيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص:

يا بيـتَ عـاتكـة الـذي أتعـزَّل   حَذَر العِدا وبه الفؤادُ مُوكَّل

فأنكر عليه أمير المؤمنين؛ لأنه تكلم من غير أن يسأل، فلما رجع الخليفة نظر في القصيدة إلى آخرها؛ ليعلم ما أراد الهذلي بإنشاد ذلك البيت من غير استدعاء، فإذا فيها:

وأراكَ تفعلُ ما تقولُ وبعضُهم   مذقُ اللسان يقولُ ما لا يفعل

فعلم أنه أشار إلى هذا البيت بتلميحه الغريب، فتذكر ما وعده به، وأنجزه له، واعتذر إليه من النسيان.

ومثله ما حُكي أن أبا العلاء المعري كان يتعصَّب للمتنبي، فحضر يوماً

مجلس الشريف المرتضى، فجرى ذكر أبي الطيب، فهضم المرتضى من جانبه، فقال له أبو العلاء: لو لم يكن له من الشعر إلا قوله:

«لك يا منازلُ في القلوب منازلُ» لكفاه، فغضب المرتضى، وأمر به، فَسُحِب، وأُخْرِج، وبعد إخراجه قال المرتضى: هل تدرون ما عنى بذكر البيت؟ فقالوا: لا، والله! فقال: عنى به قول أبي الطيب في قصيدته:

وإذا أَتَتْكَ مذمَّتي مِن ناقص فهي الشَّهادةُ لي بأنِّي كاملُ

ومن هذا القبيل قصة السَّرّي الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضاً، فإن السري الرفاء كان من مُدَّاح سيف الدولة، وجرى يوماً في مجلسه ذكر أبي الطيب، فبالغ سيف الدولة في الثناء عليه، فقال له السري: أشتهي أن الأمير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائده لأعارضها له، ويتحقق بذلك أنه أركب المتنبي في غير سرجه، فقال له سيف الدولة على الفور: عارض لنا قصيدته القافية التي مطلعها:

لِعَيْنَيْكِ ما يَلْقَى الفؤادُ وما لَقِي ولِلْحُبِّ ما لم يَبْقَ منِّي وما بَقِي

قال السري: فكتبت القصيدة، واعتبرتها في تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبي الطيب، لكن رأيته يقول في آخرها عن ممدوحه:

إذا شاء أن يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثمَّ قالَ له: الْحَقِ

فقلت: والله! ما أشار سيف الدولة إلا إلى هذا البيت، وأحجمت عن معارضة القصيدة.

وألطف من هذا ما حكاه ابن الجوزي في كتاب «الأذكياء» فإنه من غرائب التلميح قال: قعد رجل على جسر بغداد، فأقبلت امرأة بارعة في الجمال من جهة الرصافة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب، فقال لها: رحم الله علي ابن الجهم، فقالت له: رحم الله أبا العلاء المعري، وما وقفا بل سارا مغرباً ومشرقاً، قال الرجل: فتبعت المرأة فقلت لها: والله إن لم تقولي ما أراد بابن الجهم فضحتك، قالت: أراد به:

عيـونُ المهـا بين الـرّصـافـةِ والجسْر
جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أَدْري ولا أدري

وأردتُ بأبي العلاء قوله:

فيا دارها بالكرخِ إنَّ مَزَارَها قريبٌ ولكن دُونَ ذلك أَهْوال

* الفوائـد:

أورد ابن هشام هذه الآية شاهداً على خروج إذا عن الاستقبال، وذلك على وجهين، أحدهما: أن تجيء للماضي كما جاءت إذ للمستقبل في قول بعضهم، والثاني: أن تجيء للحال، وذلك بعد واو القسم، نحو: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قيل: لأنها لو كانت للاستقبال لم تكن ظرفاً يفعل القسم لأنه إنشاء لا إخبار عن قسم يأتي؛ لأن قسم الله سبحانه قديم، ولا لكون محذوف هو حال من الليل والنجم؛ لأن الحال والاستقبال متنافيان، وإذا بطل هذان الوجهان تعين أنه ظرف لأحدهما على أن المراد به الحال اهـ.

والصَّحيحُ أنه لا يصح التعليق بأقسم الإنشائي؛ لأن القديم لا زمان له لا حال ولا غيره، بل هو سابق على الزمان، وأنه لا يمتنع التعليق بكائناً مع بقاء إذا على الاستقبال، بدليل صحة مجيء الحال المقدرة باتفاق، كمررت برجل معه صقر صائداً به غداً، أي: مقدراً الصيد به غداً، كذا يقدرون، وأوضح منه أن يقال مريداً به الصيد غداً، كما فسر قمتم في: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بأردتم.

وقال القاضي محب الدين «شارح التسهيل»: يمكن أن المراد حكاية حالهم حين ابتدؤوا هم في الفعل، فإذا في محلها، ورده الدماميني بأن الحكاية إنما تحقق الحال، ولا تكون إذا في محلها إلا إذا تحقق الاستقبال، وأجاب الشمني بأن الحالية في مبدأ الفعل تستلزم الاستقبال بالنظر لتمامه، فبهذا الثاني تكون إذا واقعة محلها، ولعلك تقول: كلام القاضي على الابتداء في فعل الإتيان،

ولا شك أن التولي، أو القول العامل في إذا على ما سبق مستقبل إذ ذاك، فتدبَّر.

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، قيل: هي للتوكيد والمبالغة فيه، وقيل: هي للحصر، والسبيل مبتدأ، وعلى الذين خبر، وجملة يستأذنونك صلة، وهم: الواو للحال، وهم مبتدأ، وأغنياء خبر، والجملة حالية ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ جملة مستأنفة، أو حالية بتقدير قد، بأن يكونوا متعلقان برضوا، والواو اسم يكونوا، والظرف خبرها ﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الجملة معطوفة على ما تقدم، والفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة لا يعلمون خبر ﴿ ۞ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما يبررون به موقفهم المتخاذل، روي أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلاً، فلما رجع رسول الله ﷺ جاؤوا يعتذرون إليه بالباطل، وإليكم جار ومجرور متعلقان بيعتذرون، وإذا ظرف مستقبل متعلق بجوابه المحذوف، أي: يعتذرون، وجملة رجعتم مضاف إليه، وإليهم جار ومجرور متعلقان برجعتم ﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ جملة لا تعتذروا مقول القول، وجملة لن

نؤمن لكم مستأنفة، كأنها تعليل للنهي، ولكم جار ومجرور متعلقان بنؤمن ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ قد حرف تحقيق، ونبأنا نصبت هنا مفعولين، أولهما نا، والثاني الجار والمجرور، أو جملة من أخباركم، فهو في الحقيقة صفة للمفعول المحذوف، أما المفعول الثالث فقد حذف اختصاراً للعلم به، والتقدير: نبأنا الله من أخباركم كذباً وأراجيف ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ السين حرف استقبال، ويرى فعل مضارع، والله فاعل، والرؤية هنا بمعنى العلم، وعملكم مفعول يرى الأول، والثاني محذوف تقديره: واقعاً، ورسوله عطف على الله ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ ثم عطف للترتيب مع التراخي، وتردون فعل مضارع، ونائب فاعل، وإلى عالم الغيب جار ومجرور متعلقان بتردون ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الفاء عاطفة، وينبئكم فعل وفاعل مستتر، والكاف مفعوله الأول، وبما كنتم مفعوله الثاني، وجملة تعملون خبر كنتم، والعائد محذوف، أي: تعملونه، وما هنا موصولة، أو مصدرية ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ السين للتأكيد مع الاستقبال، ويحلفون فعل مضارع، والواو فاعل، وبالله جار ومجرور متعلقان به، والجملة بدل من يعتذرون، ولكم حال، والمحلوف عليه محذوف اعتماداً على فهم القارىء، أي: إنهم معذرون في تخلّفهم، وإذا ظرف متعلق بيحلفون، وإليهم جار ومجرور متعلقان بانقلبتم، ولتعرضوا: اللام للتعليل، وتعرضوا منصوب بأن مضمرة بعدها، والجار والمجرور متعلقان بيحلفون، وقد امتنع نصب المفعول لأجله لاختلاف الفاعل، أي: لتتركوا معاتبتهم، وعنهم جار ومجرور متعلقان بتعرضوا ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ الفاء الفصيحة، وأعرضوا فعل أمر، والواو فاعل، وعنهم جار ومجرور متعلقان بأعرضوا، وإن واسمها وخبرها ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ الواو استئنافية، ومأواهم مبتدأ، وجهنم خبر، وجزاء مفعول لأجله، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: يجزون جزاء، وبما متعلقان بجزاء، وما مصدرية، وكان واسمها، وجملة يكسبون خبرها.

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

☆ **اللغـة:**

﴿ ٱلْأَعْرَابُ ﴾: مر الحديث عنها، ونضيف هنا أن اللام فيها للجنس، أي: جنسهم لا كل واحد منهم؛ لأنه سيستثنى منهم كما سيأتي، وهو اسم جمع جاء على صورة الجمع، وليس جمعاً لعرب؛ لئلا يلزم كون الجمع أخص من مفرده؛ لأن الأعراب سكان البادية خاصة، والعرب المتكلمون باللغة العربية سواء كانوا من سكان البادية أو الحاضرة وفي المصباح: «وأما الأعراب: فأهل البدو من العرب، الواحد أعرابي بالفتح أيضاً، وهو: الذي يكون صاحب نجعة وارتياد للكلأ، وزاد الأزهري فقال: سواء كان من العرب أو من مواليهم قال: فمن نزل البادية، وجاور البادين، وظعن بظعنهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف، واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب، وإن لم يكونوا فصحاء». وقال غيره: عَرُب لسانه عرابة، وما سمعت أعرب من كلامه، وهو من العرب العرباء. والعاربة: وهم الصرحاء الخلّص، وفلان من المستعربة وهم الدخلاء فيهم، وفيه لوثة أعرابية، قال:

وإنِّي على ما فيَّ من عُنْجُهِيَّتي ولَـوْثَـةِ أعـرابِيَّـي لأديـبُ

وقال الكميت:

لا يَنقضُ الأمرُ إلاَّ ريثَ يُبرِمُه ولا تُعَـرَّبُ إلاَّ حَـوْلَـهُ العَـرَبُ

أي: لا تعِزّ وتتمنع عزة الأعراب في باديتها إلا عنده، وسيأتي مزيد من بحثه.

﴿ ٱلدَّوَآئِرَۚ ﴾: دوائر الزمان: دوله وعقبه، وهي: جمع دائرة، والدائرة: ما يحيط بالإنسان من مصيبة ونكبة، أخذاً من الدائرة المحيطة بالشيء، وأصله داورة؛ لأنها من دار يدور، فقلبت الواو همزة، وقد اختلف اللغويون فيها، فقال قوم: هي فاعلة كقائمة، وقال قوم: هي مصدر كالعاقبة.

○ الإعراب:

﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ ﴾ يحلفون بدل من سيحلفون، ولكم جار ومجرور متعلقان بيحلفون، أو بمحذوف حال، ولام التعليل متعلقة مع مجرورها بيحلفون، وعنهم متعلقان بترضوا ﴿ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ الفاء الفصيحة، والجواب محذوف، أي: إن ترضوا عنهم فلا ينفعهم رضاكم، فإن الفاء للتعليل، وإن واسمها، وجملة لا يرضى عن القوم الفاسقين خبرها ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا ﴾ الأعراب مبتدأ، وأشد خبر، وكفراً تمييز، ونفاقاً عطف عليه؛ وذلك لجفائهم، وقسوتهم، وابتعادهم عن معالم الحضارة، وهو من باب وصف الجنس بأحد أفراده أو بعضهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورٗا ﴾ إذ ليس كلهم كما ذكر، وسيأتي بحث «أل المعرفة» في باب الفوائد مع ذكر أقسامها ﴿ وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ ﴾ وأجدر عطف على أشد، وأنْ وما في حيزها منصوبة بنزع الخافض، أي: بأنْ لا يعلموا، وهي متعلقة بأجدر، وحدود مفعول يعلموا، وما مضاف إليه، وجملة أنزل الله صلة ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ مبتدأ وخبراه ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا ﴾ من الأعراب خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يتخذ صلة، وفاعل يتخذ مستتر تقديره هو، وما مفعول به أول، وجملة ينفق صلة، ومغرماً مفعول يتخذ الثاني، أي: خسارة؛ لأنه لا يرجو الثواب، بل يخشى العقاب ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ ﴾ ويتربص، الواو للحال، ويجوز أن تكون

عاطفة، فتكون يتربص داخلة في حكم الصلة، وبكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والدوائر مفعول به ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الجملة دعائية لا محل لها، وعليهم خبر مقدم، ودائرة السوء مبتدأ مؤخر، والله مبتدأ، وسميع خبره الأول، وعليم خبره الثاني.

* الفوائـد:

حكـم أل:

(أل) كلها حرف تعريف على الأصح، وهي إما أن تكون لتعريف الجنس وتسمى «الجنسية»، وإما لتعريف حصة معهودة منه، وتسمى «العهدية».

أل العهديـة: تكون على ثلاثـة أقسـام:

آ ـ إما أن تكون للعهد الذكري وهي: ما سبق لمصحوبها ذكر في الكلام، كقولك: جاءني ضيف فأكرمت الضيف، أي: المذكور، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾.

ب ـ وإما أن تكون للعهد الحضوري، وهي ما يكون مصحوبها حاضراً، مثل: جئت اليوم، أي: اليوم الحاضر الذي نحن فيه.

جـ ـ وإما أن تكون للعهد الذهني، وهي ما يكون مصحوبها معهوداً ذهناً، فينصرف الفكر إليه بمجرد النطق به، مثل: حضر الرجل، أي: الرجل المعهود ذهناً بينك وبين من تخاطبه.

أل الجنسيـة، وهي قسمـان:

آ ـ إما أن تكون لاستغراق جميع أفراد الجنس، وهي: ما تشمل جميع أفراده، كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾.

ب ـ وإما لاستغراق جميع خصائصه، مثل: أنت الرجل، أي: اجتمع فيك كل صفات الرجال.

تنبيهـات هامـة:

(١) علامة أل الاستغراقية: أن يصح وقوع «كل» موقعها.

(٢) أل التي لبيان حقيقة الجنس وماهيته وطبيعته، بقطع النظر عما يصدق عليه من أفراده، ولذلك لا يصح حلول «كل» محلها، تسمى: «لام الحقيقة، والماهية، والطبيعة» وذلك مثل: الإنسان حيوان ناطق، أي: حقيقته أنه عاقل مدرك، وليس كل إنسان كذلك، ومثل: الرجل أصبر من المرأة، فليس كل رجل كذلك، وقد يكون بين النساء من تفوق بصبرها وجلدها كثيراً من الرجال، فأل هنا لتعريف الحقيقة، غير منظور بها إلى أفراد الجنس، بل إلى ماهيته من حيث هي، وعلى هذا تحمل أل الداخلة على «الأعراب»، فليسوا جميعاً بهذه المثابة من شدة الكفر، والنفاق، والنبو عن استماع الكلام الطيب.

أل الزائـدة:

وقد تزاد أل فلا تفيد التعريف، وزيادتها إما أن تكون لازمة، فلا تفارق مصحوبها، كزيادتها في الأعلام التي قارنت وصفها، كاللات، والعزى، والسموأل، وكزيادتها في الأسماء الموصولة، كالذي، والتي ونحوهما؛ لأن التعريف الموصول بالصلة لا بأل على الأصح، وإما أن تكون زيادتها غير لازمة، كزيادتها في بعض الأعلام المنقولة عن أصل للمح المعنى الأصلي كالفضل، والحارث، والنعمان، والوليد، والرشيد ونحوها، وزيادتها سماعية، فلا يقال: المحمد، والمحمود، فما ورد عن العرب من ذلك يُسمع، ولا يقاس عليه غيره.

أل الموصوليـة:

وقد تكون أل اسم موصول بلفظ واحد مطلقاً، وهي الداخلة على اسم الفاعل والمفعول، بشرط ألا يراد بها العهد أو الجنس، نحو: أكرم المكرِم ضيفه، والمكرَم ضيفه، أي: الذي يُكرم ضيفه، والذي يُكرم ضيفه، وإذا

كانت الصفة الواقعة صلة لأل الموصولية في قوة الفعل، ومرفوعه حسن عطف الفعل ومرفوعه عليها، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ وسيأتي بحث ذلك في حينه.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾

○ الإعراب:

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ ومن الأعراب خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يؤمن بالله صلة، واليوم الآخر عطف على الله ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ ويتخذ عطف على يؤمن، وفاعله هو، وما اسم موصول مفعول به، وجملة ينفق صلة، وقربات مفعول به ثان، وعند الله ظرف في محل نصب صفة، وصلوات الرسول فيها وجهان: أظهرهما: أنها معطوفة على قربات، والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله، وصلوات الرسول؛ لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة، ويستغفر لهم، وثانيهما: أنها عطف على ما ينفق، وتقديره: وصلوات الرسول قربات، وقربات مفعول ثان ليتخذ ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ألا حرف تنبيه، والجملة مستأنفة، مؤكدة بألا، وإنها لثبات الأمر. وإن واسمها وخبرها، ولهم صفة لقربة، وسيدخلهم السين حرف استقبال، ويدخلهم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل، وفي رحمته جار ومجرور متعلقان بيدخلهم،

وإن واسمها وخبراها ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ السابقون مبتدأ، والأولون صفة، ومن المهاجرين والأنصار: حال، والذين: عطف على السابقون، واتبعوهم صلة، وبإحسان جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ الجملة خبر السابقون، وهناك وجهان في الخبر ذكرهما أبو البقاء، وتبعه أكثر المفسرين لا أعلم كيف استساغهما، الأول أن الخبر هو الأولون، وهو ظاهر التهافت، والثاني أنه من المهاجرين والأنصار، وهو أشدّ تهافتاً ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ تقدم إعراب نظائر هذه الجملة كثيراً، فلا حاجة للإعادة.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿مَرَدُوا۟﴾: تمرنوا عليه، ولجوا فيه، يقال: تمرد فلان إذا عتا وتجبر، ومنه الشيطان: المارد، وتمرد في معصيته، أي: ثبت عليها، واعتادها، ولم يتب عنها، وأصل مرد وتمرد: اللين، والملاسة، والتجرد، فكأنهم تجردوا للنفاق، ومنه غصن أمرد: لا ورق فيه عليه، وفرس أمرد: لا شعر فيه، وغلام أمرد: لا شعر بوجهه، وأرض مرداء: لا نبات فيها، وصرح ممرد: مجرد. فالمعنى أنهم أقاموا على النفاق، وثبتوا عليه، ولم ينثنوا عنه.

﴿ سَكَنٌ ﴾: السكن: الطمأنينة، فعل بمعنى مفعول، كالقبض بمعنى المقبوض.

○ الإعراب:

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان حال منافقي أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، بعد بيان حال أهل البادية، وممن خبر مقدم، وحولكم الظرف صلة الموصول، ومن الأعراب حال، ومنافقون مبتدأ مؤخر ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ ومن أهل المدينة يجوز أن يكون معطوفاً على من المجرورة بمن، فيكون المجروران مشتركين في الإخبار بهما عن المبتدأ، وهو: منافقون، كأنه قيل المنافقون من قوم حولكم، ومن أهل المدينة، ويجوز أن يكون الكلام تم عند قوله منافقون، ويكون قوله ومن أهل المدينة خبراً مقدماً، والمبتدأ بعده محذوف قامت صفته مقامه، وحذف الموصوف، وإقامة صفته مقامه مطرد نحو: منا ظعن ومنا أقام، نحو قوله:

أنا ابنُ جَلا وطلاَّع الثَّنايا متى أضع العِمامةَ تعرفوني

والتقدير: ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ الجملة في محل رفع صفة لمنافقون، أو مستأنفة، ونحن مبتدأ، وجملة نعلمهم خبر، ومفعول نعلمهم الثاني محذوف تقديره: منافقين، وكذلك مفعول تعلمهم الثاني، سنعذبهم السين حرف استقبال، ونعذبهم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، ومرتين ظرف ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ الجملة معطوفة، ويردون فعل ونائب فاعل، والجار والمجرور متعلقان بيردون، وعظيم صفة ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ وآخرون عطف على منافقون، أو مبتدأ، وجملة اعترفوا بذنوبهم صفته، وجملة خلطوا خبره، وعملاً مفعول خلطوا، وصالحاً صفة، وآخر عطف على عملاً، وسيئاً صفة، وسيأتي في باب: الفوائد كيفية هذا الخلط وما فيه من أسرار ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ عسى من أفعال

المقاربة، وتفيد الرجاء والله اسمها، وأن وما في حيزها خبر، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيتوب، وإن واسمها وخبراها ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ خذ فعل أمر، وفاعله أنت، ومن أموالهم جار ومجرور متعلقان بخذ، ويكون معنى «مِن» التبعيض، وصدقة مفعول به، ويجوز أن تتعلق بمحذوف حال؛ لأنها كانت في الأصل صفة لصدقة، فلما قدمت نصبت حالاً منها، وجملة تطهرهم حال من فاعل خذ؛ إذا كانت التاء في تطهرهم خطاباً للنبي ﷺ، أو صفة لصدقة؛ إذا كانت التاء للغيبة، وتزكيهم بها عطف على تطهرهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وصلّ عطف على خذ، وعليهم متعلقان بصلّ، وإن واسمها وخبرها، ولهم صفة لسكن، والله مبتدأ، وسميع عليم خبراه. ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويعلموا مضارع مجزوم بلم، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا، وأن واسمها، وهو مبتدأ، وجملة يقبل خبره، والجملة خبر أن، ولا يجوز أن يكون هو فصلاً؛ لأن ما بعده لا يلتبس بالوصفية، وعن عباده متعلقان بيقبل ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عطف نسق على ما تقدم، ويجوز في «هو» هنا أن يكون ضمير فصل، وأن يكون مبتدأ.

* الفوائـد:

(١) حـذف المنعـوت وإقامـة النعـت مقامـه:

يجوز بكثرة حذف المنعوت إن علم، وكان النعت صالحاً لمباشرة العامل، نحو قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي: دروعاً سابغات، أو كان النعت جملة، أو شبهها، وكان المنعوت مرفوعاً، وبعض اسم متقدم عليه مخفوض بـ «من» أو «في»، فالأول كقولهم: منا ظعن ومنا أقام، فظعن وأقام جملتان في موضع رفع، وهما نعتان لمنعوتين محذوفين مرفوعين على الابتداء، أي: منا فريق ظعن ومنا فريق أقام، والثاني كقول أبي الأسود الحماني يصف امرأة:

لو قُلْتَ ما في قَوْمِها لم تِيثَمِ ... يفضلُها في حَسَب وميسمِ

أصله: لو قلت ما في قومها أحد يفضلها لم تأثم في مقالتك، فحذف الموصوف وهو أحد، وأقام جملة يفضلها مقامه.

هذا؛ ويجوز حذف النعت إن علم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: كل سفينة صالحة، وقول عباس بن مرداس:

وقد كنتُ في الحَرْب ذا تُدْرَأ فلم أُعْطَ شيئاً ولَمْ أُمْنَعِ

فحذف النعت وأبقى المنعوت، أي: شيئاً طائلاً، والذي أحوج إلى تقدير هذا النعت تحري الصدق، فإن الواقع أنه أعطي شيئاً، بدليل قوله: ولم أمنع، ولكنه لم يرتضه فيحتاج إلى تقدير صفة يكتسي بها الكلام جلباب الصدق، ويتحلى بزنة الحق وقول المرقش الأكبر:

وربَّ أسيلة الخدَّيْن بكر مهفهفة لها فرعٌ وجيد

أي: فرع فاحم وجيد طويل، بدليل أن حسن التغزل يستدعي إثبات الفرع والجيد موصوفين بصفتين محبوبتين.

بقي أنه يجوز حذف المنعوت والنعت معاً، كقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: حياة نافعة، وقد يحذفان إذا قام مقام النعت معموله، كما قالوا في «والله ما هي بنعم الولد» أي: والله! ما هي بولد مقول فيه نعم الولد، «ونعم السير على بئس العير» أي: على عير مقول فيه: بئس العير.

(٢) أيهما المخلوط والمخلوط به؟

في قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ جعل كلاً منهما مخلوطاً، فما المخلوط به؟

والجواب أن كل واحد مخلوط ومخلوط به؛ لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر، كقولك: خلطت الماء واللبن، تريد: خلطت كل واحد منهما بصاحبه، وفيه ما ليس في قولك: خلطت الماء باللبن؛ لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به، وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما، كأنك قلت: خلطت الماء باللبن واللبن بالماء.

ومن جهة ثانية كان العدول عن الباء لتضمين الخلط معنى العمل كأنه قيل: عملوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ثم انضاف إلى العمل معنى الخلط، فعبَّر عنهما معاً به.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا
يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا
وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ
لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن
يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ
ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ
جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى
قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مُرْجَوْنَ ﴾: اسم مفعول من أرجيته، أي: أخرته، ويقال: ارجأته بالهمز أيضاً، ومنه المرجئة.

﴿ وَإِرْصَادًا ﴾: وإعداداً وارتقاباً.

﴿ شَفَا ﴾: طرف وحرف.

﴿ جُرُفٍ ﴾: ـ بضم الراء وسكونها ـ: جانب البئر التي لم تطو، وقيل: الهوّة، وما يجرفه السيل من الأودية. قال أبو عبيدة: وقيل هو المكان الذي يأكله الماء فيجرفه، أي: يذهب به.

﴿ هَارٍ ﴾: فيه ثلاثة أقوال: أحدهما، وهو المشهور أنه مقلوب بتقديم لامه على عينه، وذلك أن أصله هاور أو هاير، بالواو أو الياء؛ لأنه سمع فيه الحرفان، قالوا: هار يهور ويهار، وهار يهير، وتهوّر البناء وتهيَّر، فقدمت اللام، وهي الراء، على العين، وهي الواو، أو الياء، فصار كغاز ورام، فأعلّ بالنقص كإعلالهما، فوزنه بعد القلب فالع، ثم نزله بعد الحذف على فال، والقول الثاني أنه حذفت عينه اعتباطاً، أي: لغير موجب، وعلى هذا فتجري وجوه الإعراب على لامه، فيقال: هذا هارٌ، ورأيت هاراً، ومررت بهارٍ، ووزنه أيضاً فال. والقول الثالث أنه لا قلب فيه ولا حذف، وأن أصله هوراً وهير، فتحرك حرف العلة، وانفتح ما قبله، فقلب ألفاً، فتجري وجوه الإعراب أيضاً كالذي قبله، كما تقول: هذا بابٌ، ورأيت باباً، ومررت ببابٍ، وهذا أعدل الوجوه لاستراحته من ادعاء القلب والحذف؛ اللذين هما على خلاف الأصل، ولكنه غير مشهور عند أهل التصريف، ومعنى هارٍ: متداع، وساقط، ومنهال.

○ الإعـراب:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ جملة اعملوا مقول القول، والفاء الفصيحة، والسين بالنظر للمجازاة لا للعلم، لأن العلم حاصل غير متقيد بزمان، والله فاعل يرى، وعملكم مفعوله، ورسوله والمؤمنون معطوفان على الله ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ عطف على سيرى، وإلى عالم جار ومجرور متعلقان بتردون، والغيب مضاف إليه، والشهادة معطوف على الغيب ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الفاء عاطفة، وبما متعلقان بينبئكم، وجملة كنتم تعملون صلة ما ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ عطف نسق على ما تقدم، أي: وآخرون اعترفوا، ومرجون صفته، ولأمر الله متعلقان بمرجون، يعني: وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم. ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ إما حرف شرط وتفصيل، ويعذبهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة نصب على الحال، أي: هم

مؤخرون إما معذبين وإما متوباً عليهم، وإما هنا للشك بالنسبة للمخاطب، وإما للإبهام بالنسبة لله تعالى، بمعنى أنه تعالى أبهم أمرهم ومصيرهم على المخاطبين، ويجوز أن نعرب آخرون مبتدأ، ومرجون صفته، وجملة إما يعذبهم خبر آخرون، وإما يتوب عليهم عطف، والله مبتدأ، وعليم حكيم خبراه ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لك في الذين وجهان: النصب على الاختصاص بالذم، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ على الاختصاص بالمدح والرفع على الابتداء، والخبر محذوف، معناه: فيمن وصفنا الذين اتخذوا، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ وهذا الوجه ارتضاه سيبويه، وقد تقدم قوله وافياً فيه، وتقديره: فيما يتلى عليكم الذين، فحذف الخبر، وأبقى المبتدأ. والواو استئنافية على كل حال، وجملة اتخذوا صلة، ومسجداً مفعول به، وضراراً مفعول ثان لاتخذوا، أو مفعول لأجله، أو مفعول مطلق، أي: يضارون بذلك ضراراً، أو حال، أي: مضارين لإخوانهم، وكل هذه الأوجه متساوية الرجحان، وكفراً وتفريقاً عطف على ضراراً، وبين ظرف متعلق بتفريقاً ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ وإرصاداً عطف أيضاً، ولمن حارب الله متعلقان بإرصاداً، وجملة حارب الله صلة، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بحارب ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ اللام واقعة في جواب قسم مقدر، وإن نافية، وأردنا فعل وفاعل، والجملة جواب القسم، وإلا أداة حصر، والحسنى مفعول أردنا ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ الواو عاطفة، والله مبتدأ، وجملة يشهد خبر، وإن وما في حيزها مفعول يشهد، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وكاذبون خبرها، وستأتي قصة مسجد الضرار في باب: الفوائد ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ لا ناهية، وتقم فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وفيه جار ومجرور متعلقان بتقم، وأبداً ظرف متعلق بتقم أيضاً، أي: لا تصل فيه أبداً ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ اللام للابتداء، ومسجد مبتدأ، وجملة أسس على التقوى صفة لمسجد، وعلى التقوى جار ومجرور متعلقان بأسس، وأحق خبره، ومن أول يوم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أو بأسس،

وأن تقوم مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: بأن تقوم فيه، وهو متعلق بأحق وفيه متعلقان بتقوم ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ فيه خبر مقدم، ورجال مبتدأ مؤخر، وجملة يحبون صفة لرجال، وأن وما في حيزها مفعول يحبون، أي: يحبون الطهارة من الذنوب والحوبات والمعاصي، وقيل: من الذنوب طهارة الباطن، ومن الأحداث طهارة الظاهر، والله مبتدأ، وجملة يحب المطهرين خبر ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، والفاء عاطفة على مقدر، أي: أبعد ما علم حالهم أفمن أسس بنيانه على تقوى. . الخ، ومن مبتدأ، وجملة أسس بنيانه صلة، وعلى تقوىٰ جار ومجرور متعلقان بأسس، ومن الله صفة لتقوى، ورضوان عطف على تقوى، وخير خبر لمن ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ أم حرف عطف، ومن معطوفة على من الأولى، وخبرها محذوف تقديره خير، وعلى شفا جرف هار متعلقان بأسس ﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الفاء عاطفة، وانهار عطف على أسس، وفاعله إما ضمير البنيان، وإما ضمير الجرف، وهو أولى؛ لأن انهياره يترتب عليه انهيار الشفا والبنيان جميعاً، ولا يلزم من انهيارهما، أو انهيار أحدهما، انهياره، وبه متعلقان بانهار إذا كانت الباء للتعدية، وبمحذوف حال إن كانت للمصاحبة، وكلاهما جائز، والله مبتدأ، وجملة لا يهدي القوم الظالمين خبر ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ بنيانهم اسم لا يزال، والذي: صفة بنيانهم، وجملة بنوا: صلة، وريبة خبر لا يزال، وفي قلوبهم: صفة لريبة ﴿ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ استثناء من أعم الأزمنة، فالمستثنى منه على هذا محذوف، أي: لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت من الأوقات إلا وقت تقطيع قلوبهم، وأن مصدرية، وتقطع أصلها تتقطع منصوب بها، وقلوبهم فاعل، والله مبتدأ، وعليم حكيم خبراه.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على فنون من البلاغة، ندرجها فيما يلي:

(١) فن الترديد، وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يردها بعينها، ويعلقها بمعنى آخر، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ فيعلمون الأولى منفية، والثانية مثبتة، ولكل من المعنيين مناسبة اقتضت ذلك المعنى، وقوله الذي نحن بصدده: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ ففيه الاولى متعلقة بتقوم، وفيه الثانية خبر مقدم، ولكل منهما معنى.

ومن أمثلة الترديد في الشعر بيت ورد في أبيات قالها سيف الدولة، وذلك أنه كانت جارية من بنات الروم لا يرى الدنيا إلا بها، ويشفق عليها من الريح الهابة، فحسدتها سائر حظاياه على لطف محلها منه، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره، وبلغ سيف الدولة ذلك، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها، وقال في ذلك:

راقبتني العيونُ فيكِ فأشفقـ ـتُ ولم أخل قطُّ من إشفاق
ورأيتُ العذولَ يحسدني فيـ ـكِ مجدّاً يا أنفسَ الأعلاق
فتمنيت أن تكوني بعيداً والذي بيننا من الود باق
ربَّ هجرٍ يكون من خوفِ هجرٍ وفراق يكونُ خوفَ فراق

(٢) الاستعارة: في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: على قاعدة راسخة ثابتة وطيدة هي التقوى من الله، فشبه التقوى والرضوان بقاعدة يعتمد عليها البناء، تشبيهاً مضمراً في النفس، وأسس بنيانه تخييل على قاعدة الاستعارة التصريحية.

(٣) الاستعارة التمثيلية في انهيار البناء القائم على شفا جرف هار، شبَّه عدم القيام بأمور الدين بمن بني بنيانه على شفا، فهو يسقط به، فالمشبه به البناء على محل آيل للسقوط، والمشبه: هو ترتيب أحكام الدين وأعماله على الكفر والنفاق.

* الفوائـد:

قصـة مسجـد الضـرار:

روى التاريخ أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء، بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلى فيه، فحسدتهم أخوتهم بنو غنم بن عوف، وقالوا: نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله يصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام؛ ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم، وهو الذي سماه رسول الله الفاسق، وقال لرسول الله يوم أحد: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن خرج هارباً إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر، وآتٍ بجنود، ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة، فبنوا مسجداً بجنب مسجد قباء، وقالوا للنبي ﷺ: بنينا مسجداً لذوي العلة، والحاجة، والليلة المطيرة، والشاتية، ونحن نحبُّ أن تصلي لنا فيه، وتدعو لنا بالبركة، فقال النبي: «إني على جناح سفر وحال شغل، وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه». فلما قفل من غزوة تبوك، سألوه إتيان المسجد، فنزل عليه، فدعا بمالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، وعامر بن السكن، ووحشياً، فقال لهم: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه» ففعلوا، وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة، ومات أبو عامر بالشام بقنسرين.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ

ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

○ الإعـراب:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لترغيب المؤمنين بالجهاد، وذلك ببيان فضيلته، وما يترتب على الاستشهاد في سبيل الله، وإن واسمها، وجملة اشترى خبرها، ومن المؤمنين جار ومجرور متعلقان باشتري، وأنفسهم مفعول به، وأموالهم عطف على أنفسهم ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ الباء ومدخولها متعلقة باشترى، وسيأتي المزيد من حقيقة هذه الشروى في: البلاغة، ولهم خبر إن المقدم، والجنة اسمها المؤخر ﴿ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ جملة مستأنفة، لا لبيان نفس الاشتراء؛ لأن قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء من الله أنفسهم وأموالهم، بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور، كأنه قيل: كيف يبيعونها بالجنة، فقيل: يقاتلون، وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بيقاتلون ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ الفاء عاطفة، ويقتلون بالبناء للمعلوم، ويقتلون بالبناء للمجهول معطوفان على يقاتلون، ووعداً وحقاً مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف، أي: وعدهم وعداً، وحق ذلك الوعد حقاً، وفي التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لوعداً، أي: وعداً كائناً ومذكوراً في التوراة، ويجوز أن يعلق باشتروا، والإنجيل والقرآن معطوفان على التوراة. ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، ومن اسم استفهام مبتدأ، وأوفى خبره، وبعهده ومن الله متعلقان بأوفى ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الفاء الفصيحة، واستبشروا فعل أمر وفاعل، وببيعكم جار ومجرور متعلقان باستبشروا، والذي صفة، وبايعتم به صلة، وذلك مبتدأ، وهو

ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والفوز خبر ذلك، أو خبر هو، والعظيم صفة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أخبار لمبتدأ محذوف، أي: هم التائبون العابدون... الخ، أي: على المدح، وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف، أي: التائبون العابدون من أهل الجنة أيضاً، وإن لم يجاهدوا، وقيل: هو رفع على البدل من الواو في يقاتلون، وحاصل ما ذكر أوصاف تسعة: الستة الأولى تتعلق بمعاملة الخالق، والسابع والثامن يتعلق بمعاملة المخلوقين، والتاسع يعم القبيلين. وبشر المؤمنين الواو عاطفة، وبشر فعل أمر، وفاعل مستتر، والمؤمنين مفعول به.

□ البلاغة:

انطوت هذه الآيات على أنواع من البلاغة، نوردها فيما يلي:

(١) الاستعارة المكنية التبعية في قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ فقد استعار الشراء لقبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله، وإثابته إياهم بمقابلتها بالجنة، ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم، وجعل الثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة.

(٢) الالتفات بقوله: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ﴾ زيادة في سرورهم والفاء الفصيحة لترتيب الأمر به على ما قبله، وجعله بمثابة الشرط له، والسين ليست للطلب، بل للمطاوعة كاستوقد.

(٣) التذييل وهو أن يذيل المتكلم كلامه بعد تمام معناه بجملة تحقق ما قبلها، وتلك الزيادة على ضربين:

آ ـ ضرب لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤكده ويحققه.

ب ـ وضرب يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليشتهر المعنى لكثرة

دورانه على الألسنة، وقد جاء في هذه الآية الكريمة الضربان:

آ ـ قوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ فإن الكلام قد تم وكمل قبل ذلك، ثم أتت جملة التذييل لتحقيق ما قبلها وتؤكده.

ب ـ قوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ مخرجاً ذلك مخرج المثل، فسبحان المتكلم بمثل هذا الكلام.

* الفوائـد:

(١) واو الثمانية: عدَّد الله تسعة أوصاف، ولم ينسقها بالواو، حتى إذا كان الثامن أدخل الواو، وذلك لسر في كلامهم، وهو أن للعرب واواً سمّوها واو الثمانية، وهي تدخل على ما كان ثامناً، كذا قرر بعض العلماء، ورد عليهم آخرون، وأكثروا، وأطالوا، ولما كان الكلام في هذا الصدد لا يخلو من متعة وفائدة، نرى من الأولى تلخيصه بما يلي:

استدلَّ المثبتون لهذه الواو بقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ فأتى بالواو هنا، ولم يأت بها في ذكر جهنم؛ لأن للنار سبعة أبواب وللجنة ثمانية، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وقد منع بعض المحققين هذا، وقال: إنما تقع بين المتضادين؛ لأن الثيّبات غير الأبكار في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ ولأن الآمرين ضد الناهين في الآية التي نحن بصدد الحديث عنها. قال أبو حيان: والصفات إذا تكررت، وكانت للمدح أو الذم، أو الترّحم، جاز فيها الاتباع للمنعوت والقطع في كلّها أو بعضها، وإذا تباين ما بين الوصفين جاز العطف، ولما كان الأمر مبايناً للنهي، إذ الأمر طلب فعل، والنهي ترك فعل، حسن العطف في قوله: والناهون، ودعوى الزيادة، أو واو الثمانية ضعيف، وقال في قصة أهل الكهف: إنه إنما أتى بالواو مع الثمانية؛ لأن القول الثالث أقرب إلى الحق، أو هو الحق، لأنه قال في القولين: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ وفي الثالث قال: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ وقال في قصة أهل الجنة

وأثبت الواو لأن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها زيادة في الضيق على من بها، وأما أبواب الجنة فتفتح لأهلها قبل دخولهم إليها إكراماً لهم؛ لقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله: إن القاضي الفاضل كان يعتقد زيادة الواو في هذه الآية يعني: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ ويقول هي واو الثمانية، إلى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبي الجود المقري، فبين له أنه وهم، وأن الضرورة تدعو إلى دخولها هنا، وإلا فسد المعنى، بخلاف واو الثمانية، فإنه يؤتى بها لا لحاجة، فقال: أرشدتنا يا أبا الجود.

نقول: وممن اعترف بواو الثمانية الإمام فخر الدين الرازي في «تفسيره الكبير» وقال: إن الواو في قوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ هي واو الثمانية.

وسيأتي مزيد بحث عنها عند الكلام على هذه الآيات في مواضعها.

السائحون:

اختلف العلماء في الصفة الثالثة، وهي السائحون، وأصح الأقوال أنهم الصائمون، شُبِّهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم، وقيل: هم طلبة العلم يطلبونه في مظانه، ويضربون في مناكب الأرض لتحصيله، وفي القاموس: والسِّياحة ـ بالكسر ـ: الذهاب في الأرض للعبادة، ومنه المسيح بن مريم. والسائح: الصائم، الملازم للسياحة.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ
أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ
لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ
هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

☆ **اللغة:**

(الأواه) فعال من أوه كـ: لآل من اللؤلؤ، وهو: الذي يكثر التأوه، ومعناه أنه لفرط حبه لأبيه، وترحّمه، ورقّته، وحلْمه، كان يتعطف على أبيه الكافر، ويستغفر له مع شكاسته عليه، هذا ما قاله الزمخشري وقد استدرك عليه أبو حيان فقال: «وتشبيه أواه من أوه بـ: لآل من اللؤلؤ ليس بجيد؛ لأن مادة أوه موجودة في صورة أواه، ومادة لؤلؤ مفقودة في لآل؛ لاختلاف التركيب إذ لآل ثلاثي ولؤلؤ رباعي، وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف الأصلية». وفي المختار: وقد أوّه الرجل تأويهاً، وتأوه تأوهاً: إذا قال أوّه. وجميل قول الزجاج، وننقله بنصّه: «قال أبو عبيدة: هو المتأوه شفقاً وفرقاً، المتضرع يقيناً ولزوماً للطاعة، وقد انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه، وأصله: من التأوه، وهو أن يسمع للصدر صوت بتنفس الصعداء» وقيل: الكلمة حبشية، ومعناها: الموقن. وقال ابن النقيب في كتابه «خصائص القرآن»: «إن القرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير» وسترد معنا الألفاظ غير العربية، التي فطن الأقدمون لها عند الكلام على لغة القرآن.

○ **الإعراب:**

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، وللنبي خبر كان المقدم، والذين عطف على النبي، وجملة آمنوا صلة، وإن وما في حيزها اسم كان المؤخر، ويستغفروا فعل مضارع منصوب بأن، وللمشركين جار ومجرور متعلقان بيستغفروا ﴿ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ الواو حالية، ولو وصلية، وكانوا كان واسمها، وأولي خبرها، وقربى مضاف إليه، ومن بعد متعلقان

بما في النفي من معنى الفعل، أي: انتفى الاستغفار من بعد، وما مصدرية، وهي وما في حيزها مضافة لبعد، أي: من بعد تبيان، ولهم جار ومجرور متعلقان بتبين، وأنهم أن وما في حيزها فاعل تبين، وأصحاب الجحيم خبر أن ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما سبق، ودعمه بشواهد وقرائن، ودفع ما يرد من إيهام بحسب ما يبدو في الظاهر بالمخالفة، وكان واسمها، وإبراهيم مضاف إليه، ولأبيه جار ومجرور متعلقان باستغفار، وإلا أداة حصر، وعن موعدة خبر كان، فالاستثناء مفرّغ من أعم العلل، أي: لم يكن استغفار إبراهيم لأبيه ناشئاً إلا عن موعدة وعدها إياه، أي: لأجلها ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وله متعلقان بتبين، وأن وما في حيزها فاعل تبين، وجملة تبرأ منه لا محل لها؛ لأنها جواب لما، وأن واسمها، واللام المزحلقة، وأواه خبر إن الأول، وحليم خبرها الثاني ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، واللام للجحود، ويضل منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، وهي مع مدخولها خبر كان، وقد تقدمت كثيراً وقوماً مفعول به، وبعد ظرف متعلق بيضل، وهو مضاف، والظرف إذ مضاف إليه، وجملة هداهم مضاف إليها الظرف، وقد تقدم القول فيه في آل عمران أن فيه وجهين: أحدهما: أن «إذ» بمعنى «أن»، والثاني: أنها ظرف بمعنى وقت، أي: بعد أن هداهم، أو بعد وقت هدايتهم ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويبين فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ولهم جار ومجرور متعلقان بيبين، وما مفعول به، وجملة يتقون صلة، وأن واسمها وخبرها، وبكل شيء متعلقان بعليم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ إن واسمها، وله خبر مقدم، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر، وجملة يحيي خبر ثان لإن، والخبر الأول جملة له ملك السموات، ويميت عطف على يحيي ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ولكم خبر مقدم، ومن دون الله جار

ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ومن زائدة، وولي مبتدأمؤخر محلاً، ولا نصير عطف على من ولي.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

○ الإعراب:

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ سيأتي في باب: الفوائد معنى توبة الله على النبي، والجملة استئنافية، مسوقة لبيان التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إليها، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وتاب الله فعل وفاعل، وعلى النبي جار ومجرور متعلقان بتاب، والمهاجرين والأنصار عطف على النبي، والذين نعت، وجملة اتبعوه صلة الموصول، وفي ساعة العسرة جار ومجرور متعلقان باتبعوه، وسيأتي ذكر ساعة العسرة في باب: الفوائد. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ من بعد متعلقان بمحذوف حال لبيان الشدة وبلوغها الحد الأقصى، واسم كاد ضمير الشأن، وجملة يزيغ خبر، وقلوب فاعل، وفريق مضاف إليه، ومنهم صفة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، وتاب عطف على تاب الأولى، وفائدة التكرير التنبيه على أنه تاب عليهم لما كابدوه في ساعة العسرة، وإنه: إن واسمها، وبهم متعلقان برؤوف، ورؤوف رحيم خبران لإن. ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ وعلى الثلاثة عطف على ما تقدم، والمراد بهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، والذين صفة، وجملة خلفوا

صلة، وخلفوا بالبناء للمجهول، والواو نائب فاعل، أي: عن الغزو ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ حتى حرف غاية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ضاقت مضاف إليها وعليهم جار ومجرور متعلقان بضاقت، والأرض فاعل، وبما رحبت، أي: برحبها، فالباء حرف جر للمصاحبة، وما مصدرية، ومعنى الباء هنا المصاحبة، وعلامتها أن يصح حلول «مع» محلها، أو أن يغني عنها وعن مصحوبها الحال، وهنا تصح فيها «مع» أي: مع رحبها، أما مثال ما يغني عنها وعن مصحوبها الحال، فقوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾ أي: كافرين، وعلى كل هي ومصحوبها في محل نصب على الحال، أي: حالة كونها رحيبة، وضاقت عليهم أنفسهم عطف على ما تقدم، وهو مثل للحيرة في أمرهم، كأنهم لا يجدون مكاناً يقرون فيه ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ وظنوا عطف على ضاقت، والظن هنا بمعنى اليقين، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، ولا نافية للجنس، وملجأ اسمها، ومن الله خبرها، وإلا أداة حصر، وإليه جار ومجرور متعلقان بملجأ ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ثم حرف عطف، وتاب فعل ماض، وعليهم جار ومجرور متعلقان بتاب، وليتوبوا: اللام قيل هي للتعليل، أي: وفقهم للتوبة ليحصلوا عليها وينشئوها، فحصلت المغايرة، وصح التعليل، وأرى أنه لا مانع من أن تكون لام العاقبة، أو الصيرورة، أي: فكانت عاقبتهم التوبة، وإن واسمها، وهو مبتدأ، أو ضمير فصل، والتواب الرحيم خبران لإن، أو هو.

* الفوائـد:

(١) تنطوي هاتان الآيتان على كثير من الفوائد، وقبل الشروع فيها نتحدث عن إشكال ورد فيها وهو جواب إذا، وعطف ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ وقد أجاب العلماء عن ذلك بجوابين: أولهما: أن تكون إذا زائدة، فلا تحتاج إلى جواب، ويستقيم المعنى، والثاني: أن تكون ثم زائدة، فتكون جملة تاب

عليهم هي الجواب، ولا يمكن حل الإشكال إلا بافتراض زيادة إحداهما، وممن قال بزيادة «ثم» زكريا في حاشيته على البيضاوي، أو غيره، فاختاروا زيادة إذا.

وهذا ما قاله أبو حيان: «وجاءت هذه الجمل في كنف إذا في غاية الحسن والترتيب، فذكر أولاً: ضيق الأرض عليهم، وهو كناية عن استيحاشهم ونبوة الناس عن كلامهم، وثانياً: وضاقت عليهم أنفسهم، وهو كناية عن تواتر الهم والغم على قلوبهم، حتى لم يكن فيها شيء من الانشراح والاتساع، فذكر أولاً ضيق المحل ثم ثانياً ضيق الحال فيه؛ لأنه قد يضيق المحل، وتكون النفس منشرحة: «سم الخياط مع الأحباب ميدان»، ثم ثالثاً: لما يئسوا من الخلق عزموا أمورهم بالله، وانقطعوا إليه، وعلموا أنه لا يخلص من الشدة ولا يفرجها إلا هو تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ وإذا إن كانت شرطية فجوابها محذوف تقديره: تاب عليهم، ويكون قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، ونظير قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية، ودعوى أن ثم زائدة وجواب إذا ما بعد ثم بعيد جداً، وغير ثابت من لسان العرب زيادة ثم، ومن زعم أن إذا بعد حتى قد تجرد من الشرط، وتبقى لمجرد الوقت، فلا تحتاج إلى جواب، بل تكون غاية للفعل الذي قبلها، وهو قوله: «خلفوا» أي: خلفوا إلى هذا الوقت، ثم تاب عليهم ليتوبوا، ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة أخرى ليستقيموا على توبتهم، وينيبوا، أو ليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة، علماً منهم أن الله تواب على من تاب، ولو عاد في اليوم مئة مرة».

معنى التوبـة:

كما اختلف العلماء في معنى توبة الله على النبي، وسنورد أهم الأوجه التي ارتآها أقطاب المفسرين وعلماء اللغة:

أما الزمخشري فنظمها في سلك قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وقال: وهو بعث للمؤمنين على

التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي ومن معه من المهاجرين والأنصار، وهذا ما جرينا عليه نحن باعتباره منطقياً ومقيساً.

أما الجلال وشارحو تفسيره فقد ذهبوا إلى معنى الديمومة في التوبة، أي: أدام توبته عليهم، وقال الشارحون في تعليقهم على ما ذهب إليه الجلال: «وهذا جواب عما يقال إن النبي معصوم من الذنب، وإن المهاجرين والأنصار لم يقترفوا ذنباً في هذه القضية، فبين أن المراد بالتوبة في حق الجميع دوامها، لا أصلها» وهذا الرأي بادي الاضطراب.

أما الخازن فقد ارتأى رأياً كدناً، نؤثره حتى على الرأي الأول، وهو قوله: «ومعنى توبته على النبي عدم مؤاخذته بإذنه للمؤمنين في التخلف عنه في غزوة تبوك، وهو كقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ فهو من باب: ترك الأفضل لا أنه ذنب يوجب عقاباً».

وهناك رأي لا يقل وجاهة عما تقدم عبر عنه أصحاب المعاني بقولهم: وهو كلام للتبرك، فهو كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ ومعنى هذا أن ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والأنصار في ضم توبتهم إلى توبة النبي ﷺ، كما ضم اسم الرسول إلى اسم الله في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾.

ساعة العسرة:

المراد وقتها لا الساعة الفلكية، فالساعة مستعملة في معنى الزمن المطلق، كما استعملت الغداة والعشية واليوم، كقول زفر بن الحارث الكلابي:

وكنَّا حسبنا كلَّ بيضاءَ شحمة عشيةَ قارعنا جذامَ وحميرا
فلما قرعنا النبعَ بالنَّبعِ بعضه ببعض أبتْ عيدانُه أن تكسرا

فالمراد مطلق الوقت لا العشية على حقيقتها، وكقول حاتم الطائي:

إذا جاء يوماً وارثي يبتغي الغِنى
يجدْ جمع كفٍ غير ملأى ولا صفر
يجدْ فرساً مثل العنانِ وصارماً
حُساماً إذا ما هزَّ لم يرض بالهبر
وأسمرَ خطيَّاً كأنَّ كعوبَهُ
نوى القسبِ قد أربى ذراعاً على العشر

المراد باليوم مطلق الزمان، وهكذا غالب استعمال العرب، ويلاحظ أنه جزم بـ «إذا» تشبيهاً لها بالأدوات التي تجزم فعلين وقد نصَّ النحاة على ورودها، كقوله:

استغنِ ما أغناكَ ربُّكَ بالغِنى وإذا تُصِبْكَ خاصةٌ فَتَجَمَّلِ

ولساعة العسرة التي وقعت في غزوة تبوك حوادث نكتفي برواية لعمر بن الخطاب عنها، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد، حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، وحتى إن الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله! إن الله عز وجل قد عوَّدك في الدعاء خيراً، فادع الله. قال: «أتحب ذلك؟» فقال الصديق: نعم. فرفع صلى الله عليه وسلم يديه، فلم ترجعا حتى قالت السماء، فأظلمت، ثم سكبت فملؤوا ما معهم من الأوعية، ثم ذهبنا ننظرها، فلم نجدها جاوزت العسكر» ومعنى قالت السماء: مالت وسقطت.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

☆ **اللغـة:**

﴿مَخْمَصَةٌ﴾: جوع، وفي فعله ثلاث لغات فهو خمص بفتح الميم وكسرها وضمها، ومصدره خمص ومخمصة، وهو خميص البطن، وهي خميصة البطن، وهو خمصان، وهي خمصانة، وهم خماص، وهن خمائص. ومن المجاز: زمن خميص، أي: ذو مجاعة، قال:

كلـوا في بعـضِ بطنكُـمُ تَعِفُّـوا فـإنَّ زمـانَكُـم زَمَـنٌ خَمِيـصُ

وكل شيء كرهت الدنو منه فقد تخامصت عنه، قال الشماخ:

تَخَامَصُ عن بَرْدِ الوِشَاحِ إذا مَشَتْ
تَخَامُصَ جافي الخيلِ في الأَمْعَزِ الوَجِي

وتخامص الليل: رقت ظلمته عند وقت السحر، قال الفرزدق:

فما زِلْتُ حتى صعَّدتْنِي حِبالُها إليها وَلَيْلِي قد تَخَامَصَ آخِرُه

﴿يَنَالُونَ﴾: في معاجم اللغة: نال خيراً ينال نيلاً: أصاب، وأصله: نيل ينيل، من باب: فهم، والأمر منه: نل، وإذا أخبرت عن نفسك كسرت النون، فتقول: نلت. وفي المصباح: نال من عدوه، من باب: تعب، نيلاً: بلغ منه مقصوده، ومنه قيل: نال من امرأته ما أرد.

﴿وَادِيًا﴾: الوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذاً للسيل، وهو في الأصل فاعل من ودي: إذا سال، ومنه الودي. وقد شاع استعمال العرب بمعنى الأرض، يقولون: لا تصلّ في وادي غيرك، وهو المراد هنا. وفي المصباح: «وودى الشيء: إذا سال، ومنه اشتقاق الوادي، وهو: كلّ منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل، والجمع: أودية»، وفي القاموس

وغيره: ودى يدي ودْياً وديةً القاتلُ القتيلَ: أعطى وليه ديته، وودى الأمر: قرَّبه، وودى الشيء: سال، ومنه اشتقاق الوادي، لأن الماء يدي فيه، أي: يسيل ويجري، والجمع: أودية وأوادية وأوداء وأوداه، فما شاع على ألسنة الكتاب من جمعه على وديان خطأ ظاهر.

○ الإعـراب:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ تقدم إعرابها كثيراً ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ اتقوا الله فعل وفاعل ومفعول به، وكونوا عطف على اتقوا، والواو اسم كان، ومع الصادقين متعلقان بمحذوف خبر كونوا، قالوا: أتت بمعنى من؛ أي من الصادقين، والذي حملهم على ذلك أنه قرىء شذوذاً «وكونوا من الصادقين» ولا داعي لهذا التكلف؛ لأن بقاء مع على معناها أولى، والمعنى: كونوا مع المهاجرين والأنصار، ووافقوهم، وانتظموا في سلكهم ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولأهل المدينة خبر كان المقدم، ومن عطف على أهل، وحولهم ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، ومن الأعراب حال، وأن وما في حيزها اسم كان المؤخر، وعن رسول الله متعلقان بيتخلفوا ﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ الواو عاطفة، ويرغبوا يجوز فيه النصب على العطف على أن «لا» نافية، والجزم على أن «لا» ناهية، وبأنفسهم متعلقان بيرغبوا، والباء للتعدية فقوله: رغبت عنه معناه: أعرضت عنه، والمعنى: ولا يجعلوا أنفسهم راغبة عن نفسه، وعن نفسه حال، أي: عليهم أن يصحبوه على كل حال، وفي البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال، ويحتملوا المشاق والمكاره، وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه، فكأنه لم يصن نفسه، ولم يربأ بها عندما ناهز الشدائد، وكابد الأهوال، فما أجدرهم بالحذو حذوه، واقتفاء آثار خطاه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ذلك مبتدأ، وبأنهم خبر، ولا يصيبهم ظمأ فعل مضارع مرفوع ومفعول به وفاعل، ولا نصب ولا مخمصة عطف على

ظمأ، وفي سبيل الله حال من الهاء، أو صفة لمخصصة ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ ولا يطؤون عطف على لا يصيبهم، وموطئاً إما اسم مكان فيعرب مفعولاً به، أي: يدوسون مكاناً، وإما ظرف فيعرب مفعولاً مطلقاً، وجملة يغيظ الكفار صفة لموطئاً ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا﴾ عطف على ما تقدم، ومن عدو جار ومجرور متعلقان بينالون ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ إلا أداة حصر، وجملة كتب في موضع نصب على الحال، فالاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، وكتب فعل ماض مبني للمجهول، ولهم جار ومجرور متعلقان بكتب وكذلك به، وعمل نائب فاعل، وصالح نعت، وإن واسمها، وجملة لا يضيع أجر المحسنين خبر إن ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ﴾ عطف على لا ينالون، ونفقة مفعول به، أي: ولو تمرة فما فوق ﴿وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا﴾ عطف على ما تقدم ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ﴾ الجملة استئنافية من أعم الأحوال كما تقدم، ونائب الفاعل محذوف؛ لأنه سبق ذكره، أي: عمل صالح ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ اللام للتعليل، ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والهاء مفعول به أول، والله فاعل، وأحسن مفعول به ثان، أو مفعول مطلق بمعنى، أي: يجزيهم أحسن جزاء، وما موصول مضاف لأحسن، وكان واسمها، وجملة يعلمون خبرها.

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ
طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ
يَحۡذَرُونَ ١٢٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ
فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن
يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ
يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ

وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَلُونَكُم﴾ يقربون منكم، وفي المصباح: «الوَلْيُ مثل فلس: القُرب، وفي الفعل لغتان أكثرهما وليه يليه بكسرتين، والثانية من باب: وعد، وهي قليلة الاستعمال، وجلست مما يليه، أي: يقاربه» وكأن الآية جاءت على اللغة الثانية، وأصله يليون بوزن يعدون، فنقلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو.

○ **الإعراب:**

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ الواو عاطفة ليتناسق الكلام، فإنهم لما وبخوا بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ . . .﴾ الخ وأرسل النبي سرية نفروا جميعاً فنزل ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الخ. ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، والمؤمنون اسمها، ولينفروا اللام للجحود، أي: لتأكيد النفي، وينفروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، واللام ومدخولها خبر كان، وكافة حال ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ الفاء الفصيحة، ولولا حرف تحضيض، أي: هلاّ، ونفر فعل ماض، ومن كل فرقة جار ومجرور متعلقان بنفر، ومنهم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لطائفة، وليتفقهوا اللام للتعليل، ويتفقهوا منصوب بأن مضمرة، وفي الدين جار ومجرور متعلقان بيتفقهوا، فالمعنى على الطلب، كأنه قال: لتخرج طائفة وتبقى أخرى ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ولينذروا عطف على ليتفقهوا، والواو فاعل، وقومهم مفعول به، وإذا رجعوا: جملة رجعوا مضاف إليها، وإليهم جار ومجرور متعلقان برجعوا، ولعل واسمها، وجملة يحذرون خبرها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ قاتلوا فعل أمر وفاعل، والذين مفعول به،

وجملة يلونكم صفة، ومن الكفار حال ﴿ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويجدوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والواو فاعل، وفيكم جار ومجرور متعلقان بيجدوا، وغلظة مفعول به، واعلموا عطف على الأمر السابق، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا، وأن واسمها، ومع المتقين ظرف متعلق بمحذوف خبرها ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وما زائدة، وجملة أنزلت مضاف إليها، وسورة نائب فاعل ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ الفاء رابطة، ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وهي اسم موصول، أو نكرة تامة موصوفة بجملة يقول، أي: فريق يقول، ولعلها أولى، وجملة يقول صلة، وأيكم مبتدأ، وجملة زادته خبر، والهاء مفعول به، وهذه فاعل، وإيماناً مفعول به ثان ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الفاء تفريعية، وأما حرف شرط وتفصيل، والذين مبتدأ، وجملة آمنوا صلة، والفاء رابطة، وزادتهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة في محل رفع خبر الذين، وإيماناً مفعول به ثان، أو تمييز ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ وأما عطف على أما الأولى، والذين مبتدأ، وفي قلوبهم خبر مقدم، ومرض مبتدأ مؤخر، والجملة صلة، فزادتهم الفاء رابطة، وجملة زادتهم خبر الذين، ورجساً مفعول به ثان، وإلى رجسهم صفة، أي: مضموماً إلى رجسهم ﴿ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ عطف على زادتهم، والواو للحال، وجملة كافرون من المبتدأ، والخبر حالية ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والواو عاطفة على مقدر، ويرون فعل مضارع وفاعل، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي فعل الرؤية القلبي، وجملة يفتنون خبر إن، وفي كل عام متعلقان بيفتنون، ومرة ظرف متعلق بيفتنون، وأو حرف عطف، ومرتين عطف على مرة ﴿ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وجملة لا يتوبون عطف على يفتنون،

والواو حرف عطف، وهم مبتدأ، وجملة يذكرون خبر.

* الفوائد:

(١) وجوب القتال:

قال المفسرون وعلماء الفقه: يتعين القتال على أحد فريقين: إما من نزل بهم عدو وفيهم قوة عليه، ثم على من قرب منهم حتى يكتفوا، وإذا أوجب الله على هذه الأمة القتال وإزعاج العدو في دياره وإخراجه من أرضه وقراه فوجوبه ـ وقد نزل العدو بدار الإسلام، واحتمل أماكنهم المقدسة، وانتهك حرماتها، وعاث فيها فساداً ـ أجدر.

(٢) مصدر الحركات الثلاث:

الغلظة: أصلها في الأجرام، ثم استعيرت للشدة والصبر والجلادة في القتال، ومن عجيب هذا المصدر أنه قرىء بالحركات الثلاث، فهو الغِلظة بالكسر وهي لغة أسد، والغَلظة بالفتح وهي لغة أهل الحجاز، والغُلظة بالضم وهي لغة تميم، ويقال غلظ يغلظ، من بابي: تعب وظرف، والمصدر غِلظ بكسر الغين، وغلظة وغلظة وغلظة بالحركات الثلاث كما تقدم، وغلاظة بالكسر، خلاف دقّ، أو رقّ، أو لان.

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ
ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم
بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾

☆ اللغة:

﴿عَزِيزٌ﴾: شديد.

(العنت): المشقة واللقاء المكروه.

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ عطف على ما تقدم، وجملة نظر بعضهم جواب إذا لا محل لها، وإلى بعض جار ومجرور متعلقان بنظر، أي: تغامزوا بالعيون من غيظهم ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ الجملة في محل نصب مقول قول محذوف، أي: قائلين، وجملة القول نصب على الحال، ويراكم فعل مضارع ومفعول به، ومن زائدة، وأحد فاعل محلاً ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم، وجملة صرف الله قلوبهم يصح أن تكون إخبارية حالية، ويصح أن تكون إنشائية دعائية، فتكون لا محل لها؛ وبأنهم متعلقان بصرف، والباء للسببية، وأن واسمها، وجملة لا يفقهون خبرها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ اللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وجاءكم رسول فعل ومفعول به وفاعل، ومن أنفسكم صفة، أي: من جنسكم، ومن نسبكم، عربي مثلكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ عزيز صفة ثانية لرسول، وفي النحاة من يمنع تقدم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح، ويمكن أن يجاب بأن «من أنفسكم» جار ومجرور متعلقان بجاءكم، وعليه متعلقان بعزيز، وما مصدرية، أو موصولة، وعلى كلا التقديرين فهي ومدخولها، أي: هي وصلتها فاعل عزيز؛ الذي هو صفة مشبهة، ويجوز أن يكون عزيز خبراً مقدماً، وما عنتم في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لرسول، وحريص صفة ثالثة، أو ثانية، وعليكم جار ومجرور متعلقان بحريص، وبالمؤمنين متعلقان برؤوف، ورؤوف رحيم صفتان رابعة وخامسة، أو ثالثة ورابعة لرسول. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ الفاء عاطفة، وتولوا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وحسبي الله خبر مقدم، ومبتدأ مؤخر، والجملة مقول القول ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقدم إعرابها مستوفى

فجدِّد به عهداً، والجملة حالية ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ عليه جار ومجرور متعلقان بتوكلت، وهو مبتدأ، ورب العرش خبر، والعظيم صفة للعرش.

* * *

سورة يونس

ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ
مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ
الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ
ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ
اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ الر ﴾ تقدم القول فيها مفصلاً فجدد به عهداً.

(الآية): العلامة التي تنبىء عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة.

﴿ الْحَكِيمِ ﴾: ـ ها هنا ـ بمعنى المحكم، فعيل بمعنى مفعل، قال الأعشى:

وغـريبـةٍ تـأتي الملـوكَ حَكِيمَـةٍ قد قلتُها لِيُقالَ: مَن ذَا قالَهَا؟

وقيل: الحكيم بمعنى الحاكم، ودليله قوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ وسيأتي القول في باب: الفوائد عن الحكمة وشيوعها في القرآن.

﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾: القَدَم ـ بفتحتين ـ: الشيء الذي تقدمه أمامك ليكون لك عدة حتى تقدم عليه، وقال أبو عبيدة والكسائي: كل سابق خير أو شر فهو عند العرب قدم، وهو مؤنث، يقال: قدم حسنة، قال حسان بن ثابت:

لَنَا القَدَمُ العُلْيا إليكَ وخَلْفُنا لأوّلنـا في طـاعـةِ اللهِ تَـابِـعُ

وقال ذو الرمة:

لكم قَدَمٌ لا ينكر النَّاس أَنَّها مَعَ الحسبِ العاديِّ طمَّتْ على البحرِ

وسيأتي في باب: البلاغة المزيدُ من بحثها.

(القِسط) العدل، وهي بكسر القاف، ومنه القسط، أي: النصيب، والقَسط بفتح القاف: الجور، وبفتح السين: أعوجاج في الرجلين.

(الحميم): الماء الذي أسخن بالنار أشد إسخان، قال المرقِّش الأصغر:

في كــلِّ يــومٍ لهــا مِقْطَــرةٌ فيهـا كِبـاءٌ مُعَـدٌّ وحَمِيـم

○ الإعـراب:

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ الر تقدم إعرابها في سورة البقرة، فجدِّد به عهداً، وتلك مبتدأ، وآيات الكتاب خبر، والحكيم صفة للكتاب ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري المشوب بالتعجب، وكان فعل ماض ناقص، وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه تقدم على الصفة، وعجباً خبر كان مقدم، وأن أوحينا مصدر في محل رفع اسم كان، وإلى رجل جار ومجرور متعلقان بأوحينا، ومنهم صفة لرجل ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أن مفسرة، وهي الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه، أو مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة أنذر الناس

مقول قول محذوف هو في محل رفع خبر إن على معنى: أن الشأن قولنا أنذر الناس ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ ﴾ وبشر معطوف على أنذر، والذين مفعول به، وجملة آمنوا صلة، وأن حرف مشبه بالفعل، وهي وما في حيزها نصب بنزع الخافض، أي: بأن، ولهم خبرها المقدم، وقدم صدق اسمها المؤخر، وعند ربهم الظرف متعلق بمحذوف صفة لقدم صدق ﴿ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ الجملة مستأنفة، كأنه قيل: ماذا صنعوا بعد التعجب، وقال الكافرون فعل وفاعل، وإن واسمها وخبرها، واللام المزحلقة، ومبين صفة لساحر، والجملة مقول القول ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ إن واسمها وخبرها، والذي صفة لله، وجملة خلق السموات والأرض صلة، وفي ستة أيام متعلقان بخلق ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، واستوى عطف على خلق، وعلى العرش جار ومجرور متعلقان باستوى، وجملة يدبر الأمر خبر ثان لإن، ويجوز أن تكون حالية، ويجوز أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ﴾ ما نافية حجازية، ومن زائدة، وشفيع مجرور لفظاً اسم ما محلاً، وإلا أداة حصر، ومن بعد إذنه متعلقان بمحذوف خبر ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ذلكم مبتدأ، والله بدل، وربكم خبر ذلكم، والفاء الفصيحة، واعبدوه فعل أمر وفاعل ومفعول به، والهمزة للاستفهام الإنكاري، المراد به: الحث على التفكر والتذكر، والفاء عاطفة على محذوف، ولا نافية، وتذكرون فعل مضارع أصله تتذكرون ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًاۖ ﴾ إليه خبر مقدم، ومرجعكم مبتدأ مؤخر، وجميعاً نصب على الحال ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ ﴾ وعد الله منصوب على المصدر؛ لأن قوله إليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع، وحقاً منصوب على المصدرية، والتقدير: حق ذلك حقاً ﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ إن واسمها، وجملة يبدأ خبرها، والخلق مفعول به، ثم يعيده عطف على يبدأ الخلق، والجملة مستأنفة، مسوقة لتعليل وجود الخلق، ومرجعهم إليه ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِۚ ﴾ اللام للتعليل، ويجزي مضارع منصوب بأن مضمرة، والذين مفعول يجزي،

وجملة آمنوا صلة، وعملوا الصالحات عطف على آمنوا، وبالقسط جار ومجرور متعلقان بيجزي، أي: بسبب قسطهم وعدلهم، ويجوز أن يكون حالاً، إما من الفاعل، وإما من المفعول، أي: يجزيهم متلبساً بالقسط، أي: عادلاً، أو متلبسين به ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ والذين مبتدأ، وجملة كفروا صلة، ولهم خبر مقدم، وشراب مبتدأ مؤخر، ومن حميم صفة لشراب، وعذاب عطف على شراب، وجملة لهم شراب خبر الذين، وأليم صفة لعذاب، وبما الباء حرف جر سببية، وما مصدرية، وكانوا كان واسمها، وجملة يكفرون خبرها، أي: بسبب كفرهم، والجار والمجرور صفة ثانية لعذاب، ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، أي: ذلك بسبب كفرهم.

□ البلاغـة:

(١) المجاز المرسل في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ فقد أطلق لفظ القدم على السعي والسبق؛ لأنهما لا يحصلان إلا بالقدم، فسمَّى المسبب باسم السبب، كما سمّيت النعمة يداً؛ لأنها تعطى باليد، فالعلاقة هنا السببية، وقد تقدم بحثه، ونزيد هنا أن المجاز لا يكون مطرداً، فلا يصح أن يقال قدم سوء، وهذه خاصة عجيبة من خصائص المجاز، يكاد الحكم فيها مرده إلى الذوق.

(٢) المناسبة اللفظية بين حميم وأليم والمناسبة ضربان: مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ، وقد مرَّ ذكر المناسبة المعنوية في الأنعام، أما هنا فالمناسبة لفظية، وهي عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة، فهو تام وناقص، وقد وقعت الناقصة في الكلام الفصيح أكثر؛ لأنّ التقفية غير لازمة فيها.

* الفوائـد:

(١) الحكمة في القرآن:

شاعت لفظة الحكمة في القرآن ووصف القرآن بالحكيم، وقد مرَّ معنا الكثير من ذلك، وسيمرّ أكثر منه، وسنجد لفظ الكتاب مقترناً بلفظ الحكمة معطوفة عليه. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ويرى الأستاذ مصطفى عبد الرازق في أبحاثه عن الفلسفة الإسلامية: «إن من الممكن أن تكون كلمة «حكمة» في اللغة العربية مرادفة لكلمة «فلسفة» اليونانية، وتتبّع هذه الكلمة يهدينا إلى أصل التفكير الممتاز عند العرب، وقد وجدت الكلمة في الجاهلية، والشواهد عليها كثيرة جداً، ومعنى الحكمة في القرآن، في أكثر الأحيان، سنة النبي، ولا خلاف في تقرير هذا المعنى، وقال اللغويون: الحكمة والحكم من مادة واحدة، ويرى بعض المستشرقين أن الكلمة عبرية، ومعناها في هذا اللسان: القضاء، أي: الحكم أيضاً، والحكمة في معناها العام تدل على السَّداد وإتقان الرأي والفعل، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وهذا القول من الوجاهة إلى حد كبير وقد سبق الإمام الشافعي إلى تقرير شيء من ذلك، فقال: «إن المقصود بالحكمة سنة النبي ﷺ».

(٢) إضافة الموصوف إلى الصفة، وبالعكس: الأصل أن لا يضاف موصوف إلى صفته كرجل فاضل، ولا تضاف صفة لموصوفها كفاضل رجل، وما ورد من ذلك يؤول، كقوله تعالى: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ ومسجد الجامع، وصلاة الأولى، وحب الحصيد، وحبة الحمقاء، وتأويله أن يقدر موصوف أضيف إليه المضاف المذكور، والتقدير في هذه الأمثلة: قدم سعي صدق، ومسجد المكان الجامع، وصلاة الساعة الأولى، وحبة البقلة الحمقاء، وإنما وصفوها بالحمق؛ لأنها تنبت في مجاري السيول، فيمر السيل بها فيقطعها فتطؤها الأقدام، ومن أمثلة إضافة الصفة إلى موصوفها قولهم: جَرْد قَطِيفة، بفتح الجيم وسكون الراء، وفتح القاف وكسر الطاء، وسَحْق عِمامة بفتح السين وسكون الحاء وكسر العين، وتأويله أن يقدر موصوف أيضاً، ويقدر إضافة الصفة إلى جنسها، ويجر جنسها بمن، لأن الإضافة بمعنى من أي شيء

جرد من نفس القطيفة، وشيء سحق من جنس العمامة فشيء موصوف وجرداً، وسحق صفته، والصفة فيهما مضافة إلى جنسها معنى.

(٣) ابن هشام وتعليق «للناس»: وأجاز ابن هشام أن يتعلق قوله «للناس» بكان في بحثه المتعلق بالتعليق بالفعل الناقص، قال:

«هل يتعلقان بالفعل الناقص؟ من زعم أنه لا يدل على الحدث منع من ذلك، وهم: المبرد، فالفارسي، فابن جني، فالجرجاني، فابن برهان، ثم الشلوبين، والصحيح أنها كلها دالة عليه إلا ليس» أي: فـ «كان» تدل على حدث، وهو كون مطلق والمقيد له خبرها، فمعنى كان زيد: حصل زيد، وقولك قائماً أفاد أن المراد حصول قيام زيد، وتدل أيضاً على زمن خاص، وهو الزمن الماضي، وأما خبرها، وهو قائم، فيدل على زمن مطلق فيقيد، ويعين بالزمن في كان، أو يكون فتحصل أن «كان» تدل على حدث مطلق يقيد بالخبر، والخبر يدل على زمن مطلق يقيد بالزمن المستفاد من كان، فتعاوضا، وأما بقية الأفعال كـ «صار» الدالة على الانتقال، و«أصبح» الدالة على الدخول في الصباح... الخ، فدلالتها على حدث لا يدل عليه الخبر في غاية الظهور، وقد استدل على بطلان القول بأنها لا تدل على الحدث بأمور منها: أن الأصل في الفعل الدلالة على الحدث والزمان؛ إذ الدال على الحدث وحده مصدر، وعلى الزمان وحده اسم زمان، ولا يخرج الفعل عن أصله إلا بدليل، ومنها: أن الأفعال المتساوية في الزمان إنما تمتاز بالأحداث، فإذا زال مابه الافتراق، وبقيَ ما به التساوي فلا فرق بين كان زيد غنياً، وصار زيد غنياً، والفرق حاصل فبطل ما يوجب خلافه، ومنها: أنه لو كان معناها الزمن لجاز أن ينعقد جملة تامة من بعضها، ومن اسم معنى كما ينعقد منه، ومن اسم زمان.

ثم قال ابن هشام:

«واستدل لمثبتي ذلك التعلق بقوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ ﴾ فإن اللام لا تتعلق بعجباً لأنه مصدر مؤخر، ولا بأوحينا لفساد المعنى، ولأنه

صلة لأن، ويجوز أيضاً أن تكون متعلقة بمحذوف هو حال من عجباً، على حد قوله:

لميَّـة مُـوحشـاً طَلَـلُ يلـوحُ كـأنَّـه خَلَـلُ

وعبارة ابن يعيش: «فقوله للناس متعلق بكان، وذلك أنه لا يخلو إما أن يكون متعلقاً بعجباً، أو بأوحينا، أو بكان، فلا يجوز أن يتعلق بعجباً نفسها؛ لأنه مصدر ومعموله من صلته، فلا يتقدم عليه، ولا يكون صفة لعجباً على أنه يتعلق بمحذوف لتقدمه عليه، والصفة لا تتقدم على الموصوف، ولا يجوز أن يتعلق بأوحينا؛ لأنه في صلته، ولا يجوز تقديمه عليه، وإذا بطل تعلقه بما ذكرنا تعين أن يكون متعلقاً بكان نفسها تعلق الظرف بالفعل».

ولا أدري كيف منع ابن يعيش تقديم الصفة على الموصوف، وقد أجمع النحاة على أنها إذا تقدمت عليه أعربت حالاً، وأنشدوا البيت الآنف الذكر.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

(الضياء): يجوز أن يكون جمع ضوء كسوط وسياط، وحوض وحياض، ويجوز أن يكون مصدر ضاء يضوء ضياء وضوءاً، مثل عاذ يعوذ عياذاً وعوذاً، وعلى أي الوجهين، فالمضاف محذوف، وتقديره: جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور، ويكون جعل الضياء، والنور لكثرة ذلك فيهما، وقد تقدم في سورة البقرة الفرق الدقيق بين الضوء والنور فارجع إليه.

○ الإعراب:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ هو مبتدأ، والذي خبره، وجملة جعل صلة، وإن كان الجعل بمعنى التصيير كانت الشمس مفعولاً أولاً، وضياء مفعولاً ثانياً، وإن كان الجعل بمعنى الخلق كانت الشمس مفعولاً به، وضياء حال، والقمر نوراً عطف عليهما ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ وقدره فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ومنازل، أي: في منازل فهو منصوب على الظرفية، ويجوز أن يكون التقدير ذا منازل، وقدّر على هذا متعدية إلى مفعولين؛ لأن معناه جعل، وصيرّ فيكون مفعولاً ثانياً، ويجوز أن يكون قدّر متعدياً إلى واحد بمعنى خلق، وهو الهاء، ومنازل حال، أي: متنقلاً، وارتأى أبو البقاء وجهاً طريفاً لا يخلو من وجاهة، وهو أن يكون الضمير منصوباً بنزع الخافض، فحذف حرف الجر، أي: قدر له منازل، ومنازل مفعول به، واللام للتعليل، وتعلموا منصوب بأن مضمرة، وعدد مفعول به، والسنين مضاف إليه، والحساب معطوف على عدد، سئل أبو عمرو عن الحساب أننصبه أم نجره؟ فقال: ومن يدري عدد الحساب، ومعنى جوابه: أنه سئل هل نعطفه على عدد فننصبه أم على السنين فنجره؟ فكأنه قال: لا يمكن جره إذ يقتضي ذلك أن يعلم عدد الحساب، ولا يقدر أحد أن يعلم عدده ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ما نافية، وخلق الله ذلك فعل وفاعل ومفعول به، وإلا أداة حصر، وبالحق حال، فالاستثناء المفرغ من أعم الأحوال، أي: ما خلق ذلك إلا متلبساً بالحق والحكمة البالغة، ولم يخلقه عبثاً، وجملة يفصل الآيات حال أيضاً، والآيات مفعول به، ولقوم متعلقان بيفصل، وجملة يعلمون صفة لقوم ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ الجملة مستأنفة لتعليل تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما بالزيادة والنقصان، وإن حرف مشبه بالفعل، وفي اختلاف خبر مقدم لإن، وما اسم موصول معطوف على اختلاف، ويجوز أن تكون مصدرية، والمصدر معطوفاً على اختلاف، وفي

السموات والأرض جار ومجرور متعلقان بخلق، ولآيات اللام المزحلقة، وآيات اسم إن المؤخر، ولقوم متعلقان بصفة لآيات، وجملة يتقون صفة لقوم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

(الرجاء): له معنيان صالحان في هذه الآية، فالأول: الخوف، ومنه قول الشاعر:

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لم يَرْجُ لَسْعَهَا		وخَالَفَها في بَيْتِ نُوبٍ عَواسِلِ

والثاني: الطمع، ومنه قول الشاعر:

أترجُو بنو مروانَ سمعي وطاعتي		وقومي تميم والفَلاةُ ورائيا

فالمعنى على الأول: لا يخافون عقاباً، وعلى الثاني: لا يطمعون في ثواب. وقيل: المراد بالرجاء هنا التوقع، فيدخل تحته الخوف والطمع.

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ إن واسمها، وجملة لا يرجون صلة، ولقاءنا مفعول به ﴿ وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا ﴾ عطف على لا يرجون لقاءنا، فهو داخل في حكم الصلة، ويحتمل أن تكون الواو للحال، وقد مقدرة، وكذلك يقال في واطمأنوا بها ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴾ والذين عطف على الذين المتقدمة، فيكون قسماً مبايناً للذين لا يرجون، وقد

أخبر عن الصنفين فيما يأتي، وهم مبتدأ، وعن آياتنا جار ومجرور متعلقان بغافلون، وغافلون خبر هم، والجملة صلة الموصول ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أولئك مبتدأ، ومأواهم مبتدأ ثان، والنار خبر الثاني، والثاني وخبره خبر أولئك، وأولئك وخبره خبر إن، وبما كانوا يكسبون تقدم في إعراب بما كانوا يكفرون. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ إن واسمها، وجملة آمنوا صلة، وعملوا عطف على آمنوا، والصالحات مفعول، وجملة يهديهم ربهم خبر إن ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ الجملة خبر ثان لإن، أو حال من مفعول يهديهم، أو مستأنفة، وفي جنات النعيم خبر ثالث، أو حال ثانية، أو متعلقان بتجري ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ دعواهم مبتدأ، وفيها جار ومجرور متعلقان بدعواهم، أو بمحذوف حال، وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف، والجملة المؤلفة منه خبر دعواهم، والمعنى: أن دعاءهم هو هذا اللفظ فالخبر هو نفس المبتدأ، واللهم منادى مفرد علم، والميم المشددة عوض عن حرف النداء، وتحيتهم مبتدأ، وفيها متعلقان بتحيتهم، أو بمحذوف حال، وسلام خبر تحيتهم، والمصدر يعني التحية مضاف لمفعوله، والفاعل مستتر، أي: تحية الله لهم، أو تحية الملائكة إياهم، أو مضاف لفاعله، أي: ويحيي بعضهم بعضاً ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواو عاطفة، وآخر مبتدأ، ودعواهم مضاف إليه، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والحمد مبتدأ، ولله خبر، ورب العالمين صفة، أو بدل من الله وجملة الحمد لله خبر إن.

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن

لَمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتصوير حالة الناس، وتجسيد ما انطوى عليه كيانهم من مطاوعة لنوازع النفس التي تغضب وتتبرم بسواها، فتبدر منها في حالات الأزمات النفسية أدعية يتمنون فيها الموت لأولادهم وذويهم، ولكن الله يتجاوز عن الاستجابة؛ لأنه لو استجاب لكل ما يصدر عنهم لفرغ من هلاكهم، ولو حرف شرط للامتناع، ويعجل فعل مضارع، والله فاعل، وللناس جار ومجرور متعلقان بيعجل، والشر مفعول به، واستعجالهم مفعول مطلق، وبالخير متعلقان بالمصدر الذي هو استعجالهم، واللام واقعة في جواب لو، وقضي فعل ماض بالبناء للمجهول، وإليهم متعلقان بقضي، وأجلهم نائب فاعل، والمعنى لفرغ من أجلهم ومدتهم المضروبة، وسيرد في باب: البلاغة المزيد من النكت الرائعة في هذا التعبير الرشيق، وهذا هو المشهور في الإعراب، على أن سيبويه أعرب استعجالهم حالاً، وأن التقدير عنده استعجالاً مثل استعجالهم، ثم حذف الموصوف، وهو استعجال، وأقيمت صفته مقامه، وهي مثل فبقي، ولو يعجل مثل استعجالهم، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فأعرب حالاً من ذلك المصدر المقدر، والأول أسهل كما سيأتي، ويجوز أيضاً أن يعرب منصوباً بنزع الخافض على إسقاط كاف التشبيه، والتقدير، كاستعجالهم ﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الفاء عاطفة، ونذر عطف على مفهوم النفي؛ لأن لو يعجل متضمن معنى النفي للتعجيل، كأنه قيل: ولا نعجل لهم الشر، ولا نقضي إليهم أجلهم فنذر، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والذين مفعول به وجملة لا يرجون لقاءنا صلة، وفي طغيانهم جار ومجرور متعلقان بيعمهون، وجملة يعمهون حال، أي: مترددين في عماهم، متخبطين في دجنات آثامهم ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ

ٱلضُّرُّ﴾ الواو للاستئناف، والجملة استئنافية، مسوقة لتقرير ضعف الإنسان ونهاية عجزه، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة مس مضاف إليها، والإنسان مفعول به، والضر فاعل ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ جملة دعانا لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، ولجنبه في محل نصب حال من فاعل دعانا بدليل ما عطف عليه من الحالين الآتيين، أو حرف عطف، وقاعداً معطوف على محل لجنبه، وكذلك أو قائماً، ومعنى هذه الأحوال: أن المضرور لا يزال لاهجاً بالدعاء لا يفتر عنها في مطلق الأحوال كلها، سواء أكان منبطحاً عاجزاً عن النهوض، أو كان قاعداً متخاذلاً لا يقدر على القيام، أو كان قائماً لا يطيق المشي ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وكشفنا فعل وفاعل، وعنه متعلقان بكشفنا، وجملة مر لا محل لها؛ لأنها جواب لما، وكأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لم يدعنا خبرها، وإلى ضر جار ومجرور متعلقان بيدعنا، وجملة مسه صفة لضر ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ كذلك مفعول مطلق، أي: مثل ذلك التزيين، وزين بالبناء للمجهول، وللمسرفين جار ومجرور متعلقان بزين، وما موصول نائب فاعل، وجملة كانوا صلة، والواو اسم كان، وجملة يعملون خبر كان.

□ البلاغة:

(١) التنكيت في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ فقد كان سياق الكلام يقضي أن يأتي بالمصدر المناسب لفعله، وهو: التعجيل، ولكنه عدل إلى الاستعجال، وهو مصدر لاستعجل؛ لنكتة تدق على الأفهام، وتكاد تذهل عنها الخواطر، إذ لا يكاد وضع المصدر مؤكداً ومقارناً لغير فعله في الكتاب العزيز يخلو من نكتة، وقصارى ما يقوله النحاة في ذلك: أنه أجرى المصدر على الفعل مقدراً عدم الزيادة، وإذا تسوَّر القارىء الفطن بفكر مراقي البيان، علم أن وراء الجنوح إلى هذا المصدر بدلاً عن المصدر الملائم للفعل سراً، إذ وضع الاستعجال

موضع التعجيل إيذاناً وإشعاراً بسرعة إجابته لهم، وإسعافه بطلبتهم، حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم، ومثل ذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ في التنبيه على حتمية نفوذ القدرة في المقدور، وسرعة إمضاء الحكم، وسيأتي في حينه.

(٢) التقسيم، أو صحة الأقسام، وهو: عبارة عن استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئاً، وقوله: ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ استوفى جميع الهيئات التي يكون عليها الإنسان، وقد تردد التقسيم في آل عمران، فارجع إليه.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلۡقُرُونَ﴾: جمع قَرن ـ بفتح القاف ـ وهو: أهل كل عصر، سمّوا بذلك لمقارنة بعضهم لبعض. ومنه قرن الكبش لمقارنته آخر بإزائه. والقِرن ـ بكسر القاف ـ هو: المقام لقرينه في الشدة ويؤخذ من المعاجم أيضاً أن القَرن ـ بفتح القاف ـ هو مئة سنة، وأمة بعد أمة، والوقت المطلق من الزمان،

والقرون الخالية الأمة المتقدمة على التي بعدها.

﴿خَلَٰٓئِفَ﴾: جمع خليفة، وهو: من يخلف غيره، ويقوم مقامه، والإمام الذي ليس فوقه إمام، وهو مذكر، فيقال: هذا خليفة آخر، وربما أنث مراعاة للفظ، فيقال: خليفة أخرى، ويجمع على خلفاء وخلائف، والعدد مع الجمع الأول مذكر، فيقال: ثلاثة خلفاء، ومع الثاني يجوز أن يكون مذكراً ومؤنثاً، فيقال: ثلاثة وثلاث خلائف.

(القرآن): هناك خمسة أقوال في لفظ القرآن، نلخصها بما يلي:

(١) ما ذهب إليه الشافعي من أنه ليس مهموزاً ولا مشتقاً، بل وضع علماً على الكلام المنزل.

(٢) ما نقل عن الأشعري وغيره من أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء: إذا ضممته إليه، ثم جعل علماً على اللفظ المنزل، وسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض.

(٣) ذهب الفراء إلى أنه مشتق من القرائن؛ لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً، وجعل علماً على اللفظ المنزل لذلك، وهو على هذين غير مهموز أيضاً، كالذي قبلهما، ونونه أصلية.

(٤) قال الزجاج: هو وصف على وزن فعلان، وهو مهموز، مشتق من القرء، بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض: إذا جمعته، وسمي الكلام المنزل على النبي المرسل به قرآناً؛ لأنه جمع السور، أو جمع ثمرات الكتب السابقة.

(٥) ما ذهب إليه اللحياني وجماعة من أنه مصدر مهموز، بوزن الغفران، سمي به المقروء من تسمية المفعول بالمصدر.

وينقل السيوطي في «الإتقان» عن الجاحظ: أن الله سمى كتابه اسماً مخالفاً لما سمى العرب كلامهم، سمّى جملته قرآناً، كما سمى العرب جملة كلامهم

ديواناً، وسمى بعضه سورة كقصيدة، وسمى بعض السورة آية كالبيت، وسمى آخر السورة الفاصلة كالقافية.

أما «دائرة المعارف الإسلامية» فتبدأ بحثها في مادة قرآن بذكر اختلاف المسلمين في نطق واشتقاق ومعنى كلمة قرآن، فبعضهم يقول القران بغير همز، ويذهب إلى أنها كلمة وضعت، كما وضعت كلمة توراة وإنجيل، وهو كما ترى قول الشافعي، ثم تمضي الدائرة في ذكر بقية الأقوال الخمسة الآنفة الذكر، وتضيف إليها قولاً سادساً، وهو: ما ذهب إليه شفالي، وولهاوزن، من أن الكلمة عبرية أو سريانية، ومعناها: ما يقرأ، وتجنح «دائرة المعارف» مع هذين العالمين، إلى رأيهما الذي يقول بأن قرأ بمعنى تلا ليست كلمة عربية النسب، ولكنها دخيلة على اللغة.

هذا؛ وسيرد المزيد من هذا البحث الطريف في مواقع أخرى، يتبين فيها أرجح الأقوال.

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وأهلكنا القرون فعل وفاعل ومفعول، ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بأهلكنا، ولا يجوز أن يكون حالاً من القرون؛ لأنه ظرف زمان، فلا يقع حالاً عن الجثة، كما لا يقع خبراً لها، وقد تقدم بحثه ﴿ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ لما حينية، متعلّقة بأهلكنا، أو رابطة، وظلموا فعل وفاعل، وجاءتهم: الواو واو الحال بإضمار قد، وقد تقدم بحث واو الحال، وقيل: الواو للعطف على ظلموا، ولعل الأول أولى، وجاءتهم رسلهم فعل ومفعول به وفاعل، وبالبينات متعلق بجاءتهم ﴿ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ عطف على ظلموا، واللام في ليؤمنوا للجحود، ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة، وهي مع مدخولها خبر كانوا، وكذلك في محل نصب صفة لمصدر محذوف، ونجزي القوم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والمجرمين صفة للقوم ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ

﴿بَعۡدِهِمۡ﴾ ثم حرف عطف، وجعلناكم عطف على أهلكنا، وخلائف مفعول به ثان، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لخلائف، ومن بعدهم متعلقان بجعلناكم ﴿لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ اللام للتعليل، وننظر منصوب بأن مضمرة بعدها، وكيف اسم استفهام في محل نصب مفعول به لتعملون، أي: لننظر أي عمل تعملونه، لا لننظر؛ لأن لها الصدارة فلا يعمل فيها ما قبلها، ولا يبعد أن تكون في محل نصب على الحال، أي: على أي حالة تعملون الأعمال اللائقة بالاستخلاف. ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة تتلى مضاف إليها، وتتلى فعل مضارع بالبناء للمجهول، وعليهم متعلقان بتتلى، وآياتنا نائب فاعل، وبينات حال.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، والذين فاعل، وجملة لا يرجون صلة، ولقاءنا مفعول يرجون، وجملة ائت مقول القول، وبقرآن متعلقان بائت، وغير صفة لقرآن، وهذا مضاف لغير، وأو حرف عطف، وبدله عطف على ائت. ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾ ما نافية، ويكون فعل مضارع ناقص ولي خبرها المقدم، وأن وما في حيزها اسمها المؤخر، ويجوز أن تكون تامة، والمصدر فاعل، من تلقاء نفسي متعلقان بأبدله، ونفسي مضافة لتلقاء، وقد تقدم القول في التلقاء ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾ إن نافية، وأتبع فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، وإلا أداة حصر، وما مفعول به، وجملة يوحى إلي صلة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ إن واسمها، وجملة أخاف خبرها، وإن شرطية، وعصيت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعل، وربي مفعول به، وعذاب مفعول به لأخاف، ويوم مضاف إليه، وعظيم صفة ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ لو شرطية، وشاء الله فعل وفاعل، وجملة ما تلوته عليكم جواب لو، وعليكم جار ومجرور متعلقان بتلوته، ولا الواو عاطفة، ولا نافية، وأدراكم

فعل ماض، وفاعله مستتر، والكاف مفعول به، وبه متعلقان بأدراكم ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الفاء تعليلية، وقد حرف تحقيق، ولبثت فعل وفاعل، وفيكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وعمراً ظرف زمان متعلق بلبثت، ومن قبله متعلقان بلبثت، أفلا: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على مقدر، ولا نافية، وتعقلون معطوف على المقدر ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ الفاء عاطفة، ومن اسم استفهام للنفي مبتدأ، وأظلم خبره، وممن متعلقان بأظلم، وجملة افترى صلة الموصول، وعلى الله متعلقان بافترى، وكذباً مفعول به، وأو حرف عطف، وكذب عطف على افترى، وبآياته متعلقان بكذب، والمعنى: لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب، وزيادة كذباً مع أن الافتراء لا يكون إلا كذباً؛ لبيان أن هذا مع كونه افتراء على الله هو كذب في نفسه، فربما يكون الافتراء كذباً في الإسناد فقط، كما إذا أسند ذنب زيد إلى عمرو. ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ الجملة تعليل؛ لكونه لا أظلم ممن افترى على الله كذباً، أو كذب بآياته، وإن واسمها، وجملة لا يفلح خبرها، والمجرمون فاعل.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ
هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي
ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً
فَٱخْتَلَفُواْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ
فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة لحكاية جناية أخرى من جناياتهم، ويعبدون فعل مضارع

مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، ومن دون الله متعلقان بمحذوف حال من فاعل يعبدون، أي: متجاوزين الله، لا بمعنى ترك الله بالكلية، بل بمعنى عدم الاكتفاء بها، وضم عبادة الأوثان إليها للشفاعة والتقرب، وما موصول مفعول به، وهي راجعة إلى الأصنام، ولكنه راعى لفظها فأفرد في قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ وراعى معناها في قوله ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾ فجمع، وجملة لا يضرهم صلة الموصول، ولا ينفعهم عطف، وقيل ما موصوفة ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ الواو عاطفة، ويقولون معطوف على يعبدون، وهؤلاء مبتدأ، وشفعاؤنا خبر، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ قل فعل أمر، وجملة أتنبئون مقول القول، والمقصود بالأمر: التبكيت، والهمزة للاستفهام الإنكاري كأنه يؤنبهم، وينكر عليهم أن يخبره بما لا يعلم لها وجوداً في السموات والأرض، وهو الشفيع، ولو أنه كان ثمة شفيع لعلمه، وربما الباء حرف جر، وما موصولة، أو نكرة موصوفة، وعلى كلا التقديرين العائد محذوف، أي: يعلمه، والجار والمجرور متعلقان بتنبئون، وفي السموات حال من العائد المحذوف في يعلم، وجملة «لا يعلم» صلة ما ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سبحانه تقدم أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، وتعالى فعل ماض، وعما يشركون متعلقان بتعالى، وما موصولة، أو مصدرية ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان أن الفطرة والتشريع تتطلب وحدة البشر، ولكنهم نزوعاً منهم إلى أهواء النفس ومتطلباتها اختلفوا وقد أفاض المفسرون في كيفية ذلك والرجوع إليه في المطولات. وما نافية، وكان الناس كان واسمها، وإلا أداة حصر، وأمة خبر كان، وواحدة صفة، فاختلفوا عطف على المعنى، أي: كان الناس جميعاً على الحق فاختلفوا ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ الواو عاطفة، ولولا حرف امتناع لوجود، وكلمة مبتدأ محذوف الخبر، وجملة سبقت صفة لكلمة، ومن ربك متعلقان بسبقت، ولقضي اللام جواب لولا، وجملة قضي لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ونائب

الفاعل مستتر تقديره الأمر، وبينهم متعلقان بقضي، أي: لفصل بينهم، ولميز المحق من المبطل، ولكن كلمته سبقت بالتأخير لتكون هذه الدار دار تكليف، وتلك دار ثواب أو عقاب، وفيما متعلقان بقضي أيضاً، وفيه متعلقان بيختلفون، وجملة يختلفون صلة الموصول ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الواو عاطفة، ويقولون فعل مضارع وفاعل، ولولا حرف تحضيض، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وعليه متعلقان بأنزل، وآية نائب فاعل، ومن ربه صفة لآية، وأتى بالمضارع لاستحضار صورة ما قالوه ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ الفاء واقعة في جواب لولا، وإنما كافة ومكفوفة، والغيب مبتدأ، ولله خبر، فانتظروا: الفاء الفصيحة، وانتظروا فعل أمر وفاعل، وإني: إن واسمها، ومن المنتظرين خبرها، ومعكم ظرف متعلق بالمنتظرين.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلْفُلْكِ﴾: السفن، وسميت فلكاً لدورانها في الماء، وأصله الدور، ومنه فلكة المغزل، وتفلّك ثدي الجارية: إذا استدار، والفلك يكون جمعاً وواحداً، وهو هنا جمع.

﴿ رِيحٌ ﴾: في المصباح: الريح: الهواء المسخر بين السماء والأرض، وأصلها الواو، لكن قلبت لانكسار ما قبلها، والجمع أرواح ورياح، وبعضهم يقول أرياح بالياء على لفظ الواحد، وغلَّطه أبو حاتم. والريح مؤنثة على الأكثر، فيقال: هي الريح، وقد تذكر على معنى الهواء، فيقال: هو الريح، نقله أبو زيد. وقال ابنُ الأنباري: الريح مؤنثة لا علامة فيها وكذلك سائر أسمائها، إلا الإعصار فهو مذكر، وراح اليوم يروح روحاً من باب: قال، وفي لغة من باب: خاف، إذا اشتدت ريحه، فهو رائح.

﴿ عَاصِفٌ ﴾: عصفت الريح، فهي عاصف وعاصفة، قال:

حتى إذا عصفتْ ريحٌ مزعزعة فيها قطارٌ ورعدٌ صوتُه زجل

ويقال: أعصفت الريح، فهي معصفة ومعصف، والجمع معاصف ومعاصيف.

○ الإعراب:

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه، وجملة أذقنا في محل جر بالإضافة إليها، وجوابها في إذا الثانية الفجائية، وإنما جعلت جواباً لكونها بمعنى المفاجأة، كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكروه منهم، وسارعوا إليه، وقد يقدم القول في إذا الفجائية، وهل هي حرف أم ظرف زمان، أم ظرف مكان، ورحمة مفعول به ثان، ومن بعد صفة لرحمة، وضراء مضافة لـ: رحمة وجملة مستهم صفة لضراء، وإذا الفجائية، ولهم خبر مقدم، ومكر مبتدأ مؤخر، وفي آياتنا صفة لمكر ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ الله مبتدأ، وأسرع خبر، ومكراً تمييز ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ إن واسمها، وجملة يكتبون خبرها، وما موصول مفعول به، وجملة تمكرون صلة، والجملة تعليلية لسرعة مكره تعالى وتعجيله العقوبة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان جريمة أخرى من

جرائمهم، قائمة على اختلاف ما يعتريهم من تقلب بالنسبة لما يصيبهم من سراء وضراء، وهو مبتدأ، والذي خبره، وجملة يسيركم صلة، والكاف مفعول به، وفي البر والبحر جار ومجرور متعلقان بيسيركم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ حتى حرف غاية وجر، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة كنتم مضافة إليها، والتاء اسم كان، وفي الفلك خبرها، وجرين عطف على كنتم على طريق الالتفات، كما سيأتي في باب: البلاغة، والنون للنسوة فاعل جرين، وبهم جار ومجرور متعلقان بجرين، وبريح طيبة حال، أي: مسوقين، وطيبة صفة، وفرحوا بها عطف على وجرين، ويجوز أن تكون جملة حالية من الضمير بهم، وقد مضمرة ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ جملة جاءتها لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، وريح فاعل جاءتها، وعاصف صفة، وجاءهم الموج عطف على جاءتها، ومن كل مكان متعلقان بجاءهم، أو بمحذوف حال من الموج، أي: منحدراً ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ عطف على جاءهم، وإن وما في حيزها سدت مسد مفعولي ظنوا، وجملة أحيط بهم خبر أنهم، ويلاحظ القارىء أنه جعل الشرط أموراً ثلاثة، وهي الكون في الفلك، والجري بهم بريح طيبة، والفرح بها، وجعل الجواب أموراً ثلاثة أيضاً، وهي: مجيء الريح العاصف، ومجيء الموج، وظنهم الإحاطة بهم. ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ جملة دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال، لما بينهما من الملابسة والتلازم، ذلك لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك، فهو ملتبس به، أو استئنافية مبنية على سؤال يخطر للذهن، وهو: فماذا صنعوا؟ فقيل: دعوا الله، ودعوا الله فعل وفاعل ومفعول ومخلصين حال وله جار ومجرور متعلقان بمخلصين، والدين مفعول به ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وأنجيتنا فعل وفاعل ومفعول به، وهي فعل الشرط، ومن هذه متعلقان بأنجيتنا، والإشارة للأهوال، وما وقعوا فيه من مشارفة الهلاك في البحر، ولنكونن جوابه وجواب الشرط محذوف لتقدم القسم، والقسم وجوابه في محل نصب بقول مقدر، وذلك القول المقدر في محل نصب حال،

والتقدير: دعوا الله قائلين لئن أنجيتنا من هذه الأهوال لنكونن من الشاكرين ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وأنجاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وإذا فجائية، وهم مبتدأ، وجملة يبغون خبرهم، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيبغون، وبغير الحق حال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وبغيكم مبتدأ، وعلى أنفسكم خبر ﴿ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قرأ حفص وابن إسحاق والمفضل بنصب متاع على المفعولية المطلقة بفعل محذوف، أي: تتمتعون متاع الحياة الدنيا، أو على أنه مفعول به لفعل محذوف، أي: تبتغون متاع الحياة الدنيا، وقرأ الباقون بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو متاع الحياة الدنيا، وقيل غير ذلك، والأرجح ما ذكرناه ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وإلينا خبر مقدم، ومرجعكم مبتدأ مؤخر، فننبئكم: الفاء عاطفة وننبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، وبما كنتم تعملون متعلقان بننبئكم، وجملة كنتم صلة ما، وجملة تعملون خبر كنتم.

□ البلاغة:

في هذه الآيات ضروب متعددة من البلاغة، تقدم ذكر بعضها، واحتاج بعضها الآخر إلى مزيد من البسط، ومن أهم فنونها:

(١) الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ثم العودة إلى الغيبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ إلى آخر الآية، وقد تقدم القول في الالتفات، ونوضحه هنا فنقول: لما كان قوله هو الذي يسيركم خطاباً ينطوي على الامتنان، وإظهار نعمة المخاطبين، ولما كان المسيرون في البر والبحر مؤمنين وكفاراً، والخطاب شامل لهم جميعاً حسن خطابهم بذلك؛ ليستديم الصالح الشكر، ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة، فيتهيأ قلبه لتذكر وشكر مُسديها، ولما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم إذا نجوا بغوا في الأرض عدل عن خطابهم بذلك إلى الغيبة؛ لئلا يخاطب المؤمنين بما لا يليق صدوره منهم،

وهو البغي بغير الحق، هذا من جهة، ومن جهة ثانية ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم، ويستدعي منهم الإنكار عليهم، والتقبيح لما اقترفوه، ففي الالتفات فائدتان، وهما: المبالغة، والمقت والتبعيد، قال الرازي: «الانتقال من مقام الخطاب إلى مقام الغيبة في هذا المقام دليل المقت والتبعيد، كما أن عكس ذلك في قوله: إياك نعبد، دليل الرضا والتقريب».

(٢) المجاز المرسل: في قوله: ﴿بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ لأن البغي لا يقع على الأنفس، وإنما هو الوبال، ولما كان البغي هو سببه، ذكره على طريق المجاز المرسل والعلاقة السببية.

(٣) المشاكلة: أفرد لفظ الريح للمشاكلة لوجهين؛ لأنه في مقابلة قوله سبحانه: جاءتهم ريح عاصف، ولأن الرحمة تقتضي هنا وحدة الريح، فإن السفينة إنما تسير بريح واحدة، ولو اختلفت عليها الرياح هلكت، ولذا أكد بوصف الطيبة.

وفي تسمية عقوبة الله سبحانه مكراً فن المشاكلة، وقد تقدم بحثها.

(٤) الإشارة: وفي قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾ فن الإشارة؛ لأن أفعل التفضيل دلَّ على أن مكرهم كان سريعاً، ولكن مكر الله أسرع منه، وإذا الفجائية يستفاد منها السرعة، والمعنى أنهم فاجؤوا المكر، أي: أوقعوه على جهة الفجاءة والسرعة.

* الفوائد:

في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ . . .﴾ فائدة منقطعة النظير، ترتبت عليها أحكام فقهية، نشير إليها، وهي ما ذكره الزمخشري في «كشافه» قال: «فإن قلت: كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر، والتسيير في البحر إنما هو بعد الكون في الفلك؟ قلت: لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير، ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها، كأنه قيل: يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة،

وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف، وتراكم الأمواج، وظن الهلاك والدعاء بالإنجاء» إلى آخر هذا الفصل. وقد سبق مثل هذه الآية، وفاتنا أن نشير إلى هذا السر في حينه، وهي قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ فقد استدل الزمخشري بها لأبي حنيفة في أن الصغير يبتلى قبل البلوغ بأن يسلم إليه قدر من المال يمتحن فيه، خلافاً لمالك فإنه لا يرى الابتلاء قبل البلوغ، أما الشافعي فله قولان: أحدهما يوافق أبا حنيفة، والآخر يوافق مالكاً، وللأئمة في هذا الصدد مناقشات تخرج عن صدد الكتاب، وإنما أشرنا إلى مكان الفائدة البيانية والنحوية، والرجوع لمعرفة الأحكام الفقهية، إلى المظان.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥)﴾

☆ **اللغة:**

(الزّخرف): ـ بالضم ـ: الذهب، وكمال حسن الشيء، ومن القول: حسنه، ومن الأرض: ألوان نباتها.

﴿وَازَّيَّنَتْ﴾: أصله: تزينت، فأدغمت التاء في الزاي، وسكنت الزاي، فاجتلبت لها همزة الوصل.

﴿تَغْنَ﴾: مضارع غني بالمكان: أقام به، والمغاني: المنازل، قال النابغة:

غَنِيت بذلكَ إذْ هُمُ لَكَ جِيرَةٌ منها بِعَطْفِ رسالةٍ وتَوَدُّدِ

وفي القاموس ما يقتضي أن غني يأتي بمعنى كان ووجد، كقوله: غنيت دارنا بتهامة، أي: كانت بها.

○ الإعراب:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان حال الدنيا وسرعة تقضيها، وأنها بعد أن تستهوي الأعين برونقها تحمل أهلها على أن يسفك بعضهم دم بعض، ويمتشقوا الحسام فيما بينهم لتعكير صفو السلم الذي يجب أن يسود بينهم، وضرب لذلك مثلاً من التشبيه المركب. وإنما كافة ومكفوفة، ومثل مبتدأ، والحياة مضاف إليه، والدنيا صفة، كماء: الجار والمجرور خبر مثل، أو هي اسم فهي الخبر، وجملة أنزلناه صفة لماء، ومن السماء متعلقان بأنزلناه ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ الفاء عاطفة، واختلط عطف على أنزلناه، وبه متعلقان باختلط، ونبات الأرض فاعل اختلط، ومما يأكل الناس الجار والمجرور حال من نبات الأرض، وجملة يأكل الناس صلة، والأنعام عطف على الناس ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ حتى حرف غاية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب، وهو أتاها، وجملة أخذت مضافة إليها، والأرض فاعل، وزخرفها مفعول به، وازينت عطف على أخذت ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ وظن عطف أيضاً، وأهلها فاعل ظن، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي ظن، وقادرون خبر أن، وعليها جار ومجرور متعلقان بقادرون ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ أتاها جواب إذا، والهاء مفعول به، وأمرنا فاعل، وليلاً ظرف متعلق بأتاها، وأو حرف عطف، ونهاراً معطوف على ليلاً ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ الفاء عاطفة، وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به أول، وحصيداً مفعول به ثان، وكأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لم تغن خبرها، وبالأمس جار ومجرور متعلقان بتغن، وأراد بالأمس مطلق الزمان الماضي، لا خصوص اليوم الذي قبل يومك، ولذلك أعربه، وأدخل عليه «أل» ولو قال أمس للزم البناء على الكسر

والتجرد من أل ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ كذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق، ونفصل الآيات فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجار والمجرور متعلقان بنفصل، وجملة يتفكرون صفة لقوم ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ والله مبتدأ، وجملة يدعو خبر، وإلى دار السلام متعلقان بيدعو، وسيأتي الفرق بين الدعاء والأمر في باب: الفوائد. ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ويهدي عطف على يدعو، ومن مفعول به، وجملة يشاء صلة، وإلى صراط متعلقان بيهدي، ومستقيم صفة.

□ البلاغة:

(١) في هذه الآية تشبيه تمثيلي ومركب، وهو هنا يحتمل شيئين:

آ ـ أنه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع، ثم الانقطاع.

ب ـ أنه شبهها بالنبات في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التف، وتكاثف، وزين الارض بخضرته ورفيفه.

(٢) وفي قوله ﴿ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ استعارة مكنية حيث جعلت الأرض في زينتها بما عليها من أصناف النبات، كالعروس التي أخذت من أنواع الزينة والثياب فتزينت بها.

* الفوائد:

الفرق بين الدعاء والأمر أن الأول طلب الفعل بما يقع لأجله والداعي إلى الفعل خلاف الصارف عنه وهو لا يكون إلا من الأدنى إلى الأعلى، أما الأمر فهو ترغيب في الفعل وزجر عن تركه، وهو يقتضي أن المأمور دون الآمر في الرتبة.

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ

أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ ﴾ أي: يغشاها، والرهق: الغشيان، يقال: رهقه يرهقه، من باب: طرب، أي: غشيه بسرعة، ومنه: ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ و﴿ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ يقال: رهقته وأرهقته، مثل ردفته وأردفته، ففعل وأفعل بمعنى، ومنه أرهقت الصلاة إذا أخرتها حتى غشي وقت الأخرى، أي: دخل، وقال بعضهم: الرهق: المقاربة، ومنه غلام مراهق، أي: قارب الحلم، وقال آخرون: الرهق: لحاق الأمر، ومنه: راهق الغلام إذا لحق بالرجال، ورهقه في الحرب: أدركه، وقال الأزهري: الرهق: اسم من الإرهاق، وهو: أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه، ومنه: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ وللراء مع الهاء خاصة غريبة، فهما لا تفيدان معنى واحداً، وإنما تفيدان إحداث التأثير، وقد أحصيناها فلم تختل هذه القاعدة المطردة، فـ: رهيأ الحمل: جعل أحد العدلين أثقل من الآخر، وترهيأت السحابة: تمخضت بالمطر، ورهبته: خفت منه، وفي قلبي منه رهبة، وهو رجل مرهوب، عدوه منه مرعوب، قالت ليلى:

وقد كان مَرْهُوبَ السّنانِ وبَيِّنَ الـ
ـلّسَانِ ومِجْذامَ السُّرى غيرَ فاتِرِ

وهو راهب بين الرهبانية، وهؤلاء رهبان ورهبة ورهابين ورهابنة، قال رجل من الضِّباب:

قد أدبَرَ اللَّيلُ وقَضّى أربَهْ وارْتَفَعَتْ في فَلَكَيْها الكَوْكَبَهْ
كأنَّها مِصْباحُ دَيْرِ الرَّهَبَهْ

ورماه فأصاب رُهابته، وهي عُظيم في الصدر مطلٌّ على البطن كأنه طرف

لسان الكلب. ومن المجاز: أرهب الإبل عن الحوض: ذادها، وأرهب عنه الناس بأسه ونجدته، قال رجل من جَرْم:

إنَّـا إذا الحـربُ نُسـاقيهـا المـالْ
وجعلـتْ تلقـحُ ثُـمَّ تحتـالْ
يُـرهِـبُ عنَّـا النَّـاسَ طعْـنُ إيغـالْ
شَـزْر كـأفْـوَاهِ المـزَادِ الشَّلشَـالْ

أي: ننفق عليها المال، وهو من فصيح الكلام، وإنما فصَّحه ملح الاستعارة، والرهج: الغبار، ولا يخفى ما يحدثه من أثر، وأرهج الغبار: أثاره، وأرهجت حوافر الخيل، ومن المجاز: أرهج فلان نار الفتنة بين القوم، وله بالشر لهج، وله فيه رهج، ورهز وارتهز لأمر كذا: تحرك له، واهتز، ونشط، ونشط من الرهز، وهو الحركة في الجماع وغيره، ومن أقوالهم: فلان للطمع مرتهز ولفرصه منتهز، ورهص: أصلح بإحكام، وإذا بنيت جداراً فأحكم رهصه وهو عرقه الأسفل، ومن المجاز أرهص الشيء: أثبته وأسَّسه، وكان ذلك إرهاصاً للنبوة، ورهصه: لامه، وهو من الرَّهْصَة، وتقول: فلانٌ ما ذكر عنده أحد إلا غمصه، وقدح في ساقه ورهصه، وفلان أسد رهيص، أي: لا يبرح مكانه كأنما رُهِص، والرهط: من الثلاثة إلى العشرة، وأثرهم واضح في اجتماع الشمل، وانتظام العمل، وإحراز النصر، قال الوليد بن عقبة أخو عثمان بن عفان حين قتل، وبويع علي بن أبي طالب، وأمر بقبض ما في الدار من السلاح وغيره:

بنـي هـاشـم إنَّـا ومـا كـان بيننـا
كصَدْعِ الصّفا لا يرأب الدَّهر شاعبه
ثـلاثـةُ رهـطٍ: قـاتـلان وسـالـبٌ
سـواء علينـا قـاتـلاه وسـالبـه

ورهف سيفه: رقّ حده، وسيف رهيف ومرهف الحد، ورجل مرهف الجسم: دقيقه، وقد شحذت علينا لسانك وأرهفته، وفيه رَهَل: أي:

انتفاخ، وروضة مرهومة ممطورة. قال ذو الرمة:

أو نَفْحَــةٌ مـن أعـالي حَنْـوَةٍ مَعَجَـتْ
فيها الصَّبا مَوْهِناً والرَّوْضُ مَرْهُومُ

والرهن معروف، وقبض الرَّهن والرُّهون والرِّهان والرُّهن، واسترهنني فرهنته ضيعتي، ومن المجاز فيه: جاءا فرسيْ رهان، أي: متساويين، وإني لك رهن بكذا، أي: أنا ضامن له، ورجلي رهينة، أي: مقيدة قال السّهريّ بن أسد العُكليّ:

لقد طَرَقتْ لَيلى ورِجْلي رَهِينَةٌ		فَمَا رَاعني في السِّجْنِ إلاَّ سَلاَمُها

وفلان رهن بكذا ورهين ورهينة، ومرتهن به: مأخوذ به، قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ و﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ والرهو: السكون. قال تعالى: ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ أي: ساكناً. وعيش راهٍ، أي: ساكن. ومرَّ بأعرابي فالج فقال: سبحان الله رَهوٌ بين سنَامين. ويقال: طلع رهواً ورَهْوَةً، وهو نحو التل. قال ذو الرُّمّة:

يُجلِّــي كمــا جَلَّــى على رأْسِ رَهْــوَةٍ
مِنَ الطَّيْـرِ أَقْنَـى يَنْفُـضُ الطَّـلَّ أَزْرَقُ

وجاءت الخيل رهواً، أي: متتابعة. وأتاه بالشيء رَهْواً سَهواً، أي: عفواً سهلاً لا احتباس فيه، قال:

يَمْشِيـنَ رَهْـواً فـلا الأَعجـازُ خـاذِلـةٌ
ولا الصُّــدورُ على الأَعْجــازِ تتَّكِــل

وهذا من عجيب أمر هذه اللغة الشريفة.

(القَتَر): والقترة: الغبار معه سواد، يقال: قتر كفرح ونصر وضرب، ومنه قول الفرزدق:

مُتَــوَّج بِــرداءِ المُلْــكِ يَتْبَعُــهُ		مَوْجٌ تَرى فَوْقَهُ الرَّاياتِ والقَتَرا

وقيل: القتر: الدخان، ومنه: غبار القدر، وقيل: القتر: القدر القليل،

والإقتار في المعيشة، ويقال: قترت الشيء واقترته، أي: قللته، ومنه: ﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾.

(القِطَع): جمع قطعة من الليل فيها ظلمة، والقِطْع ـ بكسر القاف وسكون الطاء ـ: الجزء من الليل الذي فيه ظلمة، وقد قرىء بهما.

○ الإعراب:

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ للذين خبر مقدم، وجملة أحسنوا صلة، والحسنى مبتدأ مؤخر، وزيادة عطف على الحسنى، أي: ما يزيد على المثوبة ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ يجوز في الواو أن تكون مسأنفة لتعدد النعميات على المحسنين، ويجوز أن تكون عاطفة، وجملة يرهق وجوههم معطوفة على الحسنى، ولا بد حينئذ من تقدير أن، فإن شئت نصبت، وإن شئت رفعت على حدِّ قول ميسون:

ولبسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني أحبّ إليَّ من لبسِ الشّفوفِ

ولا نافية، ويرهق وجوههم فعل مضارع ومفعول به، وقتر فاعل، ولا ذلة عطف على قتر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أولئك مبتدأ، وأصحاب خبر، والجنة مضاف إليه، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بخالدون، وخالدون خبر، والجملة حالية ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ يجوز أن تكون الواو عاطفة، والذين معطوفة نسقاً على الذين الأولى، أي: للذين أحسنوا الحسنى، وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، فيتعادل التقسيم، وهذا أسهل الوجوه التي ذكرها المعربون والنحاة، ويجوز أن تكون الواو استئنافية، والذين مبتدأ خبره جزاء سيئة بمثلها، وهو قول سهل أيضاً، لا تكلف فيه، وهناك أقوال أضربنا عنها؛ لأنها تكلف لا حاجة إليه. وكسبوا السيئات: الجملة من الفعل والفاعل والمفعول به صلة الموصول، وجزاء مبتدأ ثان، وسيئة مضاف إليه، وبمثلها خبر جزاء، أي: مقدر بمثلها ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ قيل: هذه الجملة عطف على كسبوا، وفيه ضعف من وجهين: أولهما: أن المستقبل لا يعطف على الماضي، وثانيهما: أنه فصل بينهما بجملة مطولة،

وقيل: الواو حالية، وجملة ترهقهم ذلة حالية، ولا يخفى ما فيه من تكلف، وقيل: الواو معترضة، والجملة اعتراضية، ولكن الاعتراض غير وارد هنا؛ لأنه بصدد تعداد أحوال عذابهم، ونرى أن تكون الواو مستأنفة، والجملة استئنافية، كأنما هو يُعدِّد أصناف العذاب لهم تهويلاً، وكذلك قوله: ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾ ما نافية، أو حجازية، ولهم خبر مقدم، ومن الله جار ومجرور متعلقان بعاصم، ومن زائدة، وعاصم مبتدأ مؤخر، أو اسم ما مؤخر؛ عند من يجيز تقدم خبرها ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾ وهذه جملة مستأنفة، استوفت المصائر الثلاثة لهم، وهي: الجزاء المعادل، والذلة التي رهقتهم، وغشيان وجوههم قطعاً من الليل، وكأنما كافة ومكفوفة، وأغشيت فعل ماض مبني للمجهول، ووجوههم نائب فاعل، وقطعاً مفعول به ثان، ومن الليل صفة لقطع، ومظلماً صفة ثانية لقِطْعاً بكسر القاف وسكون الطاء. وعلى قراءة قِطَعاً يشكل أن تكون مظلماً صفة، فتعرب حالاً من الليل، والعامل فيه إما أغشيت؛ من قبل من أن الليل صفة لقوله قِطَعاً، فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة، وإما أن يكون معنى الفعل في قوله: من الليل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وهذه جملة مستأنفة رابعة؛ تتم فيها المصائر المحتومة لهم، وأولئك مبتدأ، وأصحاب النار خبر، وهم فيها خالدون جملة اسمية حالية منهم.

* الفوائد:

قول ابن هشام في ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ...﴾:

قال ابن هشام في هذه الآية: جملة ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ﴾ معطوفة على ﴿كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فهي من الصلة وما بينهما اعتراض بيَّنَ به قدر جزائهم، وجملة ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾ خبر، قاله ابن عصفور، وهو بعيد؛ لأن الظاهر أن ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ﴾ لم يؤت به لتعريف ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ فيعطف على صلته، بل جيء به للإعلام بما يصيبهم جزاء على كسبهم السيئات، ثم إنه ليس بمتعين لجواز أن يكون الخبر ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾ فلا يكون في الآية

اعتراض، ويجوز أن يكون الخبر جملة النفي كما ذكر، وما قبلها جملتان معترضتان، وأن يكون الخبر ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ﴾ فالاعتراض بثلاث جمل، أو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ فالاعتراض بأربع جمل، ويحتمل ـ وهو الأظهر ـ أن ﴿الذين﴾ ليس مبتدأ، بل معطوف على ﴿الذين﴾ الأولى، أي: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ولـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ فمثلها هنا في مقابلة الزيادة هناك. ونظيرها في المعنى قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وفي اللفظ قولهم: في الدار زيد والحجرة عمرو، وذلك من العطف على معمولي عاملين مختلفين عند الأخفش، وعلى إضمار الجار عند سيبويه والمحققين، ومما يرجّح هذا الوجه أن الظاهر أن الباء في ﴿بِمِثْلِهَا﴾ متعلقة بالجزاء، فإذا كان ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ﴾ مبتدأ احتيج إلى تقدير الخبر، أي: واقع، قاله أبو البقاء، أو «لهم» قاله الحوفي، وهو أحسن؛ لإغنائه عن تقدير رابط بين هذه الجملة ومبتدئها، وهو الذين، وعلى ما اخترناه يكون ﴿جَزَآءُ﴾ عطفاً على ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فلا يحتاج إلى تقدير آخر، وأما قول أبي الحسن وكيسان أن ﴿بِمِثْلِهَا﴾ هو الخبر، وأن الباء زيدت في الخبر، كما زيدت في المبتدأ في «بحسبك درهم» فمردود عند الجمهور، وقد يؤنس قولهما بقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿فَزَيَّلْنَا﴾: فرقنا.

﴿تَبْلُواْ﴾: تختبر.

○ الإعراب:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الظرف متعلق بمحذوف مفهوم من الآية السابقة، أي: نفعل ذلك كله يوم نحشرهم، وجملة نحشرهم مضاف إليها، وجميعاً نصب على الحال ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، ونقول معطوف على متعلق الظرف، أي: نفعل ذلك كله، ثم نقول: أو معطوف على نحشرهم، وللذين متعلقان بنقول، وجملة أشركوا صلة، ومكانكم اسم فعل أمر معناه: الزموا، وسيأتي بحثها في باب: الفوائد، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع تأكيد للضمير في مكانكم، وشركاؤكم عطف عليه ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ الفاء استئنافية، وزيلنا فعل وفاعل، وبينهم ظرف متعلق بزيلنا، وقال شركاؤهم فعل وفاعل، وما نافية، وكنتم كان واسمها، وإيانا ضمير منفصل مفعول مقدم لتعبدون، وجملة تعبدون نصب خبر كنتم ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الفاء استئنافية، وكفى فعل ماض، والباء حرف جر زائد، والله فاعل محلاً، وشهيداً: قال الزجاج منصوب على التمييز إن شئت، وإن شئت على الحال، فإن كان الاسم جامداً فالنصب على التمييز، كقول بشار:

ومَن ذَا الَّذي تُرْضَى سَجَاياهُ كلُّها
كفـىَ المـرءَ نُبـلاً أن تُعَـدَّ مَعَـايِبُـهْ

﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ إن مخففة من الثقيلة، وليست نافية كما قال أحد الأئمة، وهي مهملة كما تقدم، وكنا: كان واسمها، وعن عبادتكم متعلقان بغافلين، واللام الفارقة، وهي التي أبعدت إن النافية، وغافلين خبر كنا ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ هنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بتبلو، واللام للبعد، والكاف للخطاب، وتبلو كل نفس فعل مضارع وفاعل، وما اسم موصول مفعول به، وجملة أسلفت صلة ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ الواو عاطفة، وردوا فعل ماض مبني

للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بردوا، ومولاهم صفة، أو بدل من الله، والحق صفة لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ وضل: الواو عاطفة، وضل معطوف على ردوا، وعنهم متعلقان بضل، وما اسم موصول فاعل، وكانوا كان واسمها، وجملة كانوا يفترون صلة، وجملة يفترون خبر كانوا.

* الفوائـد:

﴿مَكَانَكُمْ﴾ كلمة جرت مجرى الوعيد، والعرب تتوعد فتقول: مكانك، وانتظرني، والصحيح عند المحققين أن مكانك ودونك من أسماء الأفعال. ونقول: إن أسماء الأفعال قسمان: مرتجلة ومنقولة، فالمرتجلة: هي ما وضعت من أول أمرها أسماء أفعال، وهي ثلاثة أقسام: اسم فعل ماض كهيهات، واسم فعل مضارع كأف، واسم فعل أمر كآمين، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك. والمنقولة: هي ما استعملت في غير اسم الفعل، ثم نقلت إليه، والنقل يكون:

(١) إما عن جار ومجرور مثل: عليك نفسك، أي: الزمها، وإليك عني، أي: تنح.

(٢) وإما عن ظرف مثل: دونك الكتاب، أي: خذه، ومكانك، وقد تقدمت.

(٣) وإما عن مصدر مثل: رويد أخاك، أي: أمهله، وبله الشر، أي: دعه واتركه.

(٤) وإما عن تنبيه مثل: ها الكتاب، أي: خذه، و﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾.

(٥) وإما معدولة؛ كنزال، وحذار.

تنبيهـات:

(١) الكاف التي تلحق اسم الفعل المنقول تتصرف بحسب المخاطب إفراداً وتثنية وجمعاً وتذكيراً وتأنيثاً، وهي حرف خطاب لا محل لها من

الإعراب؛ لأنها بمثابة جزء من الكلمة لا إعراب له.

(٢) اسم الفعل المنقول والمعدول لا يأتي إلا للأمر، ولا يأتي لغيره بعكس المرتجل، كما تقدم.

(٣) المرتجل والمنقول سماعيان لا يقاس عليهما.

(٤) المعدول قياسي، وهو بني على وزن فعال من كل فعل ثلاثي مجرد تام متصرف.

وسيأتي مزيد منه في أثناء هذا الكتاب.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ من اسم استفهام مبتدأ، وجملة يرزقكم خبر، ومن السماء جار ومجرور متعلقان بيرزقكم، والأرض معطوفة ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ أم حرف عطف، وهي منقطعة؛ لأنها ليست مسبوقة بهمزة الاستفهام، ولا بالتسوية، ومن اسم استفهام مبتدأ، وجملة يملك خبر، والسمع مفعول به، والأبصار عطف على السمع ﴿ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ عطف أيضاً، وما بعده عطف ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ الفاء استئنافية، ويقولون فعل وفاعل، والله خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الله، أو مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير: يفعل هذه الأشياء كلها، والجملة مقول القول ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الفاء الفصيحة، وقل فعل أمر، والهمزة للاستفهام، والفاء حرف عطف، ولا نافية، وتتقون فعل

مضارع وفاعل ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ الفاء عاطفة، وذلكم مبتدأ، والله خبر، وربكم بدل من الله، أو صفة، والحق صفة لربكم، ويجوز أن يعرب الله مبتدأ ثانياً، وربكم خبره، والجملة خبر اسم الإشارة ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ الفاء عاطفة، وماذا تقدم أن فيها وجهين: الأول: أن تكون كلها اسماً واحداً لتركبهما، وغلب الاستفهام على اسم الإشارة، وصار معنى الاستفهام هنا النفي، ولذلك أتى بعده بإلا، وهو في محل رفع مبتدأ، والثاني: أن يكون ذا موصولاً خبراً لما الاستفهامية، وبعد ظرف متعلق بمحذوف حال، وإلا أداة حصر، والضلال بدل من ذا، والاستفهام بمعنى النفي أيضاً، والفاء عاطفة، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب حال من فاعل تصرفون، وتصرفون بالبناء للمجهول فعل مضارع ونائب فاعل ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف، والإشارة بذلك إلى المصدر المفهوم، أي: مثل صرفهم عن الحق بعد الإقرار به في قوله: «فسيقولون الله» أو الإشارة إلى الحق، وحقت كلمة ربك فعل وفاعل، وعلى الذين جار ومجرور متعلقان بحقت، وجملة فسقوا صلة، وأن وما في حيزها بدل من كلمة ربك، أي: حقيق عليهم أنهم لا يؤمنون، وجملة لا يؤمنون خبر أن.

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾

○ الإعراب:

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ هل حرف استفهام، ومن

شركائكم خبر مقدم، ومَنْ موصول مبتدأ مؤخر، وجملة يبدأ الخلق صلة، وثم حرف عطف على يبدأ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ الله مبتدأ، وجملة يبدأ الخلق خبره، والجملة الاسمية مقول القول، ثم يعيده عطف على يبدأ، والفاء عاطفة، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب على الحال، وتؤفكون فعل مضارع بالبناء للمجهول، والواو نائب فاعل ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ احتجاج آخر على ما ذكر، ومن شركائكم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، ويهدي فعل مضارع يتعدى إلى اثنين ثانيهما إما باللام أو بإلى، وقد يحذف حرف الجر تخفيفاً، وقد جمع في هذه الآية بين التعديتين بحرف الجر، فعدى الأول والثالث بإلى، وعدى الثاني باللام، وحذف المفعول به الأول من الأفعال الثلاثة، والتقدير: هل من شركائكم من يهدي غيره إلى الحق قل الله يهدي من يشاء للحق، أفمن يهدي غيره إلى الحق؟ وسيأتي السر في مخالفة حروف الجر في باب: البلاغة ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ تقدم إعراب نظيرها ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وهو ثامن سؤال لم يذكر جوابه، وهو هنا الله، ومن مبتدأ، وأحق خبره، وأن حرف مصدري ونصب، ويتبع بالبناء للمجهول، والمصدر المؤول مضاف لأحق بعد نصبه بنزع الخافض، أي: أحق بالاتباع ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أم عاطفة، ومن مبتدأ، وجملة لا يهدي صلة، وإلا أداة حصر، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور في محل نصب حال، فالاستثناء مفرّغ من أعم الأحوال، أي: لا يهدي أو يهتدي في حال من الأحوال إلا في حال إهدائه، أي: إهداء الآخرين إياه، والخبر محذوف تقديره: أحق، ولك أن تنسق من على الأولى، فلا تحتاج إلى الخبر ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ الفاء استئنافية، وما استفهامية مبتدأ، ولكم خبره، أي: فأي شيء ثبت لكم في اتخاذ هؤلاء العاجزين عن هداية أنفسهم، فكيف تحكمون بالباطل، وتجعلون لله أنداداً وشركاء؟ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان السر في عدم اكتناههم الحق، وفهمهم لمضمون البرهان، وما نافية، ويتبع أكثرهم فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، وظناً

مفعول به ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان العلة في إخفاقهم في الفهم، وعدم الاكتناه، وإن واسمها، وجملة لا يغني خبرها، ومن الحق حال مقدمة، وشيئاً مفعول مطلق، أي: شيئاً من الإغناء، أو مفعول به بتضمين يغني معنى يدفع ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ إن واسمها وخبرها، وبما متعلقان بعليم، وجملة يفعلون لا محل لها؛ لأنها صلة ما، سواء كانت موصولة، أو مصدرية.

□ البلاغة:

مخالفة حروف الجر:

وهذا باب تقدمت الإشارة إليه في الأنفال، وهو ينطوي على السر في مخالفة حروف الجر، وأكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها، ويجهلون الدقائق الكامنة في وضعها حيث وضعت، وهنا عدى فعل هدى إلى الحق بإلى مرتين، وفي الثالثة عداه باللام، والنحاة يغفلون عن هذا السر، ويقولون: إن ما يصح جره بإلى يجوز جره باللام التي تفيد الغاية مثلها ولا عكس، فلا يقال في قلت له: قلت إليه، ويقولون: الماء في الكأس؛ لأن في للظرفية، ويجيزون التعدي بالباء لأنها تخلفها في الظرفية، ولا يجوز أن يقال في مررت به: مررت فيه، إذا تقرر هذا نقول ـ والله أعلم ـ: إن هناك سراً وراء الصورة، فالهداية لّما أسندت إليهم وجبت تعديتها بإلى التي تفيد البعد، كأنها ضمناً بعيدة عنهم، ولكنها لما أسندت إلى الله تعالى وجب تعديتها باللام؛ التي تفيد القرب، كأنها من خصائصه وحده، وملك يمينه، وهو المنفرد بها على وجه الديمومة والكمال، وستأتي نماذج من هذه المخالفة السامية.

﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟

بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وكان واسمها، والقرآن بدل من هذا، وأن وما في حيزها خبر كان، أي: افتراء ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الواو عاطفة، ولكن مخففة مهملة، وتصديق معطوف على افتراء المؤولة، ووقعت لكنْ أحسن موقع؛ لأنها بين نقيضين، وهما: الكذب والصدق، ولهذا لا حاجة إلى الأوجه التي تكلفها بعض الأئمة، وهي سائغة ومقبولة، ولكن ما أوردناه أولى بالتقديم، والذي مضاف لتصديق، وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، ويديه مضاف لبين بمعنى أمامه ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وتفصيل عطف على تصديق، ولا نافية للجنس، وريب اسمها مبني على الفتح، وفيه خبر لا، ومن رب العالمين حال، وجملة لا ريب فيه معترضة، وهو الظاهر بين تفصيل ومن رب العالمين، والتقدير: ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب كائناً من رب العالمين، وجنح الزمخشري إلى جعل لا ريب فيه حالاً داخلاً في حيز الاستدراك، كأنه قيل: ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب، كائناً من رب العالمين، ولك أن تعلق من رب العالمين بـ: تفصيلاً، ويكون لا ريب فيه اعتراضاً. ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أم عاطفة منقطعة، فهي بمعنى بل، حتى لقد وردت قراءة شاذة بها، فهي للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام الإنكاري للواقع واستبعاده، ويجوز أن تكون متصلة، وحينئذ فلا بد من حذف جملة ليصح التعادل، والتقدير: أيقرون به أم يقولون افتراه، وجملة افتراه مقول القول ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ الفاء الفصيحة، أي: قل تبكيتاً لهم إن كان الأمر كما تقولون فائتوا، وائتوا فعل أمر وفاعل، وبسورة جار ومجرور متعلقان بائتوا، ومثله صفة ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وادعوا عطف على فائتوا، والواو فاعل، ومن اسم موصول مفعول به، وجملة استطعتم صلة، ومن دون الله حال، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، والتاء اسم كان، وصادقين خبر كان، وجواب الشرط محذوف، أي: فائتوا وادعوا ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ بل حرف إضراب، وعطف، وكذبوا فعل وفاعل، وبما متعلقان بكذبوا، وجملة لم يحيطوا صلة ما، والواو للحال، ويجوز أن تكون عاطفة، أي: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وبما لم يأتهم تأويله، أو هذه الجملة في محل نصب على الحال، أي: كذبوا به حال كونهم لم يفهموا ما كذبوا به، ولا بلغته عقولهم، ولما حرف جازم، ويأتهم مضارع مجزوم بلما، والهاء مفعول به، وتأويله فاعل يأتهم، ويجوز أن تكون الواو للعطف، والجملة معطوفة على لم يحيطوا، فتكون داخلة في حكم الصلة، ولمجيء «ما» سر ستقف عليه في باب البلاغة ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، أي: كذلك التكذيب كذبوا رسلهم، وكذب الذين فعل وفاعل، ومن قبلهم صلة الذين، فانظر: الفاء عاطفة على محذوف، أي: فأهلكنا، فانظر، وكيف اسم استفهام في موضع نصب على أنه خبر كان، ولا يصح أن يعمل فيه الفعل فانظر؛ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه، وعاقبة اسمها، والظالمين مضاف إليه ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يؤمن به صلة، وجملة ومنهم من لا يؤمن عطف على الجملة السابقة، وربك مبتدأ، وأعلم خبر، وبالمفسدين جار ومجرور متعلقان بأعلم.

□ البلاغة:

لـ «لما» في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ سر عجيب، أفاد الكلام معنى لم يكن ليتأتى لولا دخولها؛ لأنها تفيد التوقع بعد نفي الإحاطة بعلمه، فقد أفادت الأمور التالية:

(١) أنهم كذبوا على البديهة قبل أن يتدبروه، ويكتنهوا مطاويه.

(٢) الإصرار على التقليد الأعمى، ومساوقة آبائهم الذين طبعوا على اللجاج، والسفسطة، وإنكار الحق رغم ظهوره ونصاعته.

(٣) أن التكذيب قبل الإحاطة بالعلم ربما يوهم لهم عذراً، فجاءت كلمة «لما» حاسمة مشعرة بأنهم قد أحاطوا بعلمه، قطعاً لحججهم وتحقيقاً لشقائهم.

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وكذبوك فعل وفاعل ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، فقل الفاء رابطة؛ لأن ما بعدها جملة طلبية، وقل فعل أمر، ولي خبر مقدم، وعملي مبتدأ مؤخر، ولكم عملكم عطف، وجملة لي عملي في محل نصب مقول القول ﴿ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ ﴾ أنتم مبتدأ، وبريئون خبر، ومما متعلقان ببريئون، وجملة أعمل صلة الموصول ﴿ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ عطف على ما تقدم، والإعراب ظاهر ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ الواو عاطفة، ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، ويستمعون صفة لمن إذا كانت نكرة موصوفة، أي: ناس يستمعون، وصلة إذا كانت موصولة، وأعاد الضمير جمعاً مراعاة لمعنى من، والأكثر مراعاة لفظه، كقوله: «ومنهم من ينظر إليك»، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك مراراً، وإليك متعلقان بيسمعون ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة للتعقيب، وفيه الوجهان

المشهوران من اعتبار الحذف للمعطوف عليه، أو اعتبار التقديم والتأخير، وقد تقدمت الإشارة إليهما، والواو عاطفة، ولو وصلته، وكانوا: كان واسمها، وجملة لا يعقلون خبرها. قال الزجاج: معناه: ولو كانوا جهالاً بالإضافة إلى الصمم، وإذا اجتمع سلب السمع والعقل، فقد تم الأمر، وفقد الإنسان كل خصائص إنسانيته ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ عطف على سابقتها ومثيلتها، ولكنه حمل الضمير هنا على لفظ من، والفرق بين الموضعين أن الغالب على المستمعين أن يكونوا جماعة، والغالب على الناظر أن يكون مفرداً ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ عطف على ما تقدم، والمعنى: ولو انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة، وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله: «أفأنت تسمع الصم»، وقوله: «أفأنت تهدي العمي» وكل منهما معطوف على جملة مقدرة مقابلة لها، وكلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق، أي: أفأنت تسمع الصم لو كانوا يعقلون، ولو كانوا لا يعقلون، أفأنت تهدي العمي لو كانوا يبصرون، ولو كانوا لا يبصرون، أي: لا تسمعهم، ولا تهديهم على كل حال، وسيأتي المزيد من هذا التشبيه في باب البلاغة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ إن حرف مشبه بالفعل، والله اسمها، وجملة لا يظلم خبرها، والناس مفعول به، وشيئاً مفعول مطلق، أي: شيئاً من الظلم، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً ليظلم، بمعنى: لا ينقص الناس شيئاً من أعمالهم ﴿وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الواو حالية، ولكن حرف استدراك ونصب، والناس اسمها، وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون، وجملة يظلمون خبر لكن.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التمثيلية:

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إلى آخر الآية استعارة تمثيلية، وقد تقدم القول: أن الاستعارة التمثيلية هي: تركيب استعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة المشابهة، فقد شبههم في عدم الاهتداء بالصم والعمي،

بل هم أعظم؛ فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، ولأن الأصم العاقل ربما استعان بالفراسة على الاستدلال، والأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنَّن، وقد جاء المشبه به مركباً؛ لأن المشبه مركب أيضاً، ولو أنه لجأ إلى التشبيه لضؤل الأثر الفني، ولم تكن له تلك القيمة التي نلاحظها في الاستعارة؛ لأن الاستعارة وإن تكن مبنية على المشاهدة إلا أن تركيبها يحملنا على تناسي التشبيه، ويدعونا لتخيل صورة جديدة، وهي من ناحية اللفظ ـ كما ترى في الآية ـ تترك التعبير الثنائي، أي: المشبه والمشبه به، وتستعمل التعبير الأحادي الذي يدعي أن ليس هناك إلا شيء واحد نتحدث عنه، ويبقى للابتكار أثره في عقد الاستعارة الموفقة، وفي هذا المضمار تتجلى عبقرية الفنانين والمبدعين.

هذا؛ وقد رمق أبو الطيب سماء هذه البلاغة بقوله:

وإذا خَفِيتُ على الغَبِيِّ فَعَاذِرٌ أنْ لا تَـرَاني مُقْلَـةٌ عَمْيَـاءُ

يريد أنه إذا خفي مكانه على الغبي وهو الجاهل الذي لا يعرف شيئاً ولم يعرف قدري ولم يقر بفضلي فأنا أعذره لأن الجاهل كالأعمى، والمقلة العمياء إن لم تر فهي في عذر لعماها، وكذلك الجاهل الذي يجهلني ويجهل قدري، ومن قبل المتنبي قيل:

وقد بهرتُ فَما أخفى على أَحَد إلا على أكمهٍ لا يعرف القَمَرا

(٢) التهذيب:

وفي هذه الآيات المتقدمة فن بديعي يقال له: فن التهذيب، وقد أطال فيه علماء هذا الفن، ويمكن تلخيصه بأنه وصف يعم كل كلام منتحل، وهو ترداد النظر في الكلام بعد عمله، وإمعان الفكر في تهذيبه وتنقيحه نظماً كان أو نثراً، وكشف ما يشكل من عويص معانيه، وغريب إعرابه، وطرح ما يتجافى عن مواطن الرقة من لفظ قاس، وكلمة نابية جافية، وقد عبر عنه أبو تمام في وصيته للبحتري، نقل عن أبي عبادة قال: «كنت في حداثتي أروم الشعر، وأرجع فيه إلى طبع سليم، ولم أكن وقفت له على تسهيل مأخذ، ووجوه

اقتضاب، حتى قصدت أبا تمام وانقطعت إليه، فكان أول ما قال لي: «يا أبا عبيدة! تخير الأوقات، وأنت قليل الهموم، صفر من الغموم، واعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء، أو حفظه، أن يختار وقت السحر، ولا تعمل نظماً ولا نثراً عند الملل، فإن الكثير منه قليل والخواطر ينابيع، إذا رفقت بها جمت، وإذا عنفت عليها نزحت، وترنم بالشعر وقت عمله فإنه يعين عليه، وقد يتخيل الشاعر الشعر الجيد فيمكنه مرة، ولا يمكنه أخرى، وإياك وتعقيد المعاني، واجعل المعنى الشريف في اللفظ اللطيف لئلا يتلف أحدهما الآخر، ومتى عصى الشعر اتركه، ومتى طاوعك عاوده، وروِّح الخاطر إذا كلَّ، واعمل في أحب المعاني إليك، وفي كل ما يوافقه طبعك؛ فالنفوس تعطي على الرغبة، ولا تعطي على الإكراه، واعمل الأبيات متفرقة على ما يجود به الخاطر، ثم انظمها في الآخر، وحصل المبدأ والمقطع والمخرج، فهو أصعب ما في القصيدة، وميّز بفكرك محطّ الرسالة، ومصبّ القصيدة، فإنه أسهل عليك، وانظمها أولاً، وهذبها آخراً».

التهذيب في الآيـة:

أما الآية التي نحن بصدد البحث فيها، فهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ، وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ فإن لقائل أن يقول: ما فائدة الفاصلتين وقد أغنى عنهما ما قبلهما؟ فيقال: في الكلام تقديم وتأخير إذا علم سقط معه السؤال، وهو أن يقال: «ومنهم من ينظر إليك، ولو كانوا لا يبصرون، أفأنت تهدي العمي» والأخرى كذلك، ويرد على ذلك قول من يقول: فما الداعي إلى وضع الكلام على التقديم والتأخير، الذي هو أحد أسباب التعقيد؟ قلت: الداعي إليه توخي الإتيان بمقاطع الكلام متماثلة مع ما قبلها ومع ما بعدها من الفواصل، فإن قبلها: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾. وبعدها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ومعظم فواصل السورة على هذه الزنة والتقفية.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾ الظرف متعلق بيتعارفون على أصح الأقوال، وجملة يحشرهم مضاف إليها، وكأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لم يلبثوا خبر كأن، وجملة كأن لم يلبثوا جملة حالية من الهاء في يحشرهم، وإلا أداة حصر، وساعة ظرف متعلق بيلبثوا، ومن النهار صفة لساعة ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ الجملة حالية من الواو في يلبثوا، فتكون حالاً متداخلة، أو من الضمير في يحشرهم، فتكون حالاً مترادفة، وبينهم ظرف متعلق بيتعارفون، والمعنى بعد هذا الإعراب إن الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت، كما كانوا في الدنيا، وكأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا العذاب، ويتبرأ بعضهم من بعض، وهناك أعاريب أخرى يضيق عن استيعابها المجال، وما أوردناه أقربها ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ قد حرف تحقيق، وخسر الذين فعل وفاعل، وجملة كذبوا صلة، وبلقاء الله جار ومجرور متعلقان بكذبوا، وجملة قد خسر مستأنفة، والواو عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، ومهتدين خبرها، وهي معطوفة على قد خسر، أو على صلة الذين؛ لأن من كذب بالله غير مهتد ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ إن شرطية، وما زائدة، ونرينك فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل ضمير

مستتر تقديره نحن، والكاف مفعول به، وبعض مفعول ثان، والذي مضاف إليه، وجملة نعدهم صلة، وأو حرف عطف، ونتوفينك عطف على نرينك ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ الفاء رابطة، وإلينا خبر مقدم، ومرجعهم مبتدأ مؤخر، والجملة جواب الشرط، ثم حرف عطف، لا للترتيب الزماني، بل لترتيب الأخبار، والله مبتدأ، وشهيد خبر، وعلى ما يفعلون متعلقان بشهيد، وجملة يفعلون صلة ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ لكل خبر مقدم، وأمة مضاف لكل، ورسول مبتدأ مؤخر ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الفاء عاطفة على صفة رسول، أي: يُبعث إليهم فإذا، وإذا ظرف مستقبل، وجملة جاء رسولهم مضاف إليها، وجملة قضي لا محل لها، وبينهم ظرف متعلق بقضي، وبالقسط حال من فاعل قضى، وهم: الواو حرف عطف، أو حالية، وهم مبتدأ، وجملة لا يظلمون خبر.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ الواو استئنافية، ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، ومتى استفهام عن الزمان، متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهذا مبتدأ مؤخر، والوعد بدل، وهذا التعبير بمثابة استبعاد لما وعدوه من عذاب، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، والتاء اسم كان، وصادقين خبرها، والجواب محذوف، أي: فمتى هذا الوعد؟ ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ جملة لا أملك مقول القول،

ولنفسي متعلقان بأملك، وضراً مفعول به، ولا نفعاً عطف على ضراً، وإلا أداة استثناء، أو حصر لوجود النفي، وما اسم موصول مستثنى، قيل: الاستثناء متصل، وقيل: منقطع، وإذا كانت «إلا» حصراً فما بدل من ضراً ونفعاً، وجملة شاء الله صلة ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ تتمة مقول القول، ولكل خبر مقدم، وأمة مضاف إليه، وأجل مبتدأ مؤخر ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ إذا ظرف مستقبل، وجملة جاء مضاف إليها، وأجلهم فاعل جاء، والفاء رابطة، ولا نافية، وجملة يستأخرون لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، وساعة ظرف متعلق بيستأخرون، ولا يستقدمون عطف على فلا يستأخرون ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا ﴾ قل فعل أمر، وفاعله أنت، أي: محمد، وجملة أرأيتم مقول القول، وقد تقدم الكلام في سورة الأنعام على أرأيتم، وقلنا هناك: إن العرب تضمن أرأيت معنى أخبرني، وإنها تتعدى إذ ذاك إلى مفعولين، وإن المفعول الثاني يكون غالباً جملة استفهام ينعقد منها مع ما قبلها مبتدأ وخبر، تقول العرب: أرأيت زيد ما صنع، والمعنى: أخبرني عن زيد ما صنع، إذا ذكرت هذا فأرأيتم هنا المفعول الأول لها محذوف، ولا يصح أن تقع جملة الشرط موقعه، والمسألة من باب التنازع، تنازع أرأيتم وإن أتاكم في قوله: عذابه، وإعمال الثاني هو المختار، فلما أعمل حذف من الأول، والمعنى: قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب الله إن أتاكم أي شيء تستعجلون منه، وليس شيء من العذاب يستعجله عاقل؛ لأن العذاب كله مرّ المذاق، سيىء المغبة، موجب للنفور منه، وإن شرطية، وأتاكم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والجواب جملة الاستفهام على تقدير الفاء في الجملة الاسمية، وبياتاً منصوب على الظرف، متعلق بأتاكم، أو نهاراً عطف عليه ﴿ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ما يجوز أن يكون في موضع رفع، وذلك إذا كان ذا بمعنى الذي، والمعنى: ما الذي يستعجل منه المجرمون، فيكون ما مبتدأ، والذي خبره، ويجوز أن يكون في موضع نصب، وذلك إذا جعلت ما وذا اسماً واحداً، والمعنى: أي شيء يستعجل منه المجرمون، فيكون مفعول يستعجل، والمجرمون فاعل يستعجل ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا

وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ أثمَّ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وثم حرف عطف، وإذا ظرف مستقبل، وما زائدة، وجملة وقع في محل جر بالإضافة إليها، وجملة آمنتم به صلة، والظرف متعلق بآمنتم، وآلآن الهمزة للاستفهام الإنكاري، والآن ظرف متعلق بمحذوف يفهم من سياق الكلام، تقديره: آلآن به تؤمنون، والواو حالية، وقد حرف تحقيق، وكنتم كان واسمها، وبه جار ومجرور متعلقان بتستعجلون، وجملة تستعجلون خبر كنتم ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ ثم حرف عطف، وقيل فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، وللذين متعلقان بقيل، وجملة ظلموا صلة، وجملة ذوقوا مقول القول، وعذاب مفعول به، والخلد مضاف إليه، وهل حرف استفهام، وتجزون فعل مضارع ونائب فاعل، وإلا أداة حصر، وبما متعلقان بتجزون، وجملة كنتم صلة وجملة تكسبون خبر كنتم.

□ البلاغة:

في قوله: بياتاً ونهاراً، وضراً ونفعاً، طباق تكرر فسمِّي مقابلة، واستعارة مكنية في قوله: «ذوقوا عذاب الخلد» وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك كله.

﴿ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

☆ اللغة:

(الاستنباء): طلب النبأ الذي هو الخبر.

(الافتداء) إيقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه به، يقال: فداه يفديه فدية وفداءً وافتداه وفاداه مفاداة، وافتدى يجوز أن يكون متعدِّياً، وأن يكون لازماً، فإذا كان مطاوعاً لمتعدٍّ كان لازماً، تقول: فديته فافتدى، وإن لم يكن مطاوعاً يكون بمعنى فدى، فيتعدى لواحد، والفعل هنا يحتمل الوجهين، فإن جعلناه متعدياً فمفعوله محذوف، تقديره: لافتدت به نفسها.

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾: قيل: أسر من الأضداد يستعمل بمعنى أظهر، ويستعمل بمعنى أخفى، وهو المشهور في اللغة، وهو في الآية يحتمل الوجهين.

○ الإعراب:

﴿ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ ﴾ ويستنبئونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وأحق: الهمزة للاستفهام الإنكاري المشوب بالاستهزاء، وحق خبر مقدم، وهو مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب مفعول به ليستنبئونك، وقيل: الجملة في محل نصب بيقولون، وتكون يستنبئونك متعدية لواحد، وأصل استنبأ أن يتعدى إلى مفعولين أحدهما بـ «عن» تقول: استنبأت زيداً عن عمرو، أي: طلبت منه أن ينبئني عن عمرو. وقل فعل أمر، وإي حرف جواب، وسترد أحرف الجواب في باب الفوائد، وربي الواو للقسم، وربي مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف ﴿ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، والواو حرف عطف على جواب القسم، أو استئنافية، مسوقة لبيان عدم خلوصهم من عذاب الله بوجه من الوجوه، وما حجازية، وأنتم اسمها، والباء حرف جر زائد، ومعجزين خبرها في محل نصب محلاً، ومجرور بالياء الزائدة لفظاً ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية امتناعية على ما هو الكثير فيها، وأن حرف مشبه بالفعل، ولكل خبر أن المقدم، ونفس مضاف إليه، وجملة ظلمت صفة لنفس، وما اسم موصول في محل نصب اسم أن، وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف، أي: لو ثبت ذلك، وفي الأرض

صلة ما، واللام واقعة في جواب لو، واقتدت به جملة فعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ الواو عاطفة، وأسروا الندامة فعل وفاعل ومفعول به، ولما رابطة، أو حينية، وجملة رأوا مضاف إليها، أو صلة، والواو فاعل، والعذاب مفعول به، والمعنى أنهم بهتوا، وشدهوا لرؤيتهم، ما لم يكن يدور لهم بخلد، أو يخطر لهم على بال، فانطووا على مضض، وحاذروا بوحة المتجلد، ولم يملكوا سوى إسرار الندم، والحسرة في القلوب، وقيل: أسروا الندامة أظهروها، من قولهم: أسر الشيء وأشره؛ إذا أظهره، قال هذا أبو عبيدة والجبائي، وأنكر الأزهري أن يكون بمعنى الإظهار، وقال: إنه غلط محض؛ لأن ما يكون بمعنى الإظهار يكون بالشين المثلثة ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يجوز أن يكون الكلام مستأنفاً، وأن يكون معطوفاً، وقضي فعل ماض بالبناء للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، وبينهم ظرف متعلق بقضي، وبالقسط حال، وهم الواو عاطفة، وجملة لا يظلمون خبر ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ألا كلمة تستعمل في التنبيه، ويفتتح بها الكلام فتسمى استفتاحية، وأصلها لا، دخل عليها حرف الاستفهام تقريراً وتذكيراً، فصارت تنبيهاً، وكسرت إن بعد ألا لأن ألا يستأنف ما بعدها؛ لينبه بها على معنى الابتداء، ولذلك يقع بعدها الأمر والدعاء، كقول امرىء القيس:

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي

وهل يَعِمَنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخالِي

ولله خبر إن المقدم، وما اسمها المؤخر، وفي السموات والأرض صلة ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ ألا تأكيد لـ: ألا الأولى، وقد صدرت الجملتان بحرف التنبيه للدلالة على التحقيق والتسجيل لمضمونهما، وإن واسمها، وحق خبرها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الواو حالية، أو استئنافية، ولكن واسمها، وجملة لا يعلمون خبرها ﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هو مبتدأ، وجملة يحيي خبر، وجملة يميت عطف، وإليه جار ومجرور متعلقان بترجعون.

* الفوائـد:

حروف الجـواب:

حروف الإيجاب، أو الجواب، أو التصديق هي: نعم وبلى وأجل وجير وإي وإن، وقد تقدم القول في بعضها، ونتكلم هنا عن إي وإن؛ فأما إي فحرف إيجاب لا يستعمل إلا في القسم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ وهمزتها مكسورة والياء فيها ساكنة، قال الزمخشري: «وسمعتهم يقولون إيوَ، فيصلونه بواو القسم، ولا ينطقون به وحده» وقال غيره: «ومنه قول الناس في الجواب إي والله وقولهم «إيوه» فالواو للقسم، والهاء مأخوذة من الله» فقول العامة «إيوه» صحيح لا غبار عليه.

حروف التنبيـه:

هي: ها وألا وأما، ومعنى هذه الحروف تنبيه المخاطب إلى ما تحدثه به، فإذا قلت هذا عبد الله منطلقاً، فالتقدير: انظر إليه منطلقاً، أو انتبه عليه منطلقاً، فأنت تنبه المخاطب لعبد الله حال انطلاقه، وقال النابغة:

هـا إنَّ تَـا عِـذْرَةٌ إن لم تَكُـنْ نَفَعَـتْ
فـإنَّ صـاحِبَهـا قَـدْ تَـاهَ في الْبَلَـدِ

فأدخل ها التي للتنبيه على إن، والعذر والمعذرة والعذرى واحد، والعِذرة بالكسر كالركبة والجلسة بمعنى الحالة، قال آخر:

تقبَّـلَ عِـذرتي وحبَـا بِـدُهـمٍ
يُصـمُّ حنينهـا سمـعَ المنـادي

وأكثر ما تدخل ها على أسماء الإشارة والضمائر كقولك: هذا وهذه وهأنذا وها أنت ذا وهاهي ذه وما أشبه ذلك، وإنما كثر التنبيه في هذه الأسماء المبهمة لتحريك النفس على طلب بعينه إذ لم تكن علامة تعريف في لفظه، والفرق بين ألا، وأما أن أما للحال، وألا للاستقبال، فتقول: أما إن

زيداً عاقل: تريد أنه عاقل على الحقيقة لا على المجاز، فأما قول الهذلي:

أَمَا والَّذي أبكى وأضحكَ والذي
أماتَ وأحيا والذي أَمْرُهُ الأمر

فأدخل أما على حرف القسم كأنه ينبه المخاطب على استماع قسمه وتحقيق المقسم عليه، وقد يحذفون الألف عن أما، فيقولون أم والله وفي كلام هجرس بن كليب «أم وسيفي وزريه، ورمحي ونصليه، وفرسي وأذنيه، لا يدع الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾

○ **الإعراب:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ قد حرف تحقيق، وجاءتكم موعظة فعل ومفعول به وفاعل، ومن ربكم صفة لموعظة، وتكون من للتبعيض، أو متعلقة بجاءتكم فتكون للابتداء ﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وشفاء عطف على موعظة وشفاء هو في الأصل مصدر جُعل وصفاً للمبالغة، أو هو اسم لما يشفى به ويتداوى، ولما في الصدور يجوز أن يكون صفة لشفاء فيتعلق بمحذوف، وأن تكون اللام زائدة في المفعول به،

وفي الصدور صلة ما، وهدى ورحمة معطوفان أيضاً، وللمؤمنين صفة ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ الباء متعلقة بمحذوف، وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته فبذلك، ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة الحصر، ثم أدخلت الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا، ثم قال: فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير، ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه، والفاء الأولى جزائية، والثانية للسببية، ثم قالوا الفاء الداخلة على بذلك زائدة، وبذلك بدل من بفضل والأَوْلى أن تكون عاطفة، وبذلك عطف على بفضل الله، وذلك أصح من جعلها زائدة، أما الفاء الداخلة على فليفرحوا، فهي الفصيحة؛ لأنها داخلة لمعنى الشرط، كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوها بالفرح، فإنه ليس ثمة ما هو أدعى إلى الفرح وأثلج للصدور منهما، وهو مبتدأ، وخير خبر، ومما متعلقان بخير، ويجمعون صلة ما ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ أرأيتم تقدم القول أنها بمعنى أخبروني، وما أنزل الله: ما اسم موصول مفعول لأرأيتم، أو لأنزل، وجملة أنزل صلة، والعائد محذوف، أي: أنزله الله، ويجوز أن تكون ما استفهامية في محل نصب بأنزل، وهي حينئذ معلقة لأرأيتم عن العمل، ويجوز أن تكون استفهامية في محل رفع بالابتداء، وجملة آلله أذن لكم خبر، ولكم متعلقان بأنزل، ومن رزق حال ﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ فجعلتم عطف على أنزل، وجعلتم فعل وفاعل، ومنه متعلقان بجعلتم، وحراماً مفعول جعلتم، وحلالاً عطف، آلله الهمزة للاستفهام الإنكاري، والله مبتدأ، وجملة أذن خبره، ولكم متعلقان بأذن، أم منقطعة بمعنى بل، أو متصلة، أي: آلله أذن لكم، أم تكذبون عليه، ولعل اتصالها أظهر. وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيفترون ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الواو عاطفة، وما استفهامية مبتدأ، وظن خبرها، والذين مضاف إليه، وجملة يفترون صلة، وعلى الله متعلقان بيفترون، والكذب مفعول به، ويوم القيامة ظرف متعلق بالظن، والمعنى أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم أنه صانع بهم،

فمفعولا الظن سدت مسدهما أن المقدرة وما بعدها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وذو فضل خبرها، وعلى الناس متعلقان بفضل، ولكن الواو حالية، أو استئنافية، ولكن واسمها، وجملة لا يشكرون خبرها ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وتكون فعل مضارع ناقص، واسمها مستتر، أي: أنت، وفي شأن خبر تكون، وما: الواو عاطفة، وما نافية وتتلو فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره أنت، ومنه متعلقان بتتلو، والضمير يعود إلى القرآن، أو إلى الشأن فتكون من تعليلية، أي: من أجل الشأن الذي كنت مسترسلاً فيه، ومن زائدة، وقرآن مفعول به محلاً، أي: وما تتلون من التنزيل من قرآن؛ لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ ولا تعملون عطف على ما تقدم، ومن حرف جر زائد، وعمل مفعول به محلاً، أو مفعول مطلق، وإلا أداة حصر، وكنا كان واسمها، وعليكم متعلقان بقوله شهوداً، أي: شاهدين، وشهوداً خبر كنا، وشهود جمع شاهد، وكذلك إشهاد، وإذ ظرف لما مضى متعلق بشهوداً، وجملة تفيضون مضافة للظرف، وفيه متعلقان بتفيضون ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الواو حرف عطف، وما نافية، وعن ربك جار ومجرور متعلقان بيعزب، ومن حرف جر زائد، ومثقال ذرة فاعل يعزب محلاً، وفي الأرض حال من مثقال ذرة، أو صفة، ولا في السماء عطف ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما تقدم، ولا نافية للجنس، وأصغر اسمها، ومن ذلك متعلقان بأصغر، ولا أكبر عطف على ولا أصغر، وإلا أداة حصر، وفي كتاب مبين خبر لا، ومبين صفة لكتاب.

وعبارة ابن هشام في «المغني»: «وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ فظاهر الأمر جواز كون أصغر وأكبر، معطوفين على لفظ مثقال، أو على محله، وجوز كون

لا مع الفتح تبرئة، ومع الرفع مهملة، أو عاملة عمل ليس ويقوي العطف أنه لم يقرأ في سورة سبأ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ . . . ﴾ الآية إلا بالرفع لما لم يوجد الخفض في لفظ مثقال، ولكن يشكل عليه ثبوت العزوب عند ثبوت الكتاب، كما أنك إذا قلت: ما مررت برجل إلا في الدار، كان إخباراً بثبوت مرورك برجل في الدار، وإذا امتنع هذا تعين أن الوقف على السماء، وإن وما بعدها مستأنف، وإذا ثبت ذلك في سورة يونس قلنا به في سورة سبأ، وإن الوقف على الأرض، وإنه إنما لم يجيء فيه الفتح اتباعاً للنقل، وجوز بعضهم العطف فيهما، على أن لا يكون معنى يعزب يخفى، بل يخرج إلى الوجود.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ تقديم الأرض في الذكر على السماء، ومن حقها التأخير؛ لأن الأرض جزء من السماء وما فيها من أفلاك ونجوم سوابح، وهو جزء ضئيل جداً من حقه التأخير، ولكنه جنح إلى تقديمه؛ لأنه في معرض حديثه عن الأرض، وذكر شهادته على شؤون أهل الأرض، وأحوالهم، وأعمالهم، ومعايشهم، ووصل ذلك بقوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ ﴾ لاءم بينهما ليلي المعنى المعنى، فإن قيل قد جاء تقديم الأرض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن، قلنا: إذا جاءت مقدمة في الذكر فلا بد لذلك من سبب اقتضاه، وإن خفي ذلك السبب، وقد يستنبطه بعض الباحثين دون بعض، وسيأتي من غرائب التقديم والتأخير ما يدهش العقول في مواضعه من هذا الكتاب.

* الفوائد:

في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ إشكال واضح، إذ ما حقيقة هذا الاستثناء؟ وهل هو متصل أو منقطع؟ إن في جعله متصلاً إشكال؛ لأنه يصير المعنى: إلا في كتاب فيعزب، وهو فاسد، فالأولى جعله منقطعاً، وإلا بمعنى

لكن، والمعنى لا يعزب عن ربك شيء، لكن جميع الأشياء في كتاب، وقد حاول الفخر الرازي جعله متصلاً بعبارة طويلة محصلها: أنه جعله استثناء مفرغاً من أعم الأحوال، فقال: وهو حال من أصغر وأكبر، وهو في قوة المتصل، ولا يقال فيه متصل ولا منقطع.

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

(الولي) ضد العدو، فهو المحب، ومحبة العباد لله: طاعتهم له، ومحبته لهم: إكرامه إياهم، وعلى الأولى يكون فعيل بمعنى فاعل، وعلى الثاني بمعنى مفعول، فهو مشترك بينهما، هذا وقد تقصينا جميع التراكيب في الكلمات التي فاؤها وعينها ولامها واواً ولاماً وياء، فرأيناها تنحصر في الدلالة على معنى القرب والدنو، يقال: وَلِيه، وَلْياً: دنا منه، وأوليته إياه: أدنيته منه، وَكُلْ مما يليك، وجلست مما يليه، وسقط الوَلِيّ ـ وهو المطر الذي يلي الوسمي ـ وقد وُلِيت الأرضُ، وهي مَوْلِيّة، ووليَ الأمرَ، وتوّلاه، هو وليه ومولاه، وهو وَلِيّ اليتيم، ووليُّ القتيل، وهم أولياؤه، ووَلِي ولايةً، وهو والي البلد، وهم ولاته، ورحم الله ولاة العدل، واستولى عليه، وهذا مولاي: ابن عمي، وهم مواليَّ، ومولاي: سيدي وعبدي، ومَوْلًى بيِّن الولاية سيدٌ ناصر، وهو أولى به، ووالاه موالاة، ووالى بين الشيئين، وهما على الولاء، وتقول العرب: والِ غنمك من غنمي، أي: اعزلها وميزها، وإذا كانت الغنم ضأناً ومعزىً قيل: والها. قال ذو الرمة:

يُـوالي إذا اصْطَـكَّ الخُصُـومُ أمـامَـهُ
وُجُوهَ القَضَايا مِنْ وُجُوهِ المَظَالِمِ

وولاه ركنه ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وتوليتُه: جعلته ولياً ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ وتولاك الله بحفظه، ووضع الوليّة على الراحلة، وهي البرذعة، قال أبو زبيد:

كالبَلايا رُؤُوسُها في الوَلَايا مانِحاتِ السَّمُوم حُرَّ الخُدُودِ

وولّ عني وتولى، و ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ ويل لك، واستولى على الغاية، وهذا من الغريب بمكان.

○ الإعـراب:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ألا حرف تنبيه، يستفتح بها الكلام، مركبة من الهمزة ولا النافية، مغيرة عن معناها الأول إلى التنبيه، وإن أولياء الله: إن واسمها، ولا نافية، خوف مبتدأ، وساغ الابتداء به لنفيه، وعليهم خبر، ولا الواو حرف عطف، ولا نافية، وهم مبتدأ، وجملة يحزنون خبر.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الذين آمنوا يحتمل موضعه ثلاثة أوجه متساوية الأرجحية، الأول: النصب على أنه صفة أولياء الله، والثاني: الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين آمنوا، والثالث: الرفع على الابتداء، والخبر جملة لهم البشرى الآتية، وجملة آمنوا صلة، وكانوا يتقون عطف على الصلة، وجملة يتقون خبر كانوا.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لهم خبر مقدم، والبشرى مبتدأ مؤخر، وفي الحياة متعلق بمحذوف حال من البشرى، والعامل في الحال الاستقرار في لهم، والدنيا صفة للحياة، وجملة لهم البشرى، إما مستأنفة، وإن جعلت الذين مبتدأ كانت في محل رفع خبر.

﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وفي الآخرة عطف على في الحياة

الدنيا، ولا نافية للجنس، وتبديل اسمها، ولكلمات الله خبر لا.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ذلك مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، الفوز خبر هو، والجملة خبر ذلك، والعظيم صفة الفوز، والجملتان معترضتان ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية، ويحزنك فعل مضارع مجزوم بلا، والكاف مفعول به، وقولهم فاعل، وإن واسمها، وكسرت همزتها؛ لأن الجملة مستأنفة بمعنى التعليل لعزة الله، ولا يجوز أن تكون كسرت لأنها وقعت بعد القول؛ لأنه يصير حكاية عنهم، وإن النبي ﷺ تحزّن لذلك، وهذا كفر، ولله خبر إن، وجميعاً حال من العزة، ويجوز أن يكون توكيداً، ولم يؤنث بالتاء، لأن فعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث، وهو مبتدأ، والسميع خبره الأول، والعليم خبره الثاني.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

☆ اللغة:

﴿يَخْرُصُونَ﴾ أصل معنى الخرص: الحزر، أي: التخمين والتقدير، ويستعمل بمعنى الكذب لغلبته في مثله. وفي المصباح: خرصت النخل خرصاً، من باب: قتل، حزرت ثمره، والاسم الخِرْص بالكسر، وخرَص الكافر خرْصاً: كذب، فهو خارص وخرّاص.

○ الإعراب:

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ ألا حرف تنبيه، وقد تقدمت الإشارة إليه، وإن حرف مشبّه بالفعل، ولله خبرها المقدم، ومن اسمها المؤخر وخص العقلاء بالذكر تضخيماً لأنهم إذا كانوا له وداخلين في

ملكه، فما وراءهم مما لا يعقل أولى ألا يكون له نداً وشريكاً، وفي السموات صلة من، ومن في الأرض عطف على «من في السموات».

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ ما نافية، ويتبع الذين فعل مضارع وفاعل، وجملة يدعون صلة، ومن دون الله حال من شركاء لتقدمه عليه، وشركاء مفعول به ليتبع، ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى، والتقدير: وما يتبع الذين من دون الله آلهة شركاء، أي: وما يتبعون حقيقة الشركاء، وإن كانوا يسمّونها شركاء؛ لأن شركة الله في الربوبية محال إن يتبعون إلا ظنهم أنهم شركاء، ويجوز أن تكون ما استفهامية، وتكون حينئذ منصوبة بما بعدها، أي: ما يتبع؟ وإلى هذا الإعراب جنح أبو البقاء، ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من، كأنه يقول: ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم، ويجوز أن تكون ما الموصولة هذه في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل، فهذه أربعة أوجه أوردناها لتقاربها في الأرجحية، وإن كان الأول أسهلها.

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ إن نافية، ويتبعون فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، والظن مفعول به، وإن نافية أيضاً، وهم مبتدأ وإلا أداة حصر، وجملة يخرصون خبر هم.

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا ﴾ هو مبتدأ، والذي خبر، وجملة جعل صلة الموصول، ثم الجعل إن كان بمعنى الإبداع والخلق نصب مفعولاً واحداً، وإن كان بمعنى التَّصيير نصب مفعولين، وعلى كل لكم متعلق بجعل، والليل مفعول به، لتسكنوا: اللام للتعليل، وتسكنوا منصوب بأن مضمرة، والجار والمجرور إما مفعول لأجله، أو مفعول به ثان، وفيه متعلق بتسكنوا، والنهار عطف على الليل، ومبصراً إما حال، وإما مفعول به ثان كما تقدم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبر مقدم لإن، واللام المزحلقة، وآيات اسم إن

المؤخر، ولقوم صفة لآيات، وجملة يسمعون صفة القوم.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ مجاز عقلي، فإن إسناد الإبصار إلى النهار غير حقيقي، وقد تقدم أن المجاز العقلي هو إسناد الفعل، أو شبهه، إلى غير ما هو له، على حدّ قول أبي تمام:

تكادُ عَطاياهُ يُجَنُّ جُنُونُها إذا لم يُعَوِّذْها بِنَغْمَةِ طالِبِ

ويجوز أن يجري على أنه استعارة مكنية إذا قصد التشبيه، ومنه قول جرير:

لقد لمتنا يا أمّ غالب في السُّرى ونمت وما ليلُ المطيِّ بنائم

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٨ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ۝٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٧٠﴾

○ الإعراب:

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ قالوا فعل وفاعل، واتخذ الله ولداً فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مقول القول، وسبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف.

﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ هو مبتدأ، والغني خبره، وله خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر، وفي السموات صلة، وما في الأرض عطف على ما في السموات.

﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ إن نافية، وعندكم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وسلطان مبتدأ مؤخر مرفوع محلاً مجرور لفظاً، وبهذا صفة لسلطان ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ الهمزة

للاستفهام الإنكاري، وتقولون فعل مضارع وفاعل، وعلى الله متعلق بتقولون، وما مفعول به، وجملة لا تعلمون صلة.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ قل فعل أمر، وفاعله أنت، وإن الذين إن واسمها، وجملة يفترون صلة الذين، وعلى الله متعلق بيفترون، والكذب مفعول به، وجملة لا يفلحون خبر إن.

﴿ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ متاع خبر لمبتدأ محذوف، أي: ذاك، أو هو، وفي الدنيا صفة، ويجوز أن يكون متاع مبتدأ، وخبره محذوف، والتقدير: لهم متاع، وساغ الابتداء به لوصفه، وثم حرف عطف وتراخ، وإلينا خبر مقدم، ومرجعهم مبتدأ مؤخر، ثم حرف عطف أيضاً ونذيقهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول، والعذاب مفعول به ثان، والشديد صفة، وبما الباء حرف جر للسببية، وما مصدرية، أي: بسبب كونهم كافرين، والجار والمجرور متعلقان بنذيقهم.

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ فَأَجْمِعُوٓا۟ ﴾ يقال: أجمع الأمر وأزمعه: إذا نواه، وعزم عليه، قال المؤرج: أجمعت الأمر أفصح من: أجمعت عليه، وقال أبو الهيثم: أجمع أمره:

إذا جعله جمعاً بعد ما كان متفرقاً (الغمة) ضيق الأمر من غمه إذا ستره، ومنها قوله ﷺ: «ولا غمة في فرائض الله» وغم الهلال: إذا حال من دونه غيم يحجب رؤيته.

○ الإعراب:

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ﴾ واتل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله أنت، وعليهم متعلقان باتل، ونبأ مفعول به، ونوح مضاف إليه، وإذ ظرف لما مضى من الزمن في محل نصب بدل من نبأ بدل اشتمال، أو متعلق به، ولا معنى لقول أبي البقاء أنه حال من نبأ، كما لا يجوز تعليقه بالفعل، وهو: اتل؛ لفساد المعنى؛ لأن اتل مستقبل والظرف ماض، وجملة «قال لقومه» مضافة للظرف ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ يا حرف نداء، وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وقد تقدم بحثه، وإن شرطية، وكان فعل الشرط، واسمها ضمير الشأن المحذوف، وجملة كبر عليكم مقامي خبرها، والمراد بتكبير المقام تعاظم الشقة، والمقام ـ بالفتح ـ: المنزلة والمكانة، قال تعالى: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» والمقام ـ بالضم ـ: الإقامة والقيام على الدعوة خلال مدة اللبث؛ لأنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وتذكيري عطف على مقامي، وبآيات الله متعلقان بتذكيري، فعلى الله: الفاء رابطة، والجار والمجرور متعلقان بتوكلت.

﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ الفاء الفصيحة، وأجمعوا فعل أمر، والواو فاعل، وأمركم مفعول به، لأنه يتعدى بنفسه وبالحرف، كما تقدم في باب: اللغة، وشركاءكم: الواو للمعية، وشركاءكم مفعول معه، نصّ على ذلك سيبويه، وأنشد:

فكـونـوا أنتـم وبنـي أبيكُـم ... مكـانَ الكليتين مـن الطّحـال

وقال النحاس: في نصب الشركاء على قراءة الجمهور ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى: وادعوا شركاءكم، قاله الكسائي والفراء، أي: ادعوهم لنصرتكم، فهو على هذا منصوب بفعل مضمر.

الثاني: وقال محمد بن يزيد المبرد: هو معطوف على المعنى كما قال الشاعر:

يا ليتَ زوجَكِ في الوَغَىٰ مُتقلِّداً سَيْفاً ورُمْحا

والرمح لا يتقلد به لكنه محمول كالسيف.

الثالث: وقال الزجاج: المعنى: مع شركائكم، فالواو على هذا واو مع، وأما على قراءة اجمعوا بهمزة وصل، فالعطف ظاهر، أي: أجمعوا أمركم، واجمعوا شركاءكم، وأما توجيه قراءة الرفع، فعلى عطف الشركاء على الضمير المرفوع في أجمعوا وحسن هذا العطف مع عدم التأكيد بمنفصل كما هو المعتبر في ذلك.

﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، ولا ناهية، ويكن مجزومة بلا، وأمركم اسم يكن، ويكن حال؛ لأنه كان صفة في الأصل، وتقدمت وغمة خبر يكن ﴿ ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ ثم حرف عطف كما تقدم، واقضوا فعل أمر وفاعل، وإليَّ متعلق به، ولا: الواو عاطفة، ولا ناهية، وتنظرون أصله تنظرونني مجزوم بلا، حذفت النون للجازم، وحذفت ياء المتكلم للفواصل، أي: لا تمهلوني.

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتوليتم فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وما نافية، وسألتكم فعل وفاعل، ومن زائدة، وأجر مفعول به محلاً.

﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ إن نافية، وأجري مبتدأ، وإلا أداة حصر، وعلى الله خبر، وأمرت: الواو عاطفة، وأمرت فعل ماض مبني للمجهول، والتاء نائب فاعل، وأن أكون: أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: بأن أكون. ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن

مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ الفاء عاطفة على ما تقدم، وكذبوه فعل وفاعل ومفعول به، فنجيناه عطف على كذبوه، ومن اسم موصول معطوف على الهاء، والظرف متعلق بمحذوف هو الصلة، أي: استقروا معه في السفينة، وفي الفلك جار ومجرور متعلقان بنجيناه، أو في الاستقرار الذي هو الصلة، أي: والذين استقروا معه في الفلك، وجعلناهم خلائف فعل وفاعل ومفعولاه ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وأغرقنا عطف على نجيناه، ونا فاعل، والذين مفعول به، وجملة كذبوا بآياتنا صلة، وبآياتنا متعلقان بكذبوا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الفاء استئنافية، وانظر فعل أمر، وفاعله مستتر، وكيف اسم استفهام خبر كان مقدم، وعاقبة اسمها، والمنذرين مضاف إليه.

□ البلاغة:

(١) المجاز العقلي في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ فقد أسند الكبر إلى المقام، والمقام: هو كناية عن النفس لأن المكان من لوازمه.

(٢) الاستعارة المكنية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ أي: نفذوا ذلك الأمر، أو أدوا إلى ذلك الأمر، شبه الأمر المحذوف بالدَّيْن، ثم حذف المشبه به، وأخذ شيئاً من خصائصه، وهو القضاء، يقال: قضى فلان دينه، أي: أداه.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا
كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ
وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا
جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ عطف على قصة نوح، وبعثنا: فعل وفاعل، ومن بعده حال، ورسلاً مفعول به، وإلى قومهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾ الفاء عاطفة، وجاؤوهم فعل وفاعل ومفعول به، وبالبينات متعلقان بجاؤوهم، والفاء عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، واللام لام الجحود، ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة بعدها، واللام ومدخولها خبر كان، وبما متعلقان بيؤمنوا، وجملة كذبوا صلة، وبه متعلقان بكذبوا، ومن قبل حال، وبنيت قبل على الضم لانقطاعها عن الإضافة لفظاً لا معنى ﴿ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ الكاف في محل نصب صفة لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الطبع نطبع، وعلى قلوب المعتدين جار ومجرور متعلقان بنطبع ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ عطف قصة على قصة أيضاً من باب: عطف الخاص على العام، ومن بعدهم حال وموسى مفعول به لبعثنا، وهارون معطوف على موسى، وإلى فرعون متعلقان ببعثنا، وملئه عطف على فرعون، وبآياتنا متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبسين بآياتنا التسع التي سيصّرح بها في سورة «الإسراء»، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ وقد تقدم منها ثمانية في سورة: «الأعراف» اثنتان في قوله: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ ﴾ وقوله: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ وواحدة في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ وخمسة في قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾ وستأتي التاسعة في هذه السورة في قوله: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ أي: امسخها حجارة، كما سيأتي في حينه. ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ الفاء عاطفة، واستكبروا فعل وفاعل، وكانوا كان واسمها، وقوماً خبرها، ومجرمين صفة ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وجملة جاءهم مضافة، أو لا محل لها، والحقّ فاعل،

ومن عندنا متعلقان بجاءهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ جملة قالوا لا محل، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وسحر خبر إن، ومبين صفة ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ قال موسى فعل وفاعل، والهمزة للاستفهام، وتقولون فعل مضارع وفاعل، وللحق جار ومجرور متعلقان بتقولون، ولما حينية، وجملة جاءكم مضافة، أسحر الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وسحر خبر مقدم، وهذا مبتدأ مؤخر، والجملة مقول القول، ولا الواو للحال، ولا نافية، ويفلح الساحرون فعل مضارع وفاعل، والجملة حالية ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾ قالوا فعل وفاعل، والهمزة للاستفهام البياني؛ الذي يستفرغ فيه المكابر المعاند حججه المتهافتة؛ ليبرز إصراره على اللجاج، والمواربة، والعناد، وجملة أجئتنا مقول القول، وهو فعل وفاعل ومفعول به، ولتلفتنا اللام للتعليل، وتلفت فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعما متعلقان بتلفتنا، وجملة وجدنا صلة، وعليه متعلقان بمحذوف حال تقديره: عاكفين، وآباءنا مفعول به ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الواو عاطفة، وتكون فعل مضارع ناقص، ولكما خبرها المقدم، والكبرياء اسمها المؤخر، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: ممتدة والكبرياء مصدر على وزن فعلياء، ومعناها: العظمة، وقيل: الملك؛ لأن الملوك موصوفون بالكبر، ولذلك قيل للملك الجبار، قال بشار بن برد:

إذا الملكُ الجبّارُ صعَّر خَدَّهُ   مَشَيْنا إليه بالسُّيوفِ نُعَاتِبُهْ

ووصفوا بالصيد والشوس، ولذلك وصف ابن الرقيات مصعباً في قوله:

مُلْكُه ملكُ رأفةٍ ليس فيه   جبروتٌ منه ولا كبرياء

ينفي ما عليه الملوك من ذلك.

﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾ الواو عاطفة، وما حجازية، ونحن اسمها، وبمؤمنين الباء زائدة، ومؤمنين خبر ما محلاً.

* الفوائـد :

قال ابن هشام في صدد حديثه عن حذف المفعول: «ومن غريبه حذف المقول وبقاء القول، نحو: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ أي: هو سحر بدليل: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾».

وهذا القول فيه شيء كثير من الغموض، وقد تعقبه الدسوقي فقال: «ما ذكره المصنف أحد أوجه ذكرها في «الكشاف» وعبارته: فإن قلت: هم قطعوا بقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ على أنه سحر، فكيف قيل لهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾؟ قلت: فيه أوجه أن يكون معنى قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾: أتعيبونه، وتطعنون فيه، وكان عليكم أن تذعنوا له، وتعظموه، من قولهم: فلان يخاف القالة، وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه، ونحو القول الذكر في قوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ ثم قال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ أنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه، وأن يحذف مفعول أتقولون، وهو: ما دل عليه قولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ كأنه قيل: أتقولون ما تقولون، يعني قولهم: إن هذا لسحر مبين. ثم قيل: أسحر هذا، وأن يكون جملة قوله ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ حكاية لكلامهم، كأنهم قالوا: أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح» انتهى ما قاله الزمخشري. وقد تصرف به الدسوقي تصرفاً مخلاً، ولهذا آثرنا نقل ما قاله الزمخشري بنصه من «الكشاف» ومع ذلك لا يخلو من غموض، وإيضاحه: إن القول على الوجه الأول وقع كناية عن العيب فلا يتقاضى مفعولاً، وفي الثاني على أنه يطلب مفعولاً، والذي نراه أن سؤال ابن هشام غير وارد، واعتراض الزمخشري وتكلفه الإجابة عنه غير وارد أيضاً، ولهذا ضربنا صفحاً في الإعراب عن هذا كله، وأحسن من الجميع عبارة أبي السعود وهي: «قال موسى: أي: قال جملاً ثلاثاً الأولى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ والثانية: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ والثالثة: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ وقوله ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: في شأنه ولأجله وقوله: ﴿لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ أي: حين مجيئه إياكم من أول الأمر من غير تأمل وتدبّر،

وهذا مما ينافي القول المذكور. وقوله: «إنه لسحر» هذا مقول القول، فحذف لدلالة ما قبله عليه، وإشارة إلى أنه لا يتفوه به وقوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ مبتدأ وخبر، وهو استفهام إنكار مستأنف من جهته عليه السلام، تكذيباً لقولهم، وتوبيخاً إثر توبيخ، وتجهيلاً بعد تجهيل. وقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ جملة حالية من ضمير المخاطبين، والرابط هو الواو بلا ضمير، كما في قول من قال: «جاء الشتاء ولست أملك عدة» أي: أتقولون للحق إنه لسحر، والحال أنه لا يفلح فاعله، أي: لا يظفر بمطلوب، ولا ينجو من مكروه، فكيف يمكن صدوره عن مثلي من المؤيدين من العزيز الحكيم».

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ الواو عاطفة لتتساوق فصول القصة، وقال فرعون فعل وفاعل، وائتوني فعل أمر وفاعل ومفعول به، وبكل متعلقان بائتوني، وساحر مضاف إليه، وعليم صفة ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ الفاء عاطفة على محذوف، أي: فأتوا بالسحرة، وجملة «قال لهم موسى» لا محل لها، وألقوا فعل أمر وفاعل، وما اسم موصول مفعول به، وأنتم مبتدأ، وملقون خبر، والجملة الاسمية صلة الموصول، وجملة ألقوا مقول القول ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ﴾ ما اسم موصول مبتدأ، وجملة جئتم به صلة، والسحر خبر، وفي قراءة آلسحر بهمزتين همزة استفهام، وهمزة أل، فتكون ما استفهامية في محل رفع مبتدأ، وجئتم به الخبر، والتقدير: أي شيء جئتم به، كأنه استفهام إنكار وتقليل لما

جاؤوا به، والسحر بدل من اسم الاستفهام؛ لذلك أعيدت معه أداته، أو يكون السحر خبراً لمبتدأ محذوف، أي: أهو السحر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ إن واسمها، وجملة سيبطله خبرها، وإن واسمها، وجملة لا يصلح خبرها، وإن الثانية للتعليل، وعمل المفسدين مفعول به ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الواو عاطفة، ويحق الله فعل وفاعل، والحق مفعول به، وبكلماته متعلقان بيحق، ولو الواو حالية، ولو وصلية، وكره المجرمون فعل وفاعل.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

○ الإعراب:

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ الفاء عاطفة على محذوف يفهم من السياق، ومما فصّل في مواضع أخر، أي: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾، وما نافية، وآمن فعل ماض، ولموسى متعلق به، وإلا أداة حصر، وذرية فاعل، ومن قومه صفة ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ على بمعنى مع، وهي مع مجرورها في محل نصب على الحال، ومن فرعون جار ومجرور متعلقان بخوف، وملئهم عطف على فرعون، وإنما أعاد الضمير إليه جمعاً؛ لأنه بمعنى آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون بأمره، وأن يفتنهم: أن وما في حيزها بدل اشتمال من فرعون، أي: على خوف من فتنة فرعون، أو مفعول لأجله بعد حذف اللام ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الواو اعتراضية، وهذه الجملة والتي بعدها اعتراض تذييلي، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وعال خبر إن مرفوع،

وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بعال، وإنه: الواو اعتراضية أيضاً، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومن المسرفين خبر إن ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ يا قوم: يا حرف نداء، وقوم منادى مضاف لياء المتكلم، وقد تقدم حكمه، ونزيد هنا أن حذف الياء أقوى من إثباتها لقوة النداء على التغيير، وإن شرطية، وكنتم في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسم كان، وجملة آمنتم خبر كنتم، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنتم، فعليه: الفاء رابطة لجواب الشرط، وعليه متعلقان بتوكلوا، وتوكلوا فعل أمر وفاعل، وإن شرطية، وكنتم مسلمين كان واسمها وخبرها، وجواب الشرط محذوف، وكرر الجملة توكيداً، وسيأتي في باب الفوائد تحقيق تعليق الحكم بشرطين ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ الفاء للعطف، وقالوا فعل وفاعل، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكلنا، وتوكلنا فعل وفاعل ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ربنا منادى مضاف، وحرف النداء محذوف، ولا ناهية، وتجعلنا فعل مضارع مجزوم بلا، ونا مفعول به أول، وفتنة مفعول به ثان، وللقوم صفة، والظالمين صفة لقوم ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الواو عاطفة، ونج فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، ونا مفعول به، وبرحمتك متعلقان بمحذوف حال، ومن القوم متعلقان بنجنا، والكافرين صفة لقوم.

* **الفوائـد:**

متى لم يترتب الشرطان في الوجود، فالشرط الثاني شرط في الأول، ولذلك لم يجب تقديمه على الأول، وقد بنى الفقهاء على ذلك حكماً طريفاً، وهو أن يقول الرجل لامرأته: إن دخلت الدار فأنت طالق إن كلمت زيداً، فمجموع قوله إن دخلت الدار، فأنت طالق مشروط بقوله: إن كلمت زيداً، والمشروط متأخر عن الشرط، وذلك يقتضي أن يكون المتأخر في اللفظ متقدماً في المعنى، وأن يكون المتقدم في اللفظ متأخراً في المعنى، فكأنه يقول لامرأته: حالما كلمت زيداً إن دخلت الدار فأنت طالق، فلو حصل هذا المعلق قبل إن كلمت

زيداً لم يقع الطلاق، وفي الآية التي نحن بصددها قوله: إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين، يقتضي أن يكون كونهم مسلمين شرطاً لأن يصيروا مخاطبين بقوله: إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا، فكأنه تعالى يقول للمسلم حال إسلامه: إن كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل، والأمر كذلك؛ لأن الإسلام عبارة عن الاستسلام، وهو: الانقياد لتكاليف الله، وترك التمرد والإيمان عبارة عن معرفة القلب بأن واجب الوجود لذاته واحد، وما سواه محدث تحت تدبيره وقهره، فإذا حصلت هاتان الحالتان، فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره إلى الله تعالى، ويحصل في القلب نور التوكل على الله.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ تَبَوَّءَا ﴾: تبوّأ المكان: اتخذه مباءة، كقولك: توطنه؛ إذا اتخذه وطناً، وبوأت له بيتاً: أي: اتخذته، وقال أبو علي: إن تبوأ فعل يتعدى إلى مفعولين.

﴿ ٱطْمِسْ ﴾: الطمس: إزالة أثر الشيء بالمحو، وطمست الريح آثار الديار، والطمس: تغير إلى الدثور والدروس، قال كعب بن زهير:

من كل نضّاخَة الذِّفرى إذا عَرِقت
عُـرْضتهـا طـامـس الأعـلام مجهـولُ

○ الإعـراب:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ الواو استئنافية، وأوحينا فعل وفاعل، وإلى موسى جار ومجرور متعلقان بأوحينا، وأخيه عطف على موسى، وأن يجوز أن تكون مفسرة؛ لأنه قد تقدمها ما هو بمعنى القول دون حروفه، وهو الإيحاء، ويجوز أن تكون مصدرية على بابها، وهي مع مدخولها في موضع نصب مفعول أوحينا، أي: أوحينا إليهما التبوّء، ولقومكما متعلقان بتبوأا، وباعتبارها مفعولاً ثانياً، وبمصر حال، وبيوتاً مفعول تبوأا، وجوز أبو البقاء أن يتعلق بتبوأا ﴿ وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ واجعلوا عطف على تبوأا، وبيوتكم مفعول اجعلوا الأول، وقبلة مفعول اجعلوا الثاني، وأقيموا الصلاة عطف، وهو فعل أمر وفاعل ومفعول به، وبشر المؤمنين عطف أيضاً، وسيأتي في باب البلاغة سرّ تنويع الخطاب ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال موسى فعل وفاعل، وربنا منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وإن واسمها، وجملة آتيت خبر إن، وفرعون مفعول به، وملأه عطف على فرعون، وزينة مفعول به ثان، وأموالاً عطف على زينة، وفي الحياة الدنيا صفة لزينة ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾ ربنا منادى مضاف، وأعيد للتوكيد، واللام لام الصيرورة والعاقبة، أي: آتيتهم النعم المذكورة ليشكروها، ويتبعوا سبيلك، فكان عاقبة أمرهم أنهم كفروها، وضلوا عن سبيلك، ويجوز أن تكون لام العلة، والمعنى: أنك آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج، فكان الإيتاء لهذه العلة، وقال الحسن البصري: هي لام الدعاء عليهم بأن يبقوا على ماهم عليه من الضلال، وعن سبيلك جار ومجرور متعلقان بيضلوا ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ اطمس فعل أمر، وفاعله أنت، وعلى قلوبهم جار ومجرور متعلقان باطمس، واشدد على قلوبهم عطف على اطمس على أموالهم ﴿ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ يحتمل يؤمنوا النصب والجزم، فالنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية العاطفة،

أو العطف على قوله ليضلوا فلا يؤمنوا، واختاره المبرد، وعلى هذا يكون قوله: ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضاً، والجزم على وجه الدعاء عليهم، على أن لا التي يسميها النحاة ناهية، وهي بالنسبة إلى الله تعالى لام الدعاء، ومثله بيت الأعشى:

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى

ولا تلقنـــي إلاَّ وأنفـــك راغِـــم

وحتى حرف غاية وجر، ويروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والواو فاعل، والعذاب مفعول به، والأليم صفة ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ جملة قد أجيبت مقول القول، ودعوتكما نائب فاعل ﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الفاء الفصيحة، واستقيما فعل أمر، والألف فاعل، ولا تتبعان: الواو عاطفة، ولا ناهية، وتتبعان فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، وألف الاثنين فاعل، والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة، وكسرت لوقوعها بعد ألف الاثنين، وقرأ حفص تتبعان بتخفيف النون مكسورة مع تشديد التاء، فتحتمل أن تكون لا للنفي، وأن تكون للنهي، فإن كانت للنفي كانت النون نون رفع، والجملة اسمية، أي: وأنتما لا تتبعان، أو أنه خبر محض مستأنف لا تعلق له بما بعده، وإن كانت للنهي كانت النون للتوكيد، وهي الخفيفة، وسبيل مفعول به، والذين مضاف إليه، وجملة لا يعلمون صلة.

□ البلاغة:

التنويع في الخطاب، فقد نوع سبحانه في خطابهم، فثنى أولاً، ثم جمع، ثم وحد آخراً، والسر في ذلك أن موسى وهارون خوطبا بأن يتبوأا لقومهما بيوتاً، ويختاراها للعبادة، ثم سيق الخطاب عاماً لهما ولقومهما باتخاذ المساجد للصلاة فيها؛ لأن ذلك واجب على الجمهور، ثم خص آخراً موسى بالبشارة التي هي الغرض الأسمى، تعظيماً لها وللمبشر بها.

﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ
بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا﴾ : هو من جاوز المكان؛ إذا تخطاه، وخلفه وراءه.

﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ ﴾ : في المختار: تبعه من باب: طرب وسلم؛ إذا مشى خلفه، أو مرّ به فمضى معه، وكذا اتّبعه، وهو افتعل، وأتبعه على أفعل؛ إذا كان قد سبقه فلحقه. وقال الأخفش: تبعه وأتبعه مثل ردفه وأردفه، وحكى أبو عبيدة عن الكسائي: أنه قال: إذا أريد بهم أنه أتبعهم خيراً أو شراً قالوا بقطع الهمزة، وإذا أريد به أنه اقتدى بهم واتبع أثرهم، قالوا بتشديد التاء ووصل الهمزة.

﴿ بَغۡيٗا﴾ : البغي: طلب الاستعلاء بغير الحق.

﴿ وَعَدۡوًاۖ ﴾ : في الصحاح للجوهري: عدا عَدْواً وعُدُوّاً وعَداء، وفي القاموس والتاج: وعُدواناً وعِدواناً، وعُدْوى عليه: ظلمه، ويقال: «ما عدا مما بدا» أي: ما الذي صرفك عني بعد ما بدا منك؟

﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ : من النجوة، وهي: الأرض التي لا يعلوها السيل، وأصلها من الارتفاع.

○ **الإعراب:**

﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما آل إليه أمر فرعون وقومه، وجاوزنا فعل وفاعل، وببني إسرائيل متعلقان بجاوزنا، والباء للتعدية، أي: جعلناهم مجاوزين البحر،

والبحر مفعول به ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ فأتبعهم: الفاء عاطفة، وأتبعهم فعل ومفعول به، وفرعون فاعل، وجنوده عطف على فرعون، وبغياً مفعول لأجله، وعدواً معطوف عليه، ويجوز أن يكونا مصدرين في موضع الحال، أي: باغين معتدين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ حتى حرف غاية لاتباعه، وإذا ظرف مستقبل، وأدركه الغرق فعل ومفعول به وفاعل، والجملة في محل جر بالإضافة، وجملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة آمنت مقول القول، وأن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور صلة آمنت، ولا إله إلا الذي تقدم القول فيها مشبعاً، وجملة آمنت صلة الذي وبه متعلقان بآمنت، وبنو إسرائيل فاعل آمنت، وأنا الواو عاطفة، وأنا مبتدأ، ومن المسلمين خبر ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ آلآن الهمزة للاستفهام، والآن ظرف متعلق بمحذوف، وتقديره: آلآن آمنت، وقد: الواو للحال، وقد حرف تحقيق، وعصيت فعل وفاعل، وقبل ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، وكنت من المفسدين عطف على عصيت، وكنت كان واسمها، ومن المفسدين خبرها ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ الفاء استئنافية، واليوم ظرف متعلق بننجيك، وببدنك حال من الكاف، أي: مصاحباً لبدنك، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب: البلاغة، ولتكون اللام للتعليل، وتكون منصوب بأن مضمرة، واسم تكون مستتر تقديره: أنت، وآية خبرها، ولمن خلفك حال، والظرف متعلق بالاستقرار؛ الذي هو صلة الموصول ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ الواو اعتراضية، والجملة اعتراض تذييلي جيء به عقب الحكاية، وإن واسمها، ومن الناس صفة لكثيراً، وعن آياتنا متعلقان بغافلون، واللام المزحلقة، وغافلون خبر إن.

□ **البلاغـة:**

في الآية تورية إذا فسر البدن بالدرع، أما إذا فسر بالجسم فيكون المعنى ننجيك في الحال التي لا روح فيك، وإنما أنت بدن، أو ببدنك كاملاً سوياً لم ينقص منه شيء، أما تفسير البدن بالدرع فيدل عليه قول عمرو بن معدي كرب:

أَعَـاذِلُ شكَّتِـي بَـدَنِي وسَيْفِـي وكُـلُّ مُقَلَّـصٍ سَلِـسُ الْقِيَـادِ

وكانت لفرعون درع من ذهب يعرف بها، وعندئذ صح في البدن التورية، وهي: أن البدن في القريب الظاهر بمعنى الجسم، وفي البعيد الخفي بمعنى الدرع، ومراده البعيد الخفي؛ فإن نجاة فرعون، أي: خروجه من البحر بعد الغرق بدرعه، أعجب آية من خروجه مجرداً، والتورية في القرآن قليلة، وسترد مواضعها في حينها، ونتحدث عنها هنا باختصار، فنقول:

تعريف التورية: التورية: هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان: قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد. وتنقسم إلى أربعة أقسام:

(١) التورية المجردة، وسميت بذلك لتجردها من اللوازم، وهي قسمان أيضاً:

آ ـ المجردة التي ذكر معها لازم الموَرّى به، وهو المعنى القريب، ولازم الموَرّى عنه، وهو المعنى البعيد، كقول مجير الدين بن تميم:

وليلة بتُّ أسقى في غياهِبها راحاً تسلُّ شبابي من يدِ الهرم
ما زلتُ أشربها حتى نظرتُ إلى غزالةِ الصُّبح ترعى نرجسَ الظلم

فالصبح من لوازم الغزالة الشمسية، والرعي من لوازم الغزالة الوحشية.

ب ـ المجردة التي لم يذكر معها لازم من لوازم الموَرّى به، ولا لازم من لوازم الموَرّى عنه، كقول بعضهم في سنة كان فيها شهر كانون معتدلاً، فأزهرت الأرض:

كأنَّ نيسانَ أهدى من ملابسه　　لشهرِ كانون أنواعاً من الحلل
أو الغزالة من طُول المدى خرفتْ　　فما تفرقُ بين الجدي والحمل

فالتورية هنا مجردة؛ إذ لم يذكر الشاعر شيئاً من لوازم المورى به، أو لوازم المورى عنه.

(٢) التورية المرشحة: وهي التي ذكر فيها لازم من لوازم المورى به، كقول القائل:

يـــا سيـــداً حـــازَ لطفـــاً　　لـــه البرايـــا عَبيـــد
أنـــتَ الحسيـــنُ ولكـــن　　جفـــاكَ فينـــا يـــزيـــد

فإن ذكر الحسن لازم لكون يزيد اسماً علماً بعد احتماله للفعل المضارع؛ الذي هو معناه المقصود المورّى عنه.

ولابن خطيب داريا في حمص:

مدينةُ حمص كعبة الحسن أصبحتْ
يطوفُ بها دانٍ ويسعى بها قاصي
لـــه حلَّـــةٌ مـــن نبتهـــا سنـــدسيـــةٌ
تعلّقَ في أذيالِ أستارها العاصي

فإن ذكر التعلق بأذيال الكعبة هنا على سبيل الاستعارة ترشيح للعاصي من العصيان كما سبق، وقد ردَّ بعضهم على ابن خطيب داريا فقال:

مدينة حمص لم تكن قطّ كعبةً　　يطوفُ بها دانٍ ويسعى بها قاصي
ولكنَّهـا للَّهـو والقصـفِ حـانـة　　ألم تنظروها كيف جاورَها العاصي؟!

(٣) التورية المبينة: هي التي ذكر فيها لازم من لوازم المورى عنه، ومن أمثلتها ما يحكى أن نقيب الأشراف ببغداد كان يهوى غلاماً اسمه صدقة، أخذه ابن المنير الطرابلسي يوماً، وأضافه، وجلسوا في طبقة، وإذا بالشريف أتى إليهم مستخفياً، وقال لهم:

يـــا مَـــنْ هُـــم فـــي الطَّبقـــة　　هـــل عنـــدكـــم مـــن شَفَقـــة؟

قــــد جـــــاءكـــــم متيَّـــــمٌ يطلـــب منكـــم «صـــدقـــة»

فأجابه ابن المنير في الحال:

يـــا مَـــن أتـــانـــا سرقـــه بمهجــــــــةٍ محترقـــــــة

جـــدُّك يـــــا ذا لم يجـــــزْ أَخْـــذَكَ منـــا «صـــدقـــة»

فخجل، وذهب عنهما، والشاهد في قول الشريف «متيم» يرشح المعنى المورى عنه في صدقة، وهو اسم محبوبه، والمعنى الثاني ظاهر، وهو: الصلة للفقراء.

(٤) التورية المهيئة: وهي التي لا يتهيأ معها في الكلام تورية إلا باللفظ قبله، أو الذي بعده، كقول الدماميني:

يــا عــذولي في مغــنٍّ مطــرب حــرَّك الأوتــارَ لمــا سَفــرا

لــم تهـز العطـف منه طـربـاً عنـدمـا تسمـع منـه وَتـرا

فإن اللفظة تسمع هيأت قوله «وتراً» للتورية بالرؤية، وهو المعنى البعيد، وأما المعنى القريب فأحد الأوتار للطنبور.

* الفوائـد:

﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ﴾ ظرف زمان للوقت الذي أنت فيه، مبني على الفتح، ويجوز أن يدخله من حروف الجر من وإلى وحتى ومذ ومنذ مبنياً معهن على الفتح، ويكون في موضع الجر.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ
جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى
شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَۚ لَقَدْ جَآءَكَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ

بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾»

☆ **اللغة:**

«مُبَوَّأَ صِدْقٍ» اسم مكان، أي: مكان صدق، والمعنى: وأنزلناهم منزلاً محموداً، ويجوز أن يكون مصدراً.

(الامتراء) طلب الشك مع ظهور الدليل، وهو من مرى الضرع، وهو: مَسْحه ليدرّ.

○ **الإعراب:**

«وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ» الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان النعم التي أفاضها الله على بني إسرائيل بعد إنجائهم، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وبوأنا فعل وفاعل، وبني إسرائيل مفعول به، ومبوأ صدق مفعول به ثان لبوأ، أو مفعول مطلق إن كانت مبوأ مصدراً «وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ» ورزقناهم عطف على بوأنا، وهو فعل وفاعل ومفعول به، ومن الطيبات متعلقان برزقناهم، فما: الفاء عاطفة، وما نافية، واختلفوا فعل وفاعل، وحتى حرف غاية وجر، وجاءهم العلم فعل ومفعول به وفاعل، والمراد بالاختلاف: ما تعاورهم من شكوك بعد مجيء الرسول محمد ﷺ، وتضافر معجزاته «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» إن واسمها، وجملة يقضي خبرها، وبينهم متعلقان بيقضي، ويوم القيامة ظرف متعلق بيقضي أيضاً، وفيما متعلقان بمحذوف حال، أي: فاصلاً فيما، وجملة كانوا صلة ما، وكانوا الواو اسمها، وفيه متعلقان بيختلفون، وجملة يختلفون خبر كانوا «فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ» الفاء استئنافية، وإن شرطية، وكنت كان واسمها، والفعل في محل جزم فعل الشرط، وفي شك خبرها، ومما متعلقان بمحذوف صفة لشك، وجملة أنزلنا إليك صلة ما «فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ

يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ الفاء رابطة، واسأل فعل أمر، وفاعله أنت، والذين مفعول به، وجملة يقرءون الكتاب صلة، ومن قبلك حال ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ اللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وجاءك الحق فعل ومفعول به وفاعل، ومن ربك متعلقان بجاءك، والفاء عاطفة، ولا ناهية، وتكونن مجزوم بلا محلاً؛ لأنه مبني، واسمها مستتر تقديره: أنت، ومن الممترين خبرها ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ تقدم إعرابها ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الفاء سببية، وتكون مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، ومن الخاسرين خبرها، وسيأتي في باب الفوائد ما قاله العلماء في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إن واسمها، وجملة حقت صلة، وعليهم متعلقان بحقت، وكلمة فاعل، وربك مضاف لكلمة، وجملة لا يؤمنون خبر إن ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ الواو حالية، ولو شرطية، وجاءتهم كل آية فاعل، وحتى غاية النفي، ويروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والواو فاعل، والعذاب مفعول به، والرؤية عينية، ولذلك نصبت مفعولاً واحداً فقط، والأليم صفة، وجواب لو محذوف، أي: فلا ينفعهم إيمانهم حينئذ كما لم ينفع فرعون.

* الفوائـد:

قال الزجاج: إن هذه الآية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها، وفي السورة ما يدل على بيانها؛ فإن الله سبحانه يخاطب النبي، وذلك الخطاب شامل للخلق، فالمعنى: فإن كنتم في شك فاسألوا، والدليل عليه قوله في آخر السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ . . .﴾ الآية فأعلم الله سبحانه أن نبيه ليس في شك، ومثل هذه قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فقال: طلقتم والخطاب للنبي ﷺ وحده، قال أبو عمرو ومحمد بن عبد الواحد الزاهد: سمعت

الإمامين ثعلباً والمبرد يقولان: معنى «فإن كنت في شك» أي: قل يا محمد للكافر: فإن كنت في شك.

وقال الفراء: إن الخطاب لرسول الله ﷺ وإن لم يشك، وعلم الله أنه غير شاك، ولكن الكلام خرج مخرج التقرير والإفهام، كما يقول الابن لأبيه: إن كنت والدي فتعطف علي، أو لولده: إن كنت ابني فأطعني، يريد بذلك المبالغة، وربما خرجوا في المبالغة إلى ما يستحيل كقولهم: بكت السماء لموت فلان، أي: لو كانت السماء تبكي على ميت لبكت عليه، وكذلك يكون هاهنا المعنى: لو كنت ممن يشك فشككت فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك.

وقال الزمخشري: إن أمر رسول الله ﷺ مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وحجة نبوة محمد ﷺ، ويبالغ في ذلك فقال: فإن وقع لك شكٌّ فرضاً وتقديراً ـ وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها، إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلّته، وإما بمقادحة العلماء المنبّهين إلى الحق ـ فَسَلْ علماء أهل الكتاب.

وقال أبو حيان: «والذي أقوله: أنّ إن الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء، ولا تستلزم تحتيم وقوعه وإمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ ومستحيل أن يكون له ولد، فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك، وفي المستحيل عادة، كقوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ أي: فافعل، لكن وقوع «إن» للتعليق على المستحيل قليل، وهذه الآية من ذلك، ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا

عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي
ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ﴾ الفاء استئنافية، ولولا تحضيضيّة، وهذا التحضيض فيه معنى التوبيخ والنفي، وقد تقدمت الإشارة إلى حروف التحضيض، وكانت قرية فعل وفاعل؛ لأن كان هنا تامة، وجملة آمنت صفة لقرية ﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ الفاء عاطفة، ونفعها معطوف على الصفة عطف المسبب على السبب، وإيمانها فاعل نفعها، والجملة قد تقوم مقام الصفة للنكرة، وإلا قوم يونس استثناء متصل واقع على المعنى لا على ظاهر اللفظ، فكأنه قال: هلاّ آمن أهل قرية، والجميع مشتركون في العقاب، وقوم يونس مستثنى من الجميع، ومثل هذا الاستثناء قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾. وقال الزجاج إلا قوم يونس استثناء منقطع، وتقديره: لكن قوم يونس لما آمنوا، ومثله قول النابغة:

وقَفْتُ فيها أصيلاً كي أُسائِلَها ... عيَّتْ جواباً وما بالرَّبْعِ من أحدِ
إلاَّ الأواريّ لأَيْــاً مــا أُبيِّنهــا ... والنّؤي كالحوضِ بالمظلومةِ الجلدِ

ويونس مضاف إليه ممنوع من الصّرف للعلمية والعجمية ﴿ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ لما حينية، أو رابطة، وآمنوا فعل وفاعل، وجملة كشفنا لا محل لها، وعنهم متعلقان بكشفنا، وعذاب الخزي مفعول به، وفي الحياة متعلقان بمحذوف حال، والدنيا صفة، ومتعناهم عطف على كشفنا، وإلى حين متعلقان بمتعناهم ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية، وشاء ربك فعل وفاعل لآمن، واللام واقعة في جواب لو، وجملة آمن لا محل لها لأنها جواب

شرط غير جازم، ومن فاعل آمن، وفي الأرض صلة من، وكلهم توكيد لمن، وجميعاً نصب على الحال من «من» ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة، وأنت مبتدأ، والجملة بعده خبر، وقد مر معنا أن الهمزة مقدمة على العاطف، أو ثم جملة محذوفة، وحتى حرف تعليل وجر، ويكونوا منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ومؤمنين خبر يكونوا ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولنفس خبرها المقدم، وأن المصدرية، وما في حيِّزها اسمها المؤخر، وإلا أداة حصر، وبإذن الله متعلقان بتؤمن ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ويجعل معطوفة على مقدر، كأنه قيل: فيأذن لبعضهم في الإيمان، ويجعل مضارع، والرجس مفعوله، وعلى الذين متعلقان بيجعل، وجملة لا يعقلون صلة.

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

(النظر): طلب الشيء من جهة الفكر، كما يطلب إدراكه بالعين، والمعنى: تأملوا تأمل اعتبار.

﴿وَٱلنُّذُرُ﴾: جمع نذير، وهو: صاحب النذارة.

○ **الإعراب:**

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قل فعل أمر، وجملة انظروا مقول القول، وماذا يحتمل أن تكون ما استفهامية مبتدأ، وذا اسم موصول خبر،

وتكون الجملة في محل نصب لتعليق العامل، وهو انظروا بالاستفهام، ويحتمل أن تكون ماذا بتمامها استفهاماً في محل رفع مبتدأ، وفي السموات خبره، وعلى الأول يكون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف هو الصلة للموصول، أي: ما الذي استقر في السموات والأرض ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه الجملة إما حالية من الواو في انظروا؛ كأنه قيل: انظروا، والحال أن النظر لا ينفعكم، وإما معترضة، وما نافية، أو استفهامية في محل نصب على أنها مفعول مطلق لتغني، أي: أي: غناء تغني، والآيات فاعل، والنذر عطف على الآيات، وعن قوم جار ومجرور متعلقان بتغني، وجملة لا يؤمنون صفة لقوم ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الفاء استئنافية، وهل حرف استفهام، وينتظرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، ومثل مفعول ينتظرون، وأيام مضاف إليه، والذين مضاف لأيام، وجملة خلوا صلة، ومن قبلهم متعلقان بخلوا، أو بمحذوف حال ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ قل فعل أمر والفاء الفصيحة، وانتظروا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وإن واسمها ومن المنتظرين خبرها، والظرف متعلق بمحذوف حال ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ثم حرف عطف للترتيب والتراخي، وننجي فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره نحن، والجملة عطف على كلام محذوف، تقديره: نهلك الأمم، ثم ننجي رسلنا على حكاية الأحوال الماضية، ورسلنا مفعول به، والذين عطف على رسلنا، وجملة آمنوا صلة ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الكاف في محل نصب صفة لمصدر محذوف، أي: إنجاء مثل ذلك الإنجاء، فهي مفعول مطلق، والعامل فيه ننجي المؤمنين، ولك أن تجعل الكاف في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، وقدّروه بقولهم: الأمر كذلك، وحقاً نصب على المصدر، أي: يحق حقاً، ويجوز أن يعرب نصباً على الحال، وإن كان لفظه لفظ المصدر، وأورد جامع العلوم الضرير النحوي وجهاً طريفاً، وهو: أن ينصب على البدلية من كذلك، وعلينا متعلقان بحقاً، وننجي فعل مضارع، والمؤمنين مفعول به.

□ **البلاغة:**

التشبيه التمثيلي في قوله ﴿كذلك ننجي . . .﴾ الخ فقد شبه نجاة من بقي من المؤمنين بنجاة من مضى في أنه واجب لهم، وحق على الله. ووجه الشبه استحقاق كلّ منهم بالنجاة.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

○ **الإعراب:**

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى ﴾ قل فعل أمر، ويا أيها الناس تقدم إعرابها كثيراً، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، وهي كان واسمها، وفي شك خبرها، ومن ديني صفة لشك ﴿ فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا نافية، وأعبد فعل مضارع فاعله أنا، والذين مفعول أعبد، وجملة تعبدون صلة، ومن دون الله حال ﴿ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ الواو عاطفة، ولكن حرف استدراك لا عمل لها، وأعبد فعل مضارع، وفاعله أنا، ولفظ الجلالة مفعوله، والذي صفة، وجملة يتوفاكم صلة ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الواو عاطفة، وأمرت فعل ماض مبني للمجهول، والتاء نائب فاعل، وأن وما في حيزها في موضع نصب بنزع

الخافض، أي: بأن أكون، والجار والمجرور متعلقان بأمرت، واسم أكون مستتر تقديره: أنا، ومن المؤمنين خبر أكون ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ الواو عاطفة، وأن وما في حيزها عطف على ما قبلها، كأنه قيل: وقيل لي: وأقم، ولكن يشكل إعراب المصدر؛ لأن عطفه على أن أكون فيه إشكال؛ لامتناع عطف الإنشاء على الخبر، ولكن سيبويه سوغ أن توصل أن بالأمر والنهي، وشبه ذلك بقولهم: أنت الذي تفعل على الخطاب؛ لأن الغرض وصلها بما تكون معه بمعنى المصدر، والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال. وقد لخص البيضاوي ما أفاض فيه سيبويه قال: « ﴿ وَأَنْ أَقِمْ ﴾ عطف على ﴿ أَنْ أَكُونَ ﴾ غير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر، ولا ضير في ذلك؛ لأن مناط جواز وصلها بصيغ كل الأفعال دلالتها على المصدر، وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية، ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي، إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل، وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية، وليس الموصول الحرفي كذلك». وهو تلخيص لما قاله الزمخشري أيضاً، وجرى عليه أبو السعود، أما غيرهما فاختار أن «أن» المصدرية وما في حيزها في محل رفع بفعل مقدر، أي: وقيل لي، ولا نرى هذا الرأي. أما السمين شهاب الدين الحلبي فقال ما نصه: «قوله ﴿ وَأَنْ أَقِمْ ﴾ يجوز أن يكون على إضمار فعل، أي: وأوحي إليَّ أن أقم، ثم لك في أن وجهان: أحدهما: أن تكون تفسيرية لتلك الجملة المقدَّرة، وفيه نظر؛ لأن المفسر لا يجوز حذفه. والثاني: أن تكون مصدرية، فتكون هي وما في حيزها في محل رفع بذلك الفعل المقدر».

وأقم فعل أمر، ووجهك مفعول به، وللدين متعلقان بأقم، وحنيفاً حال من الدين، أو من الوجه ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتكونن فعل مضارع مبني لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بلا، واسم تكونن مستتر تقديره: أنت، ومن المشركين خبرها. ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتدع مضارع مجزوم بلا،

والفاعل أنت، ومن دون الله حال، وما موصول مفعول به، وجملة لا ينفعك صلة وجملة ولا يضرك عطف على لا ينفعك. ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وفعلت في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وإن واسمها، وإذن حرف جواب وجزاء مهمل، ومن الظالمين خبر إن ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويمسسك فعل الشرط، والكاف مفعول به، والله فاعل، وبضر جار ومجرور متعلقان بيمسسك، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وكاشف اسمها مبني على الفتح، وله متعلقان بكاشف، والخبر محذوف، ويجوز أن يكون له هو الخبر، أي: كائن له، وإلا أداة حصر، وهو بدل من الخبر المحذوف، على ما تقدم في «لا إله إلا الله» ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويردك فعل الشرط مجزوم، والكاف مفعول به، وبخير متعلقان بيردك، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وراد اسمها، ولفضله متعلقان براد، والخبر محذوف، ويجوز أن يكون الجار والمجرور هو الخبر كما تقدم ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ جملة يصيب استئنافية، والفاعل هو، وبه جار ومجرور متعلقان بيصيب، ومن مفعول يصيب، وجملة يشاء صلة، ومن عباده حال، وهو الواو استئنافية، وهو مبتدأ، والغفور خبر أول، والرحيم خبر ثان ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ قد جاءكم الحق فعل ومفعول به وفاعل، ومن ربكم متعلقان بجاءكم ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ الفاء الفصيحة، ومن شرطية، أو موصولية مبتدأ، واهتدى فعل الشرط، والجملة صلة الموصول، والفاء رابطة، وإنما كافة ومكفوفة، ويهتدي فعل مضارع، والفاعل هو، ولنفسه متعلقان بيهتدي ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ تقدم إعراب مماثلتها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ الواو استئنافية، وما نافية حجازية، وأنا اسمها، وعليكم متعلقان بوكيل، ووكيل خبر ما الحجازية محلاً ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ الواو استئنافية لاستبعاد عطف الإنشاء على الخبر، واتبع فعل أمر، وفاعله أنت، وما مفعول به، وجملة يوحى صلة، وإليك متعلقان بيوحى ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ

ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ واصبر فعل أمر معطوف على اتبع، وحتى حرف غاية وجر، ويحكم الله منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والله فاعله، وهو: الواو استئنافية، وهو مبتدأ، وخير الحاكمين خبره.

* * *

سُورَةُ هُودٍ

آياتها ١٢٣ — ترتيبها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا
ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٤﴾

☆ **اللغة:**

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: نظمت نظماً رصيناً محكماً، لا يعتوره نقض ولا خلل، كأنه البناء المحكم المرصف، ويجوز أن يكون نقلاً بالهمزة، من حكُم ـ بضم الكاف ـ أي: صار حكيماً، وقيل معناه: منعت من الفساد، من قولهم: أحكمت الدابة إذا وضعت فيها الحكمة لتمنعها من الجماح، قال جرير:

أَبَنِي حنيفةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُم إنِّي أخافُ عليكمُ أَن أَغْضَبَا

وقد تقدم بحث مسهب عن الحكمة في القرآن، وسيرد المزيد منها أيضاً.

○ الإعـراب:

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ ألر تقدم القول فيها، وكتاب خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا كتاب، وجملة أحكمت آياته صفة لكتاب، وآياته نائب فاعل ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وفصلت فعل ماض مبني للمجهول، ومن حرف جر، ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر، وهما متعلقان بفصلت، أو بمحذوف صفة لكتاب، وهذا أولى؛ لأنه وصف أولاً بإحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات، ثم وصف بهذه الصفة الدالة على علو شأنه من حيث الإضافة، وحكيم مضاف إلى لدن، وخبير صفة لحكيم ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ يجوز أن تكون مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولا ناهية، وتعبدوا مجزوم بلا، والجملة خبر أن المخففة، ويجوز أن تكون أن حرفاً مصدرياً ناصباً، ولا نافية، والفعل بعدها منصوب بأن، وأن وما في حيزها مفعول لأجله بتقدير اللام، على معنى: لئلا تعبدوا، ويجوز أن تكون تفسيرية؛ لأن في تفصيل الآيات معنى القول؛ كأنه قيل: قال لا تعبدوا إلا الله، أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله، ولعل هذا أسهل من الوجهين السابقين، وإن كانت الأوجه الثلاثة متساوية في الرجحان، وإلا أداة حصر، ولفظ الجلالة مفعول به، وإن واسمها، ونون الوقاية بينهما، وبكم جار ومجرور متعلقان بنذير وبشير، ومنه حال، ونذير خبر إن، وبشير عطف على نذير ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ الواو عاطفة، وأن معطوفة على أن الأولى، عطف علة على أخرى، وتجري مجراها في الإعراب، وربكم مفعول استغفروا، ثم حرف عطف، وتوبوا عطف على أن استغفروا، فهو علة ثالثة. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون «وأن استغفروا» وما بعده كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي ﷺ؛ إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة، ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾. ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يمتعكم فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وهو قوله: ﴿وَأَنِ

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ والكاف مفعول به، ومتاعاً مفعول مطلق، وحسناً صفة، وإلى أجل متعلقان بيمتعكم، ومسمى صفة لأجل ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ الواو عاطفة، ويؤت عطف على يمتعكم مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل هو، أي: الله، وكل مفعول به أول، وذي فضل مضاف إليه، وفضله مفعول به ثان ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتولوا فعل مضارع، أصله: تتولوا، مجزوم لأنه فعل الشرط، والواو فاعل، والفاء رابطة، وإن واسمها، وجملة أخاف عليكم خبر إن، وجملة ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وعذاب مفعول به، ويوم مضاف إليه، وكبير صفة ليوم، ويوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ إلى الله خبر مقدم، ومرجعكم مبتدأ مؤخر، وهو مبتدأ، وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير، وقدير خبر هو.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا
عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ
لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَثْنُونَ﴾: الثني: العطف، تقول: ثنيته عن كذا، أي: عطفته، ومنه

الاثنان لعطف أحدهما على الآخر في المعنى، ومنه الثناء لعطف المناقب في المدح، ومنه الاستثناء لأنه عطف عليه بالإخراج منه، وأصل يثنون يثنيون؛ لأنه من باب: يرمي، فالمصدر الثني نقلت ضمة الياء إلى النون قبلها ثم حذفت لالتقاء الساكنين، فوزنه يعفون؛ لأن الياء المحذوفة هي لام الكلمة. وقال الزمخشري: يثنون عنه: يزورّون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره، وطوى عنه كشحه.

﴿لِيَسْتَخْفُواْ﴾: الاستخفاء: طلب خفاء الشيء، يقال: استخفى وتخفّى.

﴿يَسْتَغْشُونَ﴾: يطلبون الغطاء، قالت الخنساء:

أرعى النُّجومَ وما كُلِّفْتُ رِعْيَتَها   وتارةً أَتَغَشَّى فَضْلَ أطماري

وفي القاموس: واستغشى ثوبه: تغطّى به كيلا يسمع ولا يرى.

(الدابة): الحي الذي من شأنه أن يدب، وقد صار في العرف مختصاً بنوع من الحيوان، وفي المصباح: دب الصغير يدبّ، من باب: ضرب، إذا مشى، ودب الجيش دبيباً: سار سيراً ليناً، وكل حيوان في الأرض: دابة.

○ الإعراب:

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ﴾ ألا أداة استفتاح وتنبيه، وإن واسمها، وجملة يثنون صدورهم خبرها، واللام للتعليل، ويستخفوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ﴾ ألا تأكيد للتنبيه، وحين ظرف، والعامل فيه مقدر، وهو يستخفون، ويجوز أن يكون ظرفاً ليعلم، أي: ألا يعلم سرهم وعلنهم حين يفعلون كذا، وجملة يستغشون مضافة للظرف، وثيابهم منصوب بنزع الخافض، ويعلم فعل مضارع، وفاعله هو الله، وما مفعول به، وجملة يسرون صلة، وما يعلنون عطف عليه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ إن واسمها وخبرها، وبذات الصدور متعلقان بعليم ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ الجملة مستأنفة،

مسوقة لبيان كونه تعالى محيطاً بجميع الكائنات، عالماً بكل ما هب ودب، وما نافية، ومن زائدة، ودابة مبتدأ مرفوع محلاً مجرور بمن لفظاً، وإلا أداة حصر، وعلى الله خبر مقدم، ورزقها مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر دابة ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ الواو حرف عطف، ويعلم فعل مضارع، وفاعله هو، ومستقرها مفعول يعلم، ومستودعها عطف على مستقرها، وهما اسما مكان، أي: يعلم مواضع استقرارها ومساكنها، ومواطن استيداعها من صلب، أو رحم، أو بيضة ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ كل مبتدأ، وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، أي: كل واحد من الدواب، وستأتي أحكام «كل» في باب: الفوائد، وفي كتاب خبر، ومبين صفة ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الواو عاطفة، وهو مبتدأ، والذي خبر، وجملة خلق السموات والأرض صلة، وفي ستة أيام متعلقان بخلق ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ كان واسمها، وعلى الماء خبرها، وفي الصورة تجسيد للإحاطة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ اللام للتعليل، ويبلوكم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ولام التعليل الجارة ومدخولها متعلقان بخلق، وأيكم مبتدأ، وأحسن خبر، وعملاً تمييز، والجملة في محل نصب معمولة ليبلوكم، وعلق عنها بأي الاستفهامية، وقد أحسن الزمخشري في تقريره إذ قال: «فإن قلت: كيف جاز تعليق فعل البلوى؟ قلت: لما في الاختبار من معنى العلم؛ لأنه طريق إليه فهو ملابس له، كما تقول: انظر أيهم أحسن وجهاً، واستمع أيهم أحسن صوتاً؛ لأن النظر والاستماع من طرق العلم» ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، ولا يجوز أن تكون للابتداء؛ لأنها دخلت على إن التي هي للجزاء، ولام الابتداء من خصائص الاسم، أو ما يضارع الاسم، وإن حرف شرط جازم، وقلت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وإن واسمها، ومبعوثون خبرها، ومن بعد الموت متعلقان بمبعوثون ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ اللام جواب القسم، وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم؛ لأنه إذا جاء في صدر الكلام غلب عليه، وقد تقدم ذلك، ويقولن

فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم كما تقدم، وإن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وسحر خبر، ومبين صفة، وسيأتي بحث اللام وأقسامها في باب الفوائد ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ لئن عطف على ما تقدم، وقد تقدم إعراب لئن، وعنهم متعلقان بأخرنا، والعذاب مفعول به، وإلى أمة متعلقان بأخرنا، والمراد بالأمة الطائفة من الأزمنة، وهي في الأصل للطائفة من الناس، ومعدودة صفة لأمة ﴿ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ اللام جواب القسم، ويقولن فعل مضارع مرفوع لأنه مفصول عن نون التوكيد بفاصل، وهو واو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين، والأصل: ليقولونّ، حذفت إحدى النونات لتوالي الأمثال، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين، والضمة على اللام دليل عليها، وقد تقدم تحقيق ذلك، وأعدناه للتذكير، وما اسم استفهام مبتدأ، وجملة يحبسه خبر، والاستفهام للإنكار والاستهزاء والسخرية حسب اعتقادهم ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ ألا أداة استفهام وتنبيه، وهي داخلة على ليس في المعنى، ويوم يأتيهم نصب على الظرف، وهو معمول لخبر ليس، واسمها مستتر فيها يعود على العذاب، ومصروفاً خبر ليس، وعنهم جار ومجرور متعلقان بمصروفاً، وستأتي الإشارة إلى جواز تقديم خبر ليس عليها في باب الفوائد ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الواو عاطفة، وجملة حاق عطف على جملة ليس، فهو في حيز ألا، وبهم متعلقان بحاق، وما فاعل حاق، وجملة كانوا صلة، والواو اسم كان، وبه متعلقان بيستهزئون، وجملة يستهزئون خبر كانوا.

* الفوائـد:

(١) ﴿ كُلٌّ ﴾ اسم موضوع لاستغراق أفراد المتعدد، أو لعموم أجزاء الواحد، ولا تستعمل إلا مضافة لفظاً أو تقديراً، وتفيد التكرار بدخول ما المصدرية الظرفية عليها، نحو: كلما أتاك أكرمه، وقد تقدم في كلما عند قوله: ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً﴾ وأنها منصوبة على الظرفية باتفاق،

وناصبها الفعل الذي هو جواب في المعنى، والجملة بعدها لا محل لها؛ لأنها صلة موصول حرفي، وتكون «كل» نعتاً لنكرة أو معرفة، فتدل على أنه كامل بلغ الغاية فيما تصفه به، نحو: هو العالم كل العالم، وتكون توكيداً لمعرفة، أو نكرة، نحو: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ﴾ وأقمنا حولاً كاملاً كله، ولفظة كل حكمها الإفراد والتذكير، ومعناها بحسب ما تضاف إليه، فإن أضيف إلى مذكر وجب مراعاة معناها، وجاء الضمير بعدها مفرداً مذكراً ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أو مفرداً مؤنثاً، نحو: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أو مثنى، كقول الفرزدق:

وكُلُّ رفيقيْ كُلِّ رحلٍ وإنْ هُما تعاطى القنا قوماهُما أخوانِ

ولابن هشام تعسف وخبط في إعراب هذا البيت، نكتفي بالإشارة إليه ليرجع إليه من شاء في «مغني اللبيب».

أو مجموعاً مذكراً كقول لبيد:

وكلّ أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم دويهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

أو مجموعاً مؤنثاً كقول الآخر:

وكلُّ مُصيباتِ الزَّمانِ وجدتُها سوى فُرقةِ الأحبابِ هيِّنة الخطب

وإن أضيفت إلى معرفة جاز مراعاة لفظها ومراعاة معناها، فيقال: كل القوم حضر، وكل القوم حضروا، وإن قطعت عن الإضافة لفظاً، فقيل: تجوز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى، نحو: كلٌ حضر، وكلٌ حضروا، وقيل: إذا كان المقدر مفرداً نكرة فيجب الإفراد، وإن كان جمعاً معرفاً فيجب الجمع، والتنوين في المنقطعة عن الإضافة لفظاً عوض عن المضاف إليه، والتقدير في المثال الأول: كل أحد، وفي الثاني: كلهم، وإن وقعت كل بعد النفي ثابتاً لبعض الأفراد، نحو: ما جاء كل القوم، وإن وقع النفي بعدها ثبت لكل فرد، نحو: كلهم لم يقوموا، ولا تدخلها أل إلا إذا كانت عوضاً عن المضاف إليه، أو أريد لفظها كما يقال الكل لإحاطة الأفراد.

(٢) اللام: اللام على ثلاثة أقسام: عاملة للجر، وعاملة للجزم، وغير عاملة.

وأقسامها:

١ ـ اللام الجارة: تكون مكسورة مع الاسم الظاهر، نحو: لزيد، إلا مع المستغاث المباشر لـ «يا» فهي مفتوحة نحو: يا لله، وتكون مفتوحة مع الضمير إلا مع الياء فهي مكسورة، نحو: لَك، ولِي.

واللام الجارة قسمان:

آ ـ اللام الداخلة على الاسم، ولها معان كثيرة مذكورة في كتب النحو المطولة، وأشهرها الاختصاص نحو: «الجنة للمؤمن» والاستحقاق نحو: «العزة لله» والملك نحو: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ والتبليغ نحو: «قلت له» والتعدية نحو: «ما أشد حب زيد لعمرو» والقسم نحو: «لله لأفعلن هذا» أي: والله، والصيرورة نحو: «ولد الإنسان لحياة أبدية» وتأتي أيضاً بمعنى إلى وعلى وعند وفي وبعد، وقد تكون زائدة، نحو: ضربت لزيد.

ب ـ أما اللام الداخلة على الفعل، فإن الفعل بعدها ينصب بأن المصدرية مضمرة، وتكون أن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور باللام، وهذه تكون إما للتعليل نحو: «جئتك لتعلمني» وإما للصيرورة نحو: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ وإما لتوكيد النفي، وهي المسبوقة بكون منفي، وتسمى لام الجحود، ونحو: ما كان زيد ليكذب.

٢ ـ اللام الجازمة: وهي لام الأمر، وتسمى لام الطلب، وتكون مكسورة نحو: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ وقد تفتح، وإسكانها بعد الفاء والواو أكثر من تحريكها، نحو: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي﴾ وقد تسكن بعد ثم نحو: «ثم ليقض».

٣ ـ غير العاملة: وتكون مفتوحة أبداً، وهي:

آ ـ لام الابتداء نحو: «لَزيد قائم» و«إِن زيداً لقائم» وتسمى بعد إنَّ: اللام المزحلقة.

ب ـ لام الجواب بعد لو ولولا والقسم، ونحو: «لو عدتم لعدنا» و«لولا زيد لهلكنا» و«والله لزيد كريم».

ج ـ اللام الزائدة كما في قوله: «أراك لشاتمي».

د ـ لام البعد اللاحقة لأسماء الإشارة، وأصلها السكون كما في: تلك، وإنما كسرت مع ذلك لالتقاء الساكنين.

(٣) ليس واسمها وخبرها:

تختص ليس من بين أخوات كان بأمور:

أ ـ ليس فعل لا يتصرف بحال؛ لأنها وضعت موضع الحرف في أنها لا يفهم معناها إلا مع متعلقها.

ب ـ لا يجوز أن يتقدم خبرها عليها عند جمهور النحاة، وأجازه بعضهم من قدماء البصريين والفراء وابن برهان والزمخشري من المتأخرين بقوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ وتقرير الحجة منه أن يوم يأتيهم معمول لمصروفاً، وقد تقدم على ليس، وتقدم المعمول لا يصح إلا حيث يصح تقديم عامله، فلولا أن الخبر وهو مصروفاً يجوز تقديمه على ليس، لما جاز تقديم معموله عليها، وأجيب بأن المعمول ظرف فيتسع فيه ما لا يتسع في غيره، أو بأن يوم معمول المحذوف تقديره: يعرفون يوم يأتيهم، وليس مصروفاً جملة حالية مؤكدة، أو مستأنفة، وقال أبو حيان: «وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها، ولا بتقديم معموله، إلا ما دل عليه ظاهر الآية».

(٤) تعقيب لابن هشام على الزمخشري في تعليقه على قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وقد اضطرب كلام الزمخشري، ثم أورد

ما نقلناه عنه، وقال: «ولم أقف على تعليق النظر البصري والاستماع إلا من جهته».

وذكر الرضي أن أفعال الحواس تعلق لأنها طرق للعلم، وقال عبد القادر البغدادي في شرح شواهده على الكافية: إن كتاب الرضي لم ينقل للقاهرة إلا بعد موت ابن هشام، فكذلك قال، ولم أقف... الخ.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ تقدم القول في لئن، وأذقنا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، ونا فاعل، والإنسان مفعول به، ومنّا حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لرحمة، وتقدمت عليها، ورحمة مفعول به ثان ﴿ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ ثم حرف عطف للترتيب والتراخي، ونزعنا فعل وفاعل ومفعول به، ومنه جار ومجرور متعلقان بنزعناها، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ويؤوس: خبر إن، وكفور: خبر ثان لإن ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ تقدم إعراب مثيلتها، وبعد ظرف متعلق بمحذوف صفة لنعماء، وضراء مضاف إليه، ومنع من الصرف لانتهائه بألف التأنيث الممدودة، وجملة مسته صفة ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ اللام جواب القسم، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم، ويقولن فعل مضارع مبني على الفتح، وجملة ذهب السيئات مقول القول، وعني متعلقان بذهب ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وفرح خبر أول، وفخور خبر ثان لإن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ إلا أداة استثناء، والذين مستثنى من الإنسان لأن اللام فيه للجنس فهو متصل، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً، إذ المراد شخص معين، وعلى كل حال هو في محل نصب، وجملة صبروا صلة وعملوا الصالحات معطوفة، وأولئك مبتدأ، ولهم خبر مقدم، ومغفرة مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر أولئك.

□ البلاغة:

(١) في الإذاقة استعارة مكنية، لأنه في الأصل تناول الشيء بالفم لإدراك الطعام، ثم استعير للذات تشبيهاً لها بما يذاق، ثم يزول بسرعة، كما تزول الطعوم.

(٢) بين النعماء والضراء طباق، وجميع هذه الأبحاث تقدم البحث فيها.

* الفوائد:

السراء والنعماء والضراء قيل: إنها مصادر بمعنى المسرة والنعمة والمضرة، والصواب: أنها أسماء للمصادر، وليست أنفسها، فالسراء: الرخاء، والنعماء: النعمة، والضراء: الشدة، فهي أسماء لهذه المعاني، فإذا قلنا: إنها مصادر، كانت عبارة عن نفس الفعل الذي هو المعنى، وإذا كانت أسماء لها كانت عبارة عن المحصّل لهذه المعاني.

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ
أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ
ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ

أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَضَآئِقٌ﴾: اسم فاعل من ضاق، وهو أولى بالآية من ضيق لوجهين: أحدهما: أنه عارض، وليس على جهة الثبوت، وثانيهما: أنه أشبه بتارك.

○ **الإعراب:**

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ الفاء استئنافية، ولعل على بابها من الترجي بالنسبة للمخاطب، وقيل: هي للاستفهام الإنكاري كقوله ﷺ: «لعلنا أعجلناك» وسيأتي القول في لعل في باب الفوائد، والكاف اسمها، وتارك خبرها، وبعض مفعول به لتارك، وما اسم موصول مضاف لبعض، وجملة يوحى صلة، وإليك متعلقان بيوحى، أو بمحذوف حال، وضائق عطف على تارك، وبه متعلقان بضائق، وصدرك فاعل لضائق، ويجوز أن يكون ضائق خبراً مقدماً، وصدرك مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ثان لـ: لعلك، فيكون قد أخبر بخبرين أحدهما مفرد، والثاني جملة عطفت على مفرد لأنها بمعناه ﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ أن وما في حيزها مصدر في موضع نصب مفعول من أجله، أي: مخافة قولهم، وأعربه بعضهم بدلاً من الهاء في قوله: وضائق به صدرك، وليس ببعيد، ولولا تحضيضية، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وعليه جار ومجرور متعلقان به، وكنز نائب فاعل، أو حرف عطف، وجاء فعل ماض، ومعه ظرف متعلق بجاء، وملك فاعل ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وأنت مبتدأ، ونذير خبره، والله مبتدأ، وعلى كل شيء متعلقان بوكيل، ووكيل خبر الله ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أم منقطعة بمعنى بل، ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وجملة افتراه مقول القول، وهو تقرير في صورة الاستفهام، والتقدير: بل أيقولون افتراه ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ الفاء الفصيحة، وأتوا فعل أمر وفاعل،

وبعشر متعلقان به، وسور مضاف إليه، ومثله صفة، ومثل وإن كانت بلفظ الإفراد فإنها يوصف بها المثنى والمجموع والمؤنث، كقوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ وتجوز المطابقة، قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وادعوا عطف على فائتوا، والواو فاعل، ومن مفعول به، وجملة استطعتم صلة، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وإن شرطية، وكنتم كان واسمها، وهو فعل الشرط، وصادقين خبر كنتم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فائتوا وادعوا ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ الفاء عاطفة وإن شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويستجيبوا مجزوم بلم، وهو فعل الشرط، والواو فاعل، والضمير يعود على من استطعتم، ولكم متعلقان بيستجيبوا، والفاء رابطة، واعلموا فعل أمر وفاعل، وأنما كافة ومكفوفة، وقد سدت مع مدخولها مسدّ مفعولي اعلموا، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وبعلم الله حال، أي: متلبساً بعلم الله، فالباء للملابسة ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ وأن الواو عاطفة، وأن مخففة من الثقيلة، وهي منسوقة على أن قبلها، ولا إله إلا هو تقدم إعرابه مستوفى، والفاء عاطفة، وهل حرف استفهام، وأنتم مبتدأ، ومسلمون خبر.

* الفوائد:

(لعل) هي للتوقع، وعبر عنه قوم بالترجي في الشيء المحبوب، نحو: لعل الحبيب قادم وقوله تعالى ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ والإشفاق في الشيء المكروه نحو: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: قاتل نفسك، والمعنى: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك، فتوقع المحبوب يسمى ترجياً، وتوقع المكروه يسمى إشفاقاً. وقال الأخفش والكسائي: وتأتي لعل للتعليل نحو: «إفرغ من عملك لعلنا نتغدى»، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ أي: ليتذكر. وقال الكوفيون: تأتي لعل

للاستفهام، قال في «المغني»: ولهذا علق به الفعل نحو: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ وبعض العرب يجرون بها، ويستشهدون على ذلك بقوله:

فقلت ادعُ أخرى وارفعِ الصوتَ جهرةً
لعلَّ أبي المغوارِ منكَ قريبُ

إذا عرفت ما قرره النحاة، فأي من معاني لعل ينطبق على الآية التي نحن بصددها؟ إذا كانت للتوقع فتوقع ترك التبليغ لا يليق بمقام النبوة، وأجابوا عن هذا الاعتراض بأننا لا نسلم أن لعل على بابها من الترجي، بل هي هنا للتبعيد، فإنها تستعمل لذلك أيضاً، وجواب آخر وهو أن تكون هنا للاستفهام الإنكاري كما تقدم، والمعنى: أنك بلغ الجهد في تبليغهم أنهم يتوقعون منك ترك التبليغ لبعضه، وهو جميلٌ جداً.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَزِينَتَهَا﴾ الزينة: تحسين الشيء بغيره من لبسة، أو حلية، أو هيئة، يقال: زانه يزينه زينة، وزيّنه يزينه تزييناً.

﴿نُوَفِّ﴾: التوفية: تأدية الحق على التمام.

﴿يُبْخَسُونَ﴾: البخس: نقصان الحق، وكل ظالم باخس، وفي المثل: «تحسبها حمقاء وهي باخس».

○ الإعراب:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا

يَبْخَسُونَ﴾ من اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، واسم كان ضمير مستتر يعود على من، وجملة يريد الحياة الدنيا خبر كان، وكان فعل الشرط مجزوم محلاً، وزينتها عطف على الحياة، ونوفّ جواب الشرط مجزوم بحذف حرف العلة، وإليهم جار ومجرور متعلقان بنوفّ، وأعمالهم مفعول به، وفيها متعلقان بمحذوف حال، وهم الواو حالية، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بيبخسون، وجملة لا يبخسون خبر هم، وقال الفراء: كان هنا زائدة، وتقديره: من يرد الحياة الدنيا، وهو قول جميل وطريف لولا أنه غير مطرد، ولا يسوغ حمل القرآن عليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والذين خبره، وجملة ليس صلة، ولهم خبر مقدم لليس، وفي الآخرة حال وإلا أداة حصر، والنار اسم ليس المؤخر ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الواو عاطفة، وحبط فعل ماضي وما فاعله، وجملة صنعوا صلة، ويجوز أن تكون ما مصدرية، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر فاعل حبط، وفيها متعلقان بصنعوا، أو بحبط، وباطل: الواو عاطفة، وباطل خبر مقدم، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر، ويجوز أن تكون ما مصدرية، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، وكانوا: كان واسمها، وجملة يعملون خبرها.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا
تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ
ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾
ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

(البينة): الحجة الفاصلة بين الحق والباطل.

﴿مِرْيَةٍ﴾: المرية ـ بالكسر والضم ـ: الشك، ففيها لغتان أشهرهما الكسر، وهي لغة أهل الحجاز، والضم لغة بني أسد.

﴿لَا جَرَمَ﴾: قال السيوطي في الإتقان: «وردت في القرآن في خمسة مواضع متلوة بأن واسمها، ولم يجيء بعدها فعل، واختلف فيها، فقيل: لا نافية لما تقدم، وقيل زائدة».

هذا؛ وفي هذه اللفظة خلاف طويل بين النحاة، ويتلخص ذلك الخلاف فيما يلي:

الأول: ما ذهب إليه الخليل وسيبويه، وهو أنها مركبة من لا النافية وجرم، بنيتا على تركيبهما تركيب خمسة عشر، وصار معناهما معنى فعل، وهو حق، فعلى هذا يرتفع ما بعدهما بالفاعلية، فقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ أي: حق وثبت كون النار لهم، أو استقرارها لهم.

الثاني: أن لا جرم بمنزلة لا رجل في كون لا نافية للجنس، وجرم اسمها مبني على الفتح، وهي واسمها في موضع رفع بالابتداء، وما بعدهما خبر لا، وصار معناها لا محالة، ولا بد في أنهم في الآخرة، أي: في خسرانهم، وهذا مذهب الفراء.

الثالث: أن لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة، فرد الله عليهم ذلك بقوله: لا، كما ترد هذه قبل القسم في قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ ثم أتى بعدها بجملة

فعلية، وهي جرم أن لهم كذا، وجرم فعل ماض معناه: كسب، وفاعله مستتر يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام، وأن وما في حيزها في موضع المفعول به؛ لأن جرم يتعدى إذا كان بمعنى كسب، وعلى هذا فالوقف على لا، ثم يبتدأ بجرم بخلاف ما تقدم.

الرابع: أن معناها لا حد ولا منع، ويكون جرم بمعنى القطع تقول: جرمت، أي: قطعت، فيكون جرم اسم لا مبنياً معها على الفتح كما تقدم، وخبرها أن وما في حيزها على حذف حرف الجر، أي: لا منع من خسرانهم.

وفي هذه اللفظة لغات: لا جرم بكسر الجيم، ولا جرم بضمها، ولا جر بحذف الميم، ولاذا جرم، ولاذو جرم، وغير ذلك، وعلى كل فإن هذا التعبير يستعمل في أمر يقطع عليه، ولا يرتاب فيه.

○ الإعراب:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، والفاء استئنافية، ومن موصولية مبتدأ خبره محذوف تقديره: كغيره، أو كمن ليس كذلك، وجواب الاستفهام محذوف أيضاً، تقديره: لا يستويان، وكان فعل ماض ناقص، واسمها مستتر يعود على من، وعلى بينة خبرها، ومن ربه صفة لبينة ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الواو عاطفة، ويتلوه شاهد فعل مضارع ومفعول به وفاعل، ومنه صفة لشاهد ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الواو عاطفة أيضاً، ومن قبله حال من كتاب موسى المعطوف على شاهد عطف المفردات، هذا ما أعربه معظم المفسرين، وأرى أن الحق مع البيضاوي الذي أعرب من قبله جاراً ومجروراً متعلقين بمحذوف خبر مقدم، وكتاب موسى مبتدأ مؤخراً، ففي هذا الإعراب سلامة من المعاظلة الناشئة عن الفصل بين حرف العطف والمعطوف عليه، وإماماً حال من كتاب موسى، ورحمة عطف على إماماً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة يؤمنون به خبر ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ الواو

عاطفة، ومن شرطية مبتدأ، ويكفر فعل الشرط، وبه متعلقان بيكفر، ومن الأحزاب حال، والفاء رابطة، والنار مبتدأ، وموعده خبر، والجملة الاسمية جواب الشرط. وفي جعل النار موعداً إشعار بأن فيها ما لا يحيط به الوصف من أفانين العذاب، وقد تعلق حسان بأهداب هذا التعبير فقال:

أوردتموها حِياضَ الموتِ ضَاحِيَةً

فـالنَّـارُ مَـوْعِـدُهَـا والمـوتُ لاقِيهَـا

﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ الفاء الفصيحة، ولا ناهية، وتك فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه السكون المقدرة على النون المحذوفة للتخفيف، واسم تك مستتر تقديره: أنت، وفي مرية خبر، ومنه صفة لمرية ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ إن واسمها، والحق خبرها، ومن ربك متعلقان بمحذوف حال، والواو حالية، ولكن واسمها، والناس مضاف إليه، وجملة لا يؤمنون خبر لكن ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لذكر أوصافهم الأربعة عشر، والتي أولها افتراء الكذب، وآخرها كونهم في الآخرة أخسر من غيرهم، ومن استفهامية مبتدأ، والاستفهام هنا معناه النفي، أي: لا أحد أظلم، وممن متعلقان بأظلم، وجملة افترى صلة، وعلى الله متعلقان بافترى، وكذباً مفعول به ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة يعرضون خبره، والواو نائب فاعل، وعلى ربهم متعلقان بيعرضون ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ويقول عطف على يعرضون، والأشهاد فاعل، وهؤلاء مبتدأ، والذين خبره، وجملة كذبوا على ربهم صلة الموصول، وألا أداة تنبيه، ولعنة الله مبتدأ، وعلى الظالمين خبر ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ الذين بدل من الظالمين، وجملة يصدون صلة، وعن سبيل الله متعلقان بيصدون، ويبغونها عطف على يصدون، وهو فعل وفاعل ومفعول، وعوجاً حال، أي: معوجة ﴿ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ الواو عاطفة، وهم مبتدأ،

وبالآخرة متعلقان بكافرون، وهم الثانية تأكيد لهم الأولى، وكافرون خبر «هم» الأولى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة لم يكونوا خبر، ومعجزين خبر يكونوا، وفي الأرض حال، أي: أنهم لا يخرجون عن قبضته على كل حال ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولهم خبر كان المقدم، ومن دون الله حال، ومن حرف جر زائد، وأولياء اسم كان محلاً ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ يضاعف فعل مضارع مبني للمجهول، ولهم متعلقان به، والعذاب نائب فاعل، والجملة مستأنفة، وما نافية، وكانوا: كان واسمها، وجملة يستطيعون السمع خبر كان، والسمع مفعول به، وجملة ما كانوا يستطيعون السمع تعليل لمضاعفة العذاب، وجملة وما كانوا يبصرون عطف على ما كانوا يستطيعون السمع، وسيرد في باب البلاغة معنى هذا الكلام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ أولئك مبتدأ، والذين خبر، وجملة خسروا أنفسهم صلة، وضل عنهم عطف، وما فاعل ضل، وجملة كانوا يفترون صلة ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ لا نافية، وجرم فعل ماض، وأنهم: أن وما في حيزها في محل رفع فاعل جرم، وقد تمشينا على مذهب سيبويه والخليل، وانظر باب: اللغة، وفي الآخرة حال وهم ضمير فصل، أو مبتدأ، والأخسرون خبر أن، أو خبر هم، والجملة خبر أن، وقد تقدمت لضمير الفصل نظائر.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ تشبيه تمثيلي؛ لأنه تشبيه مركب بمركب، شبههم في فرط تصامّهم عن استماع الحق، ونبو أسماعهم عنه بمن لا يستطيع السمع، وذلك لوجوه عديدة:

أولها: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون، وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً وإصراراً منهم على الخطل

والصدوف عن الحق، وهذا يقضي أن تكون ما مصدرية، والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض، وهو الباء على حدّ قول الشاعر:

نُغالي اللَّحمَ للأضيافِ نِيئاً ونبْـذِلـه إذا نَضِـجَ القـدورُ

أراد: نغالي باللحم، وقد ذهب إلى هذا المذهب الفراء.

وثانيها: أنه لاستثقالهم استماع آيات الله، وكراهتهم تذكرها وتفهمها، جروا مجرى من لا يستطيع السمع، وأن أبصارهم لم تنفعهم، مع إعراضهم عن نذر الآيات، فكأنهم لم يبصروا. ومما يجري هذا المجرى قول الأعشى في مطلع معلقته:

وَدِّعْ هُـريـرةَ إنّ الـرَّكْـب مُـرْتَحِـلُ
وهـل تطيـقُ وداعـاً أيُّهـا الـرَّجُـلُ؟!

ومن المعلوم أن الأعشى كان يقدر على الوداع، وإنما نفى الطاقة عن نفسه من حيث الكراهية والاستثقال.

وثالثها: أن ما هنا ظرفية مصدرية، تجري مجرى سأذكرك ما حييت، والمعنى: أنهم معذبون ما داموا أحياء.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَأَخْبَتُوٓاْ ﴾ سكنوا، واطمأنوا، وأنابوا، والإخبات: الطمأنينة، وأصله الاستواء من الخبت، وهو: الأرض المطمئنة المستوية الواسعة، فكأن الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه، وهو يتعدى بإلى وباللام، فإذا قلت: أخبت فلان إلى كذا، فمعناه: اطمأن إليه، وإذا قلت: أخبت له،

فمعناه خشع وخضع. وللخاء والباء فاءً وعيناً للكلمة خاصة غريبة، إذ أن الكلمة تدل على معنى التغطية، والستر، والخفاء، أو ما هو قريب من ذلك، أو يمت إليه بصلة، فقولهم: خبأ الشيء: ستره وأخفاه، وله خبيئة خبأها ليوم حاجة، ومن أمثالهم: «لا مخبأ لعطر بعد عروس». والله يخرج الخبء، وخبَّأتُ الجارية، وجارية مخبّأة، ونساء مخبآت، وخبّ الرجل: نزل المنهبط من الأرض ليجهل منزله، وخبّ الفرس خباً وخبيباً، راوح في عدو بين يديه ورجليه، والخِب ـ بكسر الخاء ـ: الخداع، وهو إخفاء المكر، وفي حديث عمر بن الخطاب: «ما تكلم أحد بالفارسية إلا خَبَّ، وما خَبَّ إلا ذهبت مروءته». وخبث فلان: ضد طاب. والخبيث يضمر خلاف ما يظهر، وخبر الشيء: علمه عن تجربة، أي: نفذ إلى دخائله واستوضحها، وخبز الخبز معروف، وإيداعه إلى إخفائه فيه، واختبس الشيء: تناوله وغنمه، وخبش الأشياء: جمعها من هاهنا وهاهنا، وخبص الشيء بالشيء: خلطه به، وخبط البعير بيده الأرض، وبات يختبط الظلماء، وهو خابط عشوة للجاهل، وخبع في المكان: دخل فيه، ويقال: جارية خُبَعَة طلعة، أي: تخبأ نفسها مرة وتبديها مرة. وخبله: أفسده أو أفسد عقله، وفساد العقل: ذهابه، قال:

أرى المالَ أفْياءَ الظِّلالِ فتارةً ... يؤوبُ وأخرى يخبِلُ المالَ خابِلُهْ

وخبن الثوب: عطفه وخاطه، وخبن الشاعر: أتى بالخبن في شعره، وهو حذف ثاني الجزء ساكناً، وخبت النار: خمدت وسكنت، واستخبأ الخباء: دخله. ولو شئنا أن نستفيض في النقل من هذه المادة لأريناك العجب العجاب، وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ إن واسمها، وجملة آمنوا صلة وجملة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا، وكذلك جملة، وأخبتوا إلى ربهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ أولئك

مبتدأ، وأصحاب الجنة خبر، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بخالدون، وخالدون خبر هم، وجملة أولئك أصحاب الجنة خبر إن، وجملة هم فيها خالدون خبر ثان لإن ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ مثل مبتدأ، والفريقين مضاف إليه، وكالأعمى خبر، أو الكاف اسم بمعنى مثل، خبر، وما بعده عطف عليه ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ هل استفهام معناه النفي، ويستويان فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، ومثلاً تمييز محول عن الفاعل، والأصل: هل يستوي مثلهم، أفلا تذكرون: الاستفهام للإنكار والتوبيخ.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ... ﴾ الخ، تشبيه تمثيلي، أي: مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع، ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم، وقد زادت الآية على جميع أمثلة التشبيه التمثيلي، كقول امرىء القيس:

كـأنَّ قلـوبَ الطَّيـر رطبـاً ويـابسـاً
لدى وكرها العنَّابُ والحشفُ البالي

وقول بشار:

كأنَّ مثارَ النقع فوقَ رُؤُوسِنا وأسيافنا، ليلٌ تهاوى كواكِبُهْ

ففي البيت الأول تشبيه قلوب الطير الرطبة بالعناب، وتشبيه قلوب الطير اليابسة بالحشف البالي. وفي البيت الثاني تشبيه الغبار القاتم، والسيوف الملتمعة فيه، وبالليل الذي تنقضّ فيه الشهب والكواكب. أما الآية فقد زادت بتشبيه اثنين بأربعة كما هو واضح، فقد شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين.

هذا؛ ولو جاءت الآية على وجه الطباق خلاف نظمها، بأن يقال: كالأعمى، والبصير، والأصم، والسميع، لفسد المعنى، وإن حصل الطباق في اللفظ؛ لأنه سبحانه قسم المشبه به إلى قسمين كالمشبه؛ لأنه

قسمان مبتلى ومعافى، وضادَّ بينهما ليصحَّ السؤال بينهما على قصد التوبيخ.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ أَرَاذِلُنَا ﴾ أسافلنا، وفيه وجهان: أحدهما: أنه جمع الجمع، فهو جمع أرذُل ـ بضم الذال ـ جمع رذْل بسكونها، ككلب وأكلب وأكالب. وثانيهما: أنه جمع مفرد، وهو أرذل، كأكبر وأكابر، وأبطح وأباطح، وأبرق وأبارق. والأرذل: المرغوب عنه لرداءته، واختار الزمخشري الوجه الثاني، ورجحه صاحب القاموس.

﴿ بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ ظاهر الرأي، وقد يهمز فيقال: باديء الرأي، فمن لم يهمز أراد: أنت فيما بدا من الرأي، ومن همز أراد: أنت أول الرأي ومبتداه، ولأبي علي بحث طريف في هذا التعبير ننقله بنصه لفائدته:

«المعنى فيمن قال بادي الرأي بلا همز فجعله من بدا؛ إذا ظهر، أي: ما اتبعك إلا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي إن لم يتعقبوه بنظر فيه وروية، وهاتان الكلمتان تتقاربان في المعنى؛ لأن الهمزة في اللام معناها ابتداء الشيء وأوله، واللام إذا كانت واواً كان المعنى الظهور، وابتداء الشيء يكون ظهوراً، فلذلك يستعمل كل منهما مكان الآخر، وجاز في اسم الفاعل

أن يكون ظرفاً، كما جاز في فعيل نحو قريب ومليء؛ لأن فاعلاً وفعيلاً يتعاقبان على المعنى، نحو: عالم وعليم، وشاهد وشهيد، وحسن ذلك إضافته إلى الرأي، وقد أجروا المصدر أيضاً في إضافته إليه في قولهم: إما جهد رأيي فإني منطلق، فهذا لا يكون إلا ظرفاً» إلى آخر هذا البحث الممتع، وسيرد المزيد في الإعراب.

﴿ٱلرَّأۡيِ﴾: مصدر رأى رأياً، ويجمع على آراء، والرأي: هو التفكر في مبادىء الأمور، والنظر في عواقبها، والعلم بما تؤول إليه من الخطأ والصواب، وأصحاب الرأي عند الفقهاء هم أصحاب القياس والتأويل. وقد أجمع الشعراء على امتداح الرأي، فقال أبو فراس الحمداني:

ولا أرضى الفتى ما لم يكمِّلْ بـرأي الكَهْـلِ إقـدام الغـلام

وقال أبو الطيب المتنبي:

الرأيُ قبل شجاعةِ الشُّجعان هو أوَّل وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حُرَّةٍ بلغتْ من العلياءِ كلَّ مكان

○ الإعـراب:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للشروع في ذكر عدد من القصص تسلية للنبي ﷺ واعتباراً بها، وتأسياً بما لاقاه أصحابها. وقد احتوت هذه السورة على سبع قصص. واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وأرسلنا فعل وفاعل، ونوحاً مفعول به، وإلى قومه جار ومجرور متعلقان بأرسلنا، وإني بكسر الهمزة على إرادة القول، وكثيراً ما يضمر، وهو غني عن الشواهد، وإن واسمها، ولكم متعلقان بنذير، ونذير خبر إن، ومبين صفته ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ أن مفسرة، ولا ناهية، وتعبدوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، ولفظ الجلالة مفعول به، وإن واسمها، وجملة أخاف خبرها، وعليكم متعلقاً بأخاف، وعذاب يوم مفعول أخاف،

وأليم صفة ليوم ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ الفاء عاطفة، وقال الملأ فعل وفاعل، والذين صفة للملأ، وجملة كفروا صلة، ومن قومه حال ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ الجملة مقول القول، وما نافية، ونراك فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلا: أداة حصر، والرؤية تحتمل القلبية والبصرية، فبشراً: مفعول به ثان على الأولى وحال على الثانية، ومثلنا صفة، وما نراك عطف على ما نراك الأولى، وهي أيضاً تحتمل القلبية والبصرية، فجملة اتبعك إما مفعول به ثان، وإما حال، وإلا أداة حصر، والذين فاعل اتبعك، وهم أراذلنا مبتدأ وخبر، والجملة صلة، وبادي الرأي منصوب على الظرفية، أي: أول الرأي، والعامل فيه اتبعك، وقد تقدم القول مسهباً فيه، وقيل: انتصب حالاً من ضمير نوح في اتبعك، أي: وأنت مكشوف الرأي لا حصافة لك ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ ﴾ وما نرى عطف على ما تقدم، ولكم متعلقان بنرى، وعلينا متعلقان بفضل، ومن: حرف جر زائد، وفضل: مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً، وبل: حرف إضراب وعطف، ونظنكم عطف على ما نرى، والكاف مفعول به أول، وكاذبين مفعول به ثان ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للتلطف بهم في الخطاب ومناصفتهم، ويا قوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وأرأيتم تقدم الكلام عليه مُفصَّلاً، ورأيتم فعل وفاعل، أي: أخبروني، وهنا يتطلب البينة مفعولاً به، وكنت تتطلب البينة مجرورة بعلى، فأعمل الثاني، وأضمر في الأول، والتقدير: أرأيتم البينة من ربي إن كنت عليها أنلزمكموها، فحذف المفعول الأول، والجملة الاستفهامية هي المفعول الثاني، وجواب الشرط محذوف للدلالة عليه، وإن شرطية، وكنت فعل الشرط، والتاء اسمها، وعلى بينة خبر كنت، ومن ربي صفة، ومعنى على هنا الاستعلاء؛ لأن صاحب البينة يكون مستعلياً على سواه، وقيل: هي للمصاحبة بمعنى مع، وليس ببعيد، وآتاني الواو عاطفة، وآتاني فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ورحمة مفعول به ثان،

ومن عنده صفة لرحمة ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ الفاء عاطفة، وعميت فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره: هي، وعليكم جار ومجرور متعلقان بعميت، وسيأتي بيان حقيقة هذا التعبير في باب البلاغة، وأنلزمكموها الهمزة للاستفهام، أي: أنكرهكم عليها، وفي هذا الفعل ثلاثة ضمائر الأول مستتر تقديره: نحن، وهو الفاعل، والثاني ضمير المخاطب أي: الكاف وهو المفعول الأول، والثالث ضمير الغائب، أي: الهاء، وهو المفعول الثاني، والميم علامة جمع الذكور، والواو لإشباع حركة الضم على الميم، وليست ضميراً، وقد روعي الترتيب فيها؛ لأن المتكلم أخص بالفعل، ثم ضمير المخاطب، ثم ضمير الغائب، وأنتم الواو للحال، وأنتم مبتدأ، ولها متعلقان بكارهون، وكارهون خبر، والجملة حالية، وتقدم القول في جملة أنلزمكموها.

□ البلاغة:

(١) في إسناد العمى إلى البينة مجاز عقلي، تنزيلاً لها منزلة من يعقل، وحقيقته: أن الحجة والبينة جعلت بصيرة، ومبصرة؛ لأن الأعمى لا يهتدي، ولا يهدي غيره، فعميت عليكم البينة، فلم تهدكم، كما لو عمي القوم رائدهم؛ الذي يسير بهم في المتاهات المظلمة، والبوادي المتشعبة، فبقوا حائرين يتخبطون، ويلتمسون النجاة من حيرتهم، وحمله بعضهم من باب القلب، أي: أنهم هم الذين عموا، فيكون من باب: أدخلت الخاتم في إصبعي، وأدخلت القلنسوة في رأسي، وقال الشاعر:

ترى الشَّوكَ فيها مدخلاً ظلّ رأسه
وسائره بادٍ إلى الشَّمس أجمع

(٢) التعريض في قوله: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ وقد تقدم القول في التعريض، وغرضهم هنا منه التعريض بأنهم أحق منه بالنبوة، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد لجعلها فيهم، وقد زعم هؤلاء أن يحجوا نوحاً من وجهين:

أحدهما: أن المتبعين أراذل ليسوا قدوة ولا أسوة، والثاني: أنهم مع ذلك لم يترووا في اتباعه، ولا أمعنوا الفكرة في صحة ما جاء به، وإنما بادروا إلى ذلك ارتجالاً، ومن غير فكر ولا روية.

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بِطَارِدِ ﴾: الطرد: الإبعاد، وتطارد الأقوال: حمل بعضها على بعض.

﴿ تَزۡدَرِيٓ ﴾: الإزدراء: الاحتقار والعيب، افتعال من الزراية، يقال: زريت عليه؛ إذا عبته، وأزرت به، إذا قصرت، قال الشاعر:

رأوه فازدروه وهو خرقٌ		وينفعُ أهلَه الرجلُ القبيح
ولم يخشوا مقالَتَهُ عليهم		وتحت الرغوةِ اللبنُ الصَّريح

○ **الإعراب:**

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ ﴾ عطف على ما تقدم، ولا نافية، وأسألكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وعليه حال، ومالاً مفعول به ثان ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ إن نافية، وأجري مبتدأ، وياء المتكلم مضافة، وإلا أداة حصر، وعلى الله خبر ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ ﴾ الواو عاطفة، وما حجازية تعمل عمل ليس، وأنا اسمها، والباء حرف جر زائد، وطارد مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، والذين مضاف إليه، وجملة آمنوا صلة ﴿ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾ إن واسمها، وملاقوا

خبرها، وربهم مضاف إليه، ولكني الواو حالية، أو عاطفة، ولكن واسمها، وجملة أراكم خبرها، والكاف مفعول أول لأراكم، وقوماً مفعول به ثان، وجملة تجهلون صفة ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ عطف على ما قبله، ومن اسم استفهام مبتدأ، وجملة ينصرني خبر من الله جار ومجرور متعلقان بينصرني، وإن شرطية، وطردتهم فعل الشرط، وهو فعل ماض وفاعل ومفعول به، والجواب محذوف دل عليه ما قبله، أي: فمن ينصرني، وأفلا تذكرون: الهمزة للاستفهام الانكاري، وهي إما داخلة على مقدر تقديره: أتأمروني بطردهم فلا تذكرون، وإما مقدمة من تأخير، والأصل: فألا تذكرون، وقدمت الهمزة على الفاء؛ لأن لها الصدارة، وقد تقدم تقرير ذلك، وتذكرون مضارع حذفت منه إحدى التاءين، وأصله تتذكرون ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وأقول فعل مضارع فاعله أنا، ولكم متعلقان بأقول، وعندي ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، وخزائن الله مبتدأ مؤخر، ولا أعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله، أي: ولا أقول لكم إني أعلم الغيب، ولكن يشكل على هذا العطف أنه يترتب عليه أن يكون معمولاً لأقول المنفية، فيصير التقدير: ولا أقول لا أعلم الغيب، وهو غير صحيح، والأحوط أن يكون معطوفاً على لا أقول، لا على مقولها، فيزول الإشكال، ولا أعلم كيف غرب هذا عن الزمخشري وغيره من كبار المعربين ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ نسق على لا أقول الأولى أيضاً، وإن واسمها، وخبرها مقول القول ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ﴾ عطف أيضاً، وللذين متعلقان بأقول، وجملة تزدري أعينكم صلة، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويؤتيهم منصوب بها، والهاء مفعول يؤتي الأول، والله فاعل، وخيراً مفعول يؤتي الثاني ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الله مبتدأ، وأعلم خبر، وبما متعلقان بأعلم، وفي أنفسهم صلة الموصول، وإن واسمها، وإذن حرف جواب وجزاء مهمل، واللام المزحلقة، ومن الظالمين: خبر إن، والجملة تعليلية لا محل لها.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فن رفيع من فنون البديع، وهو الجمع مع التقسيم، وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر، ثم يقسم ما جمع، وفي هذه الآيات رد على ما أوردوه من شبه، حيث قالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ فرد عليهم رداً يمكن إرجاعه إلى ما أوردوه من شبه، فكأنه يقول: إن كان نفيكم الفضل عني متعلقاً بفضل المال والجاه، فأنا لم أدعه، ولم أقل لكم: إن خزائن الله عندي حتى تنازعوني في ذلك، وتنكروه. وقد رمق أبو فراس هذه السماء بقوله:

إنَّـــا إذا اشتـــدَّ الـــزَّ ... مـانُ ونـاب خطـبٌ وادْلهـم
ألفيـــتَ حـــول بيـــوتنـــا ... عَـدَد الشَّجـاعـةِ والكـرم
للقـــا العـــدا بيـض السُّيـــو ... ف وللنَّـــدى حُمـــر النّعـــم
هـــذا وهـــذا دأبُنـــا ... يُـــودى دم ويُـــراق دم

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

☆ اللغة:

(الجدال) والمجادلة: المقابلة بما يفتل الخصم من مذهبه بحجة أو شبهة، وهو الجدل، أي: شدة الفتل، يقال: جدل الحبل: فتله، وزمام مجدول، وهو الجديل ويقولون: كأن في الجديل إحدى بنات جَديل، وطعنه فجدّله، أي:

ألقاه على الجَدالة، وهي الأرض، قال:

قـد أَرْكَـب الآلَـةَ بعـد الآلـه وأَتْـرُك العَـاجِـزَ بـالجَـدَالـه

ويقال للصقر أجدل؛ لأنه من أشد الجوارح. ويقولون: إن وقفن فجادل، وإن مررن فأجادل، أي: إن وقفن فصقور، وإن مررن فصقور، قال الأعشى:

فـي مِجْـدَلٍ شُيِّـدَ بنيـانُـه يَـزِلُّ عنـه ظُفُـرُ الطـائـر

ومن المجاز: امرأة مجدولة الخَلْق: قضيفة، ودرع مجدولة وجدلاء، أي: محكمة، وعمل على جديلته، أي: على شاكلته التي جُدل عليها، واستقام جدْول القوم؛ إذا انتظم أمرهم كالجدول إذا اطّرد وتتابع جريه. ونظر أعرابي إلى قافلة الحاج متتابعة فقال: أما الحاج فقد استقام جدولهم. ومن متابعة اشتقاق هذه المادة تبين أن كل ما كانت فاؤه وعينه جيماً ودالاً دلَّ على الشدة والفتل والمِرة، فجَدُب المكان جُدوبة، وجدِب وأَجْدَب ضد أخصب، ولا يخفى ما في ذلك من شدة وبلاء على الذين تجدب أرضهم، والجدث: القبر، ومن أقوالهم: «شر الأحداث نزول الأجداث». وجدح السويق واللبن بالمجدح، وهو عود في رأسه عودان معترضان يخاض به، حتى يختلط. وأرسلت السماء مجاديح الغيث، والمجاديح: جمع المِجْدح، أي: الدّبَران، ونوءه غزير. وفي حديث عمر بن الخطاب: «لقد استسقيت بمجاديح السماء» أراد: الاستغفار، ورجل مجدود وليس في الدنيا أقوى من أفاعيل الجَدّ بفتح الجيم، أي: الحظ، والجِد ـ بالكسر ـ: الجهد والتعب، ومشى على الجادّة، وامشوا على الجوادّ، وهو جمع الجادة، وأجد المسير، وجدّ، قال:

أشوقاً ولما يمض لي غير ليلةٍ فكيف إذا جَدَّ المطيُّ بنا عشرا

وجدره: ناداه من وراء الجدار، وهو جدير بكذا، أي: قوي ينهض به، قال زهير:

بخيـلٍ عليهـا جِنَّـةٌ عبقـريـةٌ جديرون يوماً أن ينالُوا فَيَسْتَعْلُوا

وجُدِر الصبي وجدِّر، وهو مجدور الوجه مجدَّر. ومن أماليح ابن المعتز:

بـي قمـرٌ جُـدِّر لمـا استـوى		فـزاده حُسْنـاً وزالـت هُمـوم
أظنـه غنَّـى لشمـس الضُّحـى		فنقطتـه طـربـاً بـالنُّجـوم

وجدع أنفه وأذنه فهو مجدوع، وإذا لزم النعت قيل: أجدع، وهي جَدْعَاء. وجَادَعَ صاحبه: شارَّه وشاتمه، وجَدَّعَه: إذا قال له: جدعاً لك، وجدف الملاّح السفينة؛ إذا دفعها بالمِجْدَاف، قال أعشى همدان:

لمـن الظَّعـائِـنُ سَيْـرهُـنُ تَـزَحُّـفُ
عَـوْمَ السَّفِيـنِ إذا تَقَـاعَـسُ تُجْـدَفُ

وخفق الطائر بمجدافيه، أي: بجناحيه، وهما قوته، والجدا والجدوى: العطاء، وما أقواه، واستجديته: سألته، وجدوته واجتديته مثله، قال:

جدوتُ أُنَاساً موسرينَ فما جَدَوْا
ألا اللهَ أَجْـدُوهُ إذا كنـتُ جَـادِيَـا

وقد فطن أحدُ أدبائنا القدامى إلى هذه المادة، وسر اجتماع الجيم والدال، فأحصى ذلك نظماً، نودره فيما يلي:

عظَمَـةٌ والقَطْـع حـظ جَـدُّ		والاجتهـاد ضـد هـزل جِـدُّ
وجـانـبٌ وجـاء جمعـاً جُـدُّ		واسـم لمـا بين الكـلا مـن بئـر
أمُّ أبٍ وأمُّ أمّ جَـــــدّه		ومصـدر الشيء الجـديـد جِدّه
مـدينـةٌ أي بـالحجـاز جُـدَّه		والضـمّ والكسر لشـط النهـر
للنبـت والحـائـط قيـل جَـدْرُ		وللنبـات قيـل أيضـاً جِـدْرُ
وجمـع جَـدْر أي جـدار جُـدْرُ		وآفـة الأطفـال داء الجُـدري
والسنـة الشـديـدة الجَـداعُ		أمـا الجـدال فـاسمـه جـداع
والكـلأ الـذّاوي هـو الجُـداعُ		كـذا وضيـم الكلـم المضِـرِّ
الفتـل والصرع وعـودٌ جَـدْل		والصدر بالفتح وكسر جدلُ
جمع جديل أي زمام جُدْل		وجمـع جـدلاء لـدرع الكـرّ

وهذا من الغرابة بمكان.

○ الإعـراب:

﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ قالوا فعل وفاعل، ويا أداة نداء، ونوح منادى مفرد علم مبني على الضم، وقد حرف تحقيق، وجادلتنا فعل وفاعل ومفعول به، فأكثرت عطف على جادلتنا، وجدالنا مفعول به ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن كنت صادقاً فائتنا، وبما متعلقان بالفعل، وجملة تعدنا صلة، والعائد محذوف، ويصح أن تكون ما مصدرية، أي: بوعدك إيانا، وإن كنت من الصادقين شرط جوابه دلَّ عليه ما قبله، أي: فائتنا، ومن الصادقين خبر كنت﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويأتيكم فعل مضارع ومفعول به، وبه متعلقان بيأتيكم، والله فاعل، وإن شاء شرط وفعله، والجواب محذوف، وما الواو حالية، وما حجازية، وأنتم اسمها، وبمعجزين خبرها منصوب محلاً بسبب حرف الجر الزائد﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وينفعكم نصحي فعل ومفعول به وفاعل، وإن أردت شرط وفعله، وأن وما في حيزها مفعول أردت، ولكم: متعلقان بأنصح وأن كان شرط وفعله أيضاً، والله اسم كان، وجملة يريد خبر كان، وأن يغويكم أن وما في حيزها مفعول يريد، ووجه ترادف الشرطين: أن جواب الشرط الثاني، وهو إن كان الله يريد أن يغويكم جوابه ما دل عليه قوله: لا ينفعكم نصحي، ويكون الشرط الثاني وجوابه جواب الأول، وسيأتي تفصيل ذلك ومعناه في باب الفوائد﴿ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هو مبتدأ، وربكم خبر، وإليه متعلقان بترجعون، وترجعون بالبناء للمجهول، والواو نائب فاعل﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أم منقطعة، ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وجملة افتراه مقول القول﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ إن شرطية، وافتريته فعل وفاعل ومفعول به، وهو فعل الشرط، والفاء رابطة،

وعلي خبر مقدم، وإجرامي مبتدأ مؤخر، وأنا مبتدأ، وبريء خبر، ومما متعلقان ببريء، وجملة تجرمون صلة.

* الفوائـد:

إذا اجتمع في الكلام شرطان وجواب، يجعل الشرط الثاني شرطاً في الأول، فلا يقع الجواب إلا إن حصل الشرط الثاني، ووجد في الخارج قبل وجود الأول، ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل: «أنت طالق إن شربت إن أكلت»، وهي المترجمة بمسألة اعتراض الشرط على الشرط، فالمنقول أنها إن شربت ثم أكلت لم يحنث، وإن أكلت ثم شربت حنث، وقد قرر المفسرون في الآية أنه إذا طرأ شرط على شرط كان الثاني مقدماً على الأول في المعنى، وإن كان مؤخراً في اللفظ، والتقدير: ولا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم إن أردت أن أنصح لكم. وقال البيضاوي: «هكذا تقدير الكلام: إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي لذلك، ولو قال: أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيداً، فدخلت ثم كلمت زيداً لم تطلق».

وقال ابن هشام في «المغني»:

ذكروا أنه إذا اعترض شرط على آخر نحو إن أكلت إن شربت فأنت طالق، فإن الجواب المذكور للسابق منهما، وجواب الثاني محذوف مدلول عليه بالشرط الأول، وجوابه (أي: والشرط الأول وجوابه متأخر معنى لكونه دليل الجواب) كما قالوا في الجواب المتأخر عن القسم والشرط، ولهذا قال محققو الفقهاء في المثال المذكور: إنها لا تطْلُقُ حتى تقدم المؤخر وتؤخر المقدم، وذلك لأن التقدير حينئذ إن شربت إن أكلت فأنت طالق، وهذا كله حسن، ولكنهم جعلوا منه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ وفيه نظر إذ لم يتوالَ شرطان وبعدهما جواب، كما في المثال، وكما في قول الشاعر:

إن تسْتغِيثوا بنا إن تُذعروا تجِدوا   مِنّـا معـاقِـلَ عـزٍّ زَانَهـا كَـرَمُ

وقول ابن دُرَيْد:

فـإن عَثَرْتُ بَعْـدَهَـا إنْ وَألَـتْ نفْسِي مِنْ هاتَا فَقُولا: لا لَعا

إذ الآية الكريمة لم يذكر فيها جواب، وإنما تقدم على الشرطين ما هو جواب في المعنى للشرط الأول، فينبغي أن يقدر إلى جانبه، ويكون الأصل: إن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم، وأما أن يقدر الجواب بعدهما، ثم يقدر بعد ذلك مقدماً إلى جانب الشرط، فلا وجـه له.

وقال في «الدرر»: وإذا دخل شرط على شرط فتارة يكون بعطف، وتارة يكون بغيره، فإن كان بعطف فأطلق ابن مالك أن الجواب لأولهم لسبقه، وفصّل غيره، فقال: إن كان العطف بالواو، فالجواب لهما؛ لأن الواو لمطلق الجمع، نحو: «إن تأتني وإن تحسن إلي أحسن إليك». وإن كان العطف بأو فالجواب لأحدهما؛ لأن «أو» لأحد الشيئين، نحو: إن جاء زيد، أو إن جاءت هند فأكرمه أو فأكرمها، وإن كان العطف بالفاء فالجواب للثاني، والثاني وجوابه جواب للأول، وإن كان بغير عطف فالجواب لأولهما، والشرط الثاني مقيد للأول، كتقييده بحال واقعة موقعه كما في بيت الشاهد، وإذا دخل الاستفهام على الشرط، فعن يونس أن الجواب للاستفهام لتقدمه على الشرط قياساً على مسألة تقدم القسم على الشرط، نحو: أإن قام زيد تقوم؟

خلاصـة مفيـدة:

توضيح المسألة: إنه قد وجد في هذه الصورة شرطان، وليس فيها ما يصلح للجواب إلا شيء واحد، فلا يخلو إما أن يجعل جواباً لهما معاً، ولا سبيل إليه؛ لما يلزم عليه من اجتماع عاملين على معمول واحد، وهو باطل.

وإما أن لا يجعل جواباً لهما، ولا سبيل إليه لما يلزم عليه من الإيتان بما لا مدخل له في الكلام، وترك ما له مدخل، وهو عبث.

وإما إن يجعل جواباً للآخر دون الأول، وهذا لا سبيل إليه، لأنه يلزم عليه أن يكون الثاني وجوابه جواباً للأول، فيجب الإتيان بالفاء الرابطة، ولا فاء، فتعين القسم الرابع وهو: أن يكون جواباً للأول دون الثاني، ويكون الأول وجوابه دليل جواب الثاني، فالأصل إن شربت فإن أكلت فأنت طالق، وهو لو قال هذا الكلام لم تطلق حتى تشرب ثم تأكل، فكذلك ما هو بمعناه.

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

(الابتئاس) حزن في استكانة، قال:

ما يَقْسِمُ الله أَقْبَلْ غَيْرَ مُبْتَئِسٍ	منه وأَقْعُدْ كريماً ناعِمَ البالِ

وهو افتعال من البؤس. وفي المختار: «ولا تبتئس، أي: لا تحزن ولا تشتك، والمبتئس: الكاره الحزين».

﴿ ٱلْفُلْكَ ﴾ الجمهور على أنه بضم الفاء وسكون اللام، وقيل: إنه يقال فُلُك ـ بضمتين ـ أيضاً. وأشار الرضي في «شرح الشافية» إلى جواز أن يكون بضمتين هو الأصل وإن ضم الأول، وتسكين الثاني لعله تخفيف منه كعنق، وأطال في توجيهه. وفي القاموس: «والفُلك بالضم: السفينة، ويذكر، وهو للواحد والجميع، أو الفلك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد» وهذا بعينه ورد في الصحاح أيضاً والعباب. قال ابن بري: صوابه الفلك الذي هو

واحد؛ لأنك إذا جعلت الفلك واحداً فهو مذكر لاغير، وإن جمعته جمعاً فهو مؤنث لا غير، وقيل: إن الفلك يؤنث وإن كان واحداً، قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ وعليه فلا تصويب.

○ الإعـراب:

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ الواو عاطفة، وأوحي فعل ماض مبني للمجهول، وأن وما في حيزها نائب الفاعل، وجملة «لم يؤمن» خبر أن، وإلا أداة حصر، ومن فاعل يؤمن، وجملة قد آمن صلة ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ الفاء عاطفة، ولا ناهية، وتبتئس مجزوم بلا، وبما متعلقان بتبتئس، وجملة كانوا صلة، وجملة يفعلون خبر كانوا ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ واصنع عطف على ما تقدم، والفلك مفعول به، وبأعيننا في موضع نصب على الحال، أي: مكلوءاً بأعيننا، وحقيقته: متلبساً كأن لله معه أعيناً تكلؤه، ووحينا عطف على أعيننا ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ لا ناهية، وتخاطبني مجزوم بها، والياء مفعول به، وفي الذين متعلقان بتخاطبني، وجملة ظلموا صلة، وإنهم مغرقون، إن واسمها وخبرها، والجملة تعليلية لعدم الخطاب ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ حكاية حال ماضية، فالجملة ابتدائية، مسوقة لهذا الغرض، والتقدير: وجعل يصنع الفلك، والفلك مفعول به، والواو حالية، وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط متعلق بسخروا منه، وقد مر القول في كلما، ومر عليه ملأ فعل وفاعل، وعليه متعلقان بمرَّ، وجملة سخروا منه: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ قال فعل ماض، وإن شرطية، وتسخروا فعل الشرط، ومنا متعلقان بتسخروا، والفاء رابطة، وإن واسمها، وجملة نسخر منكم خبر إن، وكما تسخرون الكاف صفة لمصدر محذوف، وقد مرت له نظائر كثيرة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ الفاء استئنافية، وسوف حرف ينقل الفعل من الحال إلى الاستقبال، والفرق بينها وبين السين أن في سوف معنى من

التسويف، وهو تعليق النفس بما يكون من الأمور التي يمكن أن تحدث، وتعلمون فعل مضارع وفاعل، ومن: يجوز أن تكون موصولة في محل نصب بتعلمون، وتعلمون بمعنى العرفان، فتنصب مفعولاً واحداً، ويجوز أن تكون استفهامية، وتكون أيضاً مفعولاً به، ويجوز أن تكون تعلمون يقينية، فيكون المفعول الثاني محذوفاً، ويأتيه فعل ومفعول به، وعذاب فاعل، وجملة يخزيه صفة عذاب ﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ويحل معطوف على يأتيه، وعليه متعلقان بيحل، وعذاب فاعل، ومقيم صفة.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ مجيء الخبر إنكارياً مؤكداً بإن، تأكيداً للكلام، وتنزيلاً للسامع منزلة المتردد؛ لأنه للنفس اليقظى مظنة التردد في حكم الخبر، ومؤونة الطلب له، فقال أولاً: ولا تخاطبني في الذين ظلموا، أي: لا تدعني يا نوح في استدفاع العذاب عنهم، ثم قال: إنهم مغرقون؛ لأن الكلام مظنة أن يتردد نوح بأنه هل يصيبهم بأس، بل بأنهم هل هم مغرقون بملاحظة ما تقدم من قوله: واصنع الفلك، فأورد الخبر مؤكداً، فقال: إنهم محكوم عليهم بالإغراق.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَفَارَ ﴾ الفور: الغليان، وأصله الارتفاع وفي المصباح: «فار الماء يفور

فوراً: نبع وجرى، وفارت القدر فوراً وفوراناً: غلت» ومنه قولهم: فعل ذلك من فوره، أي: من قبل أن يسكن، وشرب فورة العقار، وهي طفاوتها، وما فار منها.

﴿ ٱلتَّنُّورُ ﴾ قيل: وزنه تفعول، فقلبت الواو الأولى همزة لا نضمامها، ثم حذفت تخفيفاً، ثم شدّدت النون للعوض عن المحذوف، قال هذا ثعلب، وقال أبو علي الفارسي: وزنه فعّول، وقيل: هو أعجمي، والمشهور أنه مما اتفقت فيه لغة العرب والعجم كالصابون وقال في القاموس والتاج: التنور: الكانون يخبز فيه، وصانعه تنّار، ووجه الأرض وكل مَفْجَر ماء ومحفل ماء الوادي، وعقبه التاج بقوله: يقال هو في جميع اللغات كذلك، وقال الليث: التنور: عمت بكل لسان، قال أبو منصور: وهذا يدل على أن الاسم في الأصل أعجمي، فعربته العرب فصار عربياً على بناء فَعّول، ثم قيل: هو تنور معروف، فالكلام حقيقي، وقيل: هو مجاز، ومعنى قولهم: فار التنور: اشتد به الغضب، كما يقولون: حمي الوطيس، إذا اشتدت الحرب، وفار قدر القوم؛ إذا اشتدت حربهم، قال الشاعر:

تَفُورُ علينا قِدْرُهُم فنديمُها ونفثؤها عَنَّا إذا حَمْيُها غَلا

﴿ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ الوجه في قراءة حفص بالتنوين ﴿ مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ لأن الاثنين زوجان، قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾ والمرأة: زوج الرجل، والرجل: زوجها، وقد يقال للاثنين: هما زوج، قال لبيد:

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا

ومعنى البيت: الهوادج محفوفة بالثياب، فعيدانها تحت ظلال ثيابها، والمضمر بعد القرام للعصي، أو للكلة.

○ الإعـراب:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ حتى متعلقة بقوله: «واصنع الفلك بأعيننا» أي: إلى هذا الوقت، فهي حرف غاية وجر، وإذا ظرف لما يستقبل من

الزمن، وجملة «جاء أمرنا» في محل جر بالإضافة، وجملة «وفار التنور» معطوفة على جملة «جاء أمرنا» ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب إذا، واحمل فعل أمر، وفيها متعلقان باحمل، ومن كل حال من زوجين؛ لأنه كان في الأصل صفة له، وزوجين مفعول به، واثنين صفة للتأكيد والتشديد، كما قال: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ وأهلك عطف على زوجين، وإلا أداة استثناء، ومن مستثنى متصل، وجملة سبق عليه القول صلة. ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ومن آمن عطف، على أهلك، وما: الواو عاطفة، وما نافية، وآمن فعل ماض، ومعه ظرف متعلق بآمن، وإلا أداة حصر، وقليل فاعل آمن ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ الواو عاطفة، وقال فعل ماض، وجملة اركبوا فيها مقول القول، وفيها متعلقان باركبوا، باسم الله خبر مقدم، ومجراها مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية حال من الواو، أو الهاء، أي: اركبوا فيها مسمين الله، أو قائلين: باسم الله، ومرساها عطف على مجراها، وهما مصدران ميميان الأول من جرى، ولذلك جاء مجرى، والثاني من أرسى، ولذلك جاء مُرسى بضم الميم، وقرىء الاثنان بالضم على أنهما مصدران ميميان أيضاً، ويجوز أن يكونا اسمين للزمان أو المكان، أي: وقت جريانها وإرسائها، وبسم الله حال، أي: متبركين باسم الله، ويتعلق الظرفان بهذا المحذوف، فهو من باب: خفوق النجم، ومقدم الحاج، وهنا أقوال أخرى للمعربين ضربنا عنها صفحاً ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وغفور خبر إن الأول، ورحيم خبر إن الثاني ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ حال من محذوف، أي: فركبوا فيها، والحال أنها تجري بهم، ويجوز أن تكون مستأنفة، وهي: مبتدأ، وجملة تجري: خبر، وبهم متعلقان بمحذوف حال، وفي موج متعلقان بتجري، والكاف صفة لموج ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ الواو عاطفة، ونادى نوح ابنه فعل وفاعل ومفعول، وكان الواو حالية، وكان فعل ماض ناقص، واسمها مستتر تقديره: هو يعود على الابن، وهو كنعان، وفي معزل خبر كان ﴿يَٰبُنَىَّ

ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يا حرف نداء، وبني منادى مضاف لياء المتكلم، وأصله بثلاث ياءات الأولى ياء التصغير، والثانية ياء الكلمة، والثالثة ياء المتكلم، فحذفت ياء المتكلم تخفيفاً، وأدغمت ياء التصغير في لام الكلمة، فيقرأ بكسر الياء وفتحها، فمن قرأ بالكسر جعل الكسرة دالة على الياء المحذوفة، ومن فتح فقد أراد الإضافة كما أرادها في قوله «يا بني» إذا كسر الياء التي هي لام الفعل، كأنه قال: يا بنيي بإثبات ياء الإضافة، ثم أبدل من الكسرة الفتحة، ومن الياء الألف، فصار يابنيا، ثم حذف الألف، كما كان حذف الياء والقراءتان سبعيتان، واركب فعل أمر، ومعنا ظرف متعلق باركب، ولا ناهية، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا، واسمها مستتر تقديره: أنت، ومع الكافرين ظرف متعلق بمحذوف خبر ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ جملة سآوي مقول القول، وإلى جبل جار ومجرور متعلقان بآوي، وجملة يعصمني صفة لجبل، ومن الماء متعلقان بيعصمني ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ لا نافية للجنس، وعاصم اسمها مبني على الفتح، واليوم ظرف متعلق بأمر الله؛ لأنه بمعنى المصدر، وأحسن من ذلك أن يكون خبر «لا» محذوفاً؛ لأنه إذا علم كهذا الموضع التزم حذفه بنوتميم، وكثر حذفه عند أهل الحجاز؛ لأنه لما قال «سآوي إلى جبل يعصمني من الماء» قال له نوح: «لا عاصم» أي: لا عاصم موجود، ويكون اليوم منصوباً على إضمار فعل يدل عليه عاصم، أي: لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله، ومن أمر جار ومجرور متعلقان بذلك الفعل المحذوف، ولا يجوز أن يكون اليوم منصوباً بقوله: «لا عاصم» ولا أن يكون «من أمر الله» متعلقاً به؛ لأن اسم لا إذ ذاك كان يكون مطولاً، وإذا كان مطولاً لزم تنوينه وإعرابه؛ ومن أمر الله خبر لا، وإلا أداة استثناء، أو حصر، والاستثناء إما متصل فيكون من مستثنى، وجملة رحم صلة، وإما منقطع، وإلا بمعنى لكن، ومن مبتدأ، وجملة رحم صلة، والخبر محذوف، تقديره: هو المعصوم. ومن المفيد أن نورد هنا ما قاله أبو البقاء: «قوله تعالى لا عاصم اليوم فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه اسم فاعل على بابه، فعلى هذا يكون قوله «إلا من رحم» فيه

وجهان: أحدهما هو استثناء متصل، و«من رحم» بمعنى الراحم، أي: لا عاصم إلا الله. والثاني: أنه منقطع، أي: ماء دافق، أي: مدفوق، فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً، أي: إلا من رحمه الله. والثالث: إن عاصماً بمعنى ذا عصمة على النسب، مثل: حائض وطالق، فالاستثناء على هذا متصل أيضاً، فأما خبر لا فلا يجوز أن يكون اليوم؛ لأن ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة، بل الخبر من أمر الله، واليوم معمول من أمر الله، ولا يجوز أن يكون اليوم معمول عاصم؛ إذ لو كان كذلك لنوّن». وأورد صاحب «الانتصاف» كلاماً جميلاً، نورده فيما يلي: «إن الاحتمالات الممكنة هنا أربعة: لا عاصم إلا راحم، ولا معصوم إلا مرحوم ولا عاصم إلا مرحوم، ولا معصوم إلا راحم، فالأولان استثناء من الجنس، والآخران استثناء من غير الجنس فيكون منقطعاً. ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ الواو عاطفة، وحال فعل ماض، وبينهما متعلقان بحال، والموج فاعل، فكان عطف على حال، واسم كان مستتر، ومن المغرقين خبر كان.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

(البلع) معروف، والفعل منه مكسور العين ومفتوحها، بلِع وبلَع، حكاهما الكسائي والفراء. وفي المصباح: بلعت الطعام بَلَعاً من باب: تعب، والماء والريق بلْعاً، ساكن اللام، وبلعته بلْعاً من باب: نفع لغة، وابتلعته، ومن مجاز هذا الفعل: أبلعني ريقي، أي: أمهلني حتى أقول، أو أفعل، قال الزمخشري في «أساس البلاغة»: وقلت لبعض شيوخي: أبلعني ريقي فقال: قد أبلعتك الرافدين.

(الإقلاع) إذهاب الشيء من أصله حتى لا يرى له أثر، يقال: أقلعت

السماء؛ إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى منه شيء، وأقلع عن الأمر؛ إذا تركه رأساً.

﴿وَغِيضَ﴾ مبني للمجهول، إذ يستعمل لازماً ومتعدياً، والغيض: النقصان، وفعله لازم ومتعد، فمن اللازم قوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ أي: تنقص، ومن المتعدي الآية التي نحن بصددها؛ لأنه لا يبنى للمجهول من غير واسطة حرف جر إلا المتعدي بنفسه، وفي المختار: غاض الماء: قلّ ونضب، وبابه: باع، وانغاض مثله، وغيض الماء: فُعل به ذلك، وغاضه الله يتعدى ويلزم، وأغاضه الله أيضاً، وغيّض الدمع تغييضاً: نقصه وحبسه، ويقال: غاض الكرام، أي: قلّوا، وفاض اللئام، أي: كثروا.

﴿ٱلْجُودِيِّ﴾: جبل بأرض الجزيرة، استوت عليه السفينة عند انتهاء الطوفان.

○ الإعراب:

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي﴾ الواو عاطفة، وقيل فعل ماض مبني للمجهول، ويا حرف نداء، وأرض منادى نكرة مقصودة، مبني على الضم، وابلعي فعل أمر، والياء فاعل، وماءك مفعول به، ويا سماء أقلعي عطف على يا أرض ابلعي ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ جمل معطوفة بعضها على بعضها الآخر، وسيأتي في: البلاغة من أسرارها ما يدهش العقول ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعداً منصوب على المصدر بفعل مقدر، أي: وقيل بعدوا بعداً، فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم، للقوم جار ومجرور متعلقان بمحذوف، والتقدير: إرادتي ونحوه، أو بقيل: أي: قيل لأجلهم هذا القول، والظالمين صفة للقوم.

□ البلاغة:

في هذه الآية من أفانين البلاغة وبدائع الفصاحة ما يذهل اللب، ويشده

العقول، وسنورد أهم الفنون التي تلفت النظر، وتستهوي الموهوب؛ ليحذو حذوها، وينسج على منوالها.

(١) المســاواة:

ونبدأ بالفن الذي يتناول الآية عموماً، وقد عرفوه بأن يكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهو من أعظم أبواب البلاغة، بل هو البلاغة عينها، كما وصف بعض الوصاف بعض البلغاء فقال: كانت أوصافه قوالب لمعانيه، وكما قال العتابي: «الألفاظ أجساد والمعاني أرواح» وهو ميزة كل لغة، قال إميل فاكيه في وصف فيكتور هيغو: «هيغو من الخالدين لأن الذي يخلد هو جمال الأسلوب». وجمال الأسلوب: هو الملاءمة بين اللفظ والمعنى، والآية التي نحن بصددها خير مثال لهذه المساواة، فإنه سبحانه أراد اقتصاص هذه القصة بأوجز لفظ وأبلغه، فجاء بها مرتبة الألفاظ والجمل، على حسب ما وقع في صور لا تفضل عن معانيها، ولا تقصر عنها. فإن قيل: لفظة «القوم» زائدة تمنع الآية من أن توصف بالمساواة؛ لأنها إذا طرحت استقلّ الكلام بدونها، بحيث يقال: (وقيل بعداً للظالمين) قلت: لا يستغني الكلام عنها، وذلك أنه لما قال في أول القصة: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ وقال بعد ذلك: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ جاءت لفظة القوم في آخر القصة، ووصفهم بالظلم ليرتد عجز الكلام على صدره.

(٢) رد العجــز علــى الصـــدر:

وهو الفن الثاني من فنون هذه الآية، وليعلم أن القوم الذين هلكوا بالطوفان هم الذين كانوا يسخرون من نوح فهم مستحقون للعقاب؛ لئلا يتوهم ضعيف أن الطوفان لعمومه ربما أهلك من لا يستحق الهلاك، فأخبر الله سبحانه أن الهالكين هم الذين تقدم ذكرهم، وما كانوا يفعلونه مع نبيه من السخرية التي استحقوا بها الهلاك، وأنهم الذين وصفهم بالظلم، ووعد نبيه

بإغراقهم، ونهاه عن مخاطبته فيهم، ليرفع ذلك الاحتمال، فيعلم أن الله سبحانه قد أنجز نبيه ما وعده، وأهلك القوم الظالمين؛ الذين قدم ذكرهم، ووصفهم، ووعد بإغراقهم.

الإشـــارة:

الفن الثالث من فنون هذه الآية فن الإشارة، وقد تقدم بحثه، وعرَّفه قدامة فقال: هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على الكثير من المعاني، حتى تكون دلالة اللفظ بمثابة الإشارة باليد، أو الإيماءة بالحاجب والعين، فإنها تشير بحركة واحدة سريعة إلى أشياء كثيرة تستوعب العبارات الطويلة. ومن أمثلتها في الآية التي نحن بصددها قوله: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ فإنه غيض الماء يشير إلى انقطاع مادة الماء من نبع الأرض، ومطر السماء، ولولا ذلك لما غاض الماء.

الإرداف:

أما الفن الرابع فهو فن عجب في بابه، وهو: أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ولا بلفظ الإشارة الدال على المعاني الكثيرة، بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص، وتابعه قريب من لفظ المعنى قرب الرديف من الردف، وهو هنا في قوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ وحقيقة ذلك: وهلك من قضى الله هلاكه، ونجا من قضى نجاته، وإنما عدل عن هذه الحقيقة إلى لفظ الإرداف من الإيجاز والتنبيه، على أن هلاك الهالك، ونجاة الناجي، كان بأمر آمر مطاع، وقضاء من لا يرد قضاؤه، والأمر يستلزم آمراً، وقضاؤه يدل على قدرة الآمر به، وطاعة المأمور تدل على قدرة الآمر وقهره، وإن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضَّان على طاعة الآمر، ولا يحصل ذلك كله من اللفظ الخاص.

هذا؛ ومن أمثلة الإرداف في الشعر قول أبي الطيب المتنبي:

لَوْ كُنْتَ حَشْوَ قَمِيصي فوقَ نُمْرُقِهَا
سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فـي غِيطَـانِهَـا زَجَـلاَ

ومراده نفسه بقوله «حشو قميصي»، يقول: لو كنت بدلي تحت ثيابي، وفوق نمرق ناقتي ـ وهو الذي يلقي عليه الراكب فخذه لاستراحة ـ لسمعت جلبة الجن وأصواتهم في منخفض هذه المفاوز البعيدة؛ لأنها مأوى الجن لبعدها عن الإنس، والعرب تجعل المكان البعيد مسكناً للجن تهويلاً له، واستيحاشاً منه.

(٥) الاحتـراس:

والفن الخامس في هذه الآية هو الاحتراس، وتعريفه: أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي في أصل الكلام بما يخلصه من ذلك، ومن أمثلته قوله تعالى فيها: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان أعقبه بالدعاء على الهالكين، ووصفهم بالظلم ليعلم أن جميع من هلك كان مستحقاً للعذاب مستأهلاً له احتراساً من ضعيف، يتوهم أن الهلاك بعمومه قد شمل من لا يستحق العذاب؛ فلما دعا على الهالكين علم أن كل من هلك كان مستحقاً للهلاك؛ لأنه قد ثبت بالبرهان أنه عادل، فلا يدعو إلا على من يستحق الدعاء، ووصفهم بعد الدعاء عليهم بالظلم، فإن لم يكونوا ظالمين، فقد دخل خبره الخلف، وخبره منزه عن ذلك، فوقع هذا الدعاء، وهذا الوصف احتراساً من ذلك الذي قدر توهمه، والاحتراس يبدو جميلاً في الشعر، ومنه قول طرفة المشهور:

فسقـــى ديـــارَكَ غير مفســـدهـــا
صـــوبُ الـــربيـــع وديمـــةٌ تهمـــي

فقوله «غير مفسدها» احتراس من محو معالمها وطمس آثارها، وقد جنح أبو الطيب إليه كثيراً فقال:

ويحتقـــرُ الـــدُّنيـــا احتقـــارَ مُجَـــرِّبٍ
يَرَى كُلَّ ما فيها، وحاشاكَ، فانِيا

فقوله «وحاشاك» احتراس من دخوله في كل من فيها.

وقوله أيضاً:

إذا خَلَتْ منكَ حِمْصٌ لا خَلَتْ أبداً
فَـلا سَقَـاهـا مِـنَ الـوَسْمِـيِّ بَـاكِـرُهُ

فقوله: «لا خلت أبداً» احتراس من توهم الدعاء عليه.

(٦) حسن النسق:

والفن السادس من فنون هذه الآية العجيبة هو فن النسق، وهو: عبارة عن أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً لامعيباً مستهجناً، والآية من أولها إلى آخرها من شواهد هذا الفن، فقد ترادفت الجمل منسوقة بعضها على بعض بواو النسق، على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة؛ لأنه سبحانه بدأ بالأهم إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها، ولا يحصل ذلك، ولا يتأتى إلا بانحسار الماء عن الأرض، فلذلك بدأ بالأرض، فأمرها بالابتلاع، وثنى بالسماء، فأمرها بالإقلاع؛ لئلا يتأذى بذلك أهل السفينة، ثم أخبر بغيض الماء عندما ذهب ماء الأرض، وانقطع ماء السماء، ثم قال: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: هلك من جفّ القلم بهلاكه، ونجا من سبق العلم بنجاته، وهذه حقيقة المعجزة، وكنه الآية، ولا بُدَّ أن تكون معلومة لأهل السفينة، ولا يتسنى علمهم بها إلا بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم، فلذلك اقتضت البلاغة أن تأتي هذه الجملة رابعة الجمل، وكذلك استقرار السفينة على الجودي، أي: استقرارها على المكان الذي استقرت عليه استقراراً لا حركة معه؛ لتبقى آثارها آية لمن يأتي بعد أهلها، وعدل عن لفظة استقرت إلى لفظة استوت لما يحتمله الاستقرار من الزيغ والميل، ويدل عليه الاستواء من استقامة وعدم انحراف، وفي هذا طمأنينة أهل السفينة وأمنهم، بعد المخافة وإفراخ روعهم إذا كان استقرارها استقراراً فقط، بحيث لا تؤمن معه الحركة؛ لكانت حالهم في مكابدة الحركة، واضطراب القلوب، ووجيفها، واحدة في حال سيرها

ووقوفها. ثم قال أخيراً: ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ وهذا دعاء أوجبه الاحتراس ممن يظن أن الغرق لشموله الأرض ربما أودى بمن لا يستحق العذاب، فدعا على الهالكين، ووصفهم بالظلم؛ ليعلم أن الهلاك إنما شمل من يستحق العذاب دون سواهم، احتراساً من هذا الاحتمال.

(٧) التنظير:

والفن السابع فيها هو فن التنظير، وقد تكلم عنه ابن الأثير في كتابه «الاستدراك» تحت اسم: المفاضلة بين الشعراء؛ ليظهر الأفضل منهما، وهو إلى النقد أقرب منه إلى فنون البديع، وحدُّه أن ينظر الإنسان بين كلامين إما متفقي المعاني، أو مختلفي المعاني؛ ليظهر الأفضل منهما، والآية التي نحن بصددها تناولت قصة الطوفان التي انطوت على الكثير من العقد والحلول والعبر، فإذا نظرتها بغيرها من القصص وجدتها سامية عليها جميعاً، باستقصاء جميع ما اتفق فيها، وما سَنَح.

(٨) المناسبة اللفظية:

بين ابلعي وأقلعي، وهي تشبه المناسبة التي مرت في قوله: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بسورة يونس.

(٩) الجناس الناقص:

بين ابلعي وأقلعي، ويسميه بعضهم: المضارعة، ويكون أنواعاً، منها: أن يختلف حرف في الكلمتين بعد أن تتفق بقية الأحرف، ومثله: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ وقال النبي ﷺ لرجل سمعه وهو ينشد على سبيل الافتخار، وقيل: بل سأله عن نسبه فقال:

إنِّي امـرؤٌ حميريّ حين تنسبنـي ... لا من ربيعة آبائي ولا مُضَر

فقال النبي ﷺ: «ذلك والله ألأم لجدك، وأضرع لخدّك، وأقل لعدك، وأبعد لك عن الله ورسوله».

(١٠) الطبـاق:

والفن العاشر هو الطباق، فقد طابق بين السماء والأرض.

(١١) الاستعـارة:

والفن الحادي عشر هو الاستعارة المكنية الكائنة في نداء الأرض والسماء، بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التحضيض والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات، وهو قوله ﴿ يَٰٓأَرۡضُ﴾ و﴿ وَيَٰسَمَآءُ﴾ ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ﴿ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ و﴿أَقۡلِعِي﴾ من الدلالة على الاقتدار العظيم. والبلع: عبارة عن تغدير الماء وشربه في بطنها، مستعار لهذا المعنى من بلع الحيوان، أي: ازدراده لطعامه وشرابه، والبلع: هو أثر القوة الجاذبة في المطعوم لكمال الشبه بينهما، وهو الذهاب إلى مقر خفي، ومع هذا فهي قرينة للاستعارة المكنية التي في الماء، أي: استعارة الماء للغذاء لجامع تقوي الأرض بالماء في الإنبات تقوي الآكل بالطعام.

(١٢) المجـاز المرسـل:

وذلك في قوله: ﴿ وَيَٰسَمَآءُ﴾ فإن الحقيقة: ويا مطر السماء اقلعي، والعلاقة في هذا المجاز السببية؛ لأن الماء سبب المطر أو المحلية؛ لأنها محلها بما يتجمع فيها من سحب، وإضافة الماء إلى الأرض مجاز أيضاً، تشبيهاً لاتصاله بها باتصال الملك بالمالك، وفيها نكتة أخرى وهي التنبيه على حدوث هذا الماء من الأرض أيضاً، لا من السماء فقط، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾.

(١٣) التمثيـل:

وهو أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبر عنه بلفظه الخاص، ولا بلفظي الإشارة والإرداف، بل بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلاً يصلح أن يكون مثلاً للفظ الخاص؛ لأن المثل لا يشبه المثل من جميع الوجوه، ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتحدا، وقد تقدم تفصيل هذا الفن في قوله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى

﴿ٱلْجُودِيِّ﴾ فإن حقيقة ذلك: وجلست على ذلك المكان، فعدل عن الحقيقة إلى التمثيل لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن، لا زيغ فيه، ولا ميل، ولا حركة معه، ولا اضطراب.

(١٤) الإيجاز:

فقد اقتص سبحانه القصة بلفظها مستوعبة، بحيث لم يخلّ منها بشيء، في أخصر عبارة، وبألفاظ غير مطولة.

(١٥) التسهيم:

وهو أن يكون ما تقدم من الكلام دليلاً على ما يتأخر منه، أو بالعكس، والتسهيم في الآية هو أن أول الآية يقتضي آخرها.

(١٦) التهذيب:

لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن، وكل لفظة سهلة مخارج الحروف، سلمت من التنافر، والغرابة، ومخالفة القياس.

(١٧) التمكين:

لأنَّ الفاصلة مستقرة في قرارها، مطمئنة في مكانها، غير قلقة، ولا ناشزة.

(١٨) الانسجام:

وهو تحديد الكمات بسهولة وعذوبة، مع الجزالة؛ التي يقتضيها المقام، ويتطلبها مقتضى الحال.

(١٩) الإرصاد:

وهو أن يحدس القارىء بالفاصلة قبل أن يتلفظ بها.

(٢٠) ائتلاف اللفظ مع المعنى:

وهو ما يسميه أهل الفن المزاوجة بين الألفاظ، حتى لقد قال أناتول فرانس الكاتب الفرنسي: «إن بين الألفاظ زواجاً كاثوليكاً» وكل لفظة

لا يصلح في موضعها غيرها، وقد كان أبو تمام يحرص في شعره على هذا الفن، فاستمع إلى قوله:

وفي الكِلَّـةِ الـوَرْديَّـةِ اللـونِ جُـؤْذُرٌ
مِنَ الإنسِ يَمْشِي في رِقَاقِ المَجَاسِدِ
رَمَتْـهُ بِخُلْـفٍ بَعْـدَ أَنْ عـاشَ حِقْبَـةً
لَـهُ رَسَفَـانٌ في قُيُـودِ المَـوَاعِـدِ

وفاعل رمته في أبياتٍ سبقت، وهذا أمر تعجز الألفاظ عن إيجاد حدود له، وإنما هو مما يستشعره الذوق وحده، على حد قول فولتير: «ذوقك أستاذك».

(٢١) الاستعارة المتكررة:

فإذا أضفت إلى ما تقدم أن الاستعارة وقعت فيها في موقعين، وهما استعارة الابتلاع والإقلاع، حصل لك واحد وعشرون فناً.

هذا؛ وقد أضاف بعض البلاغيين إلى هذه الفنون ما يلي:

١ ـ ومنها أنه تعالى لم يصرح بفاعل غيض، وقضي، وقيل، كما لم يصرح في صدر الآية بقائل قيل: وكذا لم يصرح بمن سوى السفينة تنبيهاً على أن تلك الأمور العظام لا يتصور وقوعها إلا من قادر لا يكتنه، وقهار لا يغالب، فلا يذهب الوهم إلى فاعل غيره، ولا ينشط الخيال إلى مدى أبعد من هذا المدى، وقيل في وجه العدول عن تصريح الفاعل إشارة إلى أن هذه الأمور أهون عند الله تعالى من أن ينسبها إلى قدرته صراحة.

٢ ـ ومنها إفراد الماء إشعاراً بأن هذا الماء لم يحصل من اجتماع المياه وتكاثرها، بل هو نوع واحد حصل بقدرته تعالى دفعة واحدة.

٣ ـ ومنها إفراد ﴿أرض﴾ إشارة إلى شمول هذا الماء الكل، بحيث صار الكل بمثابة شيء واحد باعتبار هذا الشمول، وأيضاً إفراد ﴿سماء﴾ إشارة إلى أن المراد بها هاهنا جهة العلو الذي لا يكتنه مداه إلا الأجرام العلوية.

٤ ـ ومنها التعريض الذي اختتم به الكلام، تنبيهاً لسالكي مسلكهم، والجانحين جنوحهم في تكذيب الرسل، إلى أن ما حل بهم من إغراق شمل العالم بأسره لم يكن إلا لظلمهم، وإمعانهم في اللجاج، والتمادي في الإنكار.

٥ ـ ومنها ذكر مفعول ابلعي؛ لئلا يعم بالحذف ابتلاع البحار، وسواكن الماء، كما يقتضيه مقام الكبرياء.

٦ ـ ومنها تقديم أمر الأرض على السماء؛ لابتداء الطوفان منها. هذا؛ وقد ذكر السكاكي أسراراً أخرى، أضربنا عنها لما فيها من تكلف قد يحيل الأمر إلى العكس.

* الفوائـــد:

(١) قد يقام المصدر المؤكد مقام فعله المستعمل، أو المهمل، فيمتنع ذكره معه، وهو نوعان:

أ ـ ما لا فعل له أصلاً من لفظه نحو: ويلك، وويحك، وبله الأكف، وسبحان الله.

ب ـ ما له فعل مستعمل من لفظه، وهو نوعان: نوع واقع في الطلب، وهو الوارد في دعاء بخير أو ضده، فالأول كسقيا ورعيا، والأصل: سقاك الله سقياً، ورعاك الله رعياً، أو الوارد نهياً، أو أمراً، نحو: قياماً لا قعوداً، وكذلك النوعي نحو: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أي: فاضربوا ضرب الرقاب، ونوع واقع في الخبر نحو: حمداً، وشكراً، لا كفراً، ولها أنواع مذكورة في المطولات، والجار والمجرور الواقعان بعد نحو: سقيا لك، وبعداً للقوم الظالمين، متعلق بمحذوف خرج مخرج البيان، التقدير: إرادتي لهم، ولا تتعلق بالمصدر، فنحو: سقيا لك على هذا جملتان.

(٢) لام التبيين: ويجدر بنا هنا أن نورد خلاصة وجيزة لهذه اللام التي شغلت النحاة كثيراً، ولم يوفوها حقها من الشرح، وهي ثلاثة أنواع:

أ ـ ما تبين المفعول من الفاعل، وضابطها أن تقع بعد فعل تعجب، أو اسم تفضيل مفهمين حباً أو بغضاً تقول: ما أحبني وما أبغضني، فإن قلت: لفلان، فأنت فاعل الحب والبغض، وهو مفعولهما، وإن قلت: إلى فلان، فالأمر بالعكس.

ب و ج ـ ما يبين فاعلية غير متلبسة بمفعولية، وما يبين مفعولية غير متلبسة بفاعلية، ومصحوب كل منهما إما غير معلوم مما قبلها، أو معلوم، لكن استؤنف بيانه تقوية للبيان، وتوكيداً له، واللام في ذلك كله متعلقة بمحذوف.

مثال المبينة للمفعولية: سقياً لك، وجدعاً لك، فهذه اللام ليست متعلقة بالمصدرين، ولا بفعليهما المقدرين؛ لأنهما متعديان بنفسيهما كالمصدرين، و«لا» هي ومجرورها صفة للمصدر، فتتعلق بالاستقرار؛ لأن الفعل لا يوصف فكذا ما أقيم مقامه، وإنما هي لام مبينة للمدعو له، أو عليه، والتقدير: إرادتي لك.

ومثال المبينة للفاعلية: تباً لزيد، وويحاً له، فإنه في معنى خسر وهلك، وحينئذ فزيد هو الفاعل، واللام متعلقة بمحذوف: إرادتي كائنة لزيد.

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ
ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ
مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ
يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ

أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ الواو استئنافية، والنداء على ما يبدو كان قبل سير السفينة؛ لأنه سؤال في نجاة ابنه، ولا معنى للسؤال إلا عند إمكان النجاة، ونادى نوح فعل وفاعل، وربه مفعول به، فقال: الفاء حرف عطف، وقال فعل ماض معطوف على نادى عطف تفسير؛ لأن القول المذكور هو عين النداء، ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وإن واسمها، ومن أهلي خبرها، وإنما أورد ذلك؛ لأن الله تعالى وعده بنجاة أهله. وللمفسرين كلام طويل حول بنوة هذا الابن يخرج عن نطاق هذا الكتاب ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها وخبرها، وأنت أحكم الحاكمين مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة أيضاً ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ قال فعل ماض، وضمير الله فاعله المستتر، وإن واسمها وجملة ليس من أهلك خبر إن، ومن أهلك خبر ليس ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ إن واسمها، والضمير يعود إلى ابنه، ولا مبرر لقول من قال: إن الضمير يعود إلى سؤاله، كما ذهب الجلال وغيره؛ لأن بلاغة الكلام تستبعده، وعمل خبر إن، وهو من باب إقامة الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى، وقد تقدمت الإشارة إليه، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

أيُّهـا القـائـلُ في غير الصَّـواب ... أخِّر النُّصحَ وأَقْلِلْ من عتابي

وقوله أيضاً:

وكـم مـن قتيـل لا يُبـاءُ بـه دم ... ومن غَلِقٍ رهناً إذا ضمَّه منى

ومِـنْ مـالىء عينيـه مـن شيء غيره ... إذا راحَ نحو الجمرة البيض كالدُّمى

أراد: أيها الإنسان القاتل، وكم من إنسان قتيل. وقول الخنساء:

تـرتـعُ مـا رتعـتْ حتـى إذا ادَّكـرتْ ... فـإنَّمـا هـي إقبـالٌ وإدبـار

وغير صالح صفة لعمل، والجملة تعليل لانتفاء كونه من أهله الناجين ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الفاء الفصيحة، ولا ناهية، وتسأل فعل مضارع مجزوم بلا، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة للتخفيف مفعول به، وما مفعول به ثان، وجملة ليس صلة، واسم ليس علم، ولك خبرها المقدم، وبه جار ومجرور متعلقان بعلم ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ إن واسمها، وجملة أعظك خبرها، وإن وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض، أي: أخوفك من أن تكون، والجار والمجرور متعلقان بأعظك، واسم تكون مستتر تقديره: أنت، ومن الجاهلين خبر تكون، وسيأتي في باب: الفوائد معنى تسمية سؤال نوح جهلاً ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ إن واسمها، وجملة أعوذ خبرها، وبك متعلقان بأعوذ، وأن وما في حيزها منصوب بنزع الخافض، وما ليس لي به علم تقدم إعرابها ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ولا نافية، وتغفر فعل الشرط، ولي جار ومجرور متعلقان به، وترحمني عطف على تغفر، وأكن جواب الشرط، واسمها مستتر تقديره: أنا، ومن الخاسرين خبرها ﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ﴾ اهبط فعل أمر، وبسلام جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل اهبط، أي: متلبساً بسلام، ومنّا صفة لسلام، أو بنفس سلام، وبركات عطف على سلام، وعليك صفة ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ وعلى أمم عطف على عليك، وممن صفة لأمم، ومعك ظرف مكان صلة الموصول ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، وأمم مبتدأ، وساغ الابتداء به؛ لأنه موصوف تقديره أي: وأمم ممن معك، وجملة سنمتعهم خبرها، أو تجعل سنمتعهم صفة، والمحذوف هو الخبر، وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدلُّ عليه، ثم حرف عطف للتراخي، ويمسهم فعل مضارع ومفعول به، ومنا حال لأنه كان صفة لعذاب، وعذاب فاعل، وأليم صفة ثانية ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ تلك مبتدأ، ومن أنباء الغيب خبرأول، وجملة نوحيها إليك خبر ثان، وإن

شئت كان في موضع الحال، أي: تلك كائنة من أنباء الغيب موحاة إليك ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ خبر ثالث، وهذا أولى الأعاريب، وكان واسمها، وجملة تعلمها خبر كنت، و«ها» مفعول به، وأنت تأكيد لفاعل تعلمها المستتر، ولا قومك عطف على أنت، ومن قبل هذا حال من الهاء في نوحيها، أو الكاف في إليك، أي: جاهلاً أنت وقومك بها ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن عرفت هذه القصة ومنطوياتها، وما آلت إليه حادثة الطوفان، فاصبر، وجملة إن العاقبة للمتقين من إن واسمها وخبرها، تعليلية، وهذا هو المقصود من قصة نوح والقصص التي ستتلوها.

* الفوائـد:

للمفسرين كلام طويل في هذه الآية، وتعليل وصف سؤال نوح بالجهل، وهو يدل على عدم العصمة، حتى لقد ذهب الزمخشري إلى أن نوحاً عليه السلام صدر عنه ما يوجب نسبة الجهل إليه، ومعاتبته على ذلك، ويطول بنا القول إن أردنا أن ننقل ما أوردوه، أو نلخصه على الأقل، وأقرب ما يقال في ذلك أنه لما صدر الوعد إلى نوح بنجاة أهله إلا من سبق عليه القول منهم، ولم يكن كاشفاً لحال ابنه المذكور ولا مطلعاً على دخيلة نفسه، وحقيقة أمره، بل معتقداً بظاهر الحال أنه مؤمن، بقي على التمسك بصيغة العموم للأهلية الثابتة، ولم يعارضها يقين في كفر ابنه حتى يخرج من الأهل، ويدخل في المستثنين فسأل الله فيه بناء على ذلك فتبين له أنه في علمه من المستثنين، وأنه هو لا علم له بذلك، فلذلك سأل فيه، وهذا بأن يكون إبانة عذر أولى منه أن يكون عتباً، وأما قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فالمراد منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعد أن أعلمه الله باطن أمره، وأنه إن وقع في المستقبل السؤال كان من الجاهلين، والغرض من ذلك: تقديم ما يبقيه على سمة العصمة، والموعظة لا تستدعي وقوع ذنب، وقد أشفق نوح من إقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له، فخاف من ذلك الهلاك، فلجأ إلى ربه، وخشع

له، ودعاه، وسأله المغفرة والرحمة؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ فَطَرَنِىٓ ﴾: فطر الله الخلق، وهو فاطر السموات: مبتدعها، وافتطر الأمر: ابتدعه، «وكل مولود يولد على الفطرة» أي: على الجبلة، وقد فطر هذه البئر، وفطر الله الشجر بالورق، فانفطر به، وتفطّر، وتفطّرت الأرض بالنبات، وتفطرت اليد والثوب: تشققت، وفطر ناب البعير: طلع، وفطرت المرأة العجين، وهذا كلام يفطر الصوم، أي: يفسده.

﴿ مِّدْرَارًا ﴾: المدرار: الكثير الدرور، كالمغزار، ولم يؤنثه، وإن كان من

مؤنث لثلاثة أسباب: أحدها: أن المراد بالسماء السحاب، أو المطر، فذكر على المعنى، والثاني: أن مفعالاً للمبالغة، فيستوي فيه المذكر والمؤنث، كصبور، وشكور، والثالث: أن الهاء حذفت من مفعال على طريق النسب. وفي القاموس: درت السماء بالمطر دراً ودروراً، فهي مدرار.

(الناصية): منبت الشعر من مقدّم الرأس، ويسمى الشعر النابت أيضاً: ناصية، باسم محله، ونصوت الرجل: أخذت بناصيته، فلامها واو. ويقال: له ناصاة، فقلبت ياؤها ألفاً، فالأخذ بالناصية عبارة عن الغلبة والقهر، وإن لم يكن ثمة أخذ بناصيته، ولذا كانوا إذا منّوا على أسير جزوا ناصيته.

○ الإعراب:

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ عطف على قصة نوح، والمعطوف محذوف، أي: وأرسلنا إلى عاد فيكون من عطف الجمل لا من عطف المفردات لطول الفصل، وعاد اسم قبيلة، وصرفها لأنه أراد الحي، ولو أراد القبيلة لم تصرف، وأخاهم مفعول لأرسلنا المحذوفة، وأراد إخوتهم في النسب، وهوداً بدل، أو عطف بيان، وسيرد في باب: الفوائد الفرق الدقيق بين البدل وعطف البيان ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ اعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به، وما نافية، ولكم خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وإله مجرور لفظاً مرفوع محلاً؛ لأنه مبتدأ مؤخر، وغيره صفة لإله على المحل، ويجوز الجر صفة على اللفظ، وقد قرىء بها ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ إن نافية، وأنتم مبتدأ، وإلا أداة حصر، ومفترون خبر أنتم ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ لا نافية، وأسألكم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وعليه حال، وأجراً مفعول به ثان ﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ إن نافية، وأجري مبتدأ، وإلا أداة حصر، وعلى الذي خبر، وجملة فطرني صلة، والهمزة للاستفهام، والفاء حرف عطف، وقد تقدم بحث هذا التركيب، وتعقلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ استغفروا ربكم

فعل أمر وفاعل ومفعول به، ثم توبوا إليه عطف على استغفروا، ويرسل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، والسماء مفعول به، وعليكم جار ومجرور متعلقان بمدراراً، ومدراراً حال من السماء، وقد تقدم ذكر السَّبب في عدم تأنيثها ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ويزدكم عطف على يرسل، والكاف مفعول به أول، وقوة مفعول به ثان، وإلى قوتكم صفة، وإلى بمعنى مع، ولا تتولوا: لا ناهية، وتتولوا مجزوم بلا، ومجرمين حال من الواو ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ يا حرف نداء، وهود منادى مفرد علم مبني على الضم، وما نافية، وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به، وببينة جار ومجرور متعلقان بجئتنا، فتكون الباء للتعدية، ويجوز أن تتعلق بمحذوف على أنها حال، أي: مستقراً، أو متلبساً ببينة ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ الواو عاطفة، وما حجازية، ونحن اسمها، والباء حرف جر زائد، وتاركي مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، وعن قولك حال من الضمير في تاركي، كأنه قال: وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك، ويجوز أن تكون عن للتعليل، والمعنى: وما نحن بتاركي آلهتنا لقولك، فيتعلق بنفس تاركي ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الواو عاطفة، وما حجازية، ونحن اسمها، ولك متعلقان بمؤمنين، والباء حرف جر زائد، ومؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ إن نافية، ونقول فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، وإلا أداة حصر، وجملة اعتراك معمول لنقول، أي: منصوبة بمصدر محذوف، وذلك المصدر منصوب بنقول، أي: إلا قولنا: اعتراك، والكاف مفعول به، وبعض آلهتنا فاعل، وبسوء جار ومجرور متعلقان باعتراك، والمعنى: ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، وسيأتي مزيدُ بحثٍ عن هذه الفائدة في باب الفوائد.

﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ إن واسمها، وقد كسرت همزتها بعد القول، وجملة أشهد خبرها، واشهدوا فعل أمر، وأن المفتوحة الهمزة، وما في حيزها معمول لاشهدوا، أو لأشهد الله، على أن المسألة من

باب التنازع، وسيأتي بحث التنازع في باب الفوائد، وإن واسمها وخبرها، ومما متعلقان ببريء، وجملة تشركون صلة، ويجوز أن تكون ما مصدرية، أي: من إشراككم ﴿مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ من دونه حال، فكيدوني: الفاء الفصيحة، وكيدوني فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء المحذوفة للتخفيف مفعول به، وجميعاً حال، ثم حرف عطف، ولا ناهية، وتنظرون فعل مضارع مجزوم بلا، والياء المحذوفة للتخفيف مفعول به ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾ إني: إن واسمها، وجملة توكلت خبرها، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكلت، وربي بدل، أو صفة، وربكم عطف على ربي.

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ ما نافية، ومن حرف جر زائد، ودابة مبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة لسبقها بالنفي، وإلا أداة حصر، وهو مبتدأ، وآخذ خبر، وبناصيتها جار ومجرور متعلقان بآخذ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إن واسمها، وعلى صراط خبرها، ومستقيم صفة ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وتولوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين، والأصل: تتولوا، وهو فعل الشرط مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، والفاء رابطة، وقد حرف تحقيق، وأبلغتكم فعل وفاعل ومفعول به، وما مفعول به ثان، وجملة أرسلت صلة، وبه متعلقان بأرسلت، وإليكم حال ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ كلام مستأنف، ولذلك رفعه، ولم ينسقه على الجواب، على أنه قرىء بالجزم أيضاً على الموضع، وهو صحيح لا غبار عليه، وربي فاعل، وقوماً مفعول به، وغيركم صفة لقوماً، ولا تضرونه عطف على يستخلف، وشيئاً مفعول مطلق، أي: شيئاً من الضرر ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ إن واسمها، وعلى كل شيء متعلقان بحفيظ، وحفيظ خبر إن ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ لما ظرفية حينية، متعلقة بنجينا، أو رابطة، وجاء أمرنا فعل وفاعل، ونجينا هوداً فعل وفاعل ومفعول به، والذين عطف على هود،

وجملة آمنوا صلة، ومعه ظرف مكان متعلق بآمنوا، وبرحمة متعلقان بنجينا، ومنا صفة لرحمة ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ونجيناهم فعل وفاعل ومفعول به، ومن عذاب جار ومجرور متعلقان بنجيناهم، وغليظ صفة لعذاب ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، سيقت لتلخيص القبائح التي ارتكبها قوم عاد، وتلك مبتدأ، وعاد بدل، أو عطف بيان، وجملة جحدوا خبر تلك، ولك أن تجعل تلك عاد مبتدأ وخبراً ثم تستأنف، وبآيات متعلقان بجحدوا، وربهم مضاف، وعصوا رسله فعل وفاعل ومفعول به ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ واتبعوا عطف على جحدوا، وأمر مفعول به، وكل مضاف إليه، وجبار مضاف لكل، وعنيد صفة لجبار ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وأتبعوا عطف على ما تقدم، وهو فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وفي هذه الدنيا متعلقان بأتبعوا، والدنيا بدل من اسم الإشارة، ولعنة مفعول به ثان، ويوم القيامة ظرف متعلق بفعل محذوف تقديره: أتبعوا، وأجاز الفارسي أن يكون يوم القيامة عطفاً على محل هذه؛ لأن قوله في هذه جار ومجرور متعلقان بأتبعوا، فهو عامل في محل النصب، ولا مانع من عطف الزمان على الدنيا؛ لأنها ظرف مكان، فاشتركا في الظرفية ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ ألا أداة تنبيه، وإن واسمها، وكفروا فعل وفاعل، وربهم منصوب بنزع الخافض، ولك أن تنصبه على المفعولية بتضمين كفروا معنى جحدوا ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ ألا أداة تنبيه تأكيد للأولى، وبعداً تقدم إعرابها، وتقدم معنى اللام وتعليقها مفصلاً في موضع قريب، فجدِّد به عهداً، وقوم بدل، أو عطف، وهود مضاف إليه.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ فإنه إنما قال: أشهد الله واشهدوا، ولم يقل: وأشهدكم؛ ليكون موازناً له وبمعناه؛ لأن إشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم، ولذلك عدل به عن لفظ الأول

لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر كقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه: اشهد عليّ أني لا أحبك؛ تهكماً به، واستهانة بحاله، هذا من جهة ومن جهة ثانية، فإن صيغة الخبر لا تحتمل سوى الإخبار بوقوع الإشهاد منه، فلما كان إشهاده لله واقعاً ومحققاً عبر عنه بصيغة الخبر؛ لأنه إشهاد صحيح وثابت، وعبر في جانبهم بصيغة الأمر التي تتضمن الاستهانة بدينهم، وهو مراده في هذا المقام، ومن جهة ثالثة إنما عدل إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بأن يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجل وأشرف وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر.

* الفوائـــد:

(١) الفرق بين عطف البيان والبدل:

أوجه الشبه بينهما:

أوجه الشبه بين عطف البيان والبدل أربعة، وهي:

١ ـ أن فيه بياناً، كما في البدل للثاني.

٢ ـ أنه يكون بالأسماء الجوامد كالبدل.

٣ ـ أنه يكون لفظه لفظ الأول على جهة التأكيد.

٤ ـ كلاهما تابع.

أوجه المفارقة بينهما:

أما أوجه المفارقة بينهما فهي:

١ ـ أن البدل يكون هو المقصود بالحكم دون المبدل منه، وأما عطف البيان فليس هو المقصود بل إن المقصود بالحكم هو المتبوع، وإنما جيء بعطف البيان توضيحاً له، وكشفاً عن المراد منه.

٢ ـ كل ما جاز أن يكون عطف بيان، جاز أن يكون بدل الكل من الكل إذا لم يمكن الاستغناء عنه، أو عن متبوعه، فيجب حينئذ أن يكون عطف بيان،

فمثال عدم جواز الاستغناء عن التابع قولك: فاطمة جاء حسين أخوها؛ لأنك لو حذفت «أخوها» من الكلام لفسد التركيب.

٣ ـ أن عطف البيان يجري على ما قبله في تعريفه، وليس كذلك البدل؛ لأنه يجوز أن تبدل النكرة من المعرفة والمعرفة من النكرة، ولا يجوز ذلك في عطف البيان.

٤ ـ أن البدل يكون بالمظهر والمضمر، وكذلك المبدل منه، ولا يجوز ذلك في عطف البيان، وأن البدل قد يكون غير الأول، كقولك: سلب زيد ثوبه، وعطف البيان لا يكون غير الأول.

(٢) الفائـدة الثانيـة:

﴿إن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ إن حرف نفي لحقت نقول، فنفت جميع القول إلا قولاً واحداً، وهو قولهم: اعتراك بعض آلهتنا بسوء، والتقدير: ما نقول قولاً إلا هذه المقالة، والفعل يدل على المصدر، وعلى الظرف، وعلى الحال، ويجوز أن يذكر الفعل، ثم يستثنى من مدلوله ما دلّ عليه من المصادر والظروف والأحوال، فنقول: اعتراك مستثنى من المصدر الذي دل عليه، نقول كقوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ فنصب موتتنا على الاستثناء؛ لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دل عليه قوله بميتين، ومما جاء من ذلك في الظروف قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ فساعة استثناء مما دل عليه لم يلبثوا من الأوقات، ومما جاء من ذلك في الحال قوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ التقدير: ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال أينما ثقفوا، إلا متمسكين بحبل، أي: بعهد من الله.

(٣) الفائـدة الثالثـة: التنـازع:

هو أن يتقدم فعلان متصرفان، أو اسمان يشبهانهما، ويتأخر عنهما معمول، وهو مطلوب لكل منهما، كقوله تعالى: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ولك أن تعمل في الاسم المذكور أيّ العاملين شئت، فإن أعملت الثاني

فلقربه، وإن أعملت الأول فلسبقه، فإن أعملت الأول في الظاهر أعملت الثاني في ضميره، مرفوعاً كان أم غيره، نحو: قام وقعدا أخواك، واجتهد فأكرمتهما أخواك، ووقف فسلمت عليهما أخواك، وأكرمت فسرا أخويك، وأكرمت فشكر لي خالداً. ومن النحاة من أجاز حذفه إن كان غير ضمير رفع، كقوله:

بِعُكَـاظَ يُعْشِي النَّـاظِـرِيـ ـنَ ـ إذا هُم لمحُوا ـ شُعَاعَهْ

وإن أعملت الثاني في الظاهر أعملت الأول في ضميره إن كان مرفوعاً، نحو: قاما، وقعد أخواك، واجتهدا فأكرمت أخويك، ووقفا فسلمت على أخويك، ومنه قول الشاعر:

جفوني ولم أجفُ الأخلاَّءَ إنَّني لغير جميلٍ من خليلي مُهْملُ

وإن كان ضميره غير مرفوع حذفته، نحو: أكرمت فسر أخواك، وأكرمت فشكر لي خالد، وأكرمت وأكرمني سعيد، ومررت ومر بي علي. وهناك أحكام أخرى للتنازع، يُرجع إليها في كتب النحو المطولة.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾
قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى
شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى
وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾
وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ
أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾

وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾ عمركم وأسكنكم، فالسين والتاء زائدتان، أو صيركم عامرين لها، فهما للصيرورة. ولهذه المادة في اللغة شعاب واسعة، نعرضهما فيمايلي: عَمَرَ يَعْمُرُ، من باب: دخل، عَمْراً المنزل بأهله: كان مسكوناً، وعمر المنزل سكنه، فهو معمور، وعمر الدار: بناها، والاسم العمارة، وعمر بالمكان: أقام، وعمره الله: أبقاه، وعمر يَعْمِرُ، من بابي: دخل وضرب، عُموراً وعَمارة وعُمراناً الرجل بيته: لزمه، وعمرته كذا: جعلته له طول عمره أو عمري، واستعمره في المكان: جعله يعمره، استعمر الله عباده في الأرض، أي: طلب منهم العمارة فيها. ولكن الكلمة تحولت في العصر الحديث إلى معنى الاستعمار المشؤوم؛ الذي يسير في طريقه إلى الزوال، والمستعمرات ما تمتلكه دولة من الدول في بلاد غير بلادها، فهي مولدة، ولكنها صارت من الكلمات الدارجة؛ التي تعبر عن معنى شائع فلا بأس بإقرارها، أما العَمر ـ بفتح العين ـ: فهو الحياة والدين، وفي القسم يقال: لعمري، ولعمر الله، وهو مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، تقديره: قسمي، واللام الداخلة عليه للابتداء لا للقسم؛ لأنه لا يجوز دخول قسم على قسم. وتقول: عمر الله ما فعلت بالنصب على المصدرية، وسيرد المزيد من هذه المادة والأعاريب المستعملة فيها، ونعود إلى الآية التي نحن بصددها، فنقول: معنى واستعمركم فيها، أي: أمركم بالعمارة، وقد قسم الفقهاء العمارة إلى واجب ومندوب ومباح ومكروه، والتفاصيل مذكورة في المطولات. وعن معاوية بن أبي سفيان: أنه أخذ في إحياء الأرض في آخر أمره، فقيل له: ما حملك على ذلك؟ فقال: ما حملني إلا قول القائل:

ليس الفتى بفتى لا يُستضاء بـه ... ولا تكون له في الأرضِ آثار

وقيل: المعنى استعمركم من العمر، نحو: استبقاكم من البقاء، وقيل: هو من العمرى، بمعنى أعمركم فيها دياركم: ورثها منكم بعد انصرام أعماركم، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم، ثم تتركونها لغيركم.

﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾: ضربها قُدار في رجليها فأوقعها، فذبحوها، واقتسموا لحمها. وقُدار هذا: شقيّ معروف أشار إليه زهير بن أبي سُلْمى في معلقته عندما وصف شؤم الحرب، وما تولده من أضرار، فقال:

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

أراد: فتلد الحرب لكم أبناء من خلالها كل واحد منهم يضاهي في الشؤم أحمر عاد، وهو عاقر الناقة، واسمه: قُدار بن سالف، وأراد أحمر ثمود، ولكنه أطلق عليه الاسم الشائع على عاد الثانية، وهم قوم ثمود، فلا معنى لمن قال: إن زهيراً غلط.

﴿ جَاثِمِينَ ﴾: في المصباح: جثم الطائر والأرنب يجثم، من باب: ضرب، جثوماً، وهو كالبروك من البعير، والفاعل جاثم وجثّام مبالغة.

﴿ لَّمْ يَغْنَوْا ﴾: لم يقيموا. وفي المختار: وغني بالمكان: أقام به.

○ الإعراب:

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ ثم عطف سبحانه على ذلك قصة صالح، وهي القصة الثالثة من قصص السورة، وقد تقدم إعراب هذه الكلمات بنصها في قصة هود ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هو مبتدأ، وجملة أنشأكم خبر، ومن الأرض جار ومجرور متعلقان بأنشأكم، واستعمركم فيها عطف على أنشأكم. ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ الفاء الفصيحة، واستغفروه فعل أمر وفاعل ومفعول به، ثم حرف عطف، وتوبوا إليه عطف على استغفروه، وإن واسمها وخبراها ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ ﴾ قد حرف تحقيق، وكان واسمها،

ومرجواً خبرها، وفينا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وقبل ظرف متعلق بمرجواً، وهذا مضاف إليه، والمراد: لقد خيبت رجاءنا فيك لما كنا نتوسمه من مخايل تنبيء بالرشد ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري بزعمهم، وتنهانا فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، وهما متعلقان بتنهانا، وآباؤنا فاعل يعبد ﴿ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ الواو استئنافية، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي شك خبر إننا، ومما صفة لشك، وجملة تدعونا صلة، ونا مفعول تدعو، وإليه متعلقان به، ومريب صفة لشك ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ أرأيتم تقدم نظيره أكثر من مرة، وهي هنا معلقة عن العمل لمجيء ماله صدر الكلام بعدها، وإن شرطية، وكنت فعل الشرط، والتاء اسم كان، وعلى بينة خبر كان، ومن ربي صفة لبينة ﴿ وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ﴾ وآتاني عطف على كنت، والياء مفعول به أول، ومنه حال، ورحمة مفعول به ثان، والفاء رابطة لجواب الشرط، ومن اسم استفهام مبتدأ، وينصرني فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة خبر، وجملة فمن ينصرني جواب إن، وإن الثانية شرطية، وعصيته فعلها، وجوابها محذوف دل عليه جواب الأولى، أي: فمن ينصرني، والاستفهام هنا معناه النفي، فكأنه قال: فلا ناصر لي من الله إن عصيته، وإنما جاز إلغاء رأيت هنا لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها، من جهة أنها تفيد لو انفردت عن غيرها ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية، وتزيدونني فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وغير مفعول ثان لتزيدونني. قال أبو البقاء: الأقوى هنا أن تكون صفة لمفعول محذوف، أي: شيئاً غير تخسير ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ الواو عاطفة، وهذه مبتدأ، وناقة الله خبر، ولكم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لآية، وتقدمت، وآية حال من ناقة الله، والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾ فذروها الفاء عاطفة، وذروها فعل أمر ومفعول به، وتأكل جواب الطلب، ولذلك جزم، وفي أرض الله متعلقان

بتأكل ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ ولا تمسوها عطف على ما تقدم، ولا ناهية، وتمسوها مجزوم بلا، والواو فاعل، والهاء مفعول به، وبسوء متعلقان بتمسوها، والفاء فاء السببية، والكاف مفعول به، وعذاب فاعل، وقريب صفة ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ﴾ فعقروها: الفاء عاطفة، وعقروها فعل ماض وفاعل ومفعول به، فقال عطف على عقروها، وجملة تمتعوا من فعل الأمر والفاعل مقول القول، وفي داركم حال، وثلاثة أيام ظرف متعلق بتمتعوا ﴿ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٍ ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ووعد خبر، وغير مكذوب صفته، ومكذوب يجوز أن يكون مصدراً على وزن مفعول، نحو: المجلود، والمعقول، والمنشور، والمغبون، ويجوز أن يكون اسم مفعول على الأصل، وفيه تأويلان: أحدهما غير مكذوب فيه، ثم حذف حرف الجر، فاتصل الضمير مرفوعاً مستتراً في الصفة، والثاني أنه جعل هو نفسه غير مكذوب؛ لأنه قد وفى به، وإذا وفى به فقد صدق ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وجاء أمرنا فعل وفاعل، ونجينا صالحاً فعل وفاعل ومفعول به، والجملة لا محل لها، والذين عطف على صالحاً، وجملة آمنوا صلة، ومعه ظرف مكان متعلق بآمنوا ﴿ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ ﴾ برحمة حال، أي: متلبسين برحمة ومنا صفة، ومن خزي متعلقان بمحذوف دل عليه ما قبله، أي: ونجيناهم من خزي، ويومئذ: يوم مضاف إلى خزي، ويوم مضاف، والظرف ـ وهو إذ ـ مضاف إليه، ولم يفتح اليوم لإضافته إلى المبني؛ لأن المضاف منفصل من المضاف إليه، ولا يلزمه الإضافة، فلما لم يلزم الإضافة المضاف لم يلزم فيه البناء، ويجوز فتح يوم بالبناء على الفتح لإضافته إلى المبني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ فمثل في موضع رفع، وقد جرى وصفاً للنكرة، إلا أنه فتح للإضافة إلى ما ، وسيأتي مزيد من هذا البحث ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ إن واسمها، وهو ضمير فصل، أو مبتدأ، والقوي العزيز خبران لإن، أو لهو، والجملة خبر إن ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾ الواو عاطفة على المعنى، وأخذ

فعل ماض، وحذفت منه تاء التأنيث، إما لكون المؤنث، وهو الصيحة مجازياً، أو للفصل بالمفعول به، والذين مفعول به، وجملة ظلموا صلة، والصيحة فاعل، فأصبحوا عطف على أخذ، والواو اسم أصبح، وجاثمين خبرها، وفي ديارهم جار ومجرور متعلقان بجاثمين ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ﴾ كأن مخففة من الثقيلة، واسمها، أي: كأنهم، وجملة لم يغنوا خبرها، وفيها متعلقان بيغنوا ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ تقدم إعراب نظيره بحروفه.

* الفوائد:

للأفعال التي تنصب مفعولين ثلاثة أحكام (وهي أفعال القلوب):

(١) الإعمال: وهو الأصل فيها، وهو نصب مفعولين.

(٢) الإلغاء: وهو إبطال العمل لفظاً ومحلاً لضعف العامل؛ بتوسّطه بين المبتدأ والخبر، أو تأخره عنهما، فالتوسط: كزيد ظننت قائم، والتأخر، نحو: زيد قائم ظننت.

قال منازل بن ربيعة المنقري:

أبالأراجيزِ يا بنَ اللؤمِ تُوعِدُني
وفي الأراجيزِ خِلْتُ اللُّؤمُ والخَوَرُ

فوسط خلت بين المبتدأ المؤخر، وهو اللؤم، والخبر المقدم، وهو: في الأراجيز.

وقال أبو سيده الدُّبَيْري:

وإنَّ لنا شَيْخين لا ينفعاننا غنيين لا يَجْري علينا غناهُما
هُما سَيِّدَانا يَزْعُمان وإنَّما يَسُودَانِنا إنْ أَيْسَرَتْ غَنَماهُما

وإلغاء العامل المتأخر أقوى من إعماله، والعامل المتوسط بالعكس، فالإعمال فيه أقوى من إهماله.

(٣) التعليق: وهو إبطالُ العمل لفظاً لا محلاً؛ لمجيء ماله صدر الكلام بعده، وهو:

لام الابتداء نحو: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ فمن مبتدأ، وهو موصول اسمي، وجملة اشتراه صلة من، وعائدها فاعل اشتراه المستتر فيه، وما نافية، وله وفي الآخرة متعلقان بالاستقرار خبر خلاق، ومن زائدة، وجملة ماله في الآخرة من خلاق خبر من، والرابط بينهما الضمير المجرور باللام، وجملة من وخبره في محل نصب معلق عنها العامل بلام الابتداء؛ لأن لها الصدر، فلا يتخطاها عامل.

ولام القسم كقول لبيد:

ولقد عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتي إنَّ المَنَايا لا تَطِيشُ سِهَامُهَا

فاللام في لتأتين لام جواب القسم، والقسم وجوابه في محل نصب معلق عنها العامل بلام القسم.

وما النافية نحو: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فما نافية، وهؤلاء مبتدأ، وينطقون خبره، والجملة الاسمية في موضع نصب بعلمت، وهي معلق عنها العامل في اللفظ بما النافية.

ولا وإن النافيتان الواقعتان في جواب قسم ملفوظ به، أو مقدر، فالقسم الملفوظ نحو: علمت والله لا زيد في الدار ولا عمرو، وعلمت والله إن زيد قائم.

والاستفهام وله صورتان:

آ ـ أن يعترض حرف الاستفهام بين العامل والجملة بعده، نحو: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ فقريب مبتدأ، وأم بعيد معطوف عليه، وما اسم موصول في محل رفع خبر المبتدأ، وما عطف عليه، وجملة توعدون صلة الموصول، والعائد محذوف، وجملة المبتدأ، وخبره في موضع نصب بأدري المعلق بالهمزة.

ب ـ أن يكون في الجملة اسم استفهام عمدة كان نحو: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ فأي اسم استفهام مبتدأ، وأحصى خبره، وهو فعل ماض، وقيل: اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد، وجملة المبتدأ والخبر معلق عنها نعلم؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، ولا فرق في العمدة بين المبتدأ ـ كما مر ـ والخبر، نحو: علمت متى السفر، والمضاف إليه، نحو: علمت أبو من زيد، أو الخبر، نحو: علمت صبيحة أي يوم سفرك، أو فضلة، نحو: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ فأي منقلب مفعول مطلق منصوب بينقلبون مقدم من تأخير، والأصل: ينقلبون أي انقلاب، وليست أي مفعولاً به ليعلم كما قد يتوهم؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وجملة ينقلبون معلق عنها العامل، فهي في محل نصب.

تنبيه هـام:

إنما يعطف على محل الجملة المعلق عنها العامل مفرد فيه معنى الجملة، فنقول: علمت لزيد قائم، وغير ذلك من أموره، ولا تقول: علمت لزيد قائم وعمرو؛ لأن مطلوب هذه الأفعال إنما هو مضمون الجمل، فإن كان في الكلام مفرد يؤدي معنى الجملة، صحَّ أن تتعلق به، وإلا فلا.

قال كثير عزة:

وما كنتُ أدري قبلَ عزَّةَ ما البُكا
ولا مُوجعاتِ القلبِ حتَّى تولَّتِ

فعطف موجعات بالنصب بالكسرة على محل ما البكا؛ الذي علق عن العمل فيه قوله: أدري.

وأبحاث الإلغاء والتعليق تضيق عن استيعابها هذه الفوائد، فحسبنا ما ذكرناه، ومن شاء المزيد فليرجعْ إلى المطولات.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن

جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ
خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ
فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا
بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ
ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ
عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾

☆ **اللغة:**

(العجل): ولد البقرة، ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة، ويجمع على عجول وعجلة وعِجَال وعجاجيل، قيل: سمي بذلك لتعجيل أمره بقرب ميلاده.

﴿ حَنِيذٖ ﴾: المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الأرض، وهو من فعل أهل البادية، وكان سميناً يسيل منه الودك، وكان عامة مال إبراهيم البقر. وفي المختار: حنذ الشاة: شواها، وجعل فوقها حجارة محماة لينضجها، فهي حنيذ، وبابه: ضرب.

﴿ نَكِرَهُمۡ ﴾ في المختار: نكره ـ بالكسر ـ نُكراً ـ بضم النون ـ وأنكره كله بمعنى، وعبارة الأساس: «أنكر الشيء ونكِره واستنكره، وقيل: نكِر أبلغ من أنكر، وقيل: نكر بالقلب وأنكر بالعين. قال الأعشى:

وأنكرتْني وما كان الذي نكِرتْ
من الحوادثِ إلاَّ الشَّيبَ والصَّلعا

وفيهم العُرف والنُّكر، والمعروف والمنكر، وشتم فلان فما كان عنده نكير، وهم يركبون المنكرات والمناكير، وهو من مناكير قوم لوط».

﴿ وَأَوۡجَسَ ﴾: الإيجاس: الإحساس وحديث النفس، وأصله من

الدخول؛ كأن الخوف داخله، والوجيس: ما يعتري النفس أوان الفزع، ووجس في نفسه كذا، أي: خطر بها يجس وجساً ووجوساً ووجيساً.

﴿بَعۡلِي﴾: البعل هو المستعلي على غيره، ولما كان زوج المرأة مستعلياً عليها، قائماً بأمرها، سُمِّي بعلاً، ويقولون للنخل الذي يستغني بماء السماء عن سقي الأنهار والعيون: بعل؛ لأنه قائم بالأمر في استغنائه عن تكلف السقي له. ويجمع البعل على بعول وبعال وبعولة. والبعل: الرب أيضاً والسيد، يقولون: من بعل هذه الناقة، أي: ربها، وبهذا المعنى استعملها الكنعانيون وغيرهم من عبدة الأصنام للدلالة على أعظم آلهتهم.

﴿أَوَّٰهٞ﴾ تقدمت معانيه في سورة التوبة.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ ثم شرع سبحانه في القصة الرابعة من قصص السورة، وهي قصة إبراهيم، توطئة لقصة لوط لا استقلالاً، ولهذا خولف في أسلوب القصة عن سابقاتها، فلم يقل: وأرسلنا. واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وجاءت رسلنا فعل وفاعل، وإبراهيم مفعول به، وبالبشرى متعلقان بجاءت ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ قالوا فعل وفاعل، وسلاماً مصدر معمول لفعل محذوف كما تقدم، أي: سلمنا سلاماً، وقال: فعل ماض، وسلام مبتدأ خبره محذوف، أي: عليكم، وسوغ الابتداء به معنى الدعاء، وهو أولى من جعله خبراً لمبتدأ محذوف، أي: قولي سلام وستأتي مسوغات الابتداء بالنكرة في باب: الفوائد ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ الفاء عاطفة، وما لبث يجوز في ما أن تكون نافية، ولبث فعل ماض، فاعله أن وما في حيزها، أي: مجيئه، أو الفاعل مستتر، تقديره: إبراهيم، وإن وما في حيزها خبره، والتقدير: فلبثه أو الذي لبثه قدر مجيئه ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾ الفاء عاطفة على

محذوف، والتقدير: فقربه إليهم فلم يمدوا أيديهم، فقال: ألا تأكلون؟ فلما رأى أيديهم، والرؤية هنا بصرية، وأيديهم مفعول به، وجملة لا تصل إليه حالية، وجملة نكرهم لا محل لها؛ لأنها جواب لمّا، وأوجس منهم عطف على نكرهم، وخيفة مفعول به، ومنهم حال؛ لأنه كان صفة لخيفة ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ لا تخف: لا ناهية، وتخف مجزوم بها، وإن واسمها، وجملة أرسلنا خبرها، ونا نائب فاعل، وإلى قوم لوط جار ومجرور متعلقان بأرسلنا ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ وامرأته الواو حالية، أو استئنافية، وامرأته مبتدأ، وقائمة خبر، فضحكت فعل ماض، وفاعله هي، فبشرناها عطف أيضاً، وهو فعل وفاعل ومفعول به، وبإسحاق متعلقان ببشرناها، ومن وراء إسحاق خبر مقدم، ويعقوب مبتدأ مؤخر ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ يا ويلتا كلمة تقال للتعجب من أمر عجيب خارق للعادة، من خير أو شر، وهو منادى مضاف إلى ياء المتكلم المنقلبة ألفاً، وكذلك في: يا لهفا ويا عجبا، وقيل: هي ألف الندبة التي يوقف عليها بهاء السكت، وسيأتي الكلام عنها في حينه، أألد: الاستفهام مقصود به التعجب، والواو حالية، وأنا مبتدأ، وعجوز خبر، والجملة نصب على الحال من الضمير المستتر في أألد ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ الواو حالية، وهذا مبتدأ، وبعلي خبر، وشيخاً حال، والعامل فيه ما في اسم الإشارة من معنى الفعل، قال الزجاج: الحال ـ ها هنا ـ نصبها من لطيف النحو، وذلك أنك إذا قلت: هذا زيد قائماً يصلي، فإن كنت تقصد أن تخبر من لا يعرف زيداً أنه زيد لم يجز أن تقول: هذا زيد قائماً؛ لأنه يكون «زيداً» ما دام قائماً، فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنما تقول للذي يعرف زيداً: هذا زيد قائماً، فيعمل في الحال التنبيه، والمعنى: انتبه لزيد في حال قيامه، أو أشير لك إلى زيد في حال قيامه. وإن واسمها، واللام المزحلقة، وشيء خبرها، وعجيب صفة ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الهمزة للاستفهام، والمقصود به النهي، أي: لا تعجبي، ولم ينكروا عليها؛ لأن عجبها ليس إنكاراً، وإنما هو دهشة بما هو خارق للعادة، وتعجبين فعل مضارع مرفوع

بثبوت النون، والياء فاعل، ومن أمر الله جار ومجرور متعلقان بتعجبين ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ رحمة الله مبتدأ، وبركاته عطف على رحمة، وعليكم خبر رحمة، وأهل البيت نصب على الاختصاص المراد به المدح، ويجوز أن يكون منادى محذوفاً منه حرف النداء، أي: يا أهل البيت، وإن واسمها وخبراها.

وبين النصب على المدح والنصب على الاختصاص فرق، ولذلك جعلهما سيبويه في بابين، وهو أن المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح، كما أن المنصوب على الذم يتضمن بوضعه الذم، والمنصوب على الاختصاص لا يكون إلا لمدح أو ذم، لكن لفظه لا يتضمن بوضعه المدح ولا الذم؛ كقوله: «بنا تميماً يكشف الضباب»، وقوله: «ولا الحجاج عيني نبت ماء».

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وذهب عن إبراهيم الروع فعل وفاعل، وجاءته البشرى عطف على ذهب، وجواب لما محذوف تقديره: أقبل، أو فطن لمجادلتهم ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ جملة يجادلنا حالية، أو مستأنفة، وفي قوم لوط متعلقان بيجادلنا ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وحليم وأواه ومنيب أخبار ثلاثة ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: قالت الملائكة، وأعرض فعل أمر، وعن هذا متعلقان به، والإشارة إلى الجدال ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ إن واسمها، وجملة قد جاء أمر ربك خبر، وإنهم: إن واسمها، وآتيهم خبرها، وعذاب فاعل آتيهم، وغير صفة، ومردود مضاف إليه.

□ البلاغة:

الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ جعل عدم الوصول استعارة لامتناعهم عن الأكل، والمعنى: لا يمدون أيديهم إلى أكله، فهو لا يريد أن ينفي الوصول الناشىء عن المدّ.

* الفوائـد:

مسوغات الابتـداء بالنكرة:

الواجب في المبتدأ أن يكون معرفة، ويسوغ الابتداء بالنكرة إذا أفادت، وذلك في مواضع أهمها:

(١) بالإضافة اللفظية نحو: «خمس صلوات كتبهن الله» وقد تكون الإضافة بالمعنى نحو: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي: كل أحد.

(٢) بالوصف لفظاً نحو: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ أو تقديراً نحو: أمر أتى من ربك، أي: عظيم، أو معنى بأن تكون النكرة مصغرة نحو: رجيل عندنا، أي: رجل حقير.

(٣) بأن يكون خبرها ظرفاً، أو جاراً ومجروراً مقدماً عليها، نحو: «وفوق كل ذي علم عليم» «ولكل أجل كتاب».

(٤) بأن تقع بعد نفي، أو استفهام، أو لولا، أو إذا الفجائية نحو: ما أحد عندنا، ونحو: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ وقول الشاعر:

لـولا اصْطِبَـارٌ لأَوْدَىٰ كُـلُّ ذِي مِقَـةٍ
لمَّـا استَقلَّـتْ مَطَـايَـاهُـنَّ للظَّعَـنِ

ونحو: خرجت فإذا أسدٌ رابضٌ.

(٥) بأن تكون عاملة نحو: إعطاءٌ قرشاً في سبيل العلم ينهض بالأمة.

(٦) بأن تكون مبهمة كأسماء الشرط، والاستفهام، وما التعجبية، وكم الخبرية.

(٧) بأن تكون مفيدة للدعاء بخير أو شر، فالأول نحو: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ والثاني: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

(٨) بأن تكون خلفاً عن موصوف نحو: عالم خير من جاهل.

(٩) بأن تقع صدر جملة حالية، نحو:

سرَيْنا ونَجْمٌ قد أضاءَ فَمُذْ بَدا مُحياكَ أخْفى ضوءُه كُلَّ شارِقِ

(١٠) بأن يراد بها التنويع، أي: التفصيل والتقسيم، كقول امرىء القيس:

فأقبلتُ زحفاً على الرُّكبتين فثوبٌ نسيتُ وثوبٌ أجُرّ

(١١) بأن تعطف على معرفة، أو يعطف عليها معرفة، نحو: خالد ورجل يتعلمان النحو، أو رجل وخالد يتعلمان النحو.

(١٢) بأن تعطف على نكرة موصوفة نحو: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾.

(١٣) بأن يراد بها حقيقة الجنس لا فرد واحد منه، نحو: ثمرة خير من جرادة.

(١٤) بأن تقع جواباً نحو: رجل، في جواب من قال: من عندك؟

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ
هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ
رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى
بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ
فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا
عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ
رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ سِىٓءَ بِهِمْ ﴾ أصله: سوىء بهم، من السوء فأسكنت الواو، وقلبت

كسرتها إلى السين، ويقال: سؤته فسيء، كما يقال: شغلته فشغل، وسررته فَسُرَّ.

﴿ذَرۡعٗا﴾: من أقوالهم: ضاق فلان ذرعاً، والذرع يوضع موضع الطاقة، والأصل فيه أن البعير يذرع بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوه، فإذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك، وضعف، ومدّ عنقه، فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ أي: لم يجد من ذلك المكروه مخلصاً، وقال بعض علماء اللغة: معناه وضاق بهم قلباً وصدراً، ولا يعرف أصله، إلا أن يقال: إن الذرع كناية عن الوسع، والعرب تقول: ليس هذا في يدي، يعنون ليس هذا في وسعي؛ لأن الذراع من اليد، وقال آخرون: ويقال: ضاق فلان ذرعاً بكذا؛ إذا وقع في مكروه، ولا يطيق الخروج منه. وفي القاموس والتاج ما ملخصه: «الذّرع مصدر، بسط اليد، وضقت بالأمر ذرعاً، أي: لم أقدر عليه، وهو واسع الذرع، أي: مقتدر، وهو خالي الذرع، أي: قلبه خال من الهموم والغموم».

﴿يُهۡرَعُونَ﴾: أي: يسوق بعضهم بعضاً، وفي المصباح: هُرع وأُهرع بالبناء فيهما للمفعول؛ إذا أُعجل على الإسراع. وفي القاموس: والهَرَع محرك، وكغراب، والإهراع: مشي في اضطراب وسرعة، وأقبل يهُرع بالضم، وأُهرع بالبناء للمجهول فهو مهرع مرعد، من غضب، أو خوف، وقد هرع كفرح، ورجل هرع: سريع البكاء.

﴿عَصِيبٞ﴾: العصيب الشديد في الشر خاصة، وأصله من الشد، يقال: عصبت الشيء: شددته، وعصبت فخذ الناقة لتدرَّ، وناقة عصوب ويوم عصيب، وعصبصب؛ كأنه التف على الناس بالشر، أو يكون التف شره بعضه ببعض، قال الشاعر:

فإنَّكَ إن لم تُرضِ بكرَ بنَ وائلٍ　　يكنْ لكَ يومٌ بالعراقِ عَصِيبُ

وقال الراجز:

يومٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الأبطالا عَصْبَ القَوِيِّ السَّلَمَ الطِّوالا

﴿رُكْنٍ﴾ الركن: معتمد البناء بعد الأساس، وركنا الجبل: جانباه، قال الراجز:

يـأوي إلى ركـنٍ مـن الأركـان فـي عـددٍ طلـس ومجـدٍ بـان

﴿فَأَسْرِ﴾: من أسرى بمعنى سرى، أي: سار ليلاً، قال النابغة:

أَسْرتْ عليه من الجوزاءِ ساريةٌ تُزْجِي الشمالُ عليه جامِدَ البَرَدِ

ويروى سرت، وقال امرؤ القيس:

سريتُ بهم حتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ وحتَّى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ

﴿سِجِّيلٍ﴾: قال الزمخشري: «قيل: هي كلمة معربة من سنككل، بدليل قوله: حجارة من طين، وقيل: هي من أسجله؛ إذا أرسله؛ لأنها ترسل على الظالمين، وقيل: مما كتب الله أن يعذب به، من السجل، وسجل لفلان» وقال أبو عبيدة: «هو الحجارة الشديدة» وأنشد لابن مقبل:

ورَجْلـةٍ يَضْـرِبُـونَ البَيْـضَ ضـاحيـة
ضَرْباً تَوَاصَتْ به الأبطالُ سِجِّينا

وسجين وسجيل بمعنى واحد، والعرب تعاقب بين النون واللام، فقلبت النون ها هنا لاماً». واكتفى صاحب القاموس بقوله: «السجيل: الطين اليابس».

﴿مَّنضُودٍ﴾: متراكب، والنضد: جعل الشيء بعضه فوق بعض، والمراد: وصف الحجارة بالكثرة.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾: معلمة للعذاب، والتسويم: العلامة.

○ **الإعراب:**

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ لما ظرفية حينية، أو

رابطة، وجاءت رسلنا لوطاً فعل وفاعل ومفعول به، وجملة سيء بهم لا محل لها، ونائب الفاعل يعود إلى لوط، وبهم جار ومجرور متعلقان به، وذرعاً تمييز محول عن الفاعل ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ وقال عطف على ضاق، وهذا مبتدأ، ويوم خبر، وعصيب صفة، والجملة مقول القول ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ الواو عاطفة، وجاءه قومه فعل ومفعول به وفاعل، وجملة يهرعون في محل نصب على الحال، وإليه متعلقان بيهرعون ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الواو حالية، ومن قبل من حرف جر، وقبل ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، والجار والمجرور متعلقان بيعملون، وكان واسمها، وجملة يعملون السيئات خبر كانوا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ هؤلاء مبتدأ، وبناتي خبر، وكذلك قوله هن أطهر لكم، وجوزوا في بناتي أن يكون بدلاً، أو عطف بيان، وهن ضمير فصل لا محل له، وأطهر خبر هؤلاء، ولكم متعلقان بأطهر؛ لأنه اسم تفضيل، ولا يرد اعتراض خلاصته أن اسم التفضيل يعني المشاركة ليصح التفضيل، فيقتضي أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهراً، والجواب أن هذا جار مجرى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها على الإطلاق ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ الفاء الفصيحة، واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به، ولا تخزوني عطف على اتقوا الله، ولا ناهية، وتخزوني مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، والنون للوقاية، والواو فاعل، والياء مفعول به، وفي ضيفي جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والضيف في الأصل مصدر، ثم أطلق على الطارق ليلاً إلى المضيف، ولذلك يقع على المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، وقد يثنى فيقال ضيفان، وقد يجمع فيقال: أضياف وضيوف وضيفان ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ، وليس فعل ماض ناقص، ومنكم خبر ليس المقدم، ورجل اسمها المؤخر، ورشيد صفة ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ علمت معلقة عن العمل بما النافية، ولنا خبر مقدم، وفي بناتك حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لحق، وتقدمت، ومن حرف جر زائد، وحق مبتدأ مؤخر محلاً ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا

نُرِيدُ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة تعلم خبرها، وما: يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون موصولة، أي: تعرف الذي نريد، أو تعلم إرادتنا ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ لو شرطية، وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف تقديره: ثبت، واستقر، وأما سيبويه فيرى أنه مبتدأ لا خبر له، وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد. وأن حرف مشبه بالفعل، ولي خبرها المقدم، وبكم حال من قوة، إذ هو في الأصل صفة للنكرة، وقوة اسم أن، وجواب لو محذوف، تقديره: لفعلت بكم وصنعت، وأو حرف عطف، وآوي معطوف على المعنى، وتقدير الكلام، أو أني آوي، ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على جملة ثبت المحذوفة إذا أعربت أن، وما في حيزها فاعلاً لفعل محذوف، ويجوز أن تعطف على قوة لأنه منصوب في الأصل بتقدير «أن» فلما حذفت «أن» رفع الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ واستضعف أبو البقاء هذا الوجه. وإلى ركن متعلق بآوي وشديد صفة ﴿قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ إن واسمها، ورسل ربك خبرها، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويصلوا مضارع منصوب بأن، وإليك متعلقان بيصلوا ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ الفاء عاطفة، وبأهلك حال، أي: مصاحباً لهم، وبقطع حال من أهلك، أي: مصاحبين لقطع، ولك أن تجعل الباء للتعدية فتعلقها بأسر، والقطع هنا نصف الليل؛ لأنه قطعة منه مساوية لباقيه، وقد تقدم الكلام على القطع في سورة يونس، ومن الليل صفة لقطع ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية، ويلتفت فعل مضارع مجزوم بلا، ومنكم حال لأنه كان في الأصل صفة لأحد، وأحد فاعل، وإلا أداة استثناء، وامرأتك مستثنى من قوله، فأسر بأهلك، وفي قراءة بالرفع بدل من أحد، وسيأتي تفصيل مسهب لهذا الاستثناء، والمعنى لاتسرِ بها وخلّفها مع قومها، وقيل: هي مستثنى من أحد، وإن واسمها، والهاء ضمير الشأن والحديث، ومصيبها خبر مقدم، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر، وجملة أصابهم صلة، والجملة خبر إن؛ لأن ضمير الشأن يفسر بجملة مصرح بجزأيها

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ إن واسمها، والصبح خبرها، والهمزة للاستفهام التقريري، وليس واسمها، والباء حرف جر زائد، وقريب مجرور لفظاً خبر ليس محلاً ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ لما ظرفية حينية، أو رابطة، وجاء أمرنا فعل وفاعل، وجمل جعلنا جواب لما، ونا فاعل، وعاليها مفعول جعل الأول، وسافلها مفعول جعلنا الثاني ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ وأمطرنا عطف على جعلنا، وعليها متعلقان بأمطرنا، وحجارة مفعول به، ومن سجيل صفة لحجارة، ومنضود صفة لسجيل، ومسومة صفة ثانية لحجارة، وعند ربك الظرف متعلق بمسومة ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ما حجازية، وهي اسمها، واختلف في هذا الضمير فقيل: يعود على العقوبة المفهومة السياق، وقيل: يعود على الحجارة، وهي أقرب مذكور، وقيل: يعود على القرى المهلكة، وكل ما ذكروه جائز وسائغ. ومن الظالمين متعلقان ببعيد، والباء حرف جر زائد، وبعيد مجرور لفظاً خبر ما محلاً ولم يؤنث بعيداً إما لأنه في الأصل نعت لمكان محذوف، تقديره: وما هي بمكان بعيد بل قريب، وإما لأن العقوبة والعقاب شيء واحد، وإما لتأويل الحجارة بعذاب.

* الفوائد:

(١) عود إلى «لو»:

تقدم بحث لو في البقرة وغيرها، ونزيد هنا بحث الاسم الواقع بعد لو الشرطية، والمعروف أنها تختص بالفعل شرطية كانت أم مصدرية، ويجوز أن يليها الاسم فيعرب فاعلاً لفعل محذوف يفسره ما بعده، وعلى ذلك يتخرج قول عمر بن الخطاب لأبي عبيدة، وقد كان في طريقه إلى الشام، وبلغه في أثناء الطريق قبل الوصول إليها أنه وقع بها وباء، فاستشار في التوجه إليها، أو الرجوع إلى المدينة، فاختلفوا عليه، ثم أجمع أمره على الرجوع بعد أن أشار به جماعة من الصحابة، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله تعالى؟ فقال له عمر بن الخطاب: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم نفرّ من قدر الله إلى

قدره. فغيرك فاعل لفعل محذوف يفسره قالها، والتقدير: لو قالها غيرك، وجواب لو محذوف، أي: لعذرناه.

وقال الغطمش الضّبي:

أقـولُ وقـد فـاضـتْ لعينـي عبرة
أرى الأرضَ تبقى والأخلاءُ تذهب
أخـلاي لـو غير الحمـام أصـابكُـم
عتبت ولكن ما على الدَّهرِ معتب

فغير فاعل بفعل محذوف يفسره أصابكم، والتقدير: لو أصابكم غير الحمام ـ وهو بكسر الحاء: الموت ـ عتبت، ومن ملاحظات التبريزي على هذا البيت الثاني قوله: الناس ينشدون أخلاي بياء مفتوحة، وكأنهم حملوه على قصر الممدود، وأجود من ذلك في حكم العربية أن ينشد أخلاء بهمزة مكسورة، ويراد يا أخلائي، فحذفت ياء الإضافة، وتركت الهمزة كما تقول: يا غلام، ومن ذلك أيضاً قولهم في المثل: «لو ذات سوار لطمتني» أخذاً من قول حاتم الطائي حين لطمته جارية، وهو مأسور في بعض أحياء العرب، فذات سوار فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير، والتقدير: لو لطمتني ذات سوار، وذات السوار: الحرة؛ لأن الإماء عند العرب لا تلبس السوار، وجواب لو محذوف والتقدير لهان الأمر علي، أو يكون منصوباً بفعل محذوف، أو خبراً لكان محذوفة، فمثال الأول: لو أن زيداً رأيته أكرمته، والثاني: نحو التمس ولو خاتماً من حديد، وقد تقدم ذلك.

ويجوز أن يلي «لو» كثيراً أن المشددة وصلتها، نحو: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ والآية التي نحن بصددها، وهي: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ واختلف في إعراب أن وما في حيزها بعد أن اتفق الجميع على أنه مرفوع الموضع، فقال سيبويه وجمهور البصريين مبتدأ لا خبر له، أو خبره محذوف، والتقدير: ولو صبرهم ثابت، وذهب الكوفيون والزمخشري والمبرد والزجاج من البصريين إلى أنه فاعل بثبت مقدراً كما تقدم، أي: ولو ثبت صبرهم، وسيأتي المزيد من أحكام

«لو» في مواضع أخرى من هذا الكتاب .

(٢) أقوال النحاة في ﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ ﴾ :

والفائدة الثانية هي أقوال النحاة في استثناء امرأتك قالوا : ﴿ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتُكَ ﴾ بالرفع في قراءة أبي عمرو وابن كثير ، فامرأتك بدل من أحد بدل بعض من كل ، والنصب عربي جيد ، وقد قرىء به في السبع ، لكنه خلاف المنتخب الراجح ، والذي قرأ به أكثر ، ومن هنا جعل الزمخشري النصب على الاستثناء من أهلك ليكون من تام موجب ، والرفع على البدلية من أحد ، واعترض بأنه يستلزم التناقض بين القراءتين ، فإن المرأة تكون مسرياً بها على قراءة الرفع ، وغير مسري بها على قراءة النصب ، وأجاب أنصار الزمخشري بأن إخراجها من جملة النهي ، لا يدل على أنها مسري بها ، بل على أنها معهم ، وقد روي أنها تبعتهم ، وقد فنّد ابن هشام إعراب الزمخشري ، وقال : إنه خلاف الظاهر ، وأسهب في الحديث عن هذا الاستثناء في الجهة الثانية من الباب الخامس .

أقول : والأظهر من هذا كله أن الاستثناء من جملة الأمر ، أي : فأسر بأهلك ، والاستثناء منقطع على القراءتين ، ووجه الرفع أنه على الابتداء ، وخبره الجملة بعده ، وعندئذ تكون قراءة النصب جيدة غير مرجوحة ، ونتفادى بذلك وقوع غير المرجوح في القرآن ، وقد تقدم في ابن نوح : ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ لأن المراد بالأهل المؤمنون ، وعلى هذا تكون امرأته من غير أهله .

□ البلاغة :

في قوله تعالى : ﴿ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٍ ﴾ إرسال المثل ، أو التمثيل ، وهو فن يمكن تعريفه بأن يكون ما يخرجه المتكلم سارياً مسير الأمثال السائرة ، وقد تقدمت الإشارة إليه ، وسيرد المزيد منه ، وقد عني علماؤنا الأقدمون باستقصاء جميع أمثال الكتاب العزيز من السور على ترتيبها ، أما في الشعر العربي فقد أوردنا فيما تقدم أمثالاً ضمنها شاعر الخلود أبو الطيب المتنبي

أبياته، فجاءت آية في الإبداع، كما أوردنا قصيدة لابن زيدون، ويحكى أنه كان بعض مشايخ الأنبار في زمن الرشيد يؤذن ويصلي في مسجد، وكان إذا حضر أوان الورد دفع مفتاح المسجد إلى أهل المحلة، ثم انغمس في لجَّة لهوه فلم يظهر وفي الدنيا وردة، وكان إذا جلس إلى شرابه يغني بصوت عال، ويقول:

يـا صـاحبـي اسْقيـانـي   مـن قهـوة خنـدريـس
خُـذا مـن الـورد حظـاً   بـالقصـفِ غير حبيـس
على وجينـاتِ ورد   يـذهبـن هـمَّ النفـوس
مـا تنظـران فهـذا   زمـانُ حـثِّ الكـؤوس
فبـادروا قبـل فـوت   «لا عِطْـرَ بعـد عـروس»

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ
عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ
بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ
يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا
مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ
مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ
أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾
وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ
صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ
رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا

ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: مضارع جرم، وبابه: ضرب، كما في المختار، ويتعدى لواحد أو اثنين، ومعناه: يكسبنكم.

﴿أَرَهْطِي﴾: الرهط: جماعة الرجل، وقيل: الرهط، والراهط: لما دون العشرة من الرجال، ولا يقع الرهط والعصبة والنفر إلا على الرجال. وقال الزمخشري: من الثلاثة إلى العشرة، وقيل إلى التسعة، ويجمع على أرهط، وأرهط على أراهط. وفي القاموس والتاج: الرَّهْط والرَّهَط: قوم الرجل وقبيلته، وعدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة، وليس فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه، والجمع أرهُط وأرهاط، وجمع الجمع أراهط وأراهيط، وإذا أضيف إلى الرهط عدد كان المراد به الشخص والنفس، نحو: عشرون رهطاً، أي: شخصاً، ويقال: ذوو رهط، أي: مجتمعون.

﴿ظِهْرِيًّا﴾: منبوذاً خلف ظهوركم لا تراقبونه، والظهري منسوب إلى الظهر، والكسر من تغييرات النسب، والقياس فتح الظاء، وقد قالوا في أمس إمسيّ بكسر الهمزة، وفي الدهر دهري بضم الدال، وسيأتي في باب الفوائد ما يطرأ على النسب من تغيير، وللظهر في لغتنا تعابير، نوردها ملخصة من معاجم اللغة: يقال ساروا في طريق الظهر، أي: طريق البر، وقرأ الكتاب

على ظهر قلبه، أو على ظهر لسانه، أي: حفظاً، وأعطاه عن ظهر يد، أي: ابتداء بلا مكافأة، وهو نازل بين ظهريهم وظهرانيهم وبين أظهرهم، أي: وسطهم وفي معظمهم، ورأيته بين ظهراني الليل، أي: بين العشاء والفجر، وقلب له ظهر المجن، أي: تغير عليه وعاداه، وقلب الأمر ظهراً لبطن، أي: أنعم تدبيره، وقتله ظهراً، أي: غيلة، وهو يأكل على ظهر يدي، أي: إنني أنفق عليه، وهذا من غريب لغتنا، ونادره، وما أجمل قول عمر بن أبي ربيعة:

وضربنا الحديثَ ظهراً لبطن   وأتينا مِن أَمْرِنا ما اشتهينا

﴿مَكَانَتِكُمْ﴾: المكانة إما بمعنى المكان، يقال: مكان ومكانة ومقام ومقامة، وإما مصدر من مكن فهو مكين.

○ الإعراب:

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ جرت العادة أن يستهل كل قصة من قصص هذه السورة بهذه الجملة، وهذه هي القصة السادسة، وقد تقدم إعراب هذه الجملة بلفظها ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتنقصوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والمكيال مفعول به، والميزان عطف على المكيال، وإن واسمها، وجملة أراكم خبرها، وجملة إني أراكم تعليلية للنهي ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، وجملة أخاف عليكم خبرها، وعذاب مفعول به، ويوم مضاف إليه، ومحيط صفة ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ أوفوا فعل أمر، والواو فاعل، والمكيال مفعول به، والميزان عطف عليه، وبالقسط حال، أي: عادلين ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتبخسوا مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والناس مفعول به، وأشياءهم مفعول به ثان، أي: لا تنقصوهم أموالهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين عطف أيضاً، ومفسدين حال. ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ

لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ بقية الله مبتدأ، أي: رزقه الباقي بعد إيفاء الكيل والوزن، وخير خبر، ولكم متعلقان بخير وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، ومؤمنين خبر كنتم، والجواب محذوف، أي: فبقية الله خير، وما الواو عاطفة، وما نافية حجازية، وأنا واسمها، وعليكم متعلقان بحفيظ، والباء حرف جر زائد، وحفيظ مجرور لفظاً منصوب محلاً ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ الهمـزة للاستفهام، ومعناه الهزء والسخرية، وصلاتك مبتدأ، وجملة تأمرك خبر، وأن وما في حيزها منصوب بنزع الخافض، ومتعلقان بتأمرك، أي: تأمرك بترك، وما موصولية، أو مصدرية، وعلى كل حال هي مفعول الترك، وجملة يعبد لا محل لها على الحالين، وآباؤنا فاعل. ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ أو حرف عطف، وأن نفعل مصدر مؤول معطوف على مافي حالتيها، فالترك مسلط عليه، أي: هل تأمرك بتكليفك لنا ترك ما يعبد آباؤنا، وترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء.

هذا؛ وقد أورد ابن هشام في «مغني اللبيب» هذه الآية في الباب الخامس من الكتاب في الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، قال: «وبعض هذه الأمثلة وقع للمعربين فيه وهم بهذا السبب، وسترى ذلك معيناً، فأحدها قوله تعالى: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ فإنه يتبادر إلى الذهن عطف أن نفعل على أن نترك، وذلك باطل؛ لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنما هو معطوف على «ما» فهو معمول للترك، والمعنى أن نترك أن نفعل» إلى أن يقول: «وموجب هذا الوهم المذكور أن المعرب يرى أن والفعل مرتبين، وبينهما حرف العطف» واختلف في «أو» فقيل: هي بمعنى الواو، وقيل: هي على بابها للتخيير بمنزلتها في قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين. وما اسم موصول نفعل، وجملة نشاء صلة.

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ إما أن يكونوا قد أرادوا الهزء به إلى أقصى

درجة، فعكسوا ليتهكموا، وإما أن يكون على حقيقته، وأن ما يأمرهم به لا يتفق مع ما يتسم به، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وأنت مبتدأ، والحليم الرشيد خبراه، والجملة خبر إنك ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ أرأيتم تقدم أنها بمعنى أخبروني فينصب مفعولين، وقد حذفا معاً، وتقدير الأول: أخبروني، فياء المتكلم هي المفعول الأول، والثاني يقدر غالباً بجملة استفهامية، أي: أفأشوب رزقي بالحرام من البخس والتطفيف، وإن شرطية، وكنت: كان واسمها، وهي فعل الشرط، وعلى بينة خبر كنت، ومن ربي صفة لبينة، وجواب الشرط محذوف يدل عليه المفعول الثاني المحذوف، ورزقني فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ورزقاً مفعول به، أو مفعول مطلق، وحسناً صفة ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ ما نافية، وأريد فعل مضارع، وفاعله أنا، وأن وما في حيزها مفعول أريد، وإلى ما متعلقان بأخالفكم، وجملة أنهاكم عنه صلة، والمعنى: ما أريد أن أسبقكم إلى أهوائكم التي نهيتكم عنها، يقال: خالفه إلى كذا: إذا قصده وهو مول عنه ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ إن نافية، وأريد فعل مضارع فاعله مستتر، تقديره: أنا، وإلا أداة حصر، والإصلاح مفعول به، وما ظرفية زمانية، متعلقة بأريد ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ما نافية، وتوفيقي مبتدأ، وإلا أداة حصر، والله خبر، وعليه متعلقان بتوكلت، وإليه متعلقان بأنيب، والجملتان حاليتان ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ لا يجرمنكم: لا ناهية، ويجرمنكم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في موضع جزم بلا، والكاف مفعوله الأول، وشقاقي فاعل، وأن وما في حيزها مفعول يجرمنكم الثاني، والكاف مفعول يصيبكم، ومثل فاعل يصيبكم، وهو في الأصل صفة لفاعل محذوف، أي: عذاب مثل، وما مضاف إليه، أي: مثل الذي، وجملة أصاب صلة، وقوم نوح مفعول به ﴿ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ أو قوم هود عطف على قوم نوح، وكذلك قوم صالح، وما نافية حجازية، وقوم اسمها، ولوط مضاف إليه، ومنكم جار

ومجرور متعلقان ببعيد، والباء حرف جر زائد، وبعيد مجرور بالباء لفظاً خبر ما محلاً، وأتى ببعيد مفرداً، وإن كان خبراً عن جمع لأحد أمور منها حذف مضاف، تقديره: وما إهلاك قوم لوط، وأما باعتبار زمان، أي: بزمان بعيد، أو مكان، أي: بمكان بعيد، أو لأن صيغة فعيل يستوي فيها المذكر والمؤنث، مما سيرد معنا في تضاعيف هذا الكتاب الجامع ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ واستغفروا ربكم فعل أمر وفاعل ومفعول به، ثم توبوا إليه عطف على استغفروا، وإن واسمها وخبراها ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ ما نافية، ونفقه فعل مضارع، وفاعله مستتر، تقديره: نحن، وكثيراً مفعول به، ومما صفة لكثيراً، وجملة تقول صلة ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ وإنا: إن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة نراك خبر إن، والكاف مفعول به، وفينا حال، وضعيفاً مفعول به ثان؛ لأن الرؤية علمية، لأنه لو قيل: إنا لنراك فينا أعمى، لم يكن كلاماً؛ لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم، ولولا حرف امتناع لوجود، ورهطك مبتدأ محذوف الخبر، واللام رابطة لجواب لولا، وجملة رجمناك لا محل لها، وما نافية حجازية، وأنت واسمها، والباء زائدة، وعزيز خبرها، وقد تقدمت نظائره كثيراً ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، ورهطي مبتدأ، وأعز خبر، وعليكم، ومن الله متعلقان بأعز ﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ الواو حالية بتقدير: قد، أي: والحال أنكم اتخذتموه وراءكم، واتخذ يجوز أن يتعدى لاثنين أولهما الهاء والثاني ظهرياً، ووراءكم متعلقان باتخذتموه، أو حال من ظهرياً، ويجوز أن يتعدى لواحد، فتكون الهاء مفعوله، وظهرياً حال، والواو في اتخذتموه لإشباع ضمة الميم ﴿ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ إن واسمها، وبما متعلقان بمحيط، وجملة تعملون صلة، ومحيط خبر إن ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ﴾ اعملوا فعل أمر وفاعل، وعلى مكانتكم حال، أي: حال كونكم موصوفين بالمكانة العالية والقدرة البعيدة، وإن واسمها وخبرها ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ سوف حرف استقبال،

وتعلمون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والجملة استئناف بياني، وسيأتي المزيد منه في باب البلاغة، ومن اسم موصول مفعول به لتعلمون، وهذا أرجح من جعلها استفهامية، كما أعربها بعضهم لتتساوق مع من الثانية، وهي موصولة باتفاق، وجملة يأتيه صلة، والهاء مفعول يأتي، وعذاب فاعل يأتي، وجملة يخزيه صفة لعذاب ﴿ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ ومن اسم موصول عطف على من الأولى، وهو مبتدأ، وكاذب خبر، والجملة صلة، وارتقبوا عطف على المعنى، وارتقبوا فعل أمر وفاعل، وإن واسمها، ومعكم ظرف متعلق برقيب، ورقيب خبر إن ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ تقدم إعراب نظيرها تماماً ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ الذين مفعول مقدم لأخذت، وجملة ظلموا صلة الموصول، والصيحة فاعل أخذت ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ أصبح واسمها، وجاثمين خبرها، وفي ديارهم متعلقان بجاثمين ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ كأن مخففة، واسمها محذوف، وجملة لم يغنوا خبرها، وفيها متعلقان بيغنوا، وألا أداة تنبيه، وبعداً مفعول مطلق لفعل محذوف، ولمدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف، وقد تقدم، وكما نعت لبعد، وما مصدرية، أي: كبعد ثمود.

□ **البلاغة:**

(١) التكرار:

فقد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة أوجه؛ لأنه قال: ولا تنقصوا المكيال والميزان، وهذا عين الأول، وليس فيه إلا التعبير بتبخسوا الناس أشياءهم، والفائدة فيه أن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد، والتكرير يفيد شدة الاهتمام بالشيء، وقد نهوا أولاً عن القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان، ثم ورد الأمر بالإيفاء مصرحاً بلفظه ليكون أهيج عليه، وأدعى إلى الترغيب فيه.

(٢) الاستئناف البيـاني :

إذا كان الكلام المسوق أولى مما سبقه بالانتباه، وأجدر بلفت الأسماع إليه قطع عما قبله بما يلفت النظر إليه، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ فقد حذفت الفاء التي يتطلبها السياق لتلفت نظر السامع وانتباهه إلى أن ثمة سؤالاً، وهو : فماذا يكون بعد ذلك، وهو أبلغ في التهويل؛ لأن قوله : سوف تعلمون ينطوي على مالا يدرك كنهه، ولا يسبر غوره من أعمال الانتقام والتهديد.

قال الزمخشري في صدد هذا الحذف : «أي فرق بين إدخال الفاء وتركها في سوف؟» وأجاب بقوله : «إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل وتركها وصل خفي تقديري بالاستئناف؛ الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا، وعملت أنت على مكانتك فقيل سوف تعلمون وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف؛ لأنه أكمل في باب : الفصاحة والتهويل.

(٣) التعريـض :

وفي قوله : إني عامل تعريض، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الفن، فقد ذكر لهم إحدى العاقبتين دون ذكر الثانية تعريض أبلغ من التصريح، وقد تقدم نظير هذا في سورة الأنعام؛ إذ قال : ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ فذكر هناك إحدى العاقبتين، لأن المراد بهذه العاقبة الخير، واستغنى عن ذكر مقابلتها، أما في آية هود، فقد ذكر عاقبتهم، وهي : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ واستغنى بها عن عاقبته، وقد لا يذكر عاقبته، فتنصرف إلى المخاطب كقولك لمن تهدده : ستعلم من يهان، ومن يعاقب، وإنما تعني المخاطب في الكلامين.

* الفوائـد:

النسبـة المعدولـة عن القيـاس:

نسبت العرب إلى أشياء كثيرة، فغيروا لفظ المنسوب إليه، فاستعمل ذلك كما استعملته العرب، ولا يقاس عليه غيره، وقواعد النسبة معروفة في كتب النحو، وإنما أتت هذه النسبة معدولة عن القياس، فمن ذلك قولهم بدوي نسبة إلى البادية، والقياس بادي، أو بادوي، وقالوا، بِصري بكسر الباء، نسبة إلى البصرة، والقياس فتحها، وقالوا: طائي، والقياس: طيئي، وقالوا: سُهلي ودُهري بضم السين والدال، والقياس: سهلي ودهري، وقالوا: بحراني في النسب إلى البحرين، وصنعاني في النسب إلى صنعاء، وقد قسموا ذلك إلى تسعة أقسام، نوردها باختصار:

(١) بالتحريف فقط، كقولهم: أَموي بالفتح في الهمزة. نسبة إلى أُمية بضمها، ودهري للشيخ الكبير.

(٢) بالزيادة كقولهم مروزي، نسبة إلى مرو، وفوقاني، وتحتاني، ورباني، نسبة إلى فوق، وتحت، ورب.

(٣) بالنقص، كقولهم: بدوي بحذف الألف، وجلولي نسبة إلى البادية وجلولاء.

(٤) بالحذف والتحريف، كشتوي في شتاء.

(٥) بالزيادة والتحريف، كأنافي، في: أنف.

(٦) بالزيادة والحذف، نحو: رازي، نسبة إلى الري.

(٧) بالقلب، نحو: طائي، وصنعاني، وروحاني، نسبة إلى طي وصنعاء وروحاء.

(٨) بالقلب والتحريف، نحو ثوب حاري، نسبة إلى الحيرة.

(٩) بتغيير ما يستحق التغيير، نحو: أميتي، نسبة إلى أمية.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ
ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ
ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾
وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ
إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ
عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا
لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ
مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يَقْدُمُ ﴾: يقال: قدمت القوم أقدمهم قدماً؛ إذا مشيت أمامهم، واتبعوك، قال الأزهري: قدم يقدم وتقدم وقدم وأقدم واستقدم بمعنى.

﴿ ٱلْوِرْدُ ﴾ ورود الماء الذي يورد، والإبل الواردة، والجمع أوراد، والإيراد: إيجاب الورود في الماء، أو ما يقوم مقامه، قال لبيد:

فَوَرَدْنَا قبلَ فُرَّاطِ القَطَا   إِنَّ مِنْ وِرْدِيَ تَغْلِيسَ النَّهَلِ

وأصل الورود: الإشراف على الدخول، وليس بالدخول، قال زهير:

فلمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ

﴿ٱلرِّفْدُ﴾: العون على الأمر، يقال: رفده يرفده رَفداً ورِفداً بفتح الراء وكسرها، قال الزجاج: كل شيء جعلته عوناً لشيء، وأسندت به شيئاً، فقد رفدته به، يقال: عمدت إلى الحائط، وأسندته، وأرفدته، ورفدته بمعنى واحد، يقال: رفده وأرفده، إذا أعطاه، والاسم: الرفد؛ لأن العطاء عون المعطي.

(الحصيد): بمعنى المحصود، والحصد: قطع الزرع من الأصل، وهذا زمن الحصاد بفتح الحاء وكسرها، يقال: حصدهم بالسيف؛ إذا قتلهم.

﴿تَتْبِيبٍ﴾: من تبت يده، أي: خسرت وهلكت، قال جرير:

عـرابـة مـن بقيَّـة قـومِ لـوط أَلاَ تبـاً لمـا فعلـوه تبـا

(الزفير والشهيق): الزفير: ترديد النفس حتى تتفتح منه الأضلاع، والشهيق: ردّ النفس إلى الصدر. وقال ابن فارس: الزفير ضد الشهيق؛ لأن الشهيق: رد النفس، والزفير: إخراج النفس من شدة الحزن، مأخوذ من الزفر، وهو: الحمل على الظهر لشدته، وقيل: الشهيق: النفس الممتد، مأخوذ من قولهم: جبل شاهق، أي: عال. وقال الليث: الزفير: أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس، والشهيق: أن يخرج ذلك النفس. وهو قريب من قولهم: تنفس الصعداء، وقال أبو العالية والربيع بن أنس: الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر. وقيل: الزفير للحمار، والشهيق للبغل، وقال الثعالبي في ترتيب الأصوات: إذا أخرج المكروب أو المريض صوتاً رقيقاً فهو الرنين، فإذا أخفاه فهو الهنين، فإذا أظهره فخرج خافياً فهو الخنين، فإذا زفر به وقبح الأنين فهو الزفير، فإذا مد النفس ثم رمى به فهو الشهيق، فإذا تردد نفسه في الصدر عند خروجه فهو الحشرجة.

﴿مَجْذُوذٍ﴾ مقطوع، والجذّ: القطع، يقال: جذه يجذه، وباب: رد، كما في المختار، وجذّ الله دابرهم، قال النابغة:

تجُذُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... وَيُوْقِدْنَ بالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ

○ الإعـراب:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ وهذه هي القصة السابعة والأخيرة في هذه السورة، وقد تقدمها قصة نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب على هذا الترتيب، وهذه قصة موسى. وبآياتنا حال، أي: حال كونه متلبساً بآياتنا التسع، وقد تقدمت الإشارة إليها، وسلطان عطف على آياتنا، ومبين صفة ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ إلى فرعون جار ومجرور متعلقان بأرسلنا، وملئه عطف على فرعون، فاتبعوا عطف على أرسلنا، والواو فاعل، وأمر فرعون مفعول به، والواو حالية، وما نافية حجازية، وأمر اسمها، وبرشيد خبرها على زيادة الباء، وقد تقدم نظيره ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ جملة يقدم قومه مستأنفة، والفاء عاطفة، وأوردهم النار فعل وفاعل مستتر، والهاء مفعول به أول، والنار مفعول به ثان، وجاء بلفظ الماضي، وسياق الكلام يقتضي أن يكون مضارعاً لإراءة الصورة، كأنها أمر بُت فيه، وفرغ منه، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والورد فاعل، والمورود نعت، والمخصوص بالذم محذوف، أي: وردهم ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ اتبعوا فعل ماض بالبناء للمجهول، والواو نائب فاعل، وفي هذه متعلقان باتبعوا، والإشارة للحياة الدنيا، ويوم القيامة عطف على موضع في هذه، والمعنى: أنهم ألحقوا لعنة في الدنيا وفي الآخرة، وبئس الرفد المرفود تقدم إعرابها ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ ذلك مبتدأ، ومن أنباء القرى خبره الأول، وجملة نقصه خبره الثاني، وعليك متعلقان بنقصه، ومنها خبر مقدم، وقائم مبتدأ، وحصيد عطف على قائم، والجملة مستأنفة، أي: بعضها عفا أثره وامحى رسمه، وبعضها باق ماثل للعيان، والاستئناف بياني كأنه جواب لسؤال سائل عنها. وقال أبو البقاء: منها قائم ابتداء وخبر، في موضع الحال من الهاء في نقصه، وحصيد مبتدأ

خبره محذوف، أي: ومنها حصيد، ورجح أبو حيان أن تكون الجملة حالية، قال: «والحال أبلغ في التخويف وضرب المثل للحاضرين» ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وظلمناهم فعل وفاعل ومفعول به، ولكن مهملة للاستدراك، وظلموا أنفسهم فعل وفاعل ومفعول به ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية، وأغنت فعل ماض، وعنهم متعلقان بأغنت، وآلهتهم فاعل، والتي صفة، وجملة يدعون صلة، ومن دون الله حال، ومن زائدة وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً مفعول به ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ لما ظرفية حينية، متعلقة بأغنت، أو رابطة، وجاء أمر ربك فعل وفاعل، وما زادوهم عطف على ما أغنت، وعبر بواو العقلاء عن الآلهة؛ لأنهم نزلوها منزلتهم، وزادوهم فعل وفاعل ومفعول به، وغير تتبيت مفعول به ثان ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ محل الكاف الرفع على الابتداء، وأخذ ربك خبر، وإذا أخذ القرى: إذا ظرف مستقبل، وجملة أخذ القرى في محل جر بإضافة الظرف إليها، والواو حالية، وهي مبتدأ، وظالمة خبر، والجملة نصب على الحال، وتجدر الإشارة إلى أن المسألة هنا من باب التنازع، فقد تنازع المصدر، وأخذ في القرى، فأعمل الفعل، وحذف الضمير من المصدر، وجواب إذا الذي هو ناصبه محذوف، والتقدير: فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ إن واسمها وخبراها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبرها المقدم، واللام المزحلقة، وآية اسمها المؤخر، ولمن صفة لآية، وجملة خاف عذاب الآخرة صلة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ ذلك مبتدأ، ويوم خبر، ومجموع صفة، وله متعلقان بمجموع، والناس نائب فاعل، وذلك يوم مشهود عطف على ما تقدم، ولا بد من تقدير جار ومجرور، أي: مشهود فيه، وسيأتي في باب البلاغة السر في ذلك ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، ونؤخره فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلا أداة حصر، ولأجل متعلقان بنؤخره، ومعدود صفة ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ اضطربت أقوال المعربين في هذه الآية كثيراً، وخبطوا في متاهات يضل معها رائد الحقيقة والسهولة غير المتكلفة، وسنختار الأجوبة التي لا معدى عن إيرادها ضاربين صفحاً عن التطويل، فنقول: الظرف متعلق بقوله: لا تكلم، أي: لا تتكلم في نفس ذلك اليوم، وجملة يأتي مضافة إلى الظرف، وفاعل يأتي ضمير يعود على ذلك اليوم المتقدم ذكره لا ضمير اليوم المضاف إلى يأتي، واختار الزمخشري أن يكون فاعل يأتي هو الله عز وجل؛ لأن ضمير بإذنه يعود عليه، وهو قول وجيه، ولكن الأول أقرب إلى سياق الكلام، ولا نافية، وتكلم مضارع أصله تتكلم، فحذفت إحدى تاءيه، ونفس فاعل تكلم، وإلا أداة حصر، وبإذنه حال ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الفاء للتفريع، ومنهم خبر مقدم، وشقي مبتدأ مؤخر، وسعيد مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله، أي: ومنهم سعيد ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾ الفاء للتفريع أيضاً، وأما حرف شرط وتفصيل، والذين مبتدأ، وجملة شقوا صلة، والفاء رابطة، وفي النار خبر الذين ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ لهم خبر مقدم، وفيها حال لأنه كان صفة لزفير، وزفير مبتدأ مؤخر، وشهيق مبتدأ حذف خبره أيضاً ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ خالدين حال من الذين شقوا، وفيها متعلقان بخالدين، وما دامت السموات ما مصدرية زمنية، ودامت هنا تامة لأنها بمعنى بقيت، والسموات فاعل دامت، والأرض عطف ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ إلا أداة استثناء، وما مستثناة، وسيأتي القول في هذا الاستثناء المشكل في باب الفوائد، وجملة شاء ربك صلة ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ إن واسمها وخبرها، ولما متعلقان بفعال، وجملة يريد صلة ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ تقدم إعرابها آنفاً.

قرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف، وابن وثاب، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وحفص: سُعدوا بضم السين، وباقي السبعة والجمهور بفتحها. وكان علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي سعدوا مع علمه بالعربية،

ولا يتعجب من ذلك، إذ هي قراءة منقولة عن ابن مسعود ومن ذكرنا معه. وقد احتج الكسائي بقولهم: مسعود. قيل: ولا حجة فيه لأنه يقال مكان مسعود فيه، ثم حذف فيه، وسمي به، وقال الثعلبي: «سعد وأسعد بمعنى واحد» وفي الأساس: «وسَعِدت به وسُعِدت، وهو سعيد ومسعود» وفي القاموس: «وقد سعد، كعلم وعني، فهو سعيد ومسعود، ولا يقال مسعد» وقال أبو عمرو بن العلاء: «يقال سعد الرجل كما يقال: حسن، وقيل: سعده لغة مهجورة، وقد ضعّف جماعة قراءة الآخرين» وهي قراءة حفص. وفي المصباح: سعد فلان يسعد، من باب: تعب في دين أو دنيا سعداً، وبالمصدر سمي، والفاعل سعيد، والجمع سعداء، ويعدى بالحركة في لغة، فيقال: سعده الله يسعده بفتحتين، فهو مسعود، وقرىء في السبعة بهذه اللغة في قوله: وأما الذين سعدوا بالبناء للمجهول، والأكثر أن يتعدى بالهمزة، فيقال: أسعده الله، وسُعد بالضم، خلاف شقي.

﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ عطاء نصب على المصدر المؤكد من معنى الجملة قبله؛ لأن قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي إعطاء وإنعاماً، وغير مجذوذ صفة لعطاء.

□ البلاغة:

انطوت هذه الآيات على أفانين من البلاغة، ومجموعة من الفوائد:

(١) فأولها استعمال اسم المفعول مكان فعله في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ والسر في إيثار المفعول هو وصف اليوم بمعنى الجمع، والثبات المستقر، والديمومة لذلك الثبات فيه، وأنه يوم أعد ليكون ميعاداً مضروباً لا محيد عنه، ولا مساغ لتبديله لجميع الناس على السواء، ولو أنه عبر بالفعل لم يقع ذلك الموقع، ولأشعر بالتجدد والتبدل ونظيره قول المتهدّد: إنك لمنهوب مالك، محروب قومك، فيه من ثبات الوصف وديمومته ما ليس في الفعل والاتساع في الظرف.

(٢ ـ ٣) وثانيها وثالثها الجمع مع التفريق، فالجمع في قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ والتفريق في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

(٤) التقسيم في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ إلى آخر الآية. ومن أمثلة الجمع مع التفريق في الشعر قول البحتري:

ولما التقينا والنّقا موعدٌ لنا تعجّب رائي الدّرِ منّا ولاقطه
فمن لؤلؤٍ تجلُوه عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحديثِ تساقطه

أما التقسيم فقد طفح به الشعر العربي، فقال أبو نواس مقسماً الزمن إلى يوم وأمس وغد:

أمرُ غدٍ أنت منه في لَبْسٍ وأمس قد فاتَ فالْهَ عن أمس
وإنّما الشأنُ شأنُ يومك ذا فباكِرِ الشّمسَ بابنةِ الشّمس

وافتنوا فيه كثيراً، فأطلقه أبو الطيب على أحوال الشيء المراد تقسيمه مضافاً إلى كل من تلك الأحوال ما يليق به، فقال:

سأطلبُ حقّي بالقنا ومشايخ كأنّهم من طُولِ ما التثموا مردُ
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدُّوا قليل إذا عدوا

وله أيضاً:

الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ والسَّيفُ مُنْتَظِرٌ وأرضُهم لَكَ مُصْطَافٌ ومُرْتَبَعُ
لِلسَّبي ما نَكَحُوا والقَتْلِ ما وَلَدُوا
والنَّهْبِ ما جَمَعُوا والنَّارِ ما زَرَعُوا

وله في الغزل:

وَأَغْيَدُ يَهْوَىٰ نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
ظريفٍ ويَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فاسِقِ
سُهَادٌ لأَجْفَانٍ وشَمْسٌ لِنَاظِرٍ
وسُقْمٌ لأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقِ

وما أحلى قول عمر بن الفارض:

يقولـون لـي صِـفْـها فأنـتَ بوصفهـا
خبيرٌ أجـل عنـدي بـأوصـافهـا علـم
صفـاءٌ ولا مـاء ولطـفٌ ولا هـوا
ونـورٌ ولا نـار وروحٌ ولا جسـم

* الفوائـد:

الاستثناء الموجود في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ تقدم بحثه في سورة الأنعام، فجدَّد به عهداً وقد رجحنا هناك ما ذهب إليه الزجاج، ونضيف إليه هنا: أن الفراء ذهب إلى ما ذهب إليه الزجاج، وقال كلاماً لطيفاً في صدده ننقله ليضاف إلى ما تقدم، قال: «إنه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار والزيادة من النعيم لأهل الجنة، والتقدير: إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار، كما يقول الرجل لغيره: لي عليك ألف دينار إلا الألفين اللذين اقرضتكهما في وقت كذا، فالألفان زيادة على الألف بغير شك؛ لأن الكثير لا يستثنى من القليل، ورأيت لعلي بن عيسى المعروف بالرماني كلاماً بهذا المعنى، وحاصل ما تقدم أن إلا في المعنى بمعنى حرف العطف والاستثناء منقطع، فكأن قيل خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، وزيادة على هذه المدة، فكأن إلا بمعنى الواو، وأنشد الفراء مستدلاً على ذلك:

وأرى لهـا داراً بـأغـدر السّيـ ـدان لم يـدرسْ لهـا رسـم
إلا رمـاداً هـامِـداً رفعـت عنـه الـرِّيـاح خـوالـدٌ سحـم

وهذا الوجه الذي وقع عليه اختيارنا، وذهب إليه الزجاج والفراء هو الثالث عشر، فهناك اثنا عشر مذهباً متفاوتة.

ويطول بنا القول إذا ما حاولنا نقل هذه الأوجه، فليرجع إليها من شاء في التفاسير الكبرى؛ ليرى كيف تتفاوت الأفهام، ويطيب لنا أن ننقل هنا رأياً يحتاج إلى التأويل، وهو لفيلسوف الصوفية محيي الدين ابن عربي قال: إنهم يعذبون فيها مدة، ثم تنقلب عليهم، وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها

لموافقتها لطبيعتهم، فإن الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد. وقال في موضع آخر: إن أهل النار إذا دخلوها لا يزالوان خائفين مترقبين أن يخرجوا منها، فإذا أغلقت عليهم أبوابها أطمأنوا؛ لأنها خلقت على وفق طباعهم.

ولبدوي الجبل في العصر الحديث قصيدة عصماء، قال فيها يصف أهل النار:

لا يألمون ولا تشكُو جسومهم   مـن اللَّظـى فهـي نِيران بنيرانِ

وقد علق ابنُ القيم على هذا القول قائلاً: وهذا في طرف، والمعتزلة القائلون بأن الله يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب في طرف آخر، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلاً، وقد استرسل الزمخشري في التشنيع على أهل السنة في هذا الصدد، مما يطول بحثه، وإنما نقلنا هذه اللمح للاطلاع.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

☆ اللغة:

﴿مِرْيَةٍ﴾: المرية ـ بكسر الميم وضمها ـ: الشك مع ظهور الدلائل للتهمة، وهي مأخوذة من مرى ضرع الناقة ليدرّ بعد دروره، وامترى في الشيء: شك، واستمرى اللبن، ونحوه: استخرجه واستدره.

○ الإعراب:

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفاء استئنافية، والجملة مسوقة

للدلالة على ما أحدثته القصص السالفة في نفسه صلى الله عليه وسلم من أثر، وإن عكوف كفار قريش على عبادة أصنامهم ليست من دواعي المثبطات لعزيمته. ولا ناهية، وتك فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه السكون المقدرة على النون المحذوفة للتخفيف، وقد سبق ذكر خصائص كان، واسمها ضمير مستتر تقديره أنت، وفي مرية خبرها، ومما صفة، وجملة يعبد صلة، وهؤلاء فاعل، ويجوز أن تكون ما مصدرية ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ ﴾ ما نافية، ويعبدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، والكاف نعت لمصدر محذوف، وما يجوز أن تكون موصولة، أو مصدرية، ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وموفوهم خبر إن، والهاء مضاف إليه، ونصيبهم مفعول به، وغير منقوص حال مبينة للنصيب الموفى، وقيل: بل حال مؤكدة؛ لأن التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملاً كان أو ناقصاً، فقولك: وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصانه، فما وجه انتصابه حالاً عنه؟ والأوجه أن يقال: استعملت التوفية بمعنى الإعطاء، ومن قال أعطيت فلاناً حقه كان جديراً بأن يؤكده بقوله غير منقوص ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ ﴾ الواو استئنافية، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وآتينا موسى الكتاب: فعل وفاعل ومفعول به، فاختلف: الفاء حرف عطف، واختلف فعل ماض مبني للمجهول، وفيه سد مسد نائب الفاعل، ومعنى في الظرفية، أي: من شأنه، وقيل: هي سببية ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ ﴾ الواو عاطفة، ولولا حرف امتناع لوجود، وكلمة مبتدأ محذوف الخبر، وجملة سبقت صفة، ومن ربك جار ومجرور متعلقان بسبقت، واللام جواب لو، وقضي بينهم فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، والظرف متعلق به، أي: وقضي الأمر بينهم ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ الواو حالية، وإن واسمها، وفي شك خبرها، ومنه صفة لشك، ومريب صفة ثانية ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ ﴾ هذه الآية مشكلة جداً، ويزداد الإشكال في قراءتنا، وهي تشديد

إن، وتثقيل لما، وقد اعترف المعربون القدامى بعجزهم فقال السمين ما نصه: «هذه الآية الكريمة مما تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً، وعسر على أكثرهم تلخيصها قراءة وتخريجاً، وقد سهل الله تعالى ذلك، فذكرت أقاويلهم وما هو الراجح منها». ثم هام في متاهات سحيقة يضيع الطالب فيها، وسنتجاوز جرياً على عادتنا تلك الأوجه المتشعبة والمسالك المتباينة، ونكتفي بقراءتنا، وهي قراءة حفص وأبي جعفر وابن عامر وحمزة فنقول: إن واسمها، ولمّا ذكروا فيها أوجهاً أربعة أسهلها وأبعدها عن التكلف ما اختاره الزجاج أنها بمعنى إلا كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى إلا وهو وجه سهل يزول به كل إشكال، لولا أنه يتعارض مع ما قاله الفراء: هذا لا يجوز إلا في التمني كما قال الخليل، أو بعد النفي، كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ولكنه على ما فيه أسهل من الأوجه الثلاثة الباقية، وهي أن تكون بمعنى لمن ما، فحذفت الميمات الثلاث، واختاره الفراء، وأنشد:

وإني لمَّا أصدر الأَمْر وَجْهه إذا هو أعيا بالسَّبيل مصادره

والثاني أن تكون مخففة، وشددت للتأكيد، واختاره المازني، ولكن هذا مردود؛ لأنه إنما يجوز تخفيف المشددة عند الضرورة، فأما تشديد المخففة فلا يجوز بحال، ورابع الأوجه أنها مصدر لمَّ، من لممت الشيء إذا جمعته، إلا أنها بنيت فلم تصرف، فكأنه قال: وإن كلاً جميعاً ليوفينهم، وفي هذا ما فيه، والله أعلم. وليوفينهم اللام جواب للقسم المقدر، ويوفينهم فعل مضارع مبني على الفتح، والهاء مفعول، وربك فاعل، والجملة خبر إن، وأعمالهم مفعول به ثان ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ إن واسمها، وبما يعملون متعلقان بخبير، وخبير خبر إن ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ الفاء الفصيحة، واستقم فعل أمر، وكما نعت لمصدر محذوف، أي: فاستقم استقامة مثل الاستقامة؛ التي أمرت بها على جادة الحق غير منحرف عنها، ومن: الواو عاطفة، ومن موصول معطوف على الضمير في استقم، وإنما جاز العطف عليه من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه، ومعك ظرف متعلق بمحذوف صلة

للموصول، ويجوز أن يكون مفعولاً معه، والواو للمعية ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا ناهية، وتطغوا مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وإن واسمها، وبما تعملون خبرها، وقد تقدم نظيره.

□ **البلاغـة:**

الإيجاز في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ ذلك لأن الاستقامة هي الاستمرار في جهة واحدة، وأن لا يعدل يميناً أو شمالاً، ومعروف أن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين، فأقل انحراف يخرجه عن استقامته، وإذن فقد انتظم في كلمة الاستقامة جميع مكارم الأخلاق، ومحاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكمالات؛ التي ينشدها العارفون والمقربون، والتحلل من ذلك خطير، واجتناب التحلل عسير، ولذلك قال رسول الله ﷺ في حديث رواه ابن عباس عندما قال له أصحابه: لقد أسرع فيك الشيب: «شيبتني هود والواقعة وأخواتهما».

* **الفوائـد:**

ما يقولـه أبو حيـان:

وقال أبو حيان: «وأما القراءة الثانية فتشديد إن، وإعمالها في كل واضح، وأما تشديد لما، فقال المبرد: هذا لحن لا تقول العرب: إن زيداً لما خارج، وهذه جسارة من المبرد على عادته، وكيف تكون قراءة متواترة لحناً، وليس تركيب الآية كتركيب المثال الذي قال، وهو: إن زيداً لما خارج، هذا المثال لحن، وأما في الآية فليس لحناً، ولو سكت وقال كما قال الكسائي: ما أدري ما وجه هذه القراءة، لكان قد وفق، وأما غير هذين من النحويين، فاختلفوا في تخريجها».

ثم أورد أبو حيان سيلاً من التخريجات وشجبها كلها، ومنها الوجه الذي اخترناه، وقال أخيراً:

«وهذه كلها تخريجات ضعيفة جداً ينزه عنها القرآن، وكنت قد ظهر لي فيها وجه جار على قواعد العربية، وهو أن «لما» هذه هي لما الجازمة حذف فعلها المجزوم لدلالة المعنى عليه، كما حذفوه في قولهم: قاربت المدينة ولما، يريدون: ولما أدخلها، وكذلك هنا التقدير: وإن كلاً لما ينقص من جزاء عمله، ويدل عليه قوله تعالى: «ليوفينهم ربك أعمالهم» لما أخبر بانتفاء نقص جزاء أجزاء أعمالهم أكده بالقسم، فقال: ليوفينهم ربك أعمالهم، وكنت اعتقدت أني سبقت إلى هذا التخريج السائغ العاري من التكلف، وذكرت ذلك لبعض من يقرأ علي فقال: قد ذكر ذلك أبو عمرو بن الحاجب، ولتركي النظر في كلام هذا الرجل لم أقف عليه، ثم رأيت في كتاب التحرير نقل هذا التخريج عن ابن الحاجب قال: «لما» هذه هي الجازمة حذف فعلها للدلالة عليه، لما ثبت من جواز حذف فعلها في قولهم: خرجت ولما سافرت ولما ونحوه، وهو سائغ فصيح، فيكون التقدير: لما يتركوا لما تقدم من الدلالة عليه من تفصيل المجموعين في قوله: فمنهم شقي وسعيد، ثم ذكر الأشقياء والسعداء ومجازاتهم، ثم بين ذلك بقوله: ليوفينهم ربك أعمالهم، قال: ما أعرف وجهاً أشبه من هذا وإن كانت النفوس تستبعده من جهة أن مثله لم يقع في القرآن».

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ
أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ
ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى
ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ

مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾

☆ اللغة:

﴿تَرۡكَنُوٓاْ﴾: الركون إلى الشيء هو: السكون إليه بالمحبة له والإنصات إليه، وفي المصباح: «ركنت إلى زيد: اعتمدت عليه، وفيه لغات، إحداها من باب: تعب، وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وركن ركُوناً، من باب: قعد، قال الأزهري، وليست بالفصيحة، والثالثة ركَن يركَن ـ بفتحتين ـ وليست بالأصل، بل من باب: تداخل اللغتين؛ لأن باب: فعَل يفعَل يكون حلقي العين أو اللام». وقال الراغب: «والصحيح أنه يقال ركن يركن ـ بالفتح فيهما ـ وركن يركن بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع، وبالفتح في الماضي، والضم في المضارع» ويؤخذ من القاموس وشرحه، وغيره من معاجم اللغة: أنه من باب: دخل، ومن باب: تعب، أما اللازم منه فبابه: ركن، بضم الكاف، أي: كان رزيناً وقوراً.

﴿وَزُلَفٗا﴾ ـ بضم الزاي وفتح اللام ـ: جمع زلفة من الليل، أي: طائفة، وفي القاموس: الزلفى: الطائفة من الليل، والجمع زُلَف وزلُفات، كغرف وغرفات، قال العجّاج:

تـاجٌ طـواه الأيـن ممّـا رجفـا طـيّ اللّيـالي زلفـاً فـزلفـا

﴿أُتۡرِفُواْ﴾ نعموا، وترف، كفرح: تنعم، وأترفته النعمة: أبطرته، وأطغته.

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ الواو استئنافية، ولا ناهية، وتركنوا: فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وإلى الذين: جار ومجرور متعلقان بتركنوا، وجملة ظلموا صلة، فتمسّكم: الفاء السببية،

وتمسّكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء الواقعة بعد النهي، والكاف مفعول به، والنار فاعل ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ الواو حالية، أو استئنافية أيضاً، والجملة حالية، أي: تمسّكم النار حال انتفاء ناصركم، أو مستأنفة، وما نافية، ولكم خبر مقدم، ومن دون الله حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأولياء، ومن حرف جر زائد، وأولياء مجرور لفظاً بالفتحة مرفوع محلاً؛ لأنه مبتدأ مؤخر، وثم حرف عطف، ولا نافية، وتنصرون فعل مضارع، ولم ينصبه نسقاً على تركنوا؛ لأنه من عطف الجمل عطف جملة فعلية على جملة اسمية ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ الواو عاطفة، وأقم فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، والصلاة مفعول به، وطرفي النهار نصب على الظرفية بأقم، والمراد بطرفي النهار الغداة والعشي، وزلفاً منصوب على الظرفية، أيضاً بأقم، ومن الليل صفة ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ إن واسمها، وجملة يذهبن خبرها، والنون فاعل يذهبن، والسيئات مفعول به، ووذلك مبتدأ، وذكرى خبر، وللذاكرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذكرى ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ واصبر عطف على أقم، والفاء تعليلية، وإن واسمها، وجملة لا يضيع خبرها، وأجر المحسنين مفعول به ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الفاء استئنافية، ولولا تحضيضية، ولعل إعراب كان تامة أولى، إذ المعنى: فهلا وجد، أو حدث، فيتعلق من القرون بها، أو بمحذوف حال، ومن قبلكم حال من القرون، وأولو فاعلها، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وبقية مضاف إليه، وجملة ينهون عن الفساد صفة لأولو بقية، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بالفساد، وإذا جعلنا كان ناقصة، فيكون من القرون متعلقان بمحذوف حال، وتكون جملة ينهون خبرها، وأولو بقية اسمها، والمصدر المقترن بأل يعمل في المفاعيل الصريحة، فيكون في المؤولة، والظروف أولى، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الفساد ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ إلا أداة استثناء، وقليلاً مستثنى منقطع لئلا يفسد

المعنى، وننقل هنا عبارة الزمخشري، وهي: «معناه: ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد، وسائرهم تركوا النهي» ثم قال: «فإن قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلاً وجه يحمل عليه؟ قلت: إن جعلته متصلاً على ما هو عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً؛ لأنه يكون تحضيضاً لأولي البقية على النهي عن الفساد لا للقليل من الناجين منهم، كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم، يريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن، وإن قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم، فكأنه قيل: ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلاً، كان استثناء متصلاً، ومعنى صحيحاً، وكان انتصابه على أصل الاستثناء، وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل». وممن صفة لقليلاً، وجملة أنجينا صلة، ومنهم: حال ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام، تقديره: فلم ينهوا عن الفساد واتبع، والذين فاعل، وجملة ظلموا صلة، وما مفعول به، وجملة أترفوا صلة، وفيه متعلقان بأترفوا، وكانوا مجرمين كان، واسمها وخبرها، والجملة عطف على أترفوا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، وربك اسمها، وليهلك اللام للجحود، وهي المسبوقة بكون منفي، ويهلك منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أي: مريداً ليهلك، وقد سبق تقرير ذلك، والقرى مفعول به، وبظلم حال من الفاعل، وأهلها الواو حالية، وأهلها مبتدأ، ومصلحون خبر، والجملة حالية من المفعول به، أي: القرى.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ إلى آخر الآية فنون عديدة من البلاغة؛ التي تتقطع دونها الأعناق، وسنبسطها بما يلي:

(١) ائتلاف اللفظ مع المعنى:

إذ لما كان الركون إلى الذين ظلموا دون فعل الظالمين، وجب أن يكون

العقاب عليه دون عقاب الظالمين، ومسّ النار في الحقيقة دون الإحراق، ولما كان الإحراق عقاباً للظالم أوجب العدل أن يكون المسّ عقاب الراكن إلى الظالم، فلهذا عدل عز وجل عن قوله مثلاً . . . فتدخلوا النار؛ لكون الدخول مظنة الإحراق، وخصّ المسّ ليشير به إلى ما يقتضي الركون من العقاب، ويميز بين ما يستحق الظالم وبين ما يستحق الراكن له من العقاب، وإن كان مس النار قد يطلق، ويراد به الإحراق لكن هذا الإطلاق مجاز، والحقيقة ما ذكرناه؛ لأن حقيقة المس أول ملاقاة الجسم حرارة النار، وإذا احتمل اللفظ احتمالات صرف منها إلى ما تدل عليه القرائن، والائتلاف في هذه الآية معنوي.

(٢) الإدماج:

فقد أدمج الله سبحانه وصفه بالعدل، فتعلق فن الفخر بفن الأدب، إذ ظاهر الآية التأديب، ومن أجله جاءت في هذا الباب الموعظة، ووصف الحق عز وجل بالعدل.

(٣) البسط:

فلم يقل الظالمين وعدل عن ذلك إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ لما يحتمل الأول من استمرار الظلم؛ الذي لا يلائم المساس، ولا تحصل به المبالغة التي تحصل من لفظ الثاني من وقوع الظلم على سبيل الندور؛ ليلائم المعنى معنى الركون، ومعنى المساس، وتحصل المبالغة الحقة، لأنه سبحانه إذا نهى عن الركون إلى من استمر منه الظلم بطريق أولى، وإذا نهى عن الركون إلى الظالم كان النهي عن فعل الظلم أحرى.

ونثبت هنا بهذه المناسبة كتاباً آيةً في البلاغة، وهو يتناسب مع المقام: لما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ في الدين: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك، أصبحت شيخاً كبيراً، وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه، وعلمك

من سُنَّة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء، قال سبحانه: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾. واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي، بدنوك ممن لم يؤدّ حقاً، ولم يترك باطلاً حين أدناك، اتخذوك قطباً تدور عليه رحى باطلهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلماً يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خرّبوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ فإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيىء زادك فقد حضر السفر البعيد ﴿مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ والسلام.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية امتناعية، وشاء ربك فعل وفاعل، واللام واقعة في جواب لو، وجعل الناس أمة جعل ومفعوليها، وواحدة صفة ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ الواو عاطفة، ولا يزالون فعل مضارع ناقص، والواو اسمها، ومختلفين

خبرها، وإلا من رحم ربك. قال الزجاج: استثناء منقطع على معنى لكن، وتقديره: لكن من رحم ربك، فإنه غير مختلف، واكتفى أبو البقاء بقوله: هو مستثنى من ضمير الفاعل في يزالون ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ لذلك متعلق بخلقهم، والإشارة إلى الاختلاف والرحمة، وخلقهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وتمت كلمة ربك فعل وفاعل، والمراد بكلمته قضاؤه الأزلي وحكمه المبرم ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لأملأن جهنم جواب قسم مقدر تقديره: يميناً لأملأن، وأملأن فعل مضارع مبني على الفتح، وجهنم مفعول به، ومن الجنة جار ومجرور متعلقان بأملأن، والجنة هي الجن، والتاء للمبالغة، وأجمعين تأكيد ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ يجوز أن تنصب كلاً نصباً على المصدر، وتقديره: وكل القصص نقص عليك، وجملة نقص عليك في موضع الصفة لقوله وكلاً، ويجوز أن ينصب على المفعولية، والمضاف إليه محذوف عوض منه التنوين، تقديره: كل نبأ نقص عليك، ومن أنباء صفة لكلاً، وما اسم موصول في محل نصب بدل من كلاً، وقيل: زائدة، وعلى الوجه الأول تعرب مفعولاً، وجملة نثبت به فؤادك صلة، ومعنى تثبيت القلب زيادة يقينه، وما فيه طمأنينة قلبه ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وجاءك فعل ومفعول به، وفي هذه متعلقان بجاءك، والإشارة إلى السورة، أو الأنباء المقتصة فيها، والحق فاعل جاءك، وما بعده عطف عليه. ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ للذين جار ومجرور متعلقان بقل، وجملة لا يؤمنون صلة، واعملوا فعل أمر، والواو فاعل، والجملة مقول القول، وعلى مكانتكم حال، أي: حال كونكم ثابتين على مكانتكم، وقد سبق القول في المكانة ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ إن واسمها وخبرها ﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ انتظروا فعل أمر، والواو فاعل وإنا منتظرون، وإن واسمها وخبرها، والتهديد واضح ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ لله خبر مقدم، وغيب السموات مبتدأ مؤخر، وإليه متعلقان بيرجع، والأمر نائب فاعله، وكله تأكيد ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الفاء الفصيحة، واعبده فعل أمر وفاعل مستتر

ومفعول به، وتوكل عطف على اعبده، وعليه متعلقان بتوكل، وما حجازية، وربك اسمها، والباء حرف جر زائد، وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً خبرها، وعما متعلقان بغافل، ويعملون صلة ما.

* * *

سورة يوسف

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ٤ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ
رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٥
وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ
ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ٦﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلْقَصَصِ﴾: على وجهين: أحدهما يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص، تقول: قصّ الحديث يقصُّه قصصاً وثانيهما يكون فَعَلاً بمعنى مفعول،

كالنفض بمعنى المنفوض، واشتقاقه من قصَّ أثره إذا تبعه؛ لأن الذي يقصّ الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً.

○ الإعراب:

﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ الر: تقدم إعرابها، والقول فيها، وتلك مبتدأ، وآيات خبر، والكتاب مضاف إليه، والمبين صفة للكتاب ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ إن واسمها، وجملة أنزلناه خبرها، وقرآناً حال من ضمير أنزلناه، أي: الهاء، وقيل: انتصب على البدلية من الضمير، وعربياً صفة، ولعلكم تعقلون: لعل واسمها، وجملة تعقلون خبرها ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ نحن مبتدأ، وجملة نقص خبر، والفاعل مستتر تقديره: نحن، وعليك متعلقان بنقص، وأحسن مفعول به إذا كان القصص مصدراً، بمعنى: المفعول، ومفعول مطلق إذا كان القصص مصدراً غير مراد به المفعول، والقصص مضاف إليه، والباء للسببية، وما مصدرية، وهي مع ما في حيزها مجرورة بالباء، والجار والمجرور متعلقان بنقص أيضاً، أي: بسبب إيحائنا، وإليك متعلقان بأوحينا، وهذا مفعول به، والقرآن بدل من اسم الإشارة ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ الواو للحال، وإن مخففة من الثقيلة، وكان واسمها، ومن قبله حال، واللام الفارقة، ومن الغافلين خبر كنت ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ يجوز لك أن تعلق إذ الظرفية بفعل مضمر، أي: اذكر، ولك أن تجعله بدل اشتمال من أحسن القصص، ويجوز أن يتعلق بنقص، ولكن في هذا إخراجاً لإذ عن المضي، وجملة قال يوسف مضاف إليها الظرف، ولأبيه متعلقان بقال، ويا حرف نداء، وأبت منادى مضاف إلى ياء المتكلم التي حذفت وعوضت عنها التاء المكسورة أو المفتوحة، وسيرد المزيد عنها في باب: الفوائد، وكسرت همزة إن بعد القول، والياء اسم إن، وجملة رأيت خبرها، وأحد عشر جزءان عدديان مبنيان على الفتح في محل نصب مفعول به لرأيت، وكوكباً تمييز، ورأيت من الرؤيا، أي: المنام، وهي تنصب مفعولين

﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ الواو حرف عطف، والشمس والقمر معطوفان على أحد عشر كوكباً، ورأيتهم فعل وفاعل ومفعول به، وليست تأكيداً لرأيتهم الأولى، ولي متعلقان بساجدين، وساجدين مفعول به ثان لرأيتهم، وأعربها أبو البقاء حالاً، وقال: إن الرؤية عينية، وسيأتي تحقيق هذا في باب البلاغة ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ﴾ يا بني تقدم إعرابها في هود، ولا ناهية، وتقصص فعل مضارع مجزوم بلا، ورؤياك مفعول به، وعلى إخوتك جار ومجرور متعلقان بتقصص ﴿ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الفاء سببية، ويكيدوا منصوب بأن مضمرة؛ لأنه وقع جواباً للنهي، والواو فاعل، ولك متعلقان بيكيدوا، وكيداً يحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً مؤكداً، ويحتمل أن يكون مفعولاً به، أي: يصنعوا لك كيداً، وإن الشيطان إن واسمها، وللإنسان حال، وعدو خبر إن، ومبين صفة ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف، أي: كما اجتباك واختارك لهذه الرؤيا العظيمة يجتبيك لأمور عظام، والكاف مفعول يجتبيك، وربك فاعل، ويعلمك ليس عطفاً على يجتبيك، ولكنه كلام مستأنف؛ كأنه قيل: وهو يعلمك، ويتم نعمته، ومن تأويل جار ومجرور متعلقان بيعلمك، والأحاديث مضاف إليه ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ عطف على يعلمك، ونعمته مفعول به، وعليك جار ومجرور متعلقان بنعمته، أو بيتم، وعلى آل يعقوب عطف عليه ﴿ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ كما أتمها نعت لمصدر محذوف، أي: إتماماً مثل إتمامها على أبويك، وعلى أبويك متعلقان بأتمها، ومن قبل حال، وإبراهيم بدل من أبويك، أو عطف بيان، وإسحاق عطف على إبراهيم، وإن واسمها وخبراها.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ تكرار يظنّه الناظر أنه تأكيد لأول وهلة، وليس هو بالتأكيد، وإنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً

له، ويجوز أن تكون للتوكيد باعتبار أن طول الفصل بالمفاعيل استدعى ذلك، فجيء برأيتهم تطرية، وتنويعاً للحديث.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ سَٰجِدِينَ ﴾ أجرى الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر مجرى العقلاء، وهو الذي يسميه النحاة تغليباً، وهذا الوصف صناعي، أما السر البياني فأمر كامن وراء هذا الوصف، ذلك؛ لأنه لما وصف الكواكب والشمس والقمر بما هو خاص بالعقلاء، وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة، وهذا كثير شائع في كلامهم، وسيأتي الكثير منه في القرآن.

براعة التخلص:

وهو فن مشهور ذائع في كلام البلغاء، وهو امتزاج ما يقدمه الكاتب أو الشاعر من البسط بأول ما استهل به كلامه، كالبيت الأول من القصيدة، والفقرة الأولى من المقالة على أن يختلس ذلك اختلاساً رشيقاً، دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول، إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام؛ كأنهما أفرغا في قالب واحد، أو يوطىء الكاتب فيه بفصل لفصل يريد أن يأتي به بعده، وإما بنكتة تشير إلى معنى الفصل المستقبل، كقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ فإنه سبحانه وطأ بهذا الفصل إلى ما يأتي بعده من سرد قصة يوسف عليه السلام، فتخلص به إلى ذكر القصة تخلصاً بارعاً، فإن النكتة التي أشارت إلى وصف هذه القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص الأنبياء المذكورة في القرآن، وهي قوله: ﴿ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ فإن المخاطب إذا قرع سمعه هذا الوصف للقصة تنبه إلى تأملها، فيجد كل قضية فيها ختمت بخير، وكل ضيق انتهى إلى سعة، وكل شدة آلت إلى رخاء، وذلك أمر عجيب يستحيل أن يأتي على القصة الحديثة «العقدة» تختم بالخير، أو ما يسمَّى في عرف القصة الحديثة بالحل:

١ ـ رمي يوسف في الجب، واستحكمت عقدته فنجا.

٢ ـ بيع بالثمن البخس الذي يشير في مدلوله إلى الضعة والمهانة، واستحكمت العقدة ثانية؛ فإذا الذي اشتراه يستصفيه، وينزله منه بمنزلة الولد.

٣ ـ راودته التي هو في بيتها عن نفسه، ووثبت الشهوة، وصرخت اللذة، وكاد العقل يقصف، والرشد يعزب، واستحكمت العقدة ثالثة، فإذا هو يكبح جماح نفسه، ويستعصم.

٤ ـ ودخل السجن، ورانت عليه ظلمته، وأقتمت معالمه، واستحكمت العقدة رابعة، فخرج منه ملكاً.

٥ ـ وظفر بإخوته بعد أن عرف غدرهم به ومحاولتهم إهلاكه، فلم يذهب مع هوى النفس التي تثأر، وتنتقم، وطامن من غلوائه.

٦ ـ وسره الله بلقاء شقيقه بعد اليأس، فائتنس به.

٧ ـ فارقه أبوه وحزن من أجله حتى عمي، واستحكمت العقدة مرة أخرى، ثم اجتمع به، وسرّ بلقائه، وارتد الوالد بصيراً.

٨ ـ جاء الله به من البدو، وأحله بمصر على سرير الملك.

٩ ـ غضب هو وأبوه على بقية الأولاد، ثم رضيا عنهم.

١٠ ـ ثم، وأخيراً سجد له أبواه وإخوته تحقيقاً لرؤياه، فناسب الختام البدء، وكانت براعة التخلص من أجمل ما عرف في الكتابة.

(٤) حسن التخلص في الشعر:

على أنه لا يفوتنا أن نورد بعض ما ورد من حسن التخلص في شعرنا العربي، ومن المؤسف أن ينتهي غالباً بالمديح، ونحن لا نقر هذا المديح، ولا نعترف به إلا من حيث أنه تقليد بحت أو تسجيل لما جرى على يد الممدوح من نفع عام، قال أبو تمام يمدح أبا دلف، وهو بطل عربي اشتهر بجهاده:

وَدِّع فؤادَكَ تَوْدِيعَ الفراقِ فَمَا		أراهُ مِنْ سَفَرِ التَّوديع مُنْصَرِفا
يُجاذِبُ الشوقَ طَوْراً ثم يَجْذِبُه		جِهَـادُه للقــوافي في أَبي دُلَفــا

ومن ألطف المخالص قول أبي العلاء المعري:

ولــو أنَّ المطـيَّ لهـا عقــولٌ وجــدك لم تشـدّ لهـا عقـالا
مـواصلـة لهـا رحْلِي كـأنّـي من الدُّنيا أريدُ بها انفصالا
سألن فقلتُ مقصدُنا سعيد فكـان اسـمُ الأمير لهـنَّ فـالا

* الفوائـد:

(١) «رأى» من الرؤيا:

اختلف النحاة واللغويون في «رأى» الحلمية، والمحققون على أنها ملحقة برأى العلمية في التعدي لاثنين، بجامع إدراك الحس في الباطن، كقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ فأرى عملت في ضميرين متصلين لمسمى واحد، وأحدهما فاعل، والثاني مفعول أول، وجملة أعصر خمراً المفعول الثاني، وكقول عمرو بن أحمر الباهلي يذكر جماعة من قومه لحقوا بالشام، فرآهم في منامه:

أراهُــم رُفقتــي حتَّــى إذا مــا تجافى الليلُ وانخزلَ انخزالا

فالهاء مفعول أول، ورفقتي بضم الراء وكسرها مفعول ثان، والرؤيا هنا حُلْمِيّة، بدليل قوله: حتى إذا ما تجافى الليل وانخزل انخزالا، أي: انطوى وانقطع، وإلى هذا أشار في الخلاصة:

وَلِـرَأَى الـرُّؤْيَـا انْـمِ ما لِعَلِمَـا طَالِبَ مَفْعُولَيْنِ مِنْ قَبْلُ انْتَمَىٰ

وذهـب بعضهـم إلى أن رأى الحُلْمِيَّـة لا تنصـب مفعـولين، وأن ثـاني المنصوبين حال ورد بوقوعه معرفة هنا كما هنا، واعترض بأن الرفقة، وهم المخالطون، والمرافقون، فهو بمعنى اسم الفاعل، فالإضافة فيه غير محضة.

(٢) حديث اليهودي وكواكب يوسف:

ونرى من المفيد التنبيه إلى ما يرويه المفسرون من أحاديث عن كواكب يوسف، فقد أخرج الحاكم في مستدركه أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال:

أخبرني بأسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام، فقال: «إن أخبرتك بأسمائها أتسلم»؟ قال: نعم. قال ﷺ: «الذيال، والوثاب، والطارق، والفيلق، والصبح، والقابس، والضروح، والخرثان، والكتفان، والعمودان، وذو الفرع». قال: صدقت يا محمد ولم يسلم. والوضع ظاهر على هذا الحديث، وفي سنده جماعة متكلم فيهم. وقال ابن الجوزي: هو موضوع.

﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: الغيابة: سدٌّ أو طاق في البئر قريب الماء، يغيب ما فيه عن العيون، وقال الزمخشري: هي غوره وما غاب منه عن عين الناظر، وأظلم من أسفله، قال المنخل:

إذا أنـا يـومـاً غَيَّبَتْنِي غَيَـابَتِي فَسِيرُوا بِسَيْرِي في العَشِيْرَةِ والأَهْلِ

أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها، والجب: البئر التي لم تطو؛ وسمي بذلك إما لكونه محفوراً في جيوب الأرض، أي: ما غلظ منها، وإما لأنه قطع في الأرض، ويجمع على أجباب، وجباب، وجببة.

﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾: جمع سيار، أي: المبالغ في السير، وفي المختار: والسيارة القافلة، فتسميتهم السيارة المعروفة اليوم صحيح، لا غبار عليه؛ لأنه مؤنث سيار.

○ الإعراب:

﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ اللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وكان فعل ماض ناقص، وفي يوسف خبر مقدم، وإخوته عطف على يوسف، وآيات اسم كان المؤخر، وللسائلين صفة لآيات ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف، تقديره: اذكر، وقيل: الظرف متعلق بكان، وجملة قالوا مضاف إليها الظرف، واللام للابتداء، وفيها تأكيد لتحقيق مضمون الجملة، وأخوه عطف على يوسف، وهو بنيامين شقيقه، وأحب خبر، وإلى أبينا جار ومجرور متعلقان بأحب، وقد تقدم أن الحب والبغض إذا بني منهما أفعل التفضيل، أو فعلا التعجب تعدى الفعل منهما إلى الفاعل المعنوي بإلى، وإلى المفعول المعنوي باللام، فإذا قلت زيد أحب إليَّ من بكر كان معناها أنك تحب زيداً أكثر من بكر، ومنا متعلقان بأحب كذلك، ولم يطابق أحب في الاثنين؛ لأن أفعل التفضيل يلزم الإفراد والتذكير إذا كان معه من، ولا بد من الفرق مع أل، وإذا أضيف جاز الأمران ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الواو للحال، ونحن مبتدأ عصبة خبر، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي ضلال خبرها، ومبين صفة، والعصبة: الجماعة، قيل: هي ما بين الواحد إلى العشرة ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ اقتلوا فعل أمر، والواو فاعل، ويوسف مفعول به، أو اطرحوه عطف على اقتلوا، وأرضاً نصبت الظروف المبهمة، أي: أرضاً منكرة مجهولة بعيدة عن العمران. قال الزمخشري وقال ابن عطية: «وذلك خطأ؛ لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهماً، وهذه ليست كذلك، بل هي أرض مقيدة بأنها بعيدة، أو قاصية، ونحو ذلك، فزال بذلك إبهامها، ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون في أرض،

فتبين أنهم أرادوا أرضاً بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه» وصحح أبو حيان هذا الرد. ويجوز أن تنصب بنزع الخافض، أي: في أرض، وهو بمعنى الظرف، وقيل: مفعول ثان لاطرحوه المتضمنة معنى انزلوه، ويخل جواب الأمر، ولكم متعلقان بيخل، ووجه فاعل، وأبيكم مضاف إليه، وسيأتي معنى يخل لكم وجه أبيكم في باب: البلاغة ﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ وتكونوا عطف على يخل، والواو اسم كان، ومن بعده حال، وقوماً خبر، وصالحين صفة ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ ﴾ قال قائل فعل وفاعل، ومنهم صفة، ولا ناهية، وتقتلوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، ويوسف مفعول به، وألقوه فعل أمر وفاعل ومفعول به وفي غيابة الجب متعلقان بألقوه ﴿ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ يلتقطه جزم لوقوعه جواباً للأمر، وبعض السيارة فاعل، وإن شرطية، وكنتم فاعلين كان، واسمها وخبرها، وجواب إن محذوف، أي: إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به الغرض، فهذا هو الرأي الصواب ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ قالوا فعل وفاعل، ويا أبانا منادى مضاف، وما اسم استفهام مبتدأ، ولك خبر ما، ولا نافية، وتأمنا فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ونا مفعول به، وقد أدغمت نون تأمن بنا، وقد قرىء على أشكال مختلفة، وعلى يوسف متعلقان بتأمنا، وجملة لا تأمنا حال، وجملة مالك لا تأمنا مقول القول، والتقدير: أي: شيء ثبت لك منا ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ الواو للحال، وإن واسمها، وله متعلقان بناصحون، واللام المزحلقة، وناصحون خبر إنا، والجملة حال من نا، فيكون حالاً من حال ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ أرسله فعل أمر، وفاعل مستتر ومفعول به، ومعنا ظرف مكان متعلق بأرسله، ونا مضاف إليه، وغداً ظرف متعلق بأرسله أيضاً، ويرتع مجزوم لأنه جواب الأمر، ويلعب عطف عليه، وجملة إنا له لحافظون حالية، وقد تقدم إعرابها ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة يحزنني خبر إن، والياء مفعول به، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل يحزنني، وبه جار ومجرور

متعلقان بتذهبوا ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ أن وما في حيزها مفعول أخاف، والذئب فاعل يأكله، ولا يغرب عنك، أنه لقّنهم العلة التي يعتلون بها على حد قول المثل: «إن البلاء موكل بالمنطق» ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ الواو للحال، وأنتم مبتدأ، وغافلون خبره، وعنه متعلقان بغافلون ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وأكله الذئب فعل ومفعول به وفاعل، والواو حالية، ونحن مبتدأ، وعصبة خبر، والجملة حالية، وإن واسمها، وإذن حرف جواب وجزاء مهمل، وخاسرون خبر إنا، والجملة جواب القسم، وجملة جواب الشرط محذوفة؛ لأن الجواب يعطى للمتقدم، كما قررنا سابقاً.

□ البلاغة:

(١) المجاز في قوله تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ وإنما ذكر الوجه؛ لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل عليه بوجهه؛ لأن أول ما يستقبل الإنسان الوجه، فعبر به عن إقباله عليهم وعدم الالتفات إلى غيرهم، وانتفاء المشارك لهم في حب والدهم.

(٢) وفي قوله: ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ مجاز عن الضعف، والعجز، والعلاقة هي السببية.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم
بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا
ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا
وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ

فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾: يقال: أجمعوا الأمر، وأجمعوا عليه يتعدى بنفسه، وبالباء، أي: عزموا عليه مصمماً.

﴿سَوَّلَتْ﴾: أصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في إتمامه، وقال الزمخشري: سولت سهلت من السول، وهو الاسترخاء، وفي القاموس: سولت له نفسه كذا: زينته له، وسهلته له، وهوّنته، وقيل: هو من السول ـ بفتحتين ـ أي: استرخاء العصب ونحوه، فكأن المسول بذله فيما حرص عليه.

﴿دَلْوَهُۥ﴾: في المختار: الدلو التي يستقى بها، ودلا الدلو: نزعها، وبابه عدا، وأدلاها: أرسلها في البئر، وفي القاموس: ودلوت الدلو ودليتها: أرسلتها في البئر، ودلّاها: جذبها ليخرجها، والدلو مؤنث، وقد يذكر.

○ **الإعراب:**

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ الفاء عاطفة، والجملة معطوفة على محذوف يفهم من سياق القصة، تقديره: فأرسله معهم، ولما حينية، أو رابطة، وذهبوا فعل وفاعل، وبه جار ومجرور متعلقان بذهبوا، وأجمعوا عطف على ذهبوا، أو الواو للحال، والجملة حالية بتقدير: قد، وأن وما في حيزها مفعول أجمعوا، أو منصوب بنزع الخافض، وفي غيابة الجب متعلقان بيجعلوه، وجواب لما محذوف تقديره: فعلوا به ما فعلوه من الأذى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ اختلف في هذه الواو، فقيل: عاطفة، وأن الإيحاء إلى يوسف كان في الجب، وله سبع عشرة سنة، أو

دونها تطميناً لقلبه، ولم يكن إيحاء نبوة، وقيل: زائدة، وأنها جواب لو، أي: جملة أوحينا، وهو قول جيد لو ساعدت اللغة على زيادة الواو، وإليه متعلقان بأوحينا، واللام موطئة للقسم، وتنبئنهم، وفعل مضارع مبني على الفتح، والهاء مفعول به، وبأمرهم متعلقان بتنبئنهم، وهذا صفة لأمرهم، والواو للحال، وهم مبتدأ، وجملة لا يشعرون خبر، والجملة حالية ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ الواو عاطفة، وجاؤوا فعل وفاعل، وأباهم مفعول به، وعشاء ظرف زمان متعلق بجاء، وجملة يبكون حال من الواو، أي: وقت العشاء باكين. قيل: وإنما جاؤوا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ جملة إنا ذهبنا مقول القول، وإن واسمها، وجملة ذهبنا خبر إن، وجملة نستبق حال، والاستباق يكون بالعدو، والترامي، والتناضل ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ﴾ وتركنا يوسف عطف على ذهبنا، والظرف متعلق بتركنا فأكله عطف، والهاء مفعول به، والذئب فاعل. قال ثعلب: «والذئب مأخوذ من تذأبت الريح؛ إذا هاجت من كل وجه» قال: «والذئب مهموز؛ لأنه يجيء من كل وجه». ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية حجازية، وأنت اسمها، والباء حرف جر زائد، ومؤمن مجرور لفظاً خبر ما محلاً، ولنا متعلقان بمؤمن، ولو الواو عاطفة، ولو شرطية، وهي في هذا الموضع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب، أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال؛ بإدخالها على أبعدها منه، وأشدها منافاة له ليظهر بثبوته، أو انتفائه معه ثبوته، أو انتفاؤه مع غيره من الأحوال بطريق الأولوية، ولا يذكر معه شيء من سائر الأحوال، ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها، وكنا: كان واسمها، وصادقين خبرها ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ الواو عاطفة، وجاؤوا فعل وفاعل، وعلى قميصه محله النصب على الظرفية، كأنه قيل: وجاؤوا فوق قميصه بدم، وهذا الظرف معمول لحال محذوفة من دم، والتقدير: وجاؤوا بدم كذب حال كونه كائناً فوق قميصه،

وقد منع ذلك الزمخشري، وسترى في باب الفوائد بحثاً مفيداً ممتعاً بهذا الصدد، وبدم متعلقان بجاؤوا، وكذب صفة، وسيرد في باب: البلاغة معنى وصف الدم بالكذب ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ بل: حرف إضراب، وسولت لكم أنفسكم فعل وفاعل، وأمراً مفعول به، فصبر جميل خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف، وساغ الابتداء بالنكرة لوصفه ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ الواو عاطفة، والله مبتدأ، والمستعان خبر، وعلى ما متعلقان بالمستعان، وجملة تصفون صلة، والعائد محذوف، أي: تصفونه ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾ الواو استئنافية، وجاءت سيارة فعل وفاعل، فأرسلوا عطف على جاءت، والواو فاعل، وواردهم مفعول به، وهو رجل يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء؛ لأن الوارد هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم، فأدلى عطف، ودلوه مفعول به ﴿ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ﴾ يا حرف نداء، وبشرى منادى نكرة مقصودة نادى البشرى حيث كانت؛ كأنه يقول لها تعالي، فهذا وقتك، وهذا مبتدأ، وغلام خبر قيل عبر بالغلام للجمال الذي بهره لما رآه، وإنما سمي الغلام غلاماً لاشتقاقه من الغلمة؛ لأنه بريد الشهوة يقال: اغتلم الشراب: اشتدت سورته، واغتلمت الأمواج: اشتدت، والغلامة أنثى الغلام، وأبو نواس كان يتظرف ويقول عن الفتاة الجميلة: غلامية ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ وأسروه فعل وفاعل ومفعول، أي: أخفوه، والضمير يعود للوارد وأصحابه، وقيل لأخوة يوسف الذين عادوا وكانوا يظنون أن يوسف مات، فقالوا: هذا عبد أبق منا، فإن أردتم بعناه لكم، فاشتراه مالك بن ذعر الخزاعي، وبضاعة نصب على الحال، أي: أخفوه متاعاً للتجارة، والبضاعة: ما بضع من المال للتجارة. ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ الواو عاطفة، وشروه فعل وفاعل ومفعول، أي: باعوه، وبثمن متعلقان بشروه، وبخس صفة، ودراهم بدل من ثمن، ومعدودة صفة، ووصفها بإمكان عدها كناية عن قلتها؛ لأن الكثيرة يتعذر عدّها ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ كان واسمها،

وفيه متعلقان بمحذوف حال، وقال أبو حيان: «متعلقان بأعني مضمرة، أو بمحذوف يدل عليه من الزاهدين، أو بالزاهدين؛ لأنه يتسامح في الجار والمجرور والظرف» ومن الزاهدين خبر كانوا. وقال ابن هشام: وقول آخر: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ إن في متعلقة بزاهدين المذكور، وهذا ممتنع إذا قدرت أل موصولة، وهو الظاهر لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول، فيجب حينئذ تعلقها بأعني محذوفة، أو بزاهدين محذوفاً مدلولاً عليه بالمذكور، أو بالكون المذكور الذي تعلق به من الزاهدين، وأما إن قدرت أل التعريف، فواضح.

□ البلاغة:

وصف الدم بالكذب مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته، والفاعل والمفعول يسميان بالمصدر، كما يقال: ماء سكب، أي: مسكوب، والفاعل كقوله: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: غائراً، كما سموا المصدر بهما قالوا للعقل: المعقول، وللجلد: المجلود، ومنه قوله تعالى: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾.

* الفوائد:

هل تتقدم الحال على الجار والمجرور؟:

منع النحاة تقديم الحال على صاحبها إذا كان مجروراً، كـ: مررتُ بهند جالسة، فجالسة حال من هند، ولا يجوز تقديمها عليها. لا تقول: مررت جالسة بهند، وهذا تقريباً مذهب الجمهور، وعللوا ذلك بأن تعلق العامل بالحال ثان لتعلقه بصاحبه، فحقه إذا تعدى لصاحبه بواسطة أن يتعدى إليه بتلك الواسطة، لكن منع من ذلك أن الفعل لا يتعدى بحرف واحد إلى شيئين، فجعلوا عوضاً عن الاشتراك في الواسطة التزام التأخير، وخالف في هذه الفارسي، وابن جني، وابن كيسان، وابن برهان، وغيرهم، فأجازوا التقديم مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قالوا في الرد

على الزمخشري القائل: إنه ليس بحال؛ لأن حال المجرور لا يتقدم، قالوا فيه: إن المعنى لا يساعد على نصبه على الظرف بمعنى؛ لأنَّ العامل فيه إذ ذاك جاؤوا، وليس الفوق ظرفاً، بل يستحيل أن يكون ظرفاً، وبقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ فكافة حال من المجرور، وهو الناس، وقد تقدم على صاحبه المجرور باللام، وبنحو قول الشاعر:

تسليتُ طرّاً عنكم بعد بينكم بذكراكُم حتَّى كأنكم عندي

فطراً بمعنى جميعاً حال من الكاف والميم، وقد تقدم على صاحبه المجرور بعن، وردّ الزمخشري والمانعون بقولهم: إن هذا البيت ضرورة، أو طراً حال من عنكم محذوفة، مدلولاً عليها بعنكم المذكورة، وإن كافة في الآية حال من الكاف في أرسلناك، وأن التاء للمبالغة لا للتأنيث، هذا؛ ولا يحتمل هذا الباب ما استفاض فيه هؤلاء العلماء من ردود ومناقشات، فحسبنا ما تقدم.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مَثْوَىٰهُ ﴾: مقامه، يقال: ثوى بالمكان، وأثوى: أقام، وفلان أكرم

مثواي، وطال بي الثواء، وهو أبو مثواي، وهي أم مثواي لمن أنت نازل به، قال:

أفي كلِّ يومٍ أُمُّ مَـثْوَىً تَسُوسُني تنفِّضُ أثوابي وتسألني ما اسمي

﴿أَشُدَّهُۥٓ﴾: في الأشدّ ثلاثة أقوال، أحدها: قول سيبويه: أنه جمع مفرده شدة، نحو: نعمة وأنعم، والثاني: قول الكسائي: أن مفرده شُد بوزن قفل، والثالث: أنه جمع لا واحد له من لفظه، وهو قول أبي عبيدة، وهو من الشد، وهو: الربط على الشيء والعقد عليه. وقال الراغب: وفيه تنبيه على أن الإنسان إذا بلغ هذا القدر يتقوّى خلقه؛ الذي هو عليه، فلا يكاد يزايله، وقيل في الأشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاث، وثلاث وأربعون، وقيل: أقصاه ثنتان وستون.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾ المراودة: مفاعلة من راد يرود؛ إذا جاء وذهب، كأن المعنى: خادعته عن نفسه، أي: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده، يحتال أن يغلبه عليه، ويأخذه منه، وهي عبارة عن التحيل لمواقعته إياها، ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ، وهي مفاعلة من واحد، نحو: مطالبة الدائن ومماطلة المدين ومداواة الطبيب، ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل، ومن الآخر سببه، فإن هذه الأفعال، وإن كانت صادرة عن الجانبين، لكن لما كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخر، جعلت كأنها صادرة عنهما، وهذا باب لطيف المسلك، مبني على اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقوم مقامه، ويطلق عليه اسمه، كما في قولهم: «كما تدين تدان» أي: كما تجزي تجزى، فإن فعل البادي، وإن لم يكن جزاء لكونه سبباً للجزاء أطلق عليه اسمها، وكذلك إرادة القيام إلى الصلاة وإرادة القرآن؛ حيث كانتا سبباً للقيام والقراءة عبر عنهما بهما، فقيل: «إذا قمتم إلى الصلاة»، «فإذا قرأت القرآن»، وهذه قاعدة مطردة مستمرة. ويجوز أن يراد بصيغة المفاعلة مجرد المبالغة، وقيل: الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل، وهو طلب منها الترك، ويجوز أن تكون من الرويد، وهو الرفق

والتجمل وتعديتها بعن؛ لتضمينها معنى المخادعة، فالمعنى: خادعته عن نفسه، أي: فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه عن شيء لا يريد إخراجه من يده، وهو يحتال أن يأخذه منه.

﴿هَيْتَ لَكَ﴾: اسم للفعل، وفيه ضمير المخاطب كصه ومه، ومسماه أسرع، يقال: هيت؛ إذا دعاه، قال الشاعر:

أبلـــغْ أميـــرَ المـــؤمنيـ ـــنَ أخـا العـراقِ إذا أتَيْتَـا
أنَّ العِـــــراقِ وأَهْلَــــهُ سِلْـمٌ عليـك، فَهَيْـتَ هَيْتَـا

يريد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو لازم لا يتعدى إلى مفعول، كما أن مسمَّاه كذلك، وفيه ثلاث لغات هيت بالفتح، وهيت بالضم، وهيت بالكسر، و«لك» من قولك: هيت لك تبيين للمخاطب، جيء به بعد استغناء الكلام عنه، كما كان كذلك في: سقيا لك، ألا ترى أن سقيا غير محتاجة إلى لك؛ لأن معناه سقاك الله سقياً، وإنما جيء بلك تأكيداً وزيادة، فهي في هيت لك كذلك. وقيل: هيت اسم فعل ماض، بمعنى: تهيأت، وفي القاموس: وهيت لك مثلثة الآخر، وقد يكسر أوله، أي: هلم، وقال العلامة الغنيمي: يحتمل أن يكون الضمير المستتر في تهيأت، تقديره: هي، وقرىء تهيأت بسكون التاء، وهذه حكاية لكلامها، كما تقول: قال زيد: والله ليفعلن، أي: قال: والله لأفعلن.

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: هذا أحد مصادر عاذ يعوذ عوذاً ومعاذاً وعوذة وعياذة وعِياذاً، ومعنى: أعوذ بالله: أعتصم، وأمتنع بالله من الشيطان الرجيم، وينشد للراجز زيد بن عمرو بن نفيل، أو لعبد المطلب:

إنِّـي لـك اللهـمَّ عـانٍ راغِـمُ مهما تُجشِّمني فإنِّي جاشمُ
عُذْتُ بما عاذَ به إبْراهِمُ

يريد به إبراهيم عليه السلام، ومن العرب من يقول: إبراهام، وكذلك قرأ ابن عامر، وذلك أن إبراهيم اسم أعجمي، فإذا عربته العرب فإنها تخالف بين ألفاظه، ومنهم من يقول إبْرَهَم بغير ألف، قال الشاعر:

نحـــــنُ آلُ الله في كعبتـــــه لم يزلْ ذاكَ على عهدِ ابْرَهَمْ

وعن الفراء قال: «العرب تقول: نعوذ بالله من طِئَةِ الذليل، أي: أعوذ بالله من أن يطأني ذليل» وفي لسان العرب: «وطأة الذليل من استعاذته بالله».

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ عطف على محذوف، أي: دخلوا مصر، وعرضوه للبيع، فاشتراه عزيز مصر الذي كان على خزائن مصر، واسمه قطفير. وقال فعل ماض، والذي فاعل، وجملة اشتراه صلة، ومن مصر حال، ولامرأته جار ومجرور متعلقان بقال، وجملة أكرمي مثواه مقول القول، وهي فعل وفاعل ومفعول، وقد تقدم شرحها ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ عسى من أفعال الرجاء، واسمها مستتر، وأن وما في حيزها خبرها، وقد تقدم القول فيها، وأو حرف عطف، ونتخذه فعل مضارع معطوف على ينفعنا، والهاء مفعول به أول، وولداً مفعول به ثان ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وكذلك نعت لمصدر، أي: مثل ذلك التمكين، ومكنا فعل ماض وفاعل، وليوسف متعلقان به، فإن فعل مكن يتعدى بنفسه، وباللام كما هنا، وفي الأرض حال ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ الواو عاطفة، واللام للتعليل، ونعلمه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والهاء مفعول به، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، أي: ولنعلمه مكناه، وقد سبق مثيله في: ﴿ولتكملوا العدة﴾ ومن تأويل الأحاديث متعلقان بنعلمه، وأعربها الجلال على زيادة الواو، فهي متعلقة بمكنا المذكورة ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والله مبتدأ، وغالب خبر، وعلى أمره جار ومجرور متعلقان بغالب، والواو حالية، ولكن واسمها، وجملة لا يعلمون خبرها ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لما حينية، أو رابطة، وبلغ أشده فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به، وحكماً مفعول به ثان، وعلماً عطف عليه، وكذلك نعت لمصدر محذوف، ونجزي المحسنين فعل

مضارع وفاعل ومفعول به ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ الواو عاطفة، وراودته فعل ومفعول به مقدم، والتي فاعل، وهو مبتدأ، وفي بيتها خبر، والجملة الاسمية صلة، وعن نفسه جار ومجرور متعلقان براودته ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ جمل معطوفة، وتقدم إعراب هيت لك في باب: اللغة، واسم المرأة التي راودته زليخا ـ بفتح الزاي وكسر اللام ـ. ولم يقل: وراودته زليخا أو امرأة العزيز إما لاستهجان التصريح بالاسم في حكم المراودة والاحتيال في طلب المواقعة، وإما للإخفاء عن الآخرين لئلا يتهموها، وإما لزيادة تقرير ثبوت المسند للمسند إليه، فإن كونه في بيتها، وتمكّنها من مشاهدة جماله حيناً فحيناً مما يحقق مراودتها، أو لزيادة تقرير المقصود؛ لأن امتناعه منها مع كمال قدرتها عليه يدل على نزاهته، وطهارة ذيله، وقيل اختار[1] في الآية إذ يجوز الاشتراك في عَلَمها، وإرادة الجنس في امرأة العزيز بخلاف الموصول ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ معاذ الله نصب على المصدر، أي: أعوذ بالله معاذاً، وإنه ربي: إن واسمها وخبرها، والضمير يجوز أن يعود لقطفير الذي اشتراه، ومعناه: سيدي ومالكي يريد قطفير، وجملة أحسن مثواي حال، ويجوز أن يعود الضمير إلى الشأن والحديث، وربي مبتدأ، وجملة أحسن مثواي خبر، والجملة خبر إن، ويجوز أن تكون الهاء ضمير الله تعالى، وقد استبعد بعضهم الأول، وقالوا يبعد جداً أن يطلق نبي كريم على مخلوق أنه ربه، ولو بمعنى السيد؛ لأنه ليس مملوكاً في الحقيقة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إن واسمها، وجملة لا يفلح الظالمون خبرها، والضمير يعود للشأن هنا ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ اللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وهمت فعل ماض، وهي فاعله، وبه متعلقان بهمت، وهمّ فعل ماض، وهو فاعله، وبها متعلقان بهم، ولولا حرف امتناع لوجود، وأن وما في حيزها مبتدأ محذوف الخبر، أي: لولا رؤيته برهان ربه ماثل أمامه، وجواب لولا محذوف، أي: لواقعها،

(١) أي: اختار لفظ «التي هو في بيتها».

واختلف في البرهان الذي رآه، وللمفسرين فيه كلام طويل يرجع إليه في المطولات، وحسبنا أن ننقل عبارة أبي حيان. قال: «والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول إن جواب لولا متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد، بل نقول: إن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما يقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه: إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل، وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، فكان يوجد الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهمّ، وهذا كلام جيد يؤيد ما ذهبنا إليه في الإعراب، فتدبَّره.

هذا؛ ولا خلاف في أن يوسف عليه السلام لم يأت بالفاحشة، وإنما الخلاف في وقوع الهم منه، فمن المفسرين من ذهب إلى أنه همّ، وقصد الفاحشة، وأتى ببعض مقدماتها، ولقد أفرط صاحب الكشاف في التشنيع على هؤلاء، فارجع إليه. ومنهم من نزهه عن الهمّ أيضاً، وهو الصحيح كما تقدم في عبارة أبي حيان، وللإمام الرازي في «تفسيره الكبير» نكتة لا بأس بإيرادها، قال: «إن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم يوسف عليه السلام والمرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين وإبليس، وكلهم قالوا ببراءة يوسف عليه السلام عن الذنب، فلم يبق لمسلم توقف في هذا الباب؛ أما يوسف فلقوله: «هي راودتني عن نفسي»، وقوله «رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه»، وأما المرأة فلقولها «ولقد راودته عن نفسه»، وأما زوجها فلقوله: «إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم»، وأما النسوة فلقولهن: «امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين»، وقولهم «حاشا لله

ما علمنا عليه من سوء»، وأما الشهود، فلقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ إلى آخره. . . وأما شهادة الله تعالى، فقوله عز من قائل: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وأما إقرار إبليس بذلك فلقوله: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فأقر ابليس بأنه لا يمكن إغواء العباد المخلصين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فقد أقر إبليس أنه لم يغوه، وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله، فليقبلوا شهادة الله بطهارته، وإن كانوا من أتباع ابليس وجنوده، فليقبلوا إقرار إبليس لطهارته.

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك التثبيت ثبتناه، واللام متعلقة بذلك المحذوف، ويصح أن تكون في محل رفع، والتقدير: الأمر مثل ذلك، والنصب أجود، وقد تقدمت نظائر لذلك، والسوء مفعول به، والفحشاء عطف على السوء ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ إن واسمها، ومن عبادنا خبر، والمخلصين صفة لعبادنا.

□ البلاغة:

من مرجحات كون الاسم المسند إليه اسماً موصولاً تقرير الغرض المسوق له الكلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فإن الغرض المسوق له الكلام هو براءة يوسف عليه السلام، فلو قيل: راودته امرأة العزيز، أو زليخا، لم يفد ما أفاده الموصول باعتبار صلته، فهو أدل على الغرض المسوق له، وهو النزاهة؛ لأنه إذا كان في بيتها، وتمكن من نيل المراد منها، أي: مرادها لا مراده ومع ذلك عف عنها ولم يفعل، كان ذلك غاية في النزاهة عن الفحشاء، فكان في الموصول زيادة تقرير للغرض؛ الذي هو النزاهة.

قول آخر:

وقيل: معناه زيادة تقرير المسند، أي: المراودة لما فيه من فرط الاختلاط

والإلفة، فلو قال: زليخا، أو امرأة العزيز، لم يفد ما أفاده الموصول من ذكر السبب؛ الذي هو قرينة في تقرير المراودة باعتبار كونه في بيتها.

قول آخر: وقيل: هو تقرير للمسند إليه لإمكان وقوع الإبهام والاشتراك في امرأة العزيز أو زليخا، ولو ذكر إحداهما، ولا يتأتى ذلك في التي هو في بيتها؛ لأنها واحدة معينة مشخصة.

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ ﴾ الواو عاطفة، والجملة متصلة بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ ﴾ . . الخ اعتراض جيء به بين المتعاطفين تقريراً لنزاهته وبراءته، والمعنى: ولقد همَّت به، وأبى هو، واستبقا إلى الباب الخارجي الذي هو المخلص، ولذلك وحده بعد الجمع، وحذف حرف الجر، وأوصل الفعل إلى المجرور نحو: «وإذا كالُوهُمْ» واستبقا فعل ماض، والألف فاعل، والباب منصوب بنزع الخافض، وقدّت قميصه: قدَّ فعل ماض، وفاعله هي، وقميصه مفعول به ومن دبر حال ويحتمل أن يكون «قدت» معطوفاً على واستبقا، ويحتمل أن يكون حالاً، أي: وقد قدت جذبته من خلفه بأعلى القميص من طوقه،

فانخرق إلى أسفله، والقد: القطع والشق، وأكثر استعماله فيما كان طولاً. قال النابغة:

تَقدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... وَيُوقِدْنَ بالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ

والقطّ يستعمل فيما كان عرضاً ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ وألفيا عطف على ما تقدم، والألف فاعل، وسيدها، أي: بعلها، كانت تقول المرأة لبعلها: يا سيدي لملكه التصرف فيها، وهي مفعول به، ولدى ظرف في محل نصب مفعول به ثان ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، يحتمل أن تكون ما نافية، أي: ليس جزاؤه إلا السجن، أو العذاب الأليم، وجزاء خبر، ومن مضاف إليه، وجملة أراد صلة، وبأهلك جار ومجرور متعلقان بأراد، وسوءاً مفعول به، وإلا أداة حصر، وإن وما في حيزها بدل من جزاء، أي: إلا السجن، ويجوز أن تكون ما نافية، وجزاء مبتدأ، وأن يسجن خبره، وأو حرف عطف، وعذاب عطف على المصدر المؤول، وأليم صفة، ومن يجوز فيها أن تكون موصولاً، أو نكرة موصوفة ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ﴾ قال فعل ماض، وفاعله هو، أي: يوسف مدافعاً عن نفسه معلناً براءته، وهي مبتدأ، وجملة راودتني خبر، وعن نفسي متعلقان براودتني ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ الواو عاطفة، وشهد شاهد فعل وفاعل، ومن أهلها صفة شاهد، وهو ابن عمها، وكان بصحبة زوجها ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ الشرط مقول قول محذوف، أي: فقال، وإن شرطية، وكان قميصه كان واسمها، وجملة قدّ، أي: شق بالبناء للمجهول خبر، ومن قبل متعلقان بقدّ، فصدقت الفاء رابطة، وصدقت فعل ماض، والجملة جواب الشرط، أي: فقد ظهر صدقها، وهو الواو حالية، وهو مبتدأ، ومن الكاذبين خبر، ولا بد من تقدير: قد؛ ليصح دخول الفاء الرابطة، وإلا فلو لم تقدر لم يصح دخول الفاء؛ لأنه فعل ماض متصرف ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ عطف على الجملة الأولى، وهي مماثلة لها في إعرابها ﴿فَلَمَّا رَءَا

قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، ورأى قميصه فعل وفاعل مستتر ومفعول، وجملة قدّ من دبر حالية، قال: جواب لما، وإن واسمها وخبرها ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ إن واسمها وخبرها ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ﴾ يوسف منادى محذوف منه حرف النداء، وأعرض فعل أمر، وفاعله أنت، وعن هذا متعلقان بأعرض، واستغفري فعل أمر، والياء فاعله، ولذنبك متعلقان باستغفري ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ إن واسمها، وجملة كنت خبرها، ومن الخاطئين خبر كنت، والجملة تعليل للاستغفار.

□ البلاغة:

لقائل أن يقول: إن الضمير وهو «هي» ليس غير مضمر باتفاق، وليس هو للغائب، بل لمن بالحضرة، والجواب ما قاله السراج البلقيني في رسالته المسماة: «نشر العبير لطي الضمير»: الضمير المفسر لضمير الغائب إما مصرح به، أو مستغنى بحضور مدلوله حساً أو علماً، فالحس نحو قوله: ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ ﴾ و﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ ﴾ كذا ذكر الشيخ ابن مالك، وتعقبه أبو حيان بأن قال ليس كما مثل به؛ لأن هذين الضميرين عائدان على ما قبلهما، فالضمير في قال عائدعلى يوسف، والضمير في هي عائد على قوله: ﴿ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ ولما كنّت عن نفسها بقولها: ﴿ بِأَهْلِكَ ﴾ ولم تقل بي كنى هو عنها بضمير الغيبة بقوله: ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى ﴾ ولم يخاطبها بقوله أنت راودتني ولا أشار إليها، بقوله: هذه راودتني، وكل هذا على سبيل الأدب في الألفاظ والاستحياء في الخطاب، فأبرز الاسم في ضمير الغائب تأدباً مع الملك، وحياء منه، وعندي أن الذي قاله ابن مالك أرجح مما قاله أبو حيان، وذلك أن الاثنين إذا وقعت منهما خصومة عند حاكم، فيقول المدعي للحاكم: لي على هذا كذا، فيقول المدَّعى عليه: هو يعلم أنه لاحقّ له عليّ، فالضمير في هو إنما لحضور مدلوله حساً، وسيأتي مزيد من هذا البحث الممتع عند الكلام على قصة ابنة شعيب في سورة القصص.

* الفوائـد:

لـدى:

ليست لدى من لفظ لدن، وإن كانت من معناها؛ لأن لدى معتلة اللام، ولدن صحيح اللام، وقالوا فيها: لدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون؛ كأنهم استثقلوا ضم الدال، فسكنوا تخفيفاً، كما قالوا في عضُد: عضْد، ولما سكنت الدال والنون ساكنة كسروا النون لالتقاء الساكنين، وقالوا: لدن ـ بضم الدال وسكون اللام وكسر النون ـ وقد حذفوا النون من لدن تخفيفاً، فقالوا: من لد الصلاة، ولد الحائط، وليس حذف النون لالتقاء الساكنين، واعلم أن حكم لدن أن يخفض ما بعدها بالإضافة كسائر الظروف؛ لأن نونها من أصل الكلمة بمنزلة الدال من عند، كما قال تعالى: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ غير أن من العرب من ينصب بها غدوة خاصة، قال:

لــدن غُــدوةً حتــى ألاذ بخفّهــا
بقيـة منقُـوص مـن الظِّـلِّ قـالـص

وقال ذو الرمة:

لدن غُدوةً حتى إذا امتدت الضُّحى
وحثَّ القطينَ الشِّحشحانُ المكلَّفُ

يعني: الحادي والقطين، جمع قاطن، قال سيبويه في هذا الصدد: وقد نصبوا غدوة تشبيهاً بالمميز في نحو: عندي راقود خلا وجبة صوفاً، والمفعول في نحو: هذا ضارب زيداً، وقاتل بكراً، وقال بعضهم: تنصب غدوة بعد لدن على أنها خبر لكان المقدرة مع اسمها، والتقدير: لدن كان الوقت غدوة، وجاز رفعها على أنها فاعل لفعل محذوف، والتقدير: لدن كانت غدوة، أي: وجدت فكان هنا تامة، والغالب في لدن أن تجر بمن، نحو: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وإذا أضيفت إلى ياء المتكلم لزمتها نون الوقاية، نحو: «لدني» وهي تضاف إلى المفرد كما رأيت، وإلى الجملة نحو: انتظرتك من لدن طلعت الشمس إلى أن غربت.

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٣٣ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ نِسْوَةٌ ﴾: جماعة من النساء، وكن خمساً، والنسوة: اسم جمع لا واحد له من لفظه، بل من معناه، وهو: امرأة، وتأنيثها غير حقيقي، بل باعتبار الجماعة، ولذلك لم يلحق فعلها تاء التأنيث، والمشهور كسر نونها، ويجوز ضمها في لغة، وقد قرىء بها، وفي القاموس وشرحه ما يفهم منه أن النِسوة والنُسوة والنساء والنِسوان والنُّسُون والنسنين: جموع للمرأة من غير لفظها، وقال الزمخشري: «النسوة اسم مفرد لجمع المرأة، وتأنيثه غير حقيقي، ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث».

﴿ شَغَفَهَا ﴾: دخل حبها شغاف قلبه، وفي المصباح: «شغف الهوى قلبه شغْفاً من باب: نفع، والاسم الشَغَف ـ بفتحتين ـ بلغ شغافه بالفتح وهو غشاؤه، وشغفه المال: زُين له فأحبه، فهو مشغوف به». والشغاف: حجاب القلب، وقيل: جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب، قال النابغة:

وَقَدْ حالَ همٌّ دُوَن ذلكَ وَالِجٌ مكانَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأَصابِعُ

﴿ وَأَعْتَدَتْ ﴾: هيأت وأحضرت، واعتده له: هيأه، وهو عتيد: مُعَدّ حاضر، ومنه العتيدة: التي فيها الطيب والأدهان.

﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾ : ما يتكئن عليه من نمارق يستندن عليها على عادة المتكبرين في أكل الفواكه، حيث يتكىء آكلها على الوسائد، ويأكلها بالسكاكين، وقيل: سمي الطعام كالأترج والموز متكأ لحصول الاتكاء على الوسائد عند أكله، فهو مجاز مرسل علاقته المجاورة، أو استعارة تصريحية.

﴿ أَكۡبَرۡنَهُۥ ﴾ : أعظمنه وهبن حسنه الرائع وجماله الأخاذ الفاتن، واستولى عليهن الدهش، وقيل: أكبرن بمعنى حضن، والهاء للسكت يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت، وحقيقته: دخلت في الكبر؛ لأنها إذا حاضت تخرج من حدِّ الصغر إلى حدِّ الكبر، وكأن أبا الطيب رمق هذا التفسير، فقال متملحاً متغزلاً:

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذا الجمالَ بِبُرْقُعٍ
فإنْ لُحْتَ حَاضَتْ في الخُدُورِ العَوَاتِقُ

في إحدى روايات البيت التي نقلها أبو الفتح بن جني، ويقال: إن المرأة إذا اشتدت شهوتها سال دم حيضها، فمعنى البيت: استر جمالك عنهن، وإلا حضن، على أن الرواية التي اختارها أبو البقاء «ذابت».

﴿ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ : أي: حاشا، وسيأتي الحديث عنها في باب الفوائد.

○ الإعراب:

﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ الواو عاطفة؛ لتتساوق مجريات القصة، وقال نسوة فعل وفاعل، وفي المدينة صفة لنسوة ﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ ﴾ امرأة العزيز مبتدأ، وجملة تراود خبر، وفتاها مفعول به، وعن نفسه جار ومجرور متعلقان بتراود، وقد حرف تحقيق وشغفها فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وحباً تمييز محول عن الفاعل، وجملة قد شغفها حال من فاعل تراود، أو من مفعوله، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لا مرأة ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة نراها خبر إن، وفي ضلال متعلقان بنراها، ومبين صفة لضلال ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ

لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وسمعت فعل وفاعل مستتر، وبمكرهن متعلقان بسمعت، وجملة أرسلت لا محل لها، وإليهن متعلقان بأرسلت، وأعتدت عطف على أرسلت، ولهن متعلقان بأعتدت، ومتكأ مفعول به، وآتت عطف أيضاً، وكل واحدة مفعول آتت الأول، ومنهن صفة لواحدة، وسكيناً مفعول آتت الثاني، والسكين تذكر وتؤنث، قاله الكسائي والفراء، وقال الجوهري: والغالب عليها التذكير. ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ الواو عاطفة، وجملة اخرج مقول القول، وعليهن متعلقان بمحذوف حال، أي: مطلاً عليهن مستعلياً بدلّك الفاتن، وجمالك الآخذ ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ الفاء عاطفة، ولما ظرفية حينية، أو رابطة حرفية، ورأينه فعل وفاعل ومفعول به، وقطعن فعل وفاعل وأيديهن مفعول به، ولا نرى رأي القائلين بأن أكبرنه بمعنى حضن، والهاء للسكت إذ هو تظرف مصنوع لا يليق بالقرآن ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ وقلن فعل وفاعل، وحاش اسم للتنزيه في محل نصب مفعول مطلق، ولله متعلقان بمحذوف حال، وسيأتي مزيد بحث عن حاشا في باب الفوائد، وما نافية حجازية، وهذا اسمها وبشراً خبرها، وعبارة أبي حيان: «وقال الزمخشري: وقرىء ما هذا بشرًى، أي: حاصل بشرًى بمعنى هذا مشترى، وتقول: هذا لك بشرى، أي: بكراً، وقال: وإعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية، وبها ورد القرآن انتهى، وإنما قال القدمى لأن الكثير في لغة الحجاز إنما هو جر الخبر بالباء، فتقول ما زيد بقائم وعليه أكثر ما جاء في القرآن، وأما نصب الخبر، فمن لغة الحجاز القديمة، حتى أن النحويين لم يجدوا شاهداً على نصب الخبر في أشعار الحجازيين غير قول الشاعر:

وأنـا النّـذيـرُ بحـرة مسـودة ... يصلُ الجيوش إليكم قوادها

أبنـاؤهـا متكنفـون أبـاهُـم ... حنقُوا الصُّدور وما هُم أولادها

وقال الفراء وهو سامع لغة، حافظ، ثقة: لا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما غلب على أهل الحجاز النطق بالباء قال الزمخشري: اللغة

القدمى الحجازية، فالقرآن جاء باللغتين القدمى وغيرها». ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ إن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وملك خبر، وكريم صفة ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ فذلك الفاء الفصيحة، أي: إن شئتم معرفته فذلكن، واسم الإشارة مبتدأ، ولم تقل فهذا وهو حاضر، وسياق الكلام يتطلب ذلك رفعاً لمنزلته في الحسن، والذي خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الذي، ولم يجعل الذي خبر لاسم الإشارة؛ لأن لام البعد التي اقترن بها اقتضت بعده عنه، لما تقدم من تعظيم رتبته في الحسن والجمال، وفيه متعلقان بلمتنني، أي: من حبه، أو مراودته، وسيأتي تحقيق في المحذوف في باب البلاغة ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وراودته فعل وفاعل ومفعول به، وعن نفسه متعلقان براودته، فاستعصم: الفاء عاطفة، واستعصم فعل ماض زيدت فيه السين للمبالغة في الامتناع ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويفعل مضارع مجزوم، وهو فعل الشرط، وما مفعول به، وجملة آمره صلة، أي: الذي آمره به، ويصح كونها مصدرية، أي: أمري، والضمير في آمره عائد على الموصول، أي: ما آمر به، فحذف الجار كما حذف في أمرتك الخير، ومفعول آمر الأول محذوف، وكان التقدير: ما آمره به، وإن جعلت ما مصدرية جاز، فيعود الضمير على يوسف، أي: أمري إياه، ومعناه: موجب أمري، اللام واقعة في جواب القسم، وجواب الشرط محذوف على القاعدة في اجتماعها، دلَّ عليه جواب القسم المذكور، والتقدير: ليسجنن وليكونن، وفي يسجنن نون التوكيد الثقيلة، وفي يكونن نون التوكيد الخفيفة، واسم يكون مستتر تقديره: هو، ومن الصاغرين خبرها ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، وهو ما كان جواباً لمقدر، فقد قالت النسوة له بعد أن سمعن تقرير زليخا: ألا تطيع مولاتك؟ قال . . . .الخ، ورب منادى محذوف منه حرف النداء، والسجن مبتدأ،

وأحب خبر، وإلي للتبيين، وهي المبينة لفاعلية مجرورها بعد ما يفيد حباً أو بغضاً من فعل تعجب، أو اسم تفضيل، ومما متعلقان بأحب، وجملة يدعونني صلة، وهو فعل مضارع مبني على سكون الواو والنون الأولى نون النسوة، والثانية نون الوقاية، فالواو ليست ضميراً، بل هي لام الكلمة، وليس هو من الأفعال الخمسة التي ترفع بثبوت النون وتنصب وتجزم بحذفها، وأضاف العمل إليهن؛ لأنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن، وقيل: لأنهن لما قلن له: ألا تطيع مولاتك؟ صحّ إضافة الدعاء إليهن جميعاً، وإليه متعلقان بيدعونني ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ولا نافية، وتصرف فعل الشرط، والفاعل مستتر، تقديره: أنت، وعني متعلقان بتصرف، وكيدهن مفعول به، وأصب جواب الشرط، والفاعل مستتر، وتقديره: أنا، وإليهن جار ومجرور متعلقان بأصب، وأكن عطف على أصب، واسم أكن مستتر تقديره: أنا، ومن الجاهلين خبر أكن.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ فنّان متداخلان، الأول ظاهر، وهو التشبيه البليغ، فقد شبهن يوسف بالملك من دون ذكر الأداة، وهذا واضح كما قلنا، يجري على غرار التشبيهات المألوفة، المقصود منه إثبات الحسن؛ لأنه تعالى ركب في الطبائع أن لا شيء أحسن من المَلَك، وقد عاين ذلك قوم لوط في ضيف إبراهيم من الملائكة، كما ركب في الطباع أن لا شيء أقبح من الشيطان، وكذلك قوله في صفة جهنم: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ فكذلك قد تقرر أن لا شيء أحسن من الملك، فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهنه بالملك. ولكن الأسلوب القرآني شاء أن يتجاوز المألوف من تشبيهات العرب، لكل ما راعهم حسنه من البشر بالجن، فأدخل فيه فناً آخر لا يبدو للناظر للوهلة الأولى، وهو فن عرفوه بأنه سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة، تجاهلاً منه، ليخرج كلامه مخرج المدح، أو ليدل ـ كما هنا ـ على شدة الوله في الحب، وقد يقصد به الذم، أو التعجب، أو

التوبيخ، أو التقرير، ويسمى هذا الفن تجاهل العارف، وهو على قسمين: موجب ومنفي.

أ ـ الموجب:

وهو ما يكون فيه الاستفهام عن شيئين: أحدهما: واقع، والآخر: غير واقع، وللمتكلم أن ينطق بأحدهما، ويسكت عن الآخر لدلالة الحال عليه. ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ وهذا خارج مخرج التعجب، وسيأتي بحثه عند الكلام على هذه الآية في سورة «القمر». وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟﴾ وهذا خارج مخرج التوبيخ، وقد مرَّ ذكره في سورة هود، وقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ وهذا خارج مخرج التقرير، وجميعه موجب كما رأيت.

ب ـ المنفي:

وأما الآية التي نحن بصددها، فهي من القسم المنفي، فقد تجاوز التشبيه كما قلنا تشبيه العرب كل من راعهم حسنه من البشر بالجن إلى تشبيه يوسف حين كان حسنه بادي الروعة، متجاوزاً في ائتلاقه ووسامته المألوف المعهود من روائع الحسن، وله مع روعته البادية نور ورأوة، وطلاقة وتهلل، وعليه مسحة من سكينة، وإيماءة بالخير، واستهواء، لما فيه راحة النفس ولذتها، فكان كذلك تشبيهه بالملك الكريم.

التشبيه المصون عن الابتذال:

وما دام الكلام انجرَّ معنا إلى هذه النواحي التي تدق فيها الصنعة، وتعزب أسرارها إلا عن الملهمين؛ الذين تذوقوا أسرار القوم، فلا ندحة لنا عن الإشارة إلى أن هذا الفن إنما يلجأ إليه في التشبيه بنوع خاص، للخروج من التقليد، والارتفاع بالتشبيه إلى أبعد الآفاق، وصيانته من الابتذال، فلو لم تعرض الآية تشبيه يوسف بالملك بهذا الأسلوب المسبوق بالنفي المتوجب

للغرابة، لم يكن للتشبيه ذلك الوقع الحسن. ومن ذلك قول شاعر الخلود المتنبي:

لَمْ تَلْقَ هذا الوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنا   إلاَّ بِـوَجْـهٍ ليـسَ فيـه حَيَـاءُ

فقد أراد تشبيه الوجه بالشمس، ولكن هذا التشبيه شائع، يكاد لشيوعه يسف إلى حضيض الابتذال، فأراد صيانته بأن قدم له النفي متجاهلاً، فقال: لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك، ولكنها لو قاحتها تطلع عليك.

تجاهل العارف في الشعر:

هذا؛ ولتجاهل العارف وقع في النفوس كأخذة السحر، ونشوة الخمر، ولهذا قال السكاكي ـ رحمه الله ـ: «لا أحب تسميته بالتجاهل لوروده كثيراً في كلام الله تعالى» ثم أطلق عليه تسمية أخرى، وهي: «سوق المعلوم مساق غيره لنكتة» وقد طفحت أشعارنا به، ولم تقتصر على المديح أو الغزل، كما قلنا، بل تجاوزتهما إلى أية مبالغة في أي موضوع من الموضوعات؛ التي تعن للخواطر، فاستمع إلى قول زهير ابن أبي سُلْمى تر العجب العجاب، قال يهجو حصن بن حذيفة الفزاري:

وما أَدْري وسوفَ إخالُ أدري   أقـومٌ آلُ حِصْـنٍ أم نسـاءُ

فانظر كيف خطر بباله أن ينفي الدارية بحال الآل، ثم قبل أن يكمل ذلك خطر بباله الجزم بأنه سوف يدري، ثم قبل أن يكمل ذلك قال: إن حصول الدراية في المستقبل على سبيل التخيل والظن، فحكى حال النفس عند ترددها في شأنه.

ويطربني قول أبي العباس النامي:

أحقًّـا أن قـاتلتـي زرود   وأن عُهُـودَهـا تلـك العهـود
وقفت وقد فقدتُ الصَّبْرَحتَّى   تبيَّـن مـوقفـي أنِّـي الفقيـد
وشكـك فـيَّ عُـذَّالـي فقـالُـوا   لـرسـم الـدَّار أيَّكُمـا العميـد؟

وصيحة ابن الرومي صيحة الوهل حين يرى الوجنة الحمراء إلى جانب الصدغ الأدعج :

يــا وجنتيـه اللّتيـن مـن بهـج   في صـدغيه اللّـذَيْن من دعـج
ما حمرةٌ فيكما؟ أَمِنْ خجلٍ   أم صبغةُ الله؟ أم دمُ المهـج؟

وقد أطرفت ليلى بنت طريف الخارجية في رثاء أخيها :

أيا شَجَرَ الخابورِ مالَكَ مُورِقاً   كأنَّكَ لم تَجْزَعْ على ابنِ طريف

وأراد مهيار أن يشبه المحبوبة بالظبي وبالبدر وبغصن البان، فتجاوز المألوف المعتاد، وسما إلى سماء ما طاولتها سماء؛ إذ قال :

سلا ظبية الوادي وما الظَّبيُ مثلها
وإن كـان مصقـولَ التَّـرائـبِ أكحـلا
أأنت أمرت البدر أن يصدع الدُّجى
وعلّمـت غصـنَ البـانِ أن يتميَّـلا

ونختم هذا الباب المستطاب بقول البهاء زهير :

رعـى اللهُ ليلـةَ وصـلٍ خلـتْ   وما خالط الصّفو فيها الكدر
أتــت بغتـةً ومضـتْ سرعـة   وما قصرتْ بعد ذاك القصر
بغيـــر احتيـــالٍ ولا كلفـــةٍ   ولا مـــوعـــدٍ بيننـــا ينتظـــر
فقلـتُ وقـد كـاد عقلي يطيـرُ   سـروراً بنيـل المنـى والـوطـر
أيا قلبُ تعرف من قَـدْ أتاكَ؟   ويا عين تدريـن من قَـدْ حضر؟
ويـا قمـرَ الأفـق عُـدْ راجعـاً   فقد حلَّ في الدار عندي القمر
ويـــا ليلتـــي هكـــذا هكـــذا   وبـالله بـالله قـفْ يـا سحـر
فكـانـتْ كمـا أشتهـي ليلـة   وطابَ الحديثُ وطابَ السَّهر
خَلَـوْنـا ومـا بيننـا ثـالـثٌ   فـأصبـحَ عنـد النَّسيـم الخبـر

ويقول الشريف الرضي، وهو غاية الغايات :

بين الأظـاعن حاجـةٌ خلفتـها   أودعتُـهـا يـوم الفـراقِ مودعي
وأظنُّهـا لا بَـلْ يقينـي أنَّهــا   قلبي لأنّـي لم أجـدْ قلبـي معي

(٢) الحذف:

وفي قوله: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ والتقدير: في حبه؛ لأن الذوات لا يتعلق بها لوم، ودليل تقديره: في حبه قوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ في مراودته، ولعلها أولى بدليل قوله: ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ وإنما قلنا أولى؛ لأنه فعلها، بخلاف الحب فإنه أمر قهري، لا يُلام عليه إلا من حيث تعاطي أسبابه، أما المراودة فهي حاصلة باكتسابها، فهي قادرة على دفعها فيتأتى اللوم عليها بخلاف الحب، فإنه ليس فعلاً لها ولا تقدر على دفعه؛ لأن الحب المفرط قد يقهر صاحبه، ولا يطيق أن يدفعه، وحينئذ فلا يُلام عليه، وعلى كل حال فهو من أسبابه.

(٣) وفي قوله: ﴿مُتَّكَـًٔا﴾ تصوير لنوع من الطعام الذي إنما يقدم تفكهاً، وتبسطاً، وتجميلاً للمجلس، وتوفيراً لأسباب المتعة فيه، حتى إن الشأن فيه أن يكون الإقبال عليه في حالة من الراحة والاتكاء، والكلمة بعد هذا من الألفاظ الكثيرة؛ التي أبدع القرآن صياغتها، فتعلق بها العرب فيما بعد، ولولا ذلك لما اهتدوا إليها، ولخانتهم اللغة في هذا الباب عن تصوير ما يريدون. انظر حينما يصف القرآن دعوة امرأة العزيز للنسوة اللائي تحدثن منتقدات عن مراودتها ليوسف عن نفسه، إلى جلسة لطيفة رائعة في بيتها؛ لتطلعهن فيها على يوسف وجماله، فيعذرنها فيما أقدمت عليه، لقد قدمت لهن في ذلك المجلس طعاماً ولا شك، ولقد أوضح القرآن هذا، ولكنه لم يعبر عن ذلك بالطعام، فهذه الكلمة إنما تصور شهوة الجوع، وتنتقل بالفكر إلى «المطبخ» بكل ما فيه من ألوان الطعام، وروائحه، وأسبابه.

* الفوائـد:

(١) (حاشا) تكون على ثلاثة أوجه:

١ ـ فعلاً متعدياً متصرفاً، تقول: حاشيته بمعنى استثنيته، وإن سبقتها ما تكون نافية.

٢ ـ تنزيهية، نحو: حاش لله، فتكون اسماً مرادفاً للتنزيه منصوباً على المفعولية المطلقة، وقيل: هي فعل، وتثبت الألف، وتحذف.

٣ ـ أن تكون للاستثناء، فتكون حرفاً بمنزلة إلا، لكنها تجر المستثنى، وهناك تفاصيل أخرى يرجع إليها في المطولات.

(٢) المخالفة في نوني التوكيد:

جمهورٌ يرى أن نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة أصلان لتخالفهما في بعض أحكامهما، كإبدال الخفيفة ألفاً في نحو: ﴿وَلَيَكُونًا﴾ وحذفها في نحو قوله:

لا تهين الفقيرَ علَّكَ أن تركعَ يوماً والدَّهر قد رَفَعه

وكلاهما ممتنع في الثقيلة، هذا ما قاله سيبويه، وعورض بأن الفرع قد يختص لما ليس للأصل أحياناً، وقد قال سيبويه نفسه في أن المفتوحة أنها فرع المكسورة، ولها إذا خففت أحكام تخصُّها، وأما الكوفيون فيرون أن الخفيفة فرع الثقيلة.

وذكر الخليل بن أحمد: أن التوكيد بالثقيلة أشد من التوكيد بالخفيفة، يدل به: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا﴾ فإن امرأة العزيز كانت أشدّ حرصاً على سجنه من كينونته صاغراً.

٣ ـ لا يخلو اسم التفضيل المجرد من أل والإضافة غالباً من مشاركة المفضل عليه في المعنى لفظاً، أو تقديراً، والمراد بقولنا تقديراً: مشاركته بوجه ما، كقولهم في البغيضين: هذا أحب إلي من هذا، وفي الشرين هذا خير من هذا؛ وفي التنزيل: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا﴾ وتأويل ذلك هذا أقل بغضاً وأقل شراً، ومن غير الغالب: العسل أحلى من الخل، والصيف أحر من الشتاء.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ

أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا
تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا
طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي
تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ
ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن
فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ
إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ
إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ
فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾

☆ **اللغة:**

﴿ كَيۡدَهُنَّ ﴾: الكيد: يطلق على معان شتى، منها: المكر، والخبث، كالمكيدة والحيلة، وهو المراد هنا، ويطلق على الحرب، وإخراج الزند النار، والقيء، واجتهاد الغراب في صياحه، وكاد: قاء، وبنفسه جاد، والمرأة حاضت، وكاد يفعل كذا: قارب، وهمَّ.

○ **الإعراب:**

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّ ﴾ الفاء عاطفة، واستجاب فعل ماض، وله متعلقان به، وربه فاعل، فصرف عطف على فاستجاب، وعنه متعلقان بصرف، وكيدهن مفعول به ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ إن واسمها، وهو ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والسميع العليم خبران لإن، أو لهو، والجملة خبر إن ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ ثم حرف

عطف، وبدا فعل ماض، وفاعله مضمر يفسِّره ليسجننه، أي: بدا لهم أن يسجنوه. قال سيبويه: «وفاعل بدا لهم هو ليسجننه، أي: ظهر لهم أن يسجنوه» وقال المبرد: هذا غلط؛ لأن الفاعل لا يكون جملة، ولكن الفاعل ما دل عليه بدا، وهو المصدر، قال الشاعر:

وحقّ لمن أبو موسى أبوه		يوفّقه الذي نَصَبَ الجبالا

أي: وحق الحق، فحذف الفاعل لدلالة الفعل عليه، وعلى مذهب سيبويه فاعل حق هو يوفقه، أي: حق التوفيق، ولهم متعلقان ببدا، ومن بعد حال، وما مصدرية، وهي مع ما في حيزها مضافة لبعد، ورأوا فعل وفاعل والآيات مفعول به، ليسجننه اللام جواب قسم محذوف على تقدير القول المنصوب على الحال، أي: ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات قائلين: والله لنسجننه، فجملة القسم، وما بعده مقول القول، ويسجننه فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة فاعل، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة، ولكنها لم تباشر الفعل فأعرب، والهاء مفعول به، منصوب، وحتى حرف جر، وحين مجرور بحتى، والجار والمجرور متعلقان بيسجننه، أي: إلى أن ينقطع كلام الناس، وتسكن الإشاعات والأراجيف ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ ﴾ الواو عاطفة على محذوف، ودخل فعل ماض، ومعه ظرف مكان متعلق بدخل، والسجن مفعول به على السعة، وفتيان فاعل، أي: غلامان للملك: أحدهما: ساقيه، والآخر: صاحب طعامه، وكانا قد اتهما بأنهما حاولا أن يسمّا الملك، فأمر بهما إلى السجن، فأدخلا السجن ساعة دخول يوسف ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾ قال فعل، وأحدهما فاعل، والجملة استئناف بياني، وقد تقدم، وإن واسمها، وجملة أراني خبرها، والياء مفعول أراني الأول، وجملة أعصر خمراً في محل المفعول الثاني، وعبارة أبي حيان: «ورأى الحلمية جرت مجرى أفعال القلوب في جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متحدي المعنى، فأراني فيه ضمير الفاعل المستكن، وقد تعدى الفعل إلى الضمير المتصل، وهو رافع للضمير

المتصل، وكلاهما لمدلول واحد، ولا يجوز أن تقول: ضربني ولا أكرمني».
﴿ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ﴾ وقال الآخر فعل وفاعل، وإن واسمها، وجملة أراني خبرها، وجملة أحمل مفعول أراني الثاني، وفوق رأسي ظرف متعلق بأحمل، أو بمحذوف حال من خبزاً؛ لأنه كان في الأصل صفة له، فلما تقدم أعرب حالاً، وخبزاً مفعول به، وجملة تأكل الطير منه صفة لخبزاً ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فعل أمر، ونا مفعوله، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وبتأويله متعلقان بنبئنا، وإن واسمها، وجملة نراك خبرها، ومن المحسنين متعلقان بنراك ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ لا نافية، ويأتيكما طعام فعل مضارع ومفعول به وفاعل، وجملة ترزقانه صفة لطعام، وإلا أداة حصر، ونبأتكما فعل وفاعل ومفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، وقبل ظرف متعلق بنبأتكما، وإن وما في حيزها مضافة لظرف، وجملة إلا نبأتكما نعت لطعام، أو حال منه؛ لأنه وصف ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ومما خبر، وجملة علمني صلة، وعلمني ربي فعل ومفعول به وفاعل ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ إن واسمها، وجملة تركت خبرها، وملة قوم مفعول به، وجملة لا يؤمنون صفة لقوم، وبالله متعلق بيؤمنون، وهم مبتدأ، وبالآخرة متعلقان بكافرون، وهم تأكيد لهم، وكافرون خبر هم، وجملة إني تركت ابتدائية، أو تعليلية، وفي كلا الحالين لا محل لها من الإعراب ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ واتبعت عطف على تركت، والتاء فاعله، وملة آبائي مفعول به، وإبراهيم بدل من آبائي، وإسحق ويعقوب عطف على إبراهيم ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولنا خبرها المقدم، وإن وما في حيزها اسمها المقدم، وبالله متعلقان بنشرك، ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً ﴿ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ذلك مبتدأ، ومن فضل الله خبر، وعلينا متعلقان بفضل، وعلى الناس معطوف على علينا ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ الواو عاطفة،

ولكن واسمها، وجملة لا يشكرون خبرها ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ يا حرف نداء، وصاحبي السجن منادى مضاف، وعلامة نصبه الياء، والسجن مضاف إليه، ويجوز أن تكون هذه الإضافة من باب: الإضافة للظرف؛ إذ الأصل يا صاحبي في السجن، ويجوز أن تكون من باب: الإضافة إلى الشبيه بالمفعول به، والمعنى: يا ساكني السجن، وسيأتي مزيد بحث عن معنى الإضافة في باب الفوائد، أأرباب: الهمزة للاستفهام التقريري، وأرباب مبتدأ، ومتفرقون صفة، وخير خبر، وأم حرف عطف، وهي هنا متصلة، والله عطف على أرباب، والواحد صفة، القهار صفة ثانية ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ ما نافية، وتعبدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، ومن دونه حال، وإلا أداة حصر، وأسماء مفعول به، وجملة سميتموها صفة، والتاء فاعل، وأنتم تأكيد للتاء، وآباؤكم عطف على التاء، قال صاحب الخلاصة:

وَإِنْ على ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلْ عَطَفْت فَافْصِلْ بالضَّمِيرِ المُنْفَصِلْ

﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ ما نافية، وأنزل الله فعل وفاعل، وبها متعلقان بأنزل، ومن حرف جر زائد، وسلطان مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً، والجملة نعت أو حال؛ لأن أسماء وصفت ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ إن نافية، والحكم مبتدأ، وإلا أداة حصر، ولله خبر الحكم، وجملة أمر مستأنفة، أو حالية، والأول أضبط، وأن مصدرية، ولا نافية، وتعبدوا فعل مضارع منصوب بأن، وأن وما بعدها منصوب بنزع الخافض، وهو متعلق بأمر، أي: أمركم بأن لا تعبدوا، ويجوز أن تكون مفسرة، ولا ناهية، وتعبدوا مجزوم بلا، وإلا أداة حصر، وإياه مفعول تعبدوا ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك مبتدأ، والدين خبر، والقيم صفة ولكن الواو استئنافية، أو حالية، ولكن واسمها، وجملة لا يعلمون خبرها ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ يا صاحبي

السجن تقدم إعرابها، وأما حرف شرط وتفصيل، وأحدكما مبتدأ، والفاء رابطة، وجملة يسقي خبر أحدكما، وربه مفعول به أول، وخمراً مفعول به ثان، وإنما أبهم الساقي لكونه مفهوماً، أو لكراهة التصريح للخباز بأنه الذي سيصلب ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ وأما الآخر عطف على أما الأولى، والآخر مبتدأ، والفاء رابطة، وجملة يصلب خبر، فتأكل الطير: الفاء عاطفة، وتأكل عطف على يصلب، والطير فاعل تأكل، ومن رأسه متعلقان بتأكل ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ قضي الأمر فعل ماض مبني للمجهول، والأمر نائب فاعل، والذي صفة للأمر، وفيه متعلقان بتستفتيان.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ مجاز مرسل، علاقته ما يكون وما يؤول إليه، فقد سمى العنب خمراً؛ لأنه يؤول إلى الخمر، ويقال: فلان يطبخ الآجر، أي: يطبخ اللبن حتى يصير آجراً، وقيل: الخمر هو العنب حقيقة في لغة غسان وأزد وعمان، وعن المعتمر: لقيت أعرابياً حاملاً عنباً في وعاء، فقلت: ما تحمل؟ فقال: خمراً، وعلى هذا يكون الكلام حقيقياً لا مجازياً، والأول أرجح.

* الفوائد:

معنى الإضافة:

تكون الإضافة على معنى اللام بأكثرية؛ لأنها الأصل، وعلى معنى من بكثرة، ومن ذلك: إضافة العدد إلى المعدودات، والمقادير إلى المقدورات، كثلاثة الأثواب، ومئة درهم، ومن ذلك إضافة عدد إلى آخر نحو: ثلاثمئة، وعلى معنى «في» بقلّة، وضابط الإضافة التي تكون بمعنى في أن يكون الثاني ظرفاً للأول، وهو المضاف، سواء أكان زماناً أم مكاناً، فالزمان نحو: ﴿مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ﴾ و﴿تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ﴾ والمكان نحو: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾

فالليل ظرف للمكر، والسجن ظرف للصاحبين، والتقدير: مكر في الليل، وصاحبين في السجن. وضابط الإضافة التي تكون بمعنى من أن يكون الأول، وهو المضاف بعض الثاني، وهو المضاف إليه، كخاتم فضة. ألا ترى أن الخاتم بعض جنس الفضة المضاف إليها؟! وأن يصح الإخبار بالمضاف إليه عن المضاف، فإنه يقال: هذا الخاتم فضة. هذا؛ وذهب الجمهورُ إلى أن الإضافة قسمان فقط: بمعنى اللام، وبمعنى من، ولا ثالث لهما، وما أوهم معنى «في» فهو على معنى اللام مجازاً، وجعل الليل ماكراً والسجن صاحباً؛ لوقوع المكر والصحبة فيهما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾: البضع: ما بين الثلاث إلى التسع، وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين، قال أحد علماء اللغة: والبضع ـ بالكسر والفتح ـ: ما بين واحد إلى خمسة، في قول أبي عبيدة، وقال غيره: ما بين واحد إلى

عشرة. والبَضْع ـ بالفتح ـ: الشق، والبُضْع ـ بالضم ـ: النكاح. قال بعضهم:

شـــقّ وري وجمـــاع بَضْـــعُ ... مـــا بين واحـــد وعشر بِضْـــعُ

وفي الأساس: «وعندي بضعة عشر من الرجال، وبضع عشرة من النساء، الذكور بالتاء والإناث بطرحها، على سنن حكم العدد. وأقمت عنده بضع سنين، وهو ما بين الثلاث إلى العشر» وفي القاموس والتاج: «البِضع والبَضع: الطائفة من الليل، وما بين الثلاث إلى التسع، يقال: بضع سنين، وبضع عشرة من النساء، وبضع وعشرون امرأة، ومع المذكر بضعة عشر من الرجال، وبضعة وعشرون رجلاً، ويجب تقديم بضع، فلا يقال: عشرون وبضع» وقال الحريري في «درّة الغواص»: «البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر، وأسند ذلك إلى النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل الكتاب، والمشركون يميلون إلى أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان، فلما بشر الله المسلمين بأن الروم سيغلبون سرّ المسلمون. ثم إن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ أخبر مشركي قريش بما نزل عليهم، فقال أمية بن خلف: خاطرني على ذلك، فخاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين، ثم أتى النبي ﷺ، فسأله عن البضع، فقال: ما بين الثلاثة إلى العشرة، فأخبره بخطاره مع ابن خلف، فقال له: «ما حملك على تقريب المدة»؟ قال: الثقة بالله ورسوله فقال له: «عد إليهم، فزدهم في الخطر، وازدد في الأجل» فزادهم قلوصين، وزادوه سنتين، فظفرت الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقاً لتقدير أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

﴿سِمَانٍ﴾: جمع سمينة، ويجمع سمين أيضاً عليه، يقال: رجال سمان، كما يقال: نساء سمان، والسمن مصدر سمن يسمن، فهو سمين، فالمصدر والاسم جاءا على غير قياس إذ قياسهما سمناً ـ بالفتح ـ فهو سمن، نحو: فرح فرحاً فهو فرحُ. وفي المصباح: «سمن يسمن، من باب: تعب، وفي لغة

من باب: قَرُب؛ إذا كثر لحمه وشحمه، ويتعدى بالهمزة وبالتضعيف» ومن المجاز: كلام غثّ وسمين، وقد أسمنتُ القدر، ودار سمينة: كثيرة الأهل، وسمّنوا لفلان: أعطوه عطاء كثيراً، وسمّنت في الحمد: أعطيت فيه الكثير، قال ابن مقبل:

تركتُ الخَنَا لَسْتُ مِن أَهْلِهِ		وسَمَّنْتُ في الحَمْدِ حتَّى سَمِنْ

وسُمع أعرابي يقول لآخر: جعلتُ لك الدار بغير ثمن؛ ليكون أسمن لحظي عندك، وانقلب بلدهم سمنة وعسلة؛ إذا كثرتا فيه، وفي مثل: «سمنكم هُريق في أديمكم» أي: مالكم ينفق عليكم.

﴿عِجَافٌ﴾: جمع عجفاء على غير قياس، والعجف: الهزال الذي ليس بعده، والسبب في وقوع عجاف جمعاً لعجفاء، وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان؛ لأنه نقيضه، ومن دأبهم حمل النظير على النظير، والنقيض على النقيض، والقياس عجف، نحو: حمراء وحمر.

﴿رُءْيَىَ﴾: فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية، فقالوا: الرؤيا مصدر رأى الحُلْمِيّة، والرؤية مصدر رأى العينية، وغلطوا أبا الطيب في قوله:

مَضَى الليلُ والفَضْلُ الذي لَكَ لم يَمْضِ
وَرُؤْياكَ أَحْلَى في العُيُونِ مِنَ الغمْضِ

وقال أبو البقاء في شرحه لديوان المتنبي: «والرؤيا تستعمل في المنام خاصة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ و﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ و﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ و﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ وهذا كله في المنام، ولو قال «لقياك» لكان أحسن إلا أنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ فإنه لم يرد بها رؤيا المنام، وإنما أريد اليقظة، وكان ذلك ليلاً في ليلة الإسراء».

وقال أبو الفتح بن جني: «الرؤيا في المنام، وأما في العين فلا أعرفها، وإن جاءت فهي شاذة».

وقال ابن هشام في «أوضح المسالك»: «ولا تختص الرؤيا بمصدر الحُلْمِيَّة، بل قد تقع مصدراً للبصرية، خلافاً للحريري وابن مالك بدليل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: هي رؤيا عين، ولكن المشهور استعمالها في الحُلْمِيَّة.

واقتصر صاحب «القاموس» على أن الرؤيا في الحلم قال: «والرؤيا: ما رأيته في منامك» وجمعه: رؤى، كهدى.

﴿تَعْبُرُونَ﴾: من باب نصر ينصر، ويستعمل أيضاً بالتشديد، كعلّم تعليماً، وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها، وآخر أمرها كما تقول: عبرت النهر؛ إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه، وهو عبره، أو نحوه. أولت الرؤيا: إذا ذكرت مآلها، وهو مرجعها، وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات، ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد، والتعبير، والمعبر، وقد عثر على بيت أنشده المبرد في كتاب «الكامل» لبعض الأعراب:

رأيت رُؤْيا ثمَّ عَبَّرتها وكنت للأحلامِ عَبَّارا

وفي «القاموس»: العبَّار مبالغة العابر ومفسِّر الأحلام، وجمل عَبَّار قوي على السير، وشاع العبر اليوم بالفتح والكسر، وهو من الوادي شاطئه وناحيته، أما العُبر ـ بالضم ـ: فهو الكثير من كل شيء، والعبارة ـ بالكسر ـ: مصدر، والاسم من عبرّ، والألفاظ الدالة على معنى، ويقال: فلان حسن العبارة، أي: البيان، وهذا عبارة عن كذا، أي: بمعناه، ومساوٍ له في الدلالة.

﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ تخاليطها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفس، أو وسوسة شيطان. وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحُزم، الواحد ضغث، فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى من، أي:

أضغاث من أحلام وفي المثل «ضغث على إبالة» الإبّالة ـ بكسر الهمزة وتشديد الباء ـ: الحزمة من الحشيش والحطب. والضغث: قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس، ومعنى المثل: بلية على أخرى، ويضرب أيضاً مثلاً للرجل يُحمِّل صاحبه المكروه، ثم يريده منه.

﴿ وَٱدَّكَرَ ﴾: ـ بالدال ـ وهو الفصيح، ويجوز: واذّكر ـ بالذال المعجمة: وأصلها: اذتكر، افتعل، من الذكر، فوقعت تاء الافتعال بعد الذال، فأبدلت دالاً، فاجتمع متقاربان، فأبدل الأول من جنس الثاني، وأدغم.

﴿ أُمَّةٍ ﴾: ـ بضم الهمزة، وتشديد الميم، وتاء منونة ـ وهي المدة الطويلة. والأمة: معروفة، والإمة بكسر الهمزة: النعمة، وقرىء بها أيضاً، قال عدي:

ثم بعد الفلاحِ والملكِ والإمـ ـــة وارتهـــمُ هنـــاكَ القُبُـــور

○ الإعـراب:

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ وقال عطف على ما قبله، وفاعله يوسف، وللذي متعلقان به، وجملة ظن صلة، وفاعل ظن يوسف أيضاً، وأن وما في حيزها سدَّت مسد مفعولي ظن، وأن واسمها، وناج خبرها، ومنهما حال، أي: حال كون الناجي من جملة الاثنين، وهو الساقي، وجملة اذكرني مقول القول، وعند ربك ظرف متعلق بمحذوف حال ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ فأنساه الشيطان: الفاء عاطفة، وأنساه فعل ومفعول به، والضمير يعود إلى الساقي والشيطان فاعل، والمعنى: فأنساه الشيطان أن يذكر يوسف عند الملك، وقيل: فأنسي يوسف ذكر ربه حين وكل أمره إلى غيره. ذهب كثير من المفسرين إلى أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذي نجا من الغلامين، وهو الشرابي، وقد رجح هذا بكون الشيطان لا سبيل له على الأنبياء، وأجيب بأن النسيان وقع من يوسف، ونسبته إلى الشيطان على طريق المجاز، والأنبياء غير معصومين عن النسيان إلا فيما يخبرون به عن الله سبحانه. وقد صح عن

رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكِّروني» ورجّح أيضاً بأن النسيان ليس بذنب، فلو كان الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو يوسف، لم يستحق العقوبة على ذلك بلبثه في السجن بضع سنين، وأجيب بأن النسيان هو: الترك، وأنه عوقب بسبب استعانته بغير الله سبحانه، ويؤيد رجوع الضمير إلى يوسف ما بعده من قوله: فلبث في السجن بضع سنين، ويؤيد رجوعه إلى الذي نجا من الغلامين قوله فيما سيأتي: وقال الذي نجا منهما، وادكر بعد أمة. وذكر مفعول به ثان، فلبث: الفاء عاطفة، ولبث فعل وفاعل مستتر، وفي السجن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وبضع سنين نصب على الظرفية متعلق بلبث ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ إن واسمها، وجملة أرى خبرها، وسبع بقرات مفعول به، وسمان صفة لبقرات، وسيأتي في باب الفوائد لماذا وصفت البقرات دون سبع، ويأكلهن سبع فعل مضارع ومفعول به وفاعل، وعجاف صفة لسبع، وجملة يأكلهن في محل نصب مفعول ثان لأرى، وعبر بالمضارع لاستحضار الصورة ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ وسبع عطف على سبع الأولى، وسنبلات مضاف إليه، وخضر صفة لسنبلات، وأخر عطف على سبع، وسيأتي القول في منعها من الصرف في باب الفوائد، ويابسات صفة لأخر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أفتوني فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والياء مفعول به، وفي رؤياي متعلقان بأفتوني، وإن شرطية، وكنتم: كان واسمها، وهي في محل جزم فعل الشرط، وجملة تعبرون خبر كنتم، والجواب محذوف دل عليه ما قبله، أي: فأفتوني في رؤياي، وقوله للرؤيا الجار والمجرور فيه أوجه: أحدها: أن اللام للبيان كقوله: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ فهي ومجرورها في محل نصب حال، وإما أن تكون للتقوية؛ لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه، مثله إذا تأخر عنه فعضد بها، كما يعضد بها اسم الفاعل إذا قلت: عابر للرؤيا؛ لانحطاطه عن الفعل في القوة، فهي في حكم المزيدة، فلا تعلق بشيء، وإنما زيدت لمجرد التقوية، ويجوز أن

تكون خبر كنتم، كما تقول: كان فلان لهذا الأمر إذا كان مضطلعاً به، متمكناً منه، وعندئذ تكون جملة تعبرون خبراً ثانياً لكنتم. قال المبرد في «الكامل»: وهذه اللام تزاد في المفعول على معنى زيادتها في الإضافة، تقول: هذا ضارب زيداً، وهذا ضارب لزيد؛ لأنها لا تغير معنى الإضافة إذا قلت هذا ضارب زيد وضارب له، وفي القرآن: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وكذلك: ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ قالوا فعل وفاعل، وأضغاث أحلام خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذه أضغاث أحلام، وتخاليط أوهام، والجملة مقول القول، سيأتي سرُّ جمعها في باب البلاغة. وما الواو عاطفة، وما نافية حجازية، ونحن اسمها، وبتأويل متعلقان بعالمين، والباء حرف جر زائد، وعالمين مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ الواو عاطفة، وقال الذي فعل وفاعل، وجملة نجا صلة، ومنهما حال، وادكر عطف على نجا، وبعد أمة متعلقان بادكر، ويجوز أن تكون الواو حالية، وجملة نجا حالية من الموصول، أو من عائده، أي: فاعل نجا ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ أنا مبتدأ، وجملة أنبئكم خبر، والكاف مفعوله، وبتأويله متعلقان بأنبئكم، فأرسلون الفاء الفصيحة، وأرسلوني فعل أمر وفاعل ومفعول به، أي: إن شئتم تعبير الرؤيا فأرسلوني ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ لا بد من تقدير محذوف، أي: فأرسلوه، فأتى يوسفَ في السجن، فقال، ويوسف منادى محذوف منه حرف النداء، وأيها منصوب محلاً على الاختصاص؛ لأنه مبني على الضم، والصديق بدل منه، أو عطف بيان له تابع له على اللفظ، وسيأتي بحث الاختصاص في باب الفوائد، وأفتنا فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ونا مفعول به، وفي سبع جار ومجرور متعلقان بأفتنا، وبقرات مضاف إليه، وجملة يأكلهن سبع عجاف صفة لبقرات، وما بعده عطف عليه ﴿ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لعل واسمها، وجملة أرجع خبرها، وإلى الناس متعلقان بأرجع، ولعلهم يعلمون مثلها ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾

جملة تزرعون مقول القول، وسبع سنين ظرف متعلق بتزرعون، ودأباً حال من المأمورين، أي: دائبين، أو مصدر لفعل محذوف، أي: تدأبون دأباً ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ الفاء عاطفة، وما: يجوز أن تكون شرطية، أو موصولة، وهي في محل نصب مفعول مقدم لحصدتم على الحالين، وحصدتم فعل وفاعل، فذروه: الفاء واقعة في جواب الشرط، أو الموصول لما فيه من رائحة الشرط، وذروه فعل وفاعل ومفعول به، وفي سنبله متعلقان بذروه، وإلا أداة استثناء، وقليلاً مستثنى واجب النصب، ومما صفة لقليلاً، وجملة تأكلون صلة ﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، يأتي فعل مضارع، ومن بعد ذلك حال، وسبع فاعل يأتي، وشداد صفة لسبع ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ جملة يأكلن صفة ثانية لسبع، والنون فاعل، وما مفعول به، وجملة قدمتم صلة ما، ولهن متعلقان بقدمتم، وإلا أداة استثناء، وقليلاً مستثنى، ومما صفة لقليلاً، وجملة تحصنون صلة ﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ عطف أيضاً، وجملة فيه يغاث الناس صفة لعام، ويعصرون عطف على يغاث، أي: يعصرون الأعناب وغيرها.

□ البلاغة:

(١) المبالغة:

فقد جمعوا لفظ الضغث، فقالوا: أضغاث أحلام، وجعلوه خبراً للرؤيا مع أنها واحدة للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان، أو لانطوائه على أشياء متباينة، ولفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل أيضاً على المبالغة في الاتصاف، كما في قولهم: فلان يركب الخيل، ويلبس العمائم، لمن لا يملك إلا فرساً واحدة، وعمامة فردة.

(٢) نفي الشيء بإيجابه:

وقد تقدمت الإشارة إليه، ونزيده هنا بسطاً؛ لأنه من محاسن الكلام، فإذا

تأملته وجدت باطنه نفياً، وظاهره إيجاباً، قال امرؤ القيس:

على لاَحِبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إذا سافَهُ العَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرْجَرَا

فقوله: لا يهتدى بمناره، لم يردْ أن له مناراً لا يهتدى به، ولكن أراد أنه لا منار له على الإطلاق فضلاً عن الاهتداء به، وكذلك قول زهير ابن أبي سلمى:

بأرض خَلاء لا يُسَدُّ وصيدُها
عليّ ومعروفي بها غيرُ منكر

فأثبت لها في اللفظ: وصيداً، وإنما أراد ليس لها وصيد فيسدّ علي، ويتصل بهذا قول الزبير بن عبد المطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبد الدار، وكان نديماً له وصاحباً:

صَبَحتُ بهم طلقاً يُراحُ إلى النَّدى
إذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره
ضَعيفاً يحثُّ الكأسَ قبض بنانه
كليلاً على وجهِ النَّديم أظافره

فظاهر كلامه أنه يخمش وجه النديم، إلا أن أظفاره كليلة، وإنما أراد في الحقيقة: أنه لا يظفِّر وجه النديم، ولا يفعل شيئاً من ذلك، وكذلك قوله: لم تحتضره مفاقره، أي: ليس له مفاقر فتحتضره، وسيأتي ما هو أبلغ من ذلك في حينه، وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي: لا يسألون البتة، وفي الآية التي نحن بصددها أراد الباريء تعالى نفي الأحلام الباطلة خاصة، كأنهم قالوا: ولا تأويل للأحلام الباطلة، فنكون به عالمين. ويزداد الحسن اكتمالاً بالمواءمة فقد قال الملك لهم أولاً: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ للتدليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها؛ لأنه أتى بكلمة «إن» التي تفيد التشكيك رجاء اعترافهم بالقصور، مطابقاً لشك الملك؛ الذي أخرجه مخرج الاستفهام عن كونهم عالمين بالرؤيا أو لا، وقول الفتى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم

بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ دليل على ذلك أيضاً، فسبحان قائل هذا الكلام.

* الفوائـد:

١ ـ أوقع سبحانه قوله «سمان» صفة للمميَّز، وهو بقرات، دون المميِّز، وهو سبع، والفرق بين الأمرين، وكلاهما جائز في قواعد النحو، أنك لو أوقعتها صفة لبقرات، فقد أردت أن تميز السبع بنوع من البقرات، وهي السمان منهن خاصة لا بجنسهن، ولو أوقعتها صفة لسبع، فقد أردت أن تميز السبع بجنس البقرات، لا بنوع خاص منها، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن.

٢ ـ دلت كلمة أخر على أن السنبلات اليابسات كانت سبعاً كالخضر دون التصريح بالعدد ذلك؛ لأن الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر، فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع، ويكون قوله: ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ بمعنى: وسبعاً أخر.

(٣) أُخر:

صفة معدولة عن وزن آخر، ولعدل الصفة موضعان:

آ ـ الأعداد على وزن «فُعال ومفعل» كأحاد ومَوْحَد، وثناء ومثنى، وثلاث ومثلث، ورباع ومربع، وهي معدولة عن واحد واحد، واثنين اثنين... الخ فإذا قلت: جاء القوم مثنى، فالمعنى: أنهم جاؤوا اثنين اثنين. وقد قالوا: إن العدل في الأعداد مسموع عن العرب إلى الأربعة، غير أن النحويين قاسوا ذلك إلى العشرة، والحق أنه مسموع في الواحد والعشرة وما بينهما، قال أبو الطيب:

أُحَـادٌ أَمْ سُـداسٌ فـي أُحَـادِ لُيَيْلَتُنَـا المَنُـوطَـةُ بـالتَّـنَـادِ

ب ـ أخر في قولك: مررت بنساء أخر، وقال تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ

﴿أُخَرَ﴾ وهي جمع أخرى مؤنث آخر، وآخر ـ بفتح الخاء ـ: اسم تفضيل على وزن أفعل بمعنى مغاير، وكان القياس أن يقال: مررت بنساء آخر، كما يقال: مررت بنساء أفضل؛ لأن اسم التفضيل إذا كان مجرداً من أل، والإضافة لا يؤنث، ولا يثنى، ولا يجمع.

(٤) الاختصاص:

هو نصب الاسم بفعل محذوف وجوباً، تقديره: أخص، أو أعني، ولا يكون هذا الاسم إلا بعد ضمير لبيان المراد منه، نحو: نحن العرب نكرم الضيف، فنحن مبتدأ، وجملة نكرم الضيف خبر، والعرب منصوب على الاختصاص بفعل محذوف تقديره: أخص، وجملة الفعل المحذوف معترضة بين المبتدأ وخبره، وليس المراد الإخبار عن نحن بالعرب، بل المراد أن إكرام الضيف مختص بالعرب، ومقصور عليهم، ومنه قول أبي عبادة البحتري:

نحنُ أبناءُ يعربٍ، أعربُ النَّا		س لساناً وأنْضَرُ النَّاسِ عُودا

وقد يكون الاختصاص بلفظ أيها وأيتها، فيستعملان كما يستعملان في النداء، فيبنيان على الضمّ، ويكونان في محل نصب بأخص محذوفاً وجوباً، ويكون ما بعدهما اسماً محلًّى بأل لازم الرفع على أنه صفة، أو بدل للفظهما، ولا يجوز نصبه على أنه تابع لمحلهما، كما في الآية الكريمة.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٢ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ

لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾

☆ **اللغة:**

﴿خَطْبُكُنَّ﴾ : شأنكن، وهو في الأصل مصدر خطب يخطب، وإنما يخطب في الأمور العظام. وفي المختار: «الخطب: الأمر، تقول: ما خطبك؟ قال الأزهري: أي: ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير، وجمعه خُطوب» وفي القاموس والتاج: الخطب مصدر، وهو الشأن، يقال: ما خطبك؟ أي: ما شأنك؟ وما الذي حملك عليه؟ وغلب استعماله للأمر المكروه العظيم.

﴿حَصْحَصَ﴾ : أي: ثبت واستقر، وقال الخليل: حصحص معناه تبيَّن، وظهر بعد خفاء، وقال بعضهم: هو مأخوذ من الحصة، والمعنى: بانت حصة الحق من حصة الباطل، كما تتميز حصص الأراضي وغيرها. وقال الراغب: حصحص الحق، وذلك بانكشاف ما يغمره، وحص وحصحص نحو: كفّ وكفكف، وحصه: قطعه إما بالمباشرة وإما بالحكم. والحصة: القطعة من الجملة، وتستعمل استعمال النصيب. وفي الصحاح: هو من حصحص البعير؛ إذا ألقى ثفناته للإناخة، قال:

فحَصْحَصَ في صمِّ الصّفا ثَفِنَاتِهِ وناءَ بسلمى نوءةً ثم صَمَّما

والثَّفِنات: هي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ، وغلظ كالركبتين وغيرهما. وقيل: هو من الحص، وهو: ذهاب الشعر، فتبين ما تحته. والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة، وإذا اجتمع الأمثال في مثل هذا أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفاً من الجنس السابق، ومثله: حثحثت ورقرقت، أصلهما: حثثت ورققت، هذا قول الكوفيين، وقال البصريون: هما لغتان تقاربتا، إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله، أو من مقاربه في المخرج، وهذه الحروف متباعدة لا يصحُّ إبدالها.

○ الإعراب:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ ﴾ معطوف على محذوف، أي: لما جاءه الرسول، وأخبره بتأويلها، فقال الملك، وجملة ائتوني به مقول القول، فلما: الفاء عاطفة، ولما حينية ظرفية، أو رابطة، وجاءه الرسول فعل ومفعول به مقدم وفاعل ﴿ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ مهّد لتأويل الحلم بسؤال النسوة ليظهر براءة ساحته، مما قرف به، وسجن من أجله. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره، والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني». وارجع: فعل أمر، وفاعله أنت، وإلى ربك جار ومجرور متعلقان بارجع، فاسأله معطوف على ارجع، والهاء مفعول به، وما اسم استفهام مبتدأ، وبال خبر، والجملة في محل نصب مفعول اسأله المعلقة عن العمل بالاستفهام، والنسوة مضاف لبال، واللاتي موصول صفة، وجملة قطعن أيديهن صلة ﴿ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ إن واسمها، وبكيدهن متعلقان بعليم، وعليم خبر إن ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، وخطبكن خبر، وإذ ظرف متعلق بخطبكن؛ لأنه في معنى الفعل، والمعنى: ما فعلتن وما أردتن به في ذلك الوقت، وجملة راودتن في محل جر بإضافة الظرف إليها، وراودتن فعل وفاعل، ويوسف مفعول به، وعن نفسه متعلقان براودتن ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ حاش تقدم القول فيها، أي: تنزيهاً له عن أن يتصف بالعجز عن خلق بشر عفيف مثل هذا، ولله بيان، وما نافية، وعلمنا فعل وفاعل، وعليه متعلقان بعلمنا، ومن حرف جر زائد، وسوء مجرور لفظاً بمن منصوب محلاً على أنه مفعول علمنا ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ قالت امرأة العزيز فعل وفاعل، والآن ظرف زمان متعلق بحصحص، والحق فاعل حصحص ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أنا مبتدأ، وجملة راودته خبر، وهي فعل وفاعل ومفعول به، وعن نفسه متعلقان براودته، والواو

حرف عطف، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومن الصادقين خبر إنه ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ اختلف المفسرون في قائل هذا الكلام، ومن الصعب البت في الأمر، أو الترجيح، فلننقل القولين، قال بعضهم: من كلام يوسف، أي: ذلك التشمر والتثبت لظهور البراءة، وليعلم العزيز أني لم أخنه، قال الفراء: ولا يبعد وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر إذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما إلى ما يليق به، والإشارة إلى الحادثة الواقعة منه، وهي تثبُّته وتأنِّيه. وقال آخرون هو من كلام زليخا، والمعنى: ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه، ومهما يكن من أمر فذلك مبتدأ، وليعلم اللام للتعليل، ويعلم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور خبر، ويجوز أن يراد هذا الكلام لعموم الأحوال، فذلك عندئذ خبر لمبتدأ محذوف، أي: فالأمر ذلك، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سدَّ مسد مفعولي يعلم، وجملة «لم أخنه» خبر أني، وبالغيب في محل نصب حال من الفاعل أو المفعول، ويجوز أن يكون ظرفاً، أي: بمكان الغيب فيعلق بأخنه، وأن الله عطف على أني، وجملة لا يهدي خبر أن، وكيد الخائنين مفعول به ﴿۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ﴾ الواو حالية، وما نافية، وأبرىء نفسي فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإن النفس: إن واسمها، واللام المزحلقة، وأمارة بالسوء خبرها، وإلا أداة استثناء، وما يجوز أن تكون مصدرية، وموضعها النصب، والتقدير: إن النفس لأمارة بالسوء إلا مدة رحمة ربي، وانتصابه على الظرف، ويجوز أن تكون ما بمعنى من، والتقدير: إن النفس لتأمر بالسوء إلا لمن رحم ربي، أو إلا نفساً رحمها ربي فإنها لا تأمر بالسوء. وعبارة أبي حيان: «والظاهر أن إلا ما رحم ربي استثناء متصل من قوله لأمارة بالسوء؛ لأنه أراد الجنس بقوله: إن النفس، فكأنه قال: إلا النفس التي رحمها ربي، فلا تأمر بالسوء، فيكون استثناء من الضمير المستكن في أمارة، ويجوز أن يكون مستثنى من مفعول أمارة المحذوف، إذ التقدير: لأمارة بالسوء صاحبها إلا الذي رحمه ربي، فلا تأمره بالسوء، وجوزوا أن يكون مستثنى من ظرف الزمان المفهوم عمومه من

ما قبل الاستثناء، وما ظرفية، إذ التقدير: لأمارة بالسوء مدة بقائها إلا وقت رحمة الله العبد، وذهابه بها عن اشتهاء المعاصي، وجوزوا أن يكون استثناء منقطعاً، وما مصدرية، وذكر ابن عطية أنه قول الجمهور، أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾إن واسمها وخبراها.

□ **البلاغة:**

رجح البلاغيون أن يكون الكلام ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ. . .﴾من قول زليخا؛ لأنه أقرب إلى المقام وأليق بمقام الغزل، حيث يفدي المحب من يحب بنفسه، ألا ترى أنه عندما استحكمت المحنة، وبلغت النهاية فدته بنفسها، فقالت: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾وتقربت إلى قلبه بقولها: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾وما أحسن قول كثير، وقد رمق سماء هذا المعنى في التقرب إلى المحبوب، وخلب قلبه بهذا التطلف:

يـودُّ بـأن يُمسي عليـلاً لعلَّهـا		إذا سمعتْ شكواه يوماً تراسله
ويهتزُّ للمعروف في طلبِ العلا		لتحمدَ يوماً عند ليلى شمائله

ويثبت ذلك أيضاً قولها للنسوة اللواتي سمعت بمكرهن: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾غير مكترثة لما فضحنها به. وقد رمق هذه السماء العالية أيضاً جميل بن معمر الخزاعي، فقال:

ومـاذا عسـى الواشُـون أن يتحـدَّثوا		سوى أن يقولُوا: إنَّني لكِ عاشِق
أجـلْ صـدقَ الـواشُـون أنـتِ حبيبـةٌ		إليَّ وإن لم تصـف منـكِ الخَـلائـق

وقد رواهما صاحب الأغاني لمجنون بني عامر.

وقال عمرو بن ضبيعة الرقاشي أحد بني رقاش، وهم منسوبون إلى أمهم:

ألاَ ليقـلْ مَـن شـاءَ مـا شـاءَ إنَّمـا		يُلامُ الفتى فيما استطاعَ من الأمر

قضى اللهُ حُبَّ المالكية فاصطبرْ
عليه فقد تجري الأمورُ على قدر

وقد رمق أبو العتاهية بيتي جميل، فقال:

قال لي أحمد ولم يَدْرِ ما بي
أتحبُّ الغداةَ عتبةَ حقّا
فتنفستُ ثم قلتُ: نعم حُبّاً
جَرَىٰ في العُروقِ عرقاً فعرقا

ولقد أربى عليه بهذا التنفس الذي تتبعه كل نفس لطيفة.

* الفوائد:

الآن:

الآن ظرف من ظروف الزمان، معناه الزمن الحاضر، وهو مبني على الفتح، وفي علة بنائه إشكال، فذهب قوم إلى أنه بني لأنه وقع في أول أحواله معرفة بالألف واللام، وحكم الأسماء أن تكون منكورة شائعة في الجنس، ثم يدخل عليها ما يعرفها من إضافة وألف ولام، فلما خالفت أخواتها من الأسماء بأن وقعت معرفة بأول أحوالها، ولزمت موضعاً واحداً بنيت لذلك؛ لأن لزومها بهذا الموضع ألحقها بشبه الحروف، وهذا رأي أبي العباس المبرد، وشايعه الزمخشري وغيره، وقال الفراء: أصله آن، من: آن الشيء يئين؛ إذا أنى وقته، يقال: آن لك أن تفعل كذا، وأنى لك، قال عمرو بن حسان:

تمخضتِ المنونُ له بيوم أنى ولكلِّ حاملةٍ تمام

وآن فعل ماض، فلما أدخل عليه الألف واللام ترك على ما كان عليه من الفتح، كما جاء في الحديث أنه ﷺ: «نهى عن قيل وقال» وقيل وقال فعلان ماضيان، فأدخل الخافض عليهما، وتركهما على ما كانا عليه، وهناك تعليلات أخرى ضربنا عنها صفحاً؛ لأنه لا طائل تحتها.

فهرس الآيات

سورة الأعراف

تفسير الآيتين (٨٨ـ٨٩) ٥
تفسير الآيات(٩٠ـ٩٣) ٩
تفسير الآيات (٩٤ـ٩٦) ١١
تفسير الآيات (٩٧ـ٩٩) ١٢ـ١٣
تفسير الآيات (١٠٠ـ١٠٢) ١٣ـ١٤
تفسير الآيات (١٠٣ـ١٠٦) ١٦
تفسير الآيات (١٠٧ـ١١٢) ١٨
تفسير الآيات (١١٣ـ١١٦) ٢٠
تفسير الآيات (١١٧ـ١٢٢) ٢١ـ٢٢
تفسير الآيات (١٢٣ـ١٢٦) ٢٣
تفسير الآيات (١٢٧ـ١٢٩) ٢٦
تفسير الآيات (١٣٠ـ١٣٢) ٢٨
تفسير الآيات (١٣٣ـ١٣٦) ٣٣
تفسير الآيتين (١٣٧ـ١٣٨) ٣٦
تفسير الآيات (١٣٩ـ١٤١) ٣٨
تفسير الآيتين (١٤٢ـ١٤٣) ٤٠
تفسير الآيات (١٤٤ـ١٤٦) ٤٢
تفسير الآيتين (١٤٧ـ١٤٨) ٤٤ـ٤٥
تفسير الآيات (١٤٩ـ١٥١) ٤٦
تفسير الآيات (١٥٢ـ١٥٤) ٤٩
تفسير الآيات (١٥٥ـ١٥٧) ٥٢ـ٥٣
تفسير الآيات (١٥٨ـ١٦٠) ٥٩

تفسير الآيتين (١٦١ ـ ١٦٢) ٦٤
تفسير الآيات (١٦٣ ـ ١٦٦) ٦٥
تفسير الآيات (١٦٧ ـ ١٧٠) ٦٨
تفسير الآيات (١٧١ ـ ١٧٣) ٧١
تفسير الآيات (١٧٤ ـ ١٧٧) ٧٥
تفسير الآيتين (١٧٨ ـ ١٧٩) ٧٩
تفسير الآيات (١٨٠ ـ ١٨٦) ٨٠
تفسير الآيتين (١٨٧ ـ ١٨٨) ٨٣
تفسير الآيات (١٨٩ ـ ١٩٢) ٨٦
تفسير الآيات (١٩٣ ـ ١٩٥) ٨٩
تفسير الآيات (١٩٦ ـ ٢٠٠) ٩١
تفسير الآيات (٢٠١ ـ ٢٠٦) ٣/ ٩٥

سورة الأنفال

تفسير الآيات (١ ـ ٤) ٩٩
تفسير الآيات (٥ ـ ٩) ١٠٢
تفسير الآيتين (١٠ ـ ١١) ١٠٩
تفسير الآيات (١٢ ـ ١٤) ١١٠
تفسير الآيات (١٥ ـ ١٨) ١١٢
تفسير الآيات (١٩ ـ ٢٣) ١١٧
تفسير الآيات (٢٤ ـ ٢٦) ١١٩
تفسير الآيات (٢٧ ـ ٢٩) ١٢٣
تفسير الآيتين (٣٠ ـ ٣١) ١٣١
تفسير الآيات (٣٢ ـ ٣٤) ١٣٣
تفسير الآيات (٣٥ ـ ٣٧) ١٣٦
تفسير الآيات (٣٨ ـ ٤٠) ١٣٨
تفسير الآيتين (٤١ ـ ٤٢) ١٤٠
تفسير الآيتين (٤٣ ـ ٤٤) ١٤٦
تفسير الآيات (٤٥ ـ ٤٧) ١٤٧
تفسير الآيتين (٤٨ ـ ٤٩) ١٤٩

تفسير الآيات (٥٠ ـ ٥٤) ١٥١
تفسير الآيات (٥٥ ـ ٥٩) ١٥٧
تفسير الآيتين (٦٠ ـ ٦١) ١٦١
تفسير الآيات (٦٢ ـ ٦٤) ١٦٤
تفسير الآيتين (٦٥ ـ ٦٦) ١٦٧
تفسير الآيات (٦٧ ـ ٦٩) ١٦٨
تفسير الآيات (٧٠ ـ ٧٢) ١٧١
تفسير الآيات (٧٣ ـ ٧٥) ١٧٣

سورة التوبة

تفسير الآيات (١ ـ ٣) ١٧٦
تفسير الآيتين (٤ ـ ٥) .... ١٨٠ ـ ١٨١
تفسير الآيات (٦ ـ ١٠) .... ١٨٢ ـ ١٨٣
تفسير الآيتين (١١ ـ ١٢) ١٨٦
تفسير الآيات (١٣ ـ ١٥) .... ١٨٦ ـ ١٨٧
تفسير الآيتين (١٦ ـ ١٧) ١٨٩
تفسير الآيات (١٨ ـ ٢٢) ١٩١
تفسير الآيتين (٢٣ ـ ٢٤) ١٩٦
تفسير الآيات (٢٥ ـ ٢٧) ١٩٨
تفسير الآيتين (٢٨ ـ ٢٩) ٢٠٢
تفسير الآيات (٣٠ ـ ٣٢) ٢٠٦
تفسير الآيات (٣٣ ـ ٣٥) .... ٢٠٩ ـ ٢١٠
تفسير الآيتين (٣٦ ـ ٣٧) ٢١٣
تفسير الآيات (٣٨ ـ ٤٠) ٢١٦
تفسير الآيات (٤١ ـ ٤٣) ٢١٩
تفسير الآيات (٤٤ ـ ٤٧) .... ٢٢١ ـ ٢٢٢
تفسير الآيات (٤٨ ـ ٥١) .... ٢٢٤ ـ ٢٢٥
تفسير الآيات (٥٢ ـ ٥٤) .... ٢٢٦ ـ ٢٢٧
تفسير الآيات (٥٥ ـ ٦٠) .... ٢٢٨ ـ ٢٢٩
تفسير الآيات (٦١ ـ ٦٣) ٢٣٤

تفسير الآيات (٦٤ـ٦٦) ٢٣٨
تفسير الآيات (٦٧ـ٦٩) ٢٤٠
تفسير الآيات (٧٠ـ٧٢) ٢٤٣
تفسير الآيتين (٧٣ـ٧٤) ٢٤٥
تفسير الآيات (٧٥ـ٨٠) ٢٤٨
تفسير الآيتين (٨١ـ٨٢) ٢٥١ـ٢٥٢
تفسير الآيات (٨٣ـ٨٥) ٢٥٣
تفسير الآيات (٨٦ـ٨٩) ٢٥٦
تفسير الآيات (٩٠ـ٩٢) ٢٥٧
تفسير الآيات (٩٣ـ٩٥) ٢٦٣
تفسير الآيات (٩٦ـ٩٨) ٢٦٥
تفسير الآيتين (٩٩ـ١٠٠) ٢٦٩
تفسير الآيات (١٠١ـ١٠٤) ٢٧٠
تفسير الآيات (١٠٥ـ١١٠) ٢٧٤
تفسير الآيات (١١١ـ١١٢) ٢٧٩ـ٢٨٠
تفسير الآيات (١١٣ـ١١٦) ٢٨٣ـ٢٨٤
تفسير الآيتين (١١٧ـ١١٨) ٢٨٦
تفسير الآيات (١١٩ـ١٢١) ٢٩٠ـ٢٩١
تفسير الآيات (١٢٢ـ١٢٦) ٢٩٣ـ٢٩٤
تفسير الآيات (١٢٧ـ١٢٩) ٢٩٦

سورة يونس

تفسير الآيات (١ـ٤) ٢٩٩
تفسير الآيتين (٥ـ٦) ٣٠٥
تفسير الآيات (٧ـ١٠) ٣٠٧
تفسير الآيتين (١١ـ١٢) ٣٠٨ـ٣٠٩
تفسير الآيات (١٣ـ١٧) ٣١١
تفسير الآيات (١٨ـ٢٠) ٣١٥
تفسير الآيات (٢١ـ٢٣) ٣١٧
تفسير الآيتين (٢٤ـ٢٥) ٣٢٢

تفسير الآيتين (٢٦ـ٢٧) ٣٢٤ـ٣٢٥
تفسير الآيات (٢٨ـ٣٠) ٣٣٠
تفسير الآيات (٣١ـ٣٣) ٣٣٣
تفسير الآيات (٣٤ـ٣٦) ٣٣٤
تفسير الآيات (٣٧ـ٤٠) ٣٣٦ـ٣٣٧
تفسير الآيات (٤١ـ٤٤) ٣٣٩
تفسير الآيات (٤٥ـ٤٧) ٣٤٣
تفسير الآيات (٤٨ـ٥٢) ٣٤٤
تفسير الآيات (٥٣ـ٥٦) ٣٤٦
تفسير الآيات (٥٧ـ٦١) ٣٥٠
تفسير الآيات (٦٢ـ٦٥) ٣٥٤
تفسير الآيتين (٦٦ـ٦٧) ٣٥٦
تفسير الآيات (٦٨ـ٧٠) ٣٥٨
تفسير الآيات (٧١ـ٧٣) ٣٥٩
تفسير الآيات (٧٤ـ٧٨) ٣٦٢ـ٣٦٣
تفسير الآيات (٧٩ـ٨٢) ٣٦٦
تفسير الآيات (٨٣ـ٨٦) ٣٦٧
تفسير الآيات (٨٧ـ٨٩) ٣٦٩
تفسير الآيات (٩٠ـ٩٢) ٣٧٢
تفسير الآيات (٩٣ـ٩٧) ٣٧٦ـ٣٧٧
تفسير الآيات (٩٨ـ١٠٠) ٣٧٩ـ٣٨٠
تفسير الآيات (١٠١ـ١٠٣) ٣٨١
تفسير الآيات (١٠٤ـ١٠٩) ٣٨٣

سورة هـــود

تفسير الآيات (١ـ٤) ٣٨٧
تفسير الآيات (٥ـ٨) ٣٨٩
تفسير الآيات (٩ـ١١) ٣٩٦
تفسير الآيات (١٢ـ١٤) ٣٩٧ـ٣٩٨
تفسير الآيتين (١٥ـ١٦) ٤٠٠

تفسير الآيات (١٧ ـ ٢٢) .... ٤٠١ ـ ٤٠٢
تفسير الآيتين (٢٣ ـ ٢٤) ٤٠٦
تفسير الآيات (٢٥ ـ ٢٨) ٤٠٩
تفسير الآيات (٢٩ ـ ٣١) ٤١٣
تفسير الآيات (٣٢ ـ ٣٥) ٤١٥
تفسير الآيات (٣٦ ـ ٣٩) ٤٢١
تفسير الآيات (٤٠ ـ ٤٣) ٤٢٣
تفسير الآية (٤٤) ٤٢٧
تفسير الآيات (٤٥ ـ ٤٩) .... ٤٣٨ ـ ٤٣٩
تفسير الآيات (٥٠ ـ ٦٠) ٤٤٢
تفسير الآيات (٦١ ـ ٦٨) .... ٤٤٩ ـ ٤٥٠
تفسير الآيات (٦٩ ـ ٧٦) .... ٤٥٦ ـ ٤٥٧
تفسير الآيات (٧٧ ـ ٨٣) ٤٦٢
تفسير الآيات (٨٤ ـ ٩٥) .... ٤٧٠ ـ ٤٧١
تفسير الآيات (٩٦ ـ ١٠٨) ٤٧٩
تفسير الآيات (١٠٩ ـ ١١٢) ٤٨٧
تفسير الآيات (١١٣ ـ ١١٧) .... ٤٩١ ـ ٤٩٢
تفسير الآيات (١١٨ ـ ١٢٣) ٤٩٦

سورة يوسف

تفسير الآيات (١ ـ ٦) ٤٩٩
تفسير الآيات (٧ ـ ١٤) ٥٠٥
تفسير الآيات (١٥ ـ ٢٠) .... ٥٠٨ ـ ٥٠٩
تفسير الآيات (٢١ ـ ٢٤) ٥١٣
تفسير الآيات (٢٥ ـ ٢٩) ٥٢٠
تفسير الآيات (٣٠ ـ ٣٣) ٥٢٤
تفسير الآيات (٣٤ ـ ٤١) .... ٥٣٣ ـ ٥٣٤
تفسير الآيات (٤٢ ـ ٤٩) ٥٣٩
تفسير الآيات (٥٠ ـ ٥٣) .... ٥٤٩ ـ ٥٥٠